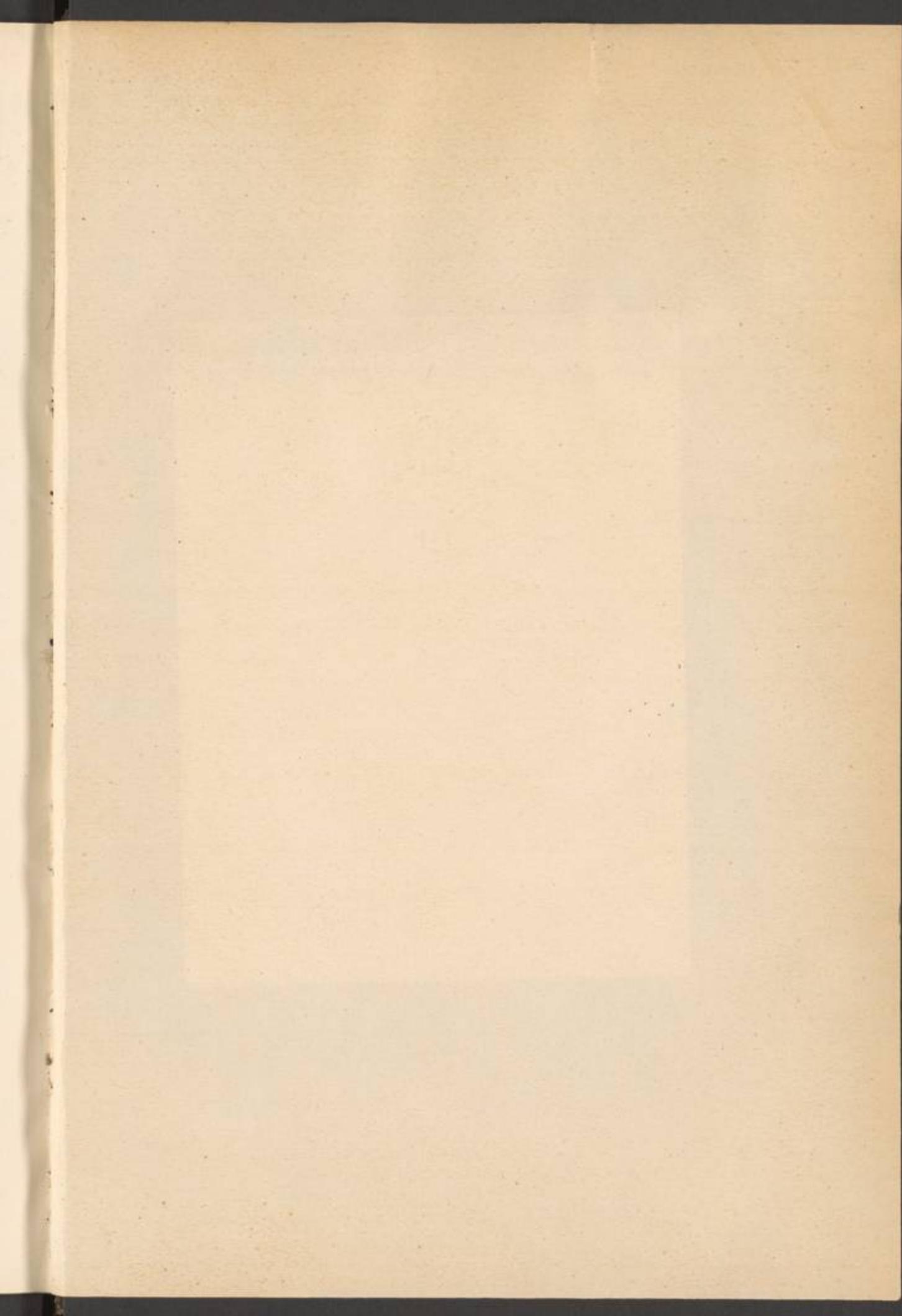


*C.C. [unclear]*

BOBST LIBRARY  
  
3 1142 02748 6185

**DATE DUE**

DATE DUE	



al-Nuwayrī, Aḥmad ibn 'Abd al-Wahhāb  
/Nihāyat al-Arab fī funūn al-adab/

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الأديب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

السفر الأول

[ الطبعة الثانية ]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م

فصل الثانی

فصل الثانی

AE

90

.A7

N8

y. 1

c. 1

فصل الثانی

فصل الثانی

فصل الثانی

فصل الثانی

فصل الثانی

فصل الثانی

فصل الثانی

# فكر مشرق

السفر الأول

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للسوري

صحيفة

مقدمة الكتاب ... ١

## الفرس الأول

في السماء والآثار العلوية، والأرض، والمعالم السفلية ... ٢٧

### القسم الأول

في السماء وما فيها، وفيه خمسة أبواب

#### الباب الأول :

مبدأ خلق السماء ... ٢٨

ذكر ما قيل في أسماء السماء وخلقها ... ٢٩

« ما حكى في سبب حدوثها ... ٢٩

#### الباب الثاني :

في هيئة السماء ... ٣٠

في الأمثال التي ورد فيها ذكر السماء ... ٣٢

في وصف السماء وتشبيهها ... ٣٣

ما قيل في الفلك ... ٣٤

#### الباب الثالث :

في ذكر الملائكة ... ٣٦

## الباب الرابع :

- ٣٨ ... .. في الكواكب السبعة المتحيرة ... ..
- ٤٠ ... .. ذكر ما قيل في الشمس ... ..
- ٤٢ ... .. « ما يمثل به مما فيه ذكر الشمس ... ..
- ٤٤ ... .. « ما جاء في وصف الشمس وتشبيهها ... ..
- ٤٦ ... .. « شيء مما وصفت به على طريق الذم ... ..
- ٤٨ ... .. « ما قيل في الكسوف ... ..
- ٤٨ ... .. « أسماء الشمس اللغوية ... ..
- ٤٩ ... .. « عباد الشمس ... ..
- ٤٩ ... .. « ما قيل في القمر ... ..
- ٥٠ ... .. « (من استهلاله الى آتقضاء الشهر وأسماء لياليه) ... ..
- ٥١ ... .. « أسماء القمر اللغوية ... ..
- ٥٢ ... .. « ما يمثل به مما فيه ذكر القمر ... ..
- ٥٢ ... .. « ما قيل في وصف القمر وتشبيهه ... ..
- ٥٥ ... .. « شيء مما قيل فيه على طريق الذم ... ..
- ٥٦ ... .. « عباد القمر ... ..
- ٥٧ ... .. « ما قيل في الكواكب المتحيرة ... ..
- ٥٧ ... .. « عباد الروحانيات ... ..
- ٦٠ ... .. « بيوت الهياكل وأماكنها ونسبتها الى الكواكب ... ..

## الباب الخامس :

- ٦٣ ... .. في الكواكب الثابتة ... ..
- ٦٤ ... .. ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر الكواكب ... ..
- ٦٥ ... .. « ما قيل في وصف الكواكب وتشبيهها ... ..

## القسم الثاني

في الآثار العلوية، وفيه أربعة أبواب

## الباب الأول :

- ٧٠ ... .. في السحاب، وسبب حدوثه، وفي الثلج والبرد
- ٧١ ... .. ذكر ما قيل في ترتيب السحاب، وأسمائه اللغوية وأصنافه
- ٧٣ ... .. » » في ترتيب المطر
- ٧٣ ... .. » » في فعل السحاب والمطر
- ٧٣ ... .. » أسماء أمطار الأزمنة
- ٧٤ ... .. » » المطر اللغوية
- ٧٥ ... .. » ما يتمثل به مما فيه ذكر المطر
- ٧٦ ... .. » شيء مما قيل في وصف السحاب والمطر
- ٨٠ ... .. » ما ورد في وصفها ثرا
- ٨٤ ... .. » شيء مما وصف به الثلج والبرد

## الباب الثاني :

- ٨٥ ... .. في النيازك، والصواعق، والرعد، والبرق، وقوس قزح

## الباب الثالث :

- ٩٢ ... .. في أسطقس الهواء
- ٩٣ ... .. ذكر ما قيل في حدّ الهواء
- ٩٥ ... .. » أسماء الرياح اللغوية
- ٩٦ ... .. فصل فيما يذكر منها بلفظ الجمع
- ٩٧ ... .. ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الهواء
- ٩٧ ... .. » ما جاء في وصف الهواء وتشبيهه

الباب الرابع :

- ١٠٠ ... .. في أسطقس النار، وأسمائها، وعبادها، وبيوت النيران ... ..
- ١٠١ ... .. ذكر أسماء النار ... ..
- ١٠٢ ... .. « عباد النار ... .. »
- ١٠٤ ... .. بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس ... ..
- ١٠٦ ... .. ذكر نيران العرب ... ..
- ١١٠ ... .. « النيران المجازية ... .. »
- ١١١ ... .. « النيران التي يضرب المثل بها ... .. »
- ١١٢ ... .. « ما جاء منها على لفظ أفعال ... .. »
- ١١٣ ... .. « ما قيل في وصف النار وتشبيها ... .. »
- ١١٦ ... .. « شيء مما قيل في الشمعة والشمعدان، والسراج، والقنديل ... .. »
- ١١٩ ... .. ما ورد في وصفها ثرا ... ..
- ١١٩ ... .. ما قيل في السراج ... ..
- ١٢٠ ... .. رسالة القنديل والشمعدان ... ..

القسم الثالث من الفن الأول

في الليالي والأيام، والشهور والأعوام، والفصول والمواسم والأعياد،

وفيه أربعة أبواب

الباب الأول :

- ١٢٥ ... .. في الليالي والأيام ... ..
- ١٢٦ ... .. ذكر ما قيل في الليل وأقسامه ... ..
- ١٢٧ ... .. فصل وقد عبر بالليالي عن الأيام ... ..
- ١٢٧ ... .. ذكر الليالي المشهورة ... ..
- ١٢٨ ... .. « ما يتمثل به مما فيه ذكر الليل ... .. »

- ١٢٩ ... .. ذكر ما قيل في وصف الليل وتشبيهه
- ١٣٠ ... .. « ما وصف به الليل من الطول »
- ١٣٤ ... .. « من القصر »
- ١٣٦ ... .. « من الإشراق »
- ١٣٧ ... .. « من الظلمة »
- ١٣٨ ... .. « شيء مما قيل في تبشير الصباح »
- ١٤١ ... .. « ما قيل في النهار »
- ١٤٢ ... .. « الأيام التي خصت بالذكر »
- ١٤٤ ... .. « أيام أصحاب الملل الثلاث »
- ١٤٤ ... .. « ما يمثل به مما فيه ذكر النهار »
- ١٤٥ ... .. « شيء مما قيل في وصف النهار وتشبيهه »
- ١٤٧ ... .. « وصفت به الآلات الموضوعه لمعرفة الأوقات »

## الباب الثاني :

- ١٥٠ ... .. في الشهور والأعوام
- ١٥٠ ... .. ذكر الشهور وما قيل فيها
- ١٥١ ... .. « الأشهر العربية وما يختص بها من القول »
- ١٥٣ ... .. شهور اليهود
- ١٥٣ ... .. الشهور العجمية
- ١٥٧ ... .. ذكر ما يختص بالسنة من القول
- ١٥٩ ... .. « النسيء ومذهب العرب فيه »
- ١٦٠ ... .. « السنين التي يضرب بها المثل »

## الباب الثالث :

- ١٦٢ ... .. في الفصول وأزمنتها
- ١٦٣ ... .. ذكر ما قيل في وصف الفصول وتشبيهها نظما ونثرا

صحيفة

الباب الرابع :

- في ذكر مواسم الأثم وأعيادها ، وأسباب آتخاذهم لها ، وما قبل في ذلك ١٧٦  
 ذكر الأعياد الإسلامية ... .. ١٧٧  
 « أعياد الفرس ... .. ١٧٨  
 « النصارى القبط ... .. ١٨٣  
 « اليهود ... .. ١٨٧

القسم الرابع من الفن الأول

في الأرض ، والجبال ، والبحار ، والجزائر ، والأنهار ، والعيون ،  
 والغدران ، وفيه سبعة أبواب

الباب الأول :

- في مبدأ خلق الأرض ... .. ١٩٠

الباب الثاني :

- في تفصيل أسماء الأرضين وصفاتها ، في الاتساع ، والأتواء ، والبعء ،  
 والغلظ ، والصلابة ، والسهولة ، والحزونة والأرتفاع ، والأتخفاض ،  
 وغير ذلك ... .. ١٩١  
 ذكر تفصيل أسماء التراب وصفاته ... .. ١٩٤  
 « الغبار وأوصافه ... .. ١٩٥  
 « الطين ... .. ١٩٥  
 « التمال ... .. ١٩٦  
 « ترتيب كمية الرمل ... .. ١٩٧  
 « تفصيل أسماء الطرق وأوصافها ... .. ١٩٨

## الباب الثالث :

في طول الأرض ومساقها ..... ١٩٩

## الباب الرابع :

في الأقاليم السبعة ..... ٢٠١

ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر الأرض ..... ٢٠٥

« شيء مما قيل في وصف الأرض وتشبيهها ..... ٢٠٦

## الباب الخامس :

في الجبال ..... ٢٠٩

ذكر أسماء ما ارتفع من الأرض الى أن يبلغ الجبيل ..... ٢١١

« ترتيب أبعاض الجبل ..... ٢١٢

« مقادير الحجارة ..... ٢١٤

« ما يمثل به مما فيه ذكر الجبال والحجارة ..... ٢١٦

« شيء مما قيل في وصف الجبال وتشبيهها ..... ٢١٧

## الباب السادس :

في ذكر البحار والجزائر ..... ٢١٩

ذكر بحار المعمور من الأرض ..... ٢١٩

« ما يتفرع من البحر المحيط ..... ٢٢١

« الخلجان التي تخرج من البحر الرومي ..... ٢٢٦

بحر الهند وجزائره ..... ٢٢٧

ذكر خلجان البحر الهندي ..... ٢٣٣

بحر مانيطش ..... ٢٣٦

بحر الخزر وجزائره ..... ٢٣٧

صفحة

- ذكر ما فى المعمور من البحيرات المألحة المشهورة وما بها من العجائب ... ٢٣٩  
 » ما يتمثل به مما فى ذكر البحر ... ٢٤٣  
 » شىء مما قيل فى وصف البحر وتشبيهه ... ٢٤٤  
 » » وصف به البحر والسفن ... ٢٤٥  
 » ما وصفت به البحار والسفن ثرا ... ٢٤٧

### الباب السابع :

فى العيون والأنهار والغدران ، وما وصفت به البرك ، والدوايب ،

- والتواعير ، والجداول ... ٢٥٠  
 نهر النيل ... ٢٥١  
 » الفرات ... ٢٥٥  
 » دجلة ... ٢٥٧  
 » سجستان ... ٢٥٨  
 » مهران ... ٢٥٩  
 » جيحون ... ٢٥٩  
 » سيحون ... ٢٦٠  
 » الكلك ... ٢٦١  
 » الكتر ... ٢٦٢  
 » إتل ... ٢٦٢  
 ذكر ما فى المعمور من الأنهار والعيون التى يتعجب منها ... ٢٦٣  
 » ما يتمثل به مما فى ذكر الماء ... ٢٦٦  
 » شىء مما قيل فى وصف الماء وتشبيهه ... ٢٧٠  
 » » وصف به الأنهار ... ٢٧١  
 » » » البرك ... ٢٧٤



صحيفة

- ٣٠١ ... .. ذكر أسماء الكعبة ومكة
- ٣٠٢ ... .. ما جاء في فضل الركن الأسود
- ٣٠٤ ... .. استلام الركن الأسود، واليماني
- ٣٠٥ ... .. الطواف بالكعبة
- ٣٠٥ ... .. زمزم
- ٣٠٧ ... .. من آتساع مئى أيام الحج، ولم تسميت مئى
- ٣٠٧ ... .. فى فضائل مقبرة مكة
- ٣٠٨ ... .. شىء من خصائص مكة
- ٣٠٨ ... .. المدينة المشرفة (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام)
- ٣١١ ... .. ذكر شىء من خصائص المدينة المشرفة وأسمائها
- ٣١٣ ... .. البيت المقدس، والمسجد الأقصى
- ٣١٣ ... .. البدء بذكر الأرض المقدسة
- ٣١٦ ... .. فضل بيت المقدس
- ٣١٨ ... .. زيارة بيت المقدس، وفضل الصلاة فيه
- ٣٢٠ ... .. ما ورد فى بيت المقدس من مضاعفة الحسنات والسيئات فيه
- ٣٢٠ ... .. فضل السكنى فيه والإقامة والوفاء به
- ٣٢١ ... .. ما بيت المقدس من قبور الأنبياء، ومحراب داود وعين سلوان
- ٣٢٢ ... .. ما ورد فى أن الحشر من بيت المقدس
- ٣٢٣ ... .. فى فضل الصخرة والصلاة الى جانبها
- ٣٢٤ ... .. فى أن الله عز وجل عرج من بيت المقدس الى السماء
- ٣٢٦ ... .. ثواب الإهلال من بيت المقدس
- ٣٢٧ ... .. ما ورد من أن الكعبة تزور الصخرة يوم القيامة
- ٣٢٧ ... .. اليمن وما يختص به
- ٣٢٨ ... .. الشام وما يختص به

صيفة	
٣٢٨	مسجد دمشق وما قيل فيه
٣٣١	مصر وما يختص بها من الفضائل
٣٣٦	ذكر مَنْ وُلد بمصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وَمَنْ كان بها منهم
٣٣٦	« كان بها من الصديقين والصديقات، رضى الله عنهم ... »
٣٣٧	« صاهر أهل مصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ... »
٣٣٨	« أظهرته مصر من الحكماء ... »
٣٤١	ومن فضائل مصر
٣٤٤	ما وصفت به مصر
٣٤٥	جزيرة الأندلس
٣٤٦	البصرة وما آختصت به
٣٤٧	بغداد وما آختصت به
٣٤٨	الأهواز وما آختصت به
٣٤٨	فارس وما آختصت به
٣٤٨	أصفهان وما آختصت به
٣٤٩	حرجان وما آختصت به
٣٤٩	نيسابور وما آختصت به
٣٥١	طوس وما آختصت به
٣٥١	بلخ وما آختصت به
٣٥١	بست وما آختصت به
٣٥٢	غزنة وما آختصت به
٣٥٢	سجستان وما آختصت به
٣٥٣	الهند وما آختصت به
٣٥٣	الصين وما آختصت به
٣٥٤	سمرقند وما آختصت به

صفحة

- ٣٥٤ ... بلاد الترك وما آختصت به
- ٣٥٤ ... خوارزم وما آختصت به
- ٣٥٥ ... ذكر الخصائص التي تجرى مجرى الطلسمات ...  
 ذكر خصائص البلاد في أشياء مختلفة (وهي العلم ، والعمل ، والجواهر ،  
 والملابس ، والأوبار ، والفرش ، والمراكب ، والحيوانات ذوات  
 السموم ، والحلوى ، والثمار ، والرياحين ، والخلق ، والأخلاق ،  
 والأمراض والآثار العلوية)

الباب الثالث :

- ٣٥٩ ... في المباني القديمة
- ٣٥٩ ... ذكر أول بناء وضع على وجه الأرض
- ٣٥٩ ... « خبر إرم ذات العماد ...
- ٣٦١ ... « خبر سد يأجوج ومأجوج
- ٣٦٥ ... ذكر مباني الفرس المشهورة ...
- ٣٦٦ ... من مباني الفرس إيوان كسرى
- ٣٦٧ ... « المباني القديمة الحضر ...
- ٣٦٨ ... « « القليس ...
- ٣٦٩ ... « المشهورة قنطرة صنجة ...
- ٣٧٠ ... « القديمة مَلْعَبًا بعلبك ...
- ٣٧٠ ... ذكر مباني العرب المشهورة
- ٣٧٠ ... غمدان
- ٣٧١ ... حصن تيماء ...
- ٣٧٢ ... الخورنق والسدير ...
- ٣٧٣ ... الغريان
- ٣٧٤ ... ذكر الأبنية القديمة التي بالديار المصرية

صحيفة	
الأهرام	٣٧٤ ... ..
حائط العجوز	٣٧٨ ... ..
ملعب أنصنا	٣٧٩ ... ..
مدينة عين شمس	٣٧٩ ... ..
البرابي	٣٨٠ ... ..
حنية اللازورد	٣٨١ ... ..
منارة الاسكندرية	٣٨١ ... ..
رواق الإسكندرانيين	٣٨٤ ... ..
ذكر شىء من عجائب المباني	٣٨٤ ... ..

الباب الرابع :

فيما وصفت به المعقل والحصون	٣٨٦ ... ..
-----------------------------	------------

الباب الخامس :

فيما وصفت به القصور والمنازل	٣٩١ ... ..
ما وصفت به المنازل الخالية	٣٩٦ ... ..
ذكر شىء مما قيل في حب الأوطان	٣٩٩ ... ..
» » » في الخمام	٣٩٩ ... ..
نسخة ما هو مكتوب في آخر الأصل بخط المؤلف	٤٠٠ ... ..

تم فهرس السفر الأول

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

(مطبعة دارالكتب المصرية ٤٨١/١٩٢٧/١٠٠٠)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رافع السماء وفاتق رتقها ، ومنشئ السحاب وموكف وذيقها ، ومجرى  
 الأفلاك ومدبرها ، ومطلع النيرات ومكورها ، ومرسيل الرياح ومسخرها ، ومزين  
 سماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحافظها عند استراق السمع بإرسال الشهب التواقب ،  
 وهادي السارى بمطالع نجومها في ظلم الغياهب ، وجاعل الليل سكنا ولباسا ، ومبدل  
 وحشة ظلماته بفلق الإصباح إيناسا ، وماحى آيته بآية النهار المبصرة ، ومذهب دجنته  
 بإشراق شمس النيرة ، وباسط الأرض فراشا ومهادا ، ومرسى الجبال وجاعلها  
 أوتادا ، ومفجر العيون من جوانبها وخلالها ، ومضحك تغور الأزهار بيبكاء عيون  
 الأمطار وأنهمالها ، ومكرم بنى آدم بتفضيلهم على كثير من خلقه ، ومذلل الأرض  
 لهم يمشوا فى مناكبها وليأكلوا من رزقه ، وحاملهم على ظهر اليم فى بطون الجوارى  
 المنشآت ، ومعوّضهم عن أعواد السفن غوارب اليعملات . خلق كل دابة من ماء  
 وأودعها من خفى حكيه ما أودع ، وبارئ بين أشكالهم (فمنهم من يمشى على بطنه  
 ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع) . وهدى الطير إلى ما اتخذته  
 من الأوكار واتخذ لها من المباني ، وجعلها من رسائل المنايا ووسائل الأمانى .

أحمده على نعمه التى كم أولت من منة ، ومننه التى كم وآلت من نعمة ، وأشكره  
 على أطفاه التى كم كشفت من غمة ، وأزالت من نقمة .

(١) اليعملة (بفتح الاء والميم) : الناقة النجبية المعتملة المطبوعة والجلل يعمل . وهو أسم لاوصف .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبده نطق بها لسانه وقلبه ،  
وأُتِسَ بها ضميره ولُبه .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، الذي جعلت له الأرض مسجدا وتراها طهورا ،  
وأُنزل عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ  
وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ . صلى الله وسلم عليه وعلى آله الذين رفقوا بنسبهم إليه أعلى المراتب ،  
وتسّموا من ذرّوة الشرف والثناء كاهل الكواكب ، وعلى أصحابه الذين اتّطعت  
بهم قواعد الشريعة وعلا منارها ، وهُدِمت معاقل الكفر وعفّت آثارها ، وأنفقوا  
من قبل الفتح وقاتلوا ، وجادلوا في دين الله وجدلوا : صلاة ترفع منار قائلها ، وترسل  
عليه محائب المغفرة بوابها !

وبعد ، فمن أولى ما تدبّجت به الطروس والدفاتر ، ونطقت به ألسنة الأقلام  
عن أفواه المخابر ، وأصدرته ذوو الأذهان السليمة ، وآنتسبت إليه ذوو الأنساب  
الكريمة ، وجعله الكاتب ذريعة يتوصّل بها إلى بلوغ مقاصده ، ومحجّة لا يضلّ  
سالكها في مصادره وموارده : فنّ الأدب الذي ما حلّ الكاتب بآديه ، إلّا وعمّرت  
بآديه ، ولا وردّ مشارعه ، إلّا واستعدّب شرائعه ، ولا نزل بساحته إلّا واتسعت له  
رحابها ، ولا تأمل مشكلاته إلّا وتبينت له أسبابها .

وكنّت ممن عدل في مبادئه ، عن الإلمام بناديه ، وجعل صناعة الكتابة فنّنه  
الذي يستظلّ بوارفه ، وفنّه الذي جُمع له فيه بين تليده وطارفه . فعرفتُ جليها ،  
وكشفتُ خفيها ، وبسطتُ الخرائد<sup>(١)</sup> ونظمتُ منها الارتفاع ، وكنّت فيها كموقد نار على

(١) لعلها : الخرائد . أي جرائد الحسابات التي يستخرج منها الارتفاع أي مقدار الإيراد . وبقيّة

الكلام تدل على ذلك لأنه استعار اصطلاحات أهل الحساب .

يَفَاعُ ؛ وَأَسْتَرْفَعْتُ الْقَوَانِينُ ، وَوَضَعْتُ الْمَوَازِينَ ؛ وَعَانَيْتُ الْمُقْتَرِحَاتُ ، وَأَعْتَمَدْتُ عَلَى الْمَقَائِلَاتُ ؛ وَقَدَلَكْتُ عَلَى الْأَصْلِ وَمَا أُضْيِفُ إِلَيْهِ ، وَحَرَرْتُ مَا بَعْدَ الْقَدَلَكَةِ فَكَانَ الْعَمَلُ عَلَى مَا أَسْتَقَرَّتْ الْجُمْلَةُ عَلَيْهِ ؛ وَأَسْتَخْرَجْتُ وَحَصَلْتُ ، وَجَمَلْتُ مِنْ عَرْضِهِ وَخَصَلْتُ ؛ وَسُقْتُ الْحَوَاصِلُ ، وَأُورِدْتُ الْحَاسِبُ وَقَدَلَكْتُ عَلَى الْوَاصِلُ ؛ وَطَرِدْتُ مَا آنَسَاقُ إِلَى الْبَاقِي وَالْمَوْقُوفُ ، وَنَضَّدْتُ شَوَاهِدُ الْمَصْرُوفُ ؛ وَشَطَبْتُ شَوَاهِدُ الْإِرْتِفَاعُ ، وَقَرَّرْتُ أَعْمَالُ الْمَبْتِئِ بِالسَّبْعِ ؛ وَأَسْتَوْفَيْتُ أَعْمَالُ الْإِعْتِنَارُ وَتَوَالِي الْغَلَاتُ ، وَتَأَمَّلْتُ سِيَاقُ الْأَصْنَافُ وَالْآلَاتُ ؛ وَنَظَرْتُ فِي سِيَاقَاتُ الْعُلُوفَاتُ وَالْعَوَامِلُ ، وَأَجَبْتُ عَنِ الْمُخْرَجُ وَالْمُرْدُودُ فَأَعْجَزْتُ الْمُنَظَرُ وَالْمُنَاضِلُ ؛ وَأَتَقَنْتُ مَوَادُّ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، وَتَاجَرْتُ فِيهَا بِأَنْفُسُ بَضَاعَةٍ .

١٠ ثُمَّ نَبَذْتُهَا وَرَاءَ ظَهْرِي ، وَعَزَمْتُ عَلَى تَرْكِهَا فِي سِرِّي دُونَ جَهْرِي ؛ وَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى الْغَنِيَّةَ عَنْهَا ، وَتَضَرَّعْتُ إِلَيْهِ فِيهَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا . وَرَغِبْتُ فِي صِنَاعَةِ الْآدَابِ وَتَعَلَّقْتُ بِأَهْدَابِهَا ، وَأَنْتَضَمْتُ فِي سَلَكِ أَرْبَابِهَا ، فَرَأَيْتُ غَرَضِي لَا يَتِمُّ بِتَلْقِيهَا مِنْ أَفْوَاهِ الْفَضْلَاءِ شَفَاهَا ، وَمُورِدِي مِنْهَا لَا يَصِفُونَهَا مَالِمُ أُجْرَدُ الْعِزْمُ سَفَاهَا .

١٥ فَأَمْتَطَيْتُ جَوَادُ الْمَطَالَعَةِ ، وَرَكَضْتُ فِي مَيْدَانِ الْمَرَاجَعَةِ . وَحَيْثُ ذَلَّ لِي مَرَكِبُهَا ، وَصَفَا لِي مَشْرَبُهَا ، آثَرْتُ أَنْ أُجْرَدَ مِنْهَا كِتَابًا أَسْتَأْنِسُ بِهِ وَأَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَأُعَوَّلُ فِيهَا بِعَرَضِ لِي مِنَ الْمَهَمَّاتِ عَلَيْهِ . فَأَسْتَخْرْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَثَبْتُ مِنْهَا خَمْسَةَ فَنُونِ حَسَنَةِ التَّرْتِيبِ ، بَيِّنَةُ التَّقْسِيمِ وَالتَّبْوِيبِ : كُلُّ فَنٍّ مِنْهَا يَحْتَوِي عَلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ :

## الفن الأول

في السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية

ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول - في السماء وما فيها .

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول - في مبدأ خلق السماء .

الباب الثاني - في هيئتها .

الباب الثالث - في الملائكة .

الباب الرابع - في الكواكب السبعة .

الباب الخامس - في الكواكب الثابتة .

القسم الثاني - في الآثار العلوية .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول - في السحاب، وسبب حدوثه، وفي الثلج، والبرد .

الباب الثاني - في الصواعق، والنيازك، والرعد، والبرد .

الباب الثالث - في أسطقس الهواء .

الباب الرابع - في أسطقس النار، وأسمائها .

القسم الثالث - في الليالي، والأيام، والشهور، والأعوام، والتفصيل،

والمواسم، والأعياد .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول - في الليالي، والأيام .

- الباب الثاني — في الشهور، والأعوام .
  - الباب الثالث — في الفصول .
  - الباب الرابع — في المواسم، والأعياد .
- القسم الرابع — في الأرض، والجبال، والبحار، والجزائر، والأنهار، والعيون.

وفيه سبعة أبواب :

٣

- الباب الأول — في مبدأ خلق الأرض .
- الباب الثاني — في تفصيل أسماء الأرض .
- الباب الثالث — في طول الأرض، ومساحتها .
- الباب الرابع — في الأقاليم السبعة .
- الباب الخامس — في الجبال .
- الباب السادس — في البحار، والجزائر .
- الباب السابع — في الأنهار، والغدران، والعيون .

القسم الخامس — في طبائع البلاد، وأخلاق سكانها، وخصائصها، والمباني

القديمة، والمعقل، والقصور، والمنازل .

وفيه خمسة أبواب :

- الباب الأول — في طبائع البلاد، وأخلاق سكانها .
- الباب الثاني — في خصائص البلاد .
- الباب الثالث — في المباني القديمة .
- الباب الرابع — فيما وُصِفَتْ به المعقل .
- الباب الخامس — فيما وُصِفَتْ به القصور، والمنازل .

## الفرس الثاني

في الإنسان وما يتعلّق به

ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول - في اشتقاقه ، وتسميته ، وتنقلاته ، وطبائعه ، ووصف

- أعضائه ، وتشبيهها ، والغزل ، والنسب ، والمحبة ،  
والعشق ، والهوى ، والأنساب .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول - في اشتقاقه ، وتسميته ، وتنقلاته ، وطبائعه .

الباب الثاني - في وصف أعضائه ، وتشبيهها . وما وُصف به

- ١٠ طيب الرّيق ، والنكّهة ، وحسن الحديث  
والنّعمة ، واعتدال القُدود . ووصف  
مشى النساء .

الباب الثالث - في الغزل ، والنسب ، والهوى ، والمحبة ، والعشق .

الباب الرابع - في الأنساب .

القسم الثاني - في الأمثال المشهورة عن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) ،

- وعن جماعة من الصحابة (رضى الله عنهم) ، والمشهور  
من أمثال العرب ، وأوابد العرب ، وأخبار الكهنة ،  
والزجر ، والقال ، والطيرة ، والفراسة ، والذكاء ،  
والكفايات ، والتعريض ، والأحاجي ، والألغاز .

٢٠ وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول - في الأمثال .

الباب الثاني — في أوابد العرب .

الباب الثالث — في أخبار الكهنة ، والزجر ، والفأل ، والطيرة ،  
والفراسة والذكاء .

الباب الرابع — في الحكايات والتعريض .

الباب الخامس — في الأحاجي ، والألغاز .

القسم الثالث — في المدح ، والهجو ، والمجون ، والفكاهات ، والملح ،  
والنم ، والمعاقرة ، والنَّدمان ، والقيان ، ووصف  
آلات الطرب .

وفيه سبعة أبواب :

الباب الأول — في المدح .

وفيه ثلاثة عشر فصلا . وهي :

حقيقة المدح ، وما قيل فيه .

ما قيل في الجود ، والكرم ، وأخبار الكرام .

ما قيل في الإعطاء قبل السؤال .

ما قيل في الشجاعة ، والصبر ، والإقدام .

ما قيل في وفور العقل .

ما قيل في الصدق .

ما قيل في الوفاء ، والمحافظة .

ما قيل في التواضع .

ما قيل في القناعة ، والتراثة .



- ما قيل في الشكر، والثناء .  
 ما قيل في الوعد، والإنجاز .  
 ما قيل في الشفاعة .  
 ما قيل في الاعتذار، والأستعطف .  
 ٥ الباب الثاني — في الهجاء .  
 وفيه أربعة عشر فصلا :  
 ما قيل في الهجاء، ومَن يَسْتَحِقُّه .  
 ما قيل في الحَسَد .  
 ما قيل في السَّعَايَة، والبَغْي .  
 ١٠ ما قيل في الغِيْبَة، والنَّمِيْمَة .  
 ما قيل في البُخْل واللُّؤْم، وأخبار البخلاء ،  
 واحتجاجهم .  
 ما قيل في التطفُّل . ويتصل به اخبار الأكلَّة  
 والمؤاكلة .  
 ١٥ ما قيل في الجُبْن، والفِرَار .  
 ما قيل في الجُمُوق، والجُهل .  
 ما قيل في العَكْذِب .  
 ما قيل في الغدر، والخيانة .  
 ما قيل في الكِبَر، والعُجْب .  
 ٢٠ ما قيل في الحِرْص، والطمع .  
 ما قيل في الوعد، والمَطْل .  
 ما قيل في البِعْي، والحَصْر .

الباب الثالث - في المَجُون، والنوادِر، والفكاهات، والملح.

الباب الرابع - في الخمر، وتحرّمها، وآفاتِها، وجناباتها،  
وأسمائها. وأخبار من تنزه عنها في الجاهلية،  
ومن حدّ فيها من الأشراف، ومن آشتهر بها،  
ولبس ثوب الخلاعة بسببها. وما قيل فيها  
من جيد الشعر، وما قيل في وصف آلاتها،  
وآياتها، وما قيل في مبادرة اللذات، وما  
وُصفت به المجالس، وما يجري هذا المجرى.

الباب الخامس - في الندمان، والسقاة.

الباب السادس - في الغناء، والسماع، وما ورد في ذلك من الخطر  
والإباحة، ومن سمع الغناء من الصحابة  
(رضوان الله عليهم) والتابعين، والأئمة،  
والعبّاد، والزهاد، ومن غنى من الخلفاء،  
وأبنائهم، والأشراف، والقواد، والأكابر،  
وأخبار المغنّين ممن نقل الغناء من الفارسية  
إلى العربية.

الباب السابع - فيما يحتاج إليه المغنّي، ويضطرّ إلى معرفته،  
وما قيل في الغناء، وما وُصفت به القيان،  
وما وُصفت به آلات الطرب.

القسم الخامس - في الملك ، وما يُشترط فيه ، وما يحتاج إليه ، وما يجب له على الرعية ، وما يجب للرعية عليه . ويتصل به ذكر الوزراء ، وقادة الجيوش ، وأوصاف السلاح ، وولاية المناصب الدينية ، والكتّاب ، والبُلغاء .

وفيه أربعة عشر بابا :

الباب الأول - في شروط الإمامة : الشرعية ، والعرفية .

الباب الثاني - في صفات الملك وأخلاقه ، وما يفضل به على غيره . وذكر ما نُقل من أقوال الخلفاء والملوك الدالة على علوّ همتهم ، وكرم شيمتهم .

الباب الثالث - فما يجب للملك على الرعايا من الطاعة ، والنصيحة ، والتعظيم ، والتوقير .

الباب الرابع - في وصايا الملوك .

الباب الخامس - فيما يجب على الملك للرعايا .

الباب السادس - في حُسن السياسة ، وإقامة المملكة . ويتصل

به الحزم ، والعزم ، وآتهاز الفرصة ، والحلم ، والعفو ، والعقوبة ، والانتقام .

الباب السابع - في المشورة ، وإعمال الرأي ، والاستبداد ،

ومن يُعتمد على رأيه ، ومن كره أن يستشير .

الباب الثامن - في حفظ الأسرار ، والإذن ، والحجاب .

الباب التاسع - في الوزراء ، وأصحاب المَلِك ،

الباب العاشر - في قادة الجيوش ، والجهاد ومكاييد الحروب ؛

ووصف الوقائع ، والرباط ، وما قيل

في أوصاف السلاح .

الباب الحادي عشر - في القضاة ، والحكام .

الباب الثاني عشر - في ولاية المظالم ، وهي نيابة دار العدل .

الباب الثالث عشر - في نظر الحسبة ، وأحكامها .

الباب الرابع عشر - في ذكر الكُتّاب والبلغاء ، والكتابة ، وما تفرع

عنها من الوظائف والكتابات ، وهي :

كتابة الإنشاء ، وكتابة الديوان ، والتصريف ،

وكتابة الحكم ، والشروط ، وكتابة النسخ ،

وكتابة التعليم .

## الفرس الثالث

## في الحيوان الصامت

ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول - في السباع، وما يتصل بها من جنسها .

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول - في الأسد، والبر، والنمر .

الباب الثاني - في الفهد، والكلب، والذئب، والضبع،

والنمس .

الباب الثالث - في السنجاب، والشعب، والذب، والهتر،

والخنزير .

القسم الثاني - في الوحوش، والظباء، وما يتصل بها من جنسها .

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول - فيما قيل في الفيل، والكركدن، والزرافة،

والمهامة، والإيل<sup>(١)</sup> .

الباب الثاني - في الحمر الوحشية، والوعل، واللمط .

الباب الثالث - فيما قيل في الطي، والأرنب، والقرد، والنعام .

(١) ويقال أيضا : الأيل والأيل (قاموس) .

القسم الثالث — وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول — في الخيل .

الباب الثاني — في البغال ، والحمير .

الباب الثالث — في الإبل ، والبقر ، والغنم .

القسم الرابع — وفيه بابان :

الباب الأول — في ذوات السموم القواتل .

الباب الثاني — فيما هو ليس بقاتل بفعله ، من ذوات السموم .

القسم الخامس — وفيه سبعة أبواب : ستة منها في الطير ، وباب في السمك .

( وذيلت عليه بباب ثامن ، أوردت فيه ما قيل في آلات

صيد البر ، والبحر ) .

٦

الباب الأول — في سباع الطير ، وهي : العقبان ، والبوازي ،

والصقور ، والشواهين .

الباب الثاني — في كلاب الطير ، وهي : النسر ، والرخم ، والحداة ،

والعُراب .

الباب الثالث — في بهائم الطير ، وهي : الذجاج والحباري ،

والطاووس ، والديك ، والدجاج ، والإوز ،

والبط ، والنحام ، والأئيس ، والقساوند ،

والخُطاف ، والقيق ، والزرزور ، والساني <sup>(١)</sup> ،

والهدهد ، والعقَّع ، والعصافير .

(١) في الأصل : السان . وقال في الصحاح : والساني ولا تشدد الميم .

الباب الرابع — في بُعَاث الطير ، وهو القُمَيْرِيّ ، والدُّبَيْسِيّ ،  
والوَرَشَاتُ ، والفَوَاخِثُ ، والشَّفِينِين ،  
والعَبْطَبُ ، والنَّوَّاح ، والقَطَاة ، واليَمَّام ،  
وأصنافه ، واليَبَّغَاء .

٥ الباب الخامس — في الطير اللَيْسِيّ ، وهو : الخُفَّاش ، والكِرَّوان ،  
والبُوم ، والصَّدى .

الباب السادس — في الهمَّج ، وهو : النمل ، والزَّنْبُور ، والعنكبوت ،  
والجراد ، ودود القَرَز ، والذَّباب ، والبعوض ،  
والبراغيث ، والحُرْقُوص .

١٠ الباب السابع — في أنواع الأسماك .

الباب الثامن — يشتمل على ذكر شيء مما وُصفت به آلات  
الصيْد في البر ، والبحر ، ووصف رُماة البُنْدُق ،  
وما يجرى هذا المجرى .

## الفن الرابع

## في النبات

ويشتمل على خمسة أقسام :

(وذيلتُ على هذا الفن، في القسم الخامس، بشيء من أنواع الطيب، والبحُور، والغوالي، والندود، والمستطرات، وغير ذلك) .

القسم الأول — في أصل النبات، وما تختصُّ به أرضٌ دون أرض .  
(ويتصل به ذكر الأقوات، والخضراوات، والبقولات) .

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول — في أصل النبات، وترتيبه .

الباب الثاني — فيما تختصُّ به أرضٌ دون أرض، وما يستأصل  
شأفة النبات الشاغل للأرض عن الزراعة .

الباب الثالث — في الأقوات، والخضراوات، والبقولات .

القسم الثاني — في الأشجار .

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول — فيما لثمره قشرٌ لا يؤكل .

الباب الثاني — فيما لثمره نوى لا يؤكل .

الباب الثالث — فيما ليس لثمره قشر ولا نوى .

## القسم الثالث - في الفواكه المشمومة .

وفيه بابان :

الباب الأول - فيما يُسَمُّ رَطْبًا ، وَيُسْتَقَطِر .

ويشتمل على أربعة أنواع : وهي "الورد ،

والنَّسْرِينُ ، وَالخَلَّافُ ، وَالنَّيْلُوفَرُ" .

الباب الثاني - فيما يُسَمُّ رَطْبًا ، وَلَا يُسْتَقَطِر .

ويشتمل على ما قيل في البَنْفَسَجِ ، والنَّجَسِ ،

وَاليَاسْمِينِ ، وَالآسِ ، وَالزَّعْفَرَانِ ، وَالْحَبَقِ .

## القسم الرابع - في الرياض ، والأزهار .



١٠ . ( ويتصل به الصموغ ، والأمنان ، والعصائر ) .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول - في الرياض ، وما وُصِفَتْ به نظماً ونثراً .

الباب الثاني - في الأزهار ، وما وُصِفَتْ به .

الباب الثالث - في الصموغ .

١٥ . وفيه ثمانية وعشرون صنفاً .

الباب الرابع - في الأمنان .

## القسم الخامس - في أصناف الطيب ، والبَحُورَاتِ ، والغوالي ، والندود ،

والمُسْتَقَطِرَاتِ ، والأدهان ، والنَّضُوحَاتِ ، وأدوية

الباه ، والخواص .

٢٠ . وفيه أحد عشر باباً :

الباب الأول - في المسك ، وأنواعه

- الباب الثاني — في العبر، وأنواعه، ومعادنه .
- الباب الثالث — في العود، وأصنافه، وأنواعه، ومعادنه .
- الباب الرابع — في الصندل، وأصنافه، ومعادنه .
- الباب الخامس — في السنبُل الهندى، وأصنافه، والقرنفل،  
وجوهره .
- الباب السادس — في القسط، وأصنافه .
- الباب السابع — في عمل الغوالى، والتدود .
- الباب الثامن — في عمل الرامك، والسك من الرامك والأدهان .
- الباب التاسع — في عمل النضوحات، والمياه المستقطرة، وغير  
المستقطرة .
- الباب العاشر — في الأدوية التى تزيد فى الباه، وتلذذ الجماع،  
وما يتصل بذلك .
- الباب الحادى عشر — فيما يفعل بالخاصية .

## القرن الخامس

## في التاريخ

ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول — في مبدأ خلق آدم (عليه السلام) وحواء ، وأخبارهما ،

- ٥ . ومن كان بعد آدم الى نهاية خبر أصحاب الرّس .  
وفيه ثمانية أبواب :

الباب الأول — في مبدأ خلق آدم (عليه السلام) ، وموسى  
(عليه السلام) ، وما كان من أخبارهما الى  
حين وفاتهما .

- ١٠ . الباب الثاني — في خبر شيث بن آدم (عليهما السلام) ، وأولاده .  
الباب الثالث — في أخبار إدريس النبيّ (عليه السلام) .  
الباب الرابع — في قصة نوح (عليه السلام) ، وخبر الطوفان .  
الباب الخامس — في قصة هود (عليه السلام) مع عاد ، وهلاكهم  
بالريح العقيم .

- ١٥ . الباب السادس — في قصة صالح (عليه السلام) مع ثمود ، وعقرهم  
الناقة ، وهلاكهم .

الباب السابع — في أخبار أصحاب البئر المعطلة ، والقصر المشيد ،  
وهلاكهم .

الباب الثامن — في أخبار أصحاب الرّس ؛ وما كان من أمرهم .

القسم الثاني - في قصة إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وخبره مع نمرود؛  
وقصة لوط؛ وخبر إسحاق، ويعقوب؛ وقصة يوسف؛  
وأيوب؛ وذى الكفل؛ وشُعيب (عليهم السلام).  
وفيه سبعة أبواب :



الباب الأول - في قصة إبراهيم الخليل (عليه الصلاة والسلام)،  
وأخبار نمرود بن كنعان .

الباب الثاني - في خبر لوط (عليه السلام) مع قومه ، وقلب  
المدائن .

الباب الثالث - في خبر إسحاق ، ويعقوب (عليهما السلام) .

الباب الرابع - في قصة يوسف بن يعقوب (عليهما السلام) .

الباب الخامس - في قصة أيوب (عليه السلام)، وآبلائه، وعافيته .

الباب السادس - في خبر ذى الكفل بن أيوب (عليهما السلام) .

الباب السابع - في خبر شُعيب (عليه السلام) ، وقصته مع  
مَدْيَن .

القسم الثالث - يشتمل على قصة موسى بن عمران (عليه السلام) ،

وخبره مع فرعون؛ وخبر يوشع، ومن بعده؛ وحزقيل،

وإلياس، وأليسع، وعيلا، وأشمويل، وطالوت،

وجالوت، وداود، وسليمان بن داود، وشعيا،

وأرميا، وخبر بخت نصر، ونحرا بيت المقدس،

وعمارته؛ وما يتصل بذلك من خبر عزيز؛ وقصة

يونس بن متى ، وخبر بلوقيا ، وزكريا ، ويحيى ،  
وعمران ، ومريم وعيسى (عليهم السلام) ، وقصص  
الحواريين ، وما كان من أمرهم فيمن أرسلوا إليه ،  
وخبر جرجيس .

وفيه ستة أبواب :

(وذلت على هذا القسم ذبلا يشتمل على أربعة أبواب ، ذكرت فيها  
ما قيل في الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى - عليه السلام - إلى  
الأرض ومدة إقامته بها ، ووفاته ، وما يكون بعده ، وشيئا من أخبار  
الحشر والمعاد) .

- ١٠ الباب الأول - في قصة موسى بن عمران ، وهرون ، وغرق  
فرعون ، وأخبار بني إسرائيل ، وأخبار  
قارون ، وخبر بلعم بن باعوراء ، والجبارين  
وغير ذلك .

الباب الثاني - فيما كان بعد موسى بن عمران ، (عليه السلام)

- ١٥ من أخبار يوشع بن النون ، ومن بعده ، وخبر  
حزقييل ، وإلياس ، وأليسع ، وعيلا ،  
وأشمويل ، وطالوت ، وجالوت ، وداود ،  
وسليمان .

الباب الثالث - في أخبار شعيا ، وأرميا ، وخبر بخت نصر ،

- ٢٠ وخراب بيت المقدس ، وعمارته ، وما يتصل  
بذلك من خبر عزير .

الباب الرابع — في قصة ذى النون يؤس بن متى ( عليه السلام ) ، وخبر بلوقيا .

الباب الخامس — في خبر زكريا ، ويحيى ، وعمران ، ومريم ابنته وعيسى بن مريم (عليهما السلام) .

الباب السادس — في أخبار الحواريين الذين أرسلهم عيسى ( عليه السلام ) ، وما كان من أمرهم بعد رفعه ؛ وخبر جرجيس .

التذييل على هذا القسم — ويشتمل على أربعة أبواب :

الباب الأول — في ذكر الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى بن مريم .

الباب الثاني — في خبر نزول عيسى الى الأرض ؛ وقتل الدجال ؛ ونحروج ياجوج ، وما جوج ، وهلاكهم ؛ ووفاة عيسى ( عليه السلام ) .

الباب الثالث — في ذكر ما يكون بعد وفاة عيسى ابن مريم الى النفخة الأولى .

الباب الرابع — في أخبار يوم القيامة والحشر ، والمعاد ؛ والنفخة الثانية في الصور

القسم الرابع - في أخبار ملوك الأَصْقاغ، وملوك الأُمم، والطوائف ؛

وخبر سبيل العَريم؛ ووقائع العرب في الجاهلية .

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول - في أخبار ذى القرنين، المذكور في سورة الكهف.

الباب الثاني - في أخبار ملوك الأَصْقاغ، وهم : ملوك مصر،

والهند، والصين، وجبل القتح .

الباب الثالث - في أخبار ملوك الأُمم من الأعاجم، وهم : ملوك

الفُرس الأَوَّل ، وملوك الطوائف منهم ؛

والمملوك الساسانية؛ وملوك اليونان والسريان؛

والكلدانيين؛ والصقالبة؛ والبوكبرد؛

والإفرنجية؛ والجَلالقة؛ وطوائف السودان .

الباب الرابع - في أخبار ملوك العرب .

(ويتصل به خبر سبيل العَريم) .

الباب الخامس - في أيام العرب، ووقائعها في الجاهلية .

القسم الخامس - في أخبار الملة الإسلامية؛ وذكريء من سيرة نبينا محمد

( صلى الله عليه وسلم ) ، وأخبار الخلفاء من بعده

(رضى الله عنهم) ؛ وأخبار الدولة الأموية؛

والعباسية؛ والعلوية؛ ودول ملوك الإسلام :

وأخبارهم ، وما فتح الله ( سبحانه وتعالى ) عليهم - على

ما سنبين ذلك - إن شاء الله ( تعالى ) .

وفيه اثنا عشر بابا :

الباب الأول - في سيرة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)  
 الباب الثاني - في أخبار الخلفاء من بعده : أبي بكر، وعمر،  
 وعثمان ، وعليّ وأبنيه الحسن (رضى الله عنهم  
 أجمعين) .

الباب الثالث - في أخبار الدولة الأموية بالشام وغيره .  
 الباب الرابع - في أخبار الدولة العباسية بالعراق، ومصر .  
 الباب الخامس - في أخبار الدولة الأموية بالأندلس ، وأخبار  
 الأندلس بعد انقراض الدولة الأموية .

الباب السادس - في أخبار إفريقية، وبلاد المغرب ، ومن وليها  
 من العمال ، ومن استقل منهم بالملك .

الباب السابع - في أخبار من نهض في طلب الخلافة من  
 الطالبيين ، في مدة الدولتين : الأموية والعباسية ،  
 فقتل دونها ، بعد مقتل الحسين بن علي (رضى  
 الله عنهما) .

الباب الثامن - في أخبار صاحب الزنج ، والقرامطة ، والخوارج  
 بالموصل .

الباب التاسع - في أخبار من استقل بالملك ، والممالك ، بالبلاد  
 الشرقية والشمالية ، في خلال الدولة العباسية ،  
 وهم : ملوك خراسان ، وما وراء النهر ،  
 والجبال ، وطبرستان ، وغزنة ، والغسور .

وبلاد السند، والهند : كالدولة السامانية،  
والصَّفَّارِيَّة، والغزنويَّة، والغوريَّة، والديلمية  
الختليَّة .

الباب العاشر — في أخبار ملوك العراق، وما والاها، وملوك  
الموصل، والديار الجزيَّة، والبكرية، والبلاد  
الشامية، والحليَّة : كالدولة الحمدانية،  
والديلمية والبويهية، والسلاجوقية، والأتابكية.  
الباب الحادي عشر — في أخبار الدولة الخوارزمية، والجنكخانية،  
وهي دولة التتار وما تفرع منها .

الباب الثاني عشر — في أخبار ملوك الديار المصرية الذين ملكوا  
في خلال الدولة العباسية، نيابة عن خلفائها،  
وهم : المملوك العبيديون الذين آتسبوا إلى  
علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وما كان  
من أمرهم، وما ملكوه من بلاد المغرب،  
وكيف استولوا على الديار المصرية، والبلاد  
الشامية، والحليَّة، والنفور، والسواحل،  
وغير ذلك إلى أن انقرضت دولتهم، وقيام  
الدولة الأيوبية، وأخبار ملوكها بمصر، والشام  
إلى حين انقراضها، وقيام دولة الترك، ومن  
ملك منهم من أبنائهم، وما حازوه من الأقاليم،  
وما فتحوه من الممالك، وغير ذلك من

أخبارهم، وما استقر في ملك ملوك هذه الدولة  
 إلى حين وضعنا لهذا التأليف في سنة ...  
 وسبعائة (في أيام مولانا السلطان السيد  
 الأجل المسالك الملك الناصر، ناصر الدنيا  
 والدين، سلطان الإسلام والمسلمين،  
 أبي الفتح محمد، بن السلطان الشهير، الملك  
 المنصور، سيف الدنيا والدين، أبي المظفر  
 قلاوون، الصالحى . خلد الله ملكه على ممر  
 الزمان، وسقى عهد والده صوب الرحمة  
 والرضوان، ببركة سيد ولد عدنان !)

هذا مجموع ما يشتمل عليه هذا الكتاب، من فنون وأقسام وذبول وأبواب .  
 ثم ينطوى كل باب منها على فصول وأخبار، ويحتوى على وقائع وآثار .  
 ولما آتته أبوابه وفصوله، وانحصرت جملة وتفصيله، ترجمته :

### بنهاية الأرب في فنون الأدب

وأيت في المقصود والغرض، وأثبت الجوهر ونفيت العرض، وطوقته بقلائد  
 من مقول، ورصعته بفرائد من مقول . فكلامى فيه كالسارية تلتها السحاب، أو السرية  
 رديتها الكائب . فما هو إلا مترجم عن فنونه، وحاجب لعيونه .

وما أوردت فيه إلا ما غلب على ظنى أن النفوس تميل إليه، وأن الخواطر تشتمل  
 عليه . ولو علمت أن فيه خطأ لقبضت بنانى، وغضضت طرفى، ولو خبرت طريق

المعترض لعظفت عِنَانِي ، وثبتت عِظْفِي . لكنني تبعْتُ فيه آثار الفضلاء قبلي ،  
وسلكتُ منهمجهم فوصلتُ بحبالهم حبلِي . فإن يكن اعتراض ، فلي علاهم لا عليَّ  
العار . وقد علمتُ أنه من صَنَف كتابا فقد استهدف ، وأصمَّ الأسماع وإن كان  
لبعضها قد شَنَف .

- ٥ . وخليق للواقف عليه أن يُسَدَّ ما يجد به من خَلَل ، وأن يغفر ما يلح فيه من زَلَل .  
فَأَسْبَلْ عَلَيْهَا سِتْرَ معروفك الذي \* سَتَرْتَهُ بِهِ قَدَمًا عَلَى عَوَارِي  
والذي أدى إليه أجتهادي من تأليفه فقد أصدرته ، والذي وَقَفْتُ عِندَهُ غَايَتِي  
فقد أوردته . قد تَبَلَّغْتُ فِيهِ وَسْعِي ، لكن ليس من عثرة الكتاب أمان . وبالله  
سبحانه المستعان ! وعليه أتوكل ، واليه أتضرع في التيسير وأتوسل ، ومن فضله  
أستمد الصواب ، وبأسمه أستفتح الكتاب<sup>(١)</sup> !
- ١٠ .

(١) ورد في النسخة الفوتوغرافية التي أعتمدنا الطبع عليها (وهي المحفوظة بكتبخانة الكوبري بل بالقسطنطينية)  
ما نصه في هذا الموضوع : هذا أمر الفهرست لهذا الكتاب . ولنبتهني إن شاء الله تبارك وتعالى بما بدأ به  
مؤلفه عفا الله تعالى عنه وهو الفن الأول . ونرجو بعون الله وحوله وقوته الإتمام بسلام . وصلى الله  
وسلم على أشرف الأنام ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام — وهي من زيادات الناسخ .

⑪

## الفن الأول

في السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية

وقد أوردت في هذا الفن نبذة من وصف السماء، التي هي قبلة الدعاء، وباب  
الرجاء؛ والكواكب السيارة ذوات السنن والسناء؛ والملائكة الذين هم أولو أجنحة،  
مثنى، وثلاث، ورباع؛ والسحاب التي تجود بوبائها فتعدل في قسمة بين السهل  
واليفاع؛ والرعد الذي إن وَّنت يَحْتُمُّها؛ والريح الذي إن آجتمعت يَبْثُها؛ والبرق الذي  
شُبِّهَ ببنان الحاسب والكف الخضيب؛ والثلج الذي خَلَع على الأرض رداء المشيب؛  
وقوس السحاب الذي تَكْبَهُ الجَوْ فَاْفَرِغَ عليه مُصَبَّات الحَلَّال، ورمى الجذب ببنادق  
البرد فتباشرت بالخصب أهل الحَلَّال؛ والنيران وعبادها وعددها، والمياه وأعدادها<sup>(١)</sup>  
ومددتها؛ والليالي والأيام، والشهور والأعوام؛ والسنة وفصولها ومبادئها، والأعياد  
والمواسم ومُنْتَهِيَّاتِها؛ والأرض والجبال، والبراري والرمال؛ والجزائر والبحار، والعيون  
والأنهار؛ وطبائع البلاد، وأخلاق من سكنها من العباد؛ والمباني والمعاقل،  
والقصور والمنازل.

وجعلته خمسة أقسام يُستدلُّ بها عليه، ويتوصل من أبوابها إليه.

(١) جمع (عد) بالكسر وهو الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع. وفي الأصل: «وأمدادها»  
ولا معنى له لتكرره مع ما بعده.

## القسم الأول

في السماء وما فيها

وفيه خمسة أبواب :

## الباب الأول

من القسم الأول من الفن الأول

## ١ - في مبدأ خلق السماء

قال الله تعالى : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَيْهَا فَسَوَّاهَا وَأَغَطَّسَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ .

§ والسماء تُذَكَّرُ وتُؤنَّثُ .

١٠ . فشاهد التذكير قول الله (عز وجل) : ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ ، وقول الشاعر :

فلورفع السماء إليه قوه ، \* لِحِقْنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ !

وشاهد التأنيث ، قوله (تبارك وتعالى) : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ ، وقول الشاعر :

\* يَا رَبِّ ، رَبِّ النَّاسِ فِي سَمَاتِهِ !<sup>(١)</sup>

(١) هكذا في الأصول ، أي باناء المنثاة . ولو همزت . لقات الشاهد .

٢ - ذكر ما قيل في أسماء السماء وخلقها

قد نطقت العرب للسماء بأسماء .

منها : الجرباء . وسميت بذلك لكثرة النجوم بها .

ومننا : الخلقاء . لملاستها .

وبرقع .<sup>(١)</sup> والرقيع . ومنه قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لسعد بن معاذ :

” لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة “ . أى من فوق سبع سماوات .

ومننا : الطرائق . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ .

والسماء مخلوقة من دُخان .

٣ - حكي في سبب حدوثه

أن الله تعالى خلق جوهره، ووصف من طولها وعرضها عظاما. ثم نظر إليها نظر

هيبه، فأتماعت، وعلاها من شدة الخوف زبد ودُخان. فخلق الله من الزبد الأرض،

وفتقها سبعا، ومن الدخان السماء، وفتقها سبعا. ودليله قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى

السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ . قال : ولما فتق الله تعالى السماوات، أوحى في كل سماء أمرها.

وآختلف المفسرون في الأمر، ما هو؟ فقال قوم : خلق فيها جبالا من برد وبحارا،

وقال قوم : جعل في كل سماء كوبا، قدر عليه الطلوع والأفول، والسير والرجوع .

وقال قوم : أسكنها ملائكة يخبرهم للعالم السفلى، فوكل طائفة بالسحاب وطائفة

بالرياح، وجعل منهم حفظة لبنى آدم وكاتبين لأعمالهم ومستغفرين لذنوبهم .

(١) برقع : كزبرج وقنفذ كما في القاموس .

## الباب الثاني

## ١ - في هيئتها

ذهب المفسرون لكتاب الله عز وجل أن السماء مسطوحة، بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ .

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ .

ويطابق على مجموعها فلك، لقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ .

وذهب الحسن إلى أن الفلك غير السماوات، وأنه الحامل بأمر الله تعالى للشمس

والقمر والنجوم .

١٠ قالوا: ولما فتح الله تعالى رتق السماوات، جعل بين كل سماء وسماء مسيرة

خمسةائة عام .

وروى عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: بينما رسول الله (صلى الله عليه

وسلم) جالس هو وأصحابه، إذ أتى عليهم سحاب . فقال النبي (صلى الله عليه وسلم)

«هل تدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: «هذا العنان، هذه روابيا

١٠ الأرض، يسوقها الله تعالى إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه» . ثم قال: «أتدرون

ما فوقكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: «هذا الرقيع: سقف محفوظ، وموج

مكفوف» . ثم قال: «هل تدرون ما بينكم وبينها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم .

قال: «بينكم وبينها خمسةائة سنة» . ثم قال: «هل تدرون ما فوق ذلك؟»

(١) العنان: السحاب . واحده بهاء . (قاموس) .

قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «سماءٌ في بُعد ما بينهما خمسمائة سنة» . قال ذلك حتى بلغ سبع سماوات ، ما بين كل سماءين ، ما بين السماء الأرض . ثم قال : «هل تدرون ما فوق ذلك» ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «إن فوق ذلك العرش ، وبينه وبين السماء بُعد ما بين السماءين . ثم قال : «هل تدرون ما تحتكم» ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «إنها الأرض» . ثم قال : «أتدرون ما تحت ذلك» ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «إن تحتها أرضاً أخرى ، بينهما مسيرة خمسمائة سنة» . حتى عد سبع أرضين ، بين كل أرض وأرض خمسمائة سنة . أخرجه أبو عيسى الترمذى ، في «جامعه» .

ويروى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) "أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان جالسا بالبطحاء ، بين أصحابه ، إذ مرت عليهم سحابة . فنظروا إليها . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «هل تدرون ما أسم هذه» ؟ قالوا : نعم . هذا السحاب فقال (صلى الله عليه وسلم) : «والمزن» . قالوا : والمزن . قال : «والعنان» . قالوا : والعنان . فقال : «هل تدرون ما بين السماء والأرض» ؟ قالوا : لا ندري . قال : «خمسمائة عام» . وبينها وبين السماء التي فوقها كذلك . (حتى عد سبع سماوات) . ثم قال : وفوق السماء السابعة بحر ، بين أعلاه وأسفله كما بين السماء إلى السماء (وفي لفظ : كما بين السماء والأرض) . وفوق ذلك ثمانية أوعال ، بين أظلافهم وركبهم<sup>(١)</sup> مثل ما بين السماء إلى السماء ، ثم فوق<sup>(١)</sup> ظهورهم العرش ، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض» .

وجاء في رواية أخرى ذكر الكرمي ، وقال : «ثم ما بين السماء السابعة والكرمي مسيرة خمسمائة عام . ثم ما بين الكرمي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش فوق الماء .» ولم يذكر الأوعال .

(١) في الترمذى : أظلافهم وركبهم ... .. ظهورهم .

وجاء في رواية أخرى ذكر الكرسي، وأن السماوات في ضمنه . وهي بالنسبة إليه  
كحلقمة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي بالنسبة الى العرش كذرة ملقاة في أرض فلاة  
فيحاء . ( وفي رواية حلقمة ) .

- وروى أن أبا ذر (رضي الله عنه) قال : يا رسول الله : أي آية أنزلت عليك  
أعظم ؟ قال : «آية الكرسي» . ثم قال : «يا أبا ذر ! أتدرى ما الكرسي» ؟ قلت : لا ؛  
فعلمني يا رسول الله ، مما علمك الله . فقال : «ما السماوات والأرض وما فيهن  
في الكرسي» ، إلا حلقمة ألقتها ملق في فلاة . وما الكرسي في العرش ، إلا حلقمة ألقتها  
ملق في فلاة . وما العرش في السماء ، إلا حلقمة ألقتها ملق في فلاة . وما الماء في الريح ،  
إلا حلقمة ألقتها ملق في فلاة . وجميع ذلك في قبضة الله كالحبة ، وأصغر من الحبة ،  
في كف أحدكم . تعالى الله سبحانه . رواه أبو حاتم في كتاب العظمة .

والقول في هيئة السماء ، على مذاهب أصحاب علم الهيئة ، كثير . أغضينا عنه ،  
لأنه لا يقوم عليه دليل واضح . فلذلك آقتصرنا على ذكر المنقول دون المعقول .  
فلنذكر ما جاء في الأمثال التي فيها ذكر السماء ، وما وصفها الشعراء به وشبهوها .

## ٢ - أما الأمثال

فقولهم : أرفع من السماء ، للبالغة .

وقول الشاعر :

من ذا رأى أرضاً بغير سماء ؟

إن السماء تُرَبَّى حين تُحْتَجِبُ .

إن السماء إذا لم تبسك مُقلتها \* لم تضحك الأرض عن شيء من الزهير

٣ - وأما الوصف والتشبيه

فنه قول عبد الله بن المعتز :

كَانَتْ سَمَاءَنَا لَمَّا تَجَلَّتْ \* خِلَالَ نُجُومِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ  
رِيَاضُ بِنَفْسِ خَضِيلِ نَدَاهُ \* تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوْرُ الْأَقَاحِ

وقال آخر :

كَانَ سَمَاءَنَا وَالشَّهْبُ فِيهَا \* وَأَصْغَرُهَا لِأَكْبَرِهَا مُزَاوِحُ  
بِسَاطِ زُمْرُدٍ تُثْرَتْ عَلَيْهِ \* دَنَائِيرٌ تُخَالِطُهَا دَرَاهِمُ

ونحوه قول الآخر :

كَانَ سَمَاءَ الْأَرْضِ نَطْعُ زُمْرِدٍ \* وَقَدْ فُرِشَتْ فِيهِ الدَّنَائِيرُ لِلصَّرْفِ

وقال آخر :

وَرَأَيْتُ السَّمَاءَ كَالْبَحْرِ إِلَّا \* أَنَّ مَرْسُوبَهُ مِنَ الدَّرِّ طَافِي  
فِيهِ مَا يَمْلَأُ الْعُيُونَ كَبِيرٌ \* وَصَغِيرٌ مَا بَيْنَ ذَلِكَ خَافِي

وقال التنوخي يصف ليلة :

كَانَمَا نُجُومُهَا \* نُصَبَّ عِيُونَ الرُّمَقِ  
دَرَاهِمٌ قَدْ تُثْرَتْ \* عَلَى بَسَاطِ أَرْزَقِ

وقال أبو طالب الرقي :

وَكَانَتْ أَجْرَامَ السَّمَاءِ لَوَامِعًا \* دَرَرٌ يُثْرَنَ عَلَى بَسَاطِ أَرْزَقِ

وقال ظافر الحداد :

كَانَ نُجُومُ اللَّيْلِ لَمَّا تَبَلَّجَتْ \* تَوْقُودُ جَمْرِ فِي خِلَالِ رَمَادِ  
حَكِي فَوْقَ مَمْتَدِّ الْحَجَرَةِ شَكْلُهَا \* فَوَاقِعَ تَطْفُو فَوْقَ لِحَّةِ وَايِدِي

وقال آخر:

كَانَ النُّجُومَ نَجُومَ السَّمَاءِ \* وَقَدْ لُحِنَ لِلْعَيْنِ مِنْ فَرَطٍ بَعْدِ  
مَسَامِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ سُمِّرَتْ \* عَلَى وَجْهِ لَوْحٍ مِنَ اللَّازُورِدِ

وقال محمد بن عاصم :

تُرَى صَفْحَةَ الْخَضْرَاءِ وَالنَّجْمَ فَوْقَهَا \* كَكَفِّ سُدُوسِيٍّ بَدَأَ فِيهِ دِرْهَمٌ  
تُرَى وَعَلَى الْآفَاقِ أَنْوَابُ ظُلْمَسِيَّةٍ \* وَأَزْرَارُهَا مِنْهَا سِمَاكٌ وَمِرْزَمٌ<sup>(١)</sup>

#### ٤ - وَمَا قِيلَ فِي الْفَلَكَ

قال أبو العلاء المعري:

يَابَيْتَ شِعْرِي وَهَلْ لَيْتَ بِنَافِعِيَّةٍ \* مَاذَا وَرَاءَكَ أَوْ مَا أَنْتَ يَا فَلَكَ  
كَمْ خَاضَ فِي إِثْرِكَ الْأَقْوَامُ وَأَخْتَلَفُوا \* قَدَمًا فَمَا أَوْصَحُوا حَقًّا وَلَا تَرَكَوْا  
شَمْسٌ تَغِيْبُ وَيَقْفُو إِثْرَهَا قَمَرٌ \* وَنُورٌ صُبِحَ يُوَافِي بَعْدَهُ حَلَكٌ  
طَحَنَتْ طَحْنِ الرَّحَى مِنْ قَبْلِنَا أُمَّمًا \* شَسَى وَلَمْ يَدْرِ خَلْقُ آيَةٍ سَلَكَوْا  
وَقَالَ إِنَّكَ طَبَعُ خَامِسٍ نَقَرٌ \* عَمْرِي لَقَدْ زَعَمُوا بَطْلًا وَقَدْ أَفْكَوْا  
رَأَمُوا سَرَائِرَ لِلرَّحْمَنِ حَجَّجَهَا \* مَا نَاهَرَتْ نَبِيٌّ لَا وَلَا مَلَكٌ

وقال الرئيس أبو علي بن سينا<sup>(٢)</sup>:

رَبِّكَ أَيُّهَا الْفَلَكَ الْمُدَارُ \* أَقْصَدُ ذَا الْمَسِيرِ أَمْ أَضْطَرَارُ  
مَدَارُكَ، قُلْ لَنَا فِي أَيِّ شَيْءٍ \* فَنِي أَفْهَامِنَا مِنْكَ أَنْبَارُ

(١) في الكواكب سماكان: راجح وأعزل، وفي الأصل: «شمال» ولم نجد في أسماء النجوم ما يسمى شمالا فالظاهر أنه محرف عما أبتناه.

(٢) المرزم: اسم لنوع بارد.

(٣) قال صاحب عيون الأنباء (ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩): إن بعض الناس ينسب هذه القصيدة لأبن سينا وليست له، ونص على أنها لأبن الشبل البغدادي وقد أوردتها في تحسين بيتنا.

وَعِنْدَكَ تُرْفَعُ الْأَرْوَاحُ أَمْ هَلْ \* مَعَ الْأَجْسَادِ يُدْرِكُهَا الْبَوَارُ  
 وَفِيكَ الشَّمْسُ رَافِعَةٌ شُعَاعًا \* بِأَجْنِحَةٍ قَسْوَادِيهَا قِصَارُ  
 قَطُوفُ ذِي النُّجُومِ أَمْ اللَّاسِي \* هَلَالٌ أَمْ يَدٌ فِيهَا سِوَارُ  
 وَشُهَبٌ ذِي الْمَجْرَةِ أَمْ ذَبَالٌ \* عَلَيْهَا الْمَرْخُ يُقَدِّحُ وَالْعَفَارُ  
 وَتَرَصِّعُ نُجُومُكَ أَمْ حَبَابٌ \* تُؤَلَّفُ بَيْنَهَا الْأَجَجُ الْغِزَارُ  
 تَمُدُّ رُقُومَهَا لَيْلًا وَتُطْوِي \* نَهَارًا، مِثْلَ مَا طَوَى الْإِزَارُ  
 فَكَمْ يَصْقَالِيهَا صَدِيَّ الْبَرَآيَا \* وَمَا يَصْدَا لَهَا أَبَدًا غَرَارُ  
 وَتَبْدُوئِمُ تَخْنِسُ رَاجِعَاتٍ \* وَتَكْنِسُ مِثْلَ مَا كَنَسَ الصُّوَارُ  
 فَبَيْنَا الشَّرْقُ يُقَدِّمُهَا صُعودًا \* تَلْقَاهَا مِنَ الْقَرَبِ أَنْجِدَارُ  
 هِيَ الْعَشْوَاءُ مَا خَبَطَتْ هَشِيمٌ \* هِيَ الْعَجَمَاءُ مَا جَرَحَتْ جَبَارُ

وقال أبو عُبَادَةَ الْبُحَيْرِيُّ :

أَنَاةٌ أَيُّهَا الْفَلَكَ الْمُدَارُ \* أَنْتَهَبُ مَا تُصَرِّفُ أَمْ خِيَارُ  
 سَبِيلِي مِثْلَ مَا نَبَلِي وَتَفْنِي \* كَمَا تَفْنِي وَيُؤْخَذُ مِنْكَ نَارُ

(١) الذبال : الفتائل .

(٢) المرخ : شجر سريع الوري كثيره . وقد وصفه المؤلف فيما بعد ( ص ٣٩ ) بأنه شجر تحتك بعض

أغصانه ببعض فتورى نارا .

(٣) العفار : شجر يتخذ منه الزناد وهو من شجر النار .

(٤) الصوار كالصيار بكسر الصاد وضمنها : القطيع من البقر .

(٥) الجبار (بضم الجيم) الهدر .

## الباب الثالث

## من القسم الأول من الفن الأول

## ١ - في ذكر الملائكة

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ .  
 ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد » .  
 والملائكة أولو أجنحة : مثنى ، وثلاث ، ورباع ، وأكثر من ذلك . فإنه قد  
 ورد أن جبريل (عليه السلام) له ستمائة جناح . وهي الصورة التي رآه النبي  
 (صلى الله عليه وسلم) فيها مرتين :

- إحدهما في الأرض ، وقد سد ما بين الخافقين . ووصفه الله تعالى بالقوة ،  
 فقال تعالى : (( ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ )) . ومن قوته ، أنه أقتلع مدائن  
 قوم لوط ، وكانت خمس مدائن ، من الماء الأسود ، وحملها جناحه ، ورفعها الى  
 السماء ، حتى إن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم ، وأصوات دجاجهم ؛ ثم قلبها .  
 والمرة الثانية رآه (صلى الله عليه وسلم) عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . قال الله تعالى :  
 (( وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أَنْحَرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى )) .  
 وكان هبوط جبريل (عليه السلام) على الأنبياء (صلوات الله عليهم) ورجوعه  
 في أَوْحَى مِنْ رَجَعِ الطَّرْفِ .

(١) أط : صوت .

(٢) أسرع .



## الباب الرابع

من القسم الأول من الفن الأول

## ١ - في الكواكب السبعة المتحيرة

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴾ . ذهب المفسرون الى

- أنها هي الكواكب السبعة : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ،  
وعطارد ، والقمر .

وقالوا : إن هذه الكواكب هي المعنية بقوله تعالى : ﴿ فَاَلْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴾ .

وسميت كُنُوسًا لأنها تجرى في البروج ثم تَكُنُوسُ أى تستر كما تكتس الظباء ؛  
وكنُوسا لاستقامتها ورجوعها . وقيل الخُنُوس والكنُوس منها خمسة دون الشمس

- 10 والقمر . وسميت خُنُوسًا لأن الخُنُوس في كلام العرب الانقباض . وفي الحديث  
الشريف "الشیطانُ یُوسُوسُ للعبد" ، فإذا ذكر الله تعالى خُنُوسٌ « أى انقبض ورجع .  
فيكون في الكوكب بمعنى الرجوع . وكنُوسًا من قول العرب كَنَسَ الظبي إذا دخل  
الِكُنَّاسُ ، وهو مقتره ؛ ويكون في الكوكب اختفائه تحت ضوء الشمس .

وأسماء هذه الكواكب عند العرب مشتقة من صفاتها .

- 15 § فقالوا في زحل : زَحَلُ فلانٌ إذا أبطأ ، وبذلك سُمي هذا الكوكب لبطئه  
في السماء . وقيل الزَّحَلُ والزَّحِيلُ الحقد وهو في طبعه . وهذا الكوكب عند المفسرين  
هو المعنى بقول الله عز وجل : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ .

(١) كذا في الأصل والكاثيون في طبائع الكواكب يقولون في الحديث عن زحل : « إذا كان مسعودا  
دل على صدق المودة والثاني ، وإذا كان منحوسا فالجاجة والحقد والبلور » انظر الفصل الثاني في طبائع  
الكواكب السبعة من كتاب المدخل الى أحكام صناعة النجوم الموجود بدار الكتب المصرية ، ولكن كما لم نجد  
في كتب اللغة التي بأيدينا أن الحقد من معاني الزحل والزحيل والوارد فيها أنه قيل للكوكب زحل لأنه  
زحل أى بعد ، ويقال إنه في السماء السابعة

§ وقالوا في المشتري : إنه إنما سمي بذلك لحسنه ، كأنه اشترى الحسن لنفسه .  
لأنه نجم الشراء والبيع ، ودليل الأموال ، والأرباح .

§ وقالوا في المترنج : إنه مأخوذ من المرخ ( وهو شجر تحتك بعض أغصانه يبعث فتورى نارا ) فسمى بذلك لأحمراره وقال آخرون : المترنج سمى لا ريش له إذا رمى به لا يستمر في ممره . وكذلك المترنج فيه آلتواء كثير في سيره وحركه ، فشبّه بذلك .

§ وقالوا في الشمس : إنها لما أن كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية وثلاثة سفلية ، سميت بذلك لأن الواسطة التي في المحنقة تسمى "شمسة" .

§ وقالوا في الزهرة : إنها مشتقة من الزاهر ، وهو الأبيض النير من كل شيء .

§ وقالوا في عطارد : إنه النافذ في الأمور ، ولهذا سمي بالكتاب . وهكذا هذا الكوكب كثير التصرف مع ما يلابسه ويقارنه .

§ وقالوا في التمر : إنه مأخوذ من القمرة ، وهي البياض ، والأقمر الأبيض .

§ والقُرس تسمى هذه الكواكب بأقمتها "كيوان" ، ويعنون به زحل ؛ و"تير" ، ويعنون به المشتري ( وبعضهم يسميه "البرجيس" ) ؛ و"بهرام" ، ويعنون به المترنج ؛ و"مهر" ، ويعنون به الشمس ؛ و"أناهد" ، ويعنون به الزهرة ( وبعضهم يسميها : "بيدخت" ) ، و"هريس" ( ويعنون به عطارد ) ، و"ماه" ( ويعنون به القمر ) .

§ وقد جمع بعض الشعراء أسماء هذه الكواكب في بيت واحد من بيتين يمدح بهما بعض الرؤساء فقال :

لا زلت تبتق وترقى للعلا أبداً \* ما دام للسبعة الأفلاك أحكامُ  
مهرٌ وماءٌ وكيوانٌ وتيرٌ معاً \* وهريسٌ وأناهدٌ وبهرامُ

وقال أبو إسحاق الصابى :

نيل المُنَى في يَوْمِكَ الأَجْوَدِ \* مُسْتَنْجِحًا بِالطَّالِعِ الأَسْمَعِدِ  
وَأَرْقَ كَمَرُقَى زُحَلِي صَاعِدًا \* إِلَى المَعَالِي أَشْرَفِ المَقْصِدِ  
وَفَضَّ كَفَيْضِ المُشْتَرَى بِالنَّدَى \* إِذَا أَعْتَلَى فِي أَفْقِهِ الأَبْعِدِ  
وَزِدَّ عَلَى المِزْيَجِ سَطَوًا بِمَنْ \* عَادَاكَ مِنْ ذَى نَحْوَةِ أَصِيدِ  
وَأَطْلَعُ كَمَا تَطْلُعُ شَمْسُ الضُّحَى \* كَأَسْفَفَةِ لِخُنْدِيسِ الأَشْوَدِ  
وَحُدَّ مِنْ الزُّهْرَةِ أَفْعَالَهَا \* فِي عَيْشِكَ المُسْتَقْبَلِ الأَرْغَدِ  
وَوَضَاهِ بِالأَفْقَامِ فِي جَرِيهَا \* عُطَارِدَ الكَاتِبِ ذَا السُّودِ  
وَبَاهِ بِالمَنْظَرِ بَدْرَ الدُّجَى \* وَأَفْضَلُهُ فِي بَهْجَتِهِ وَازْدَدِ

- ١٠ وقد أختص كل كوكب من هذه الكواكب بقول سنذكر من ذلك ما تقوم به  
الحجة، وينهض به الدليل من الكتاب والسنة، وما يمثّل به مما فيه ذكرها، وما ورد  
في ذلك من الأوصاف والتشبيهات نظماً ونثراً مما وقفت عليه في أثناء مطالعتي لكتب  
الفضلاء وتصانيفهم ودواوينهم. وعدت عن أقوال المنجمين لما فيها من سوء الطوية  
وقبح الاعتقاد، لأن منهم من يرى أن للنجوم في الوجود تأثيرات وأفعالا. أعاذنا الله  
تعالى من ذلك .

١٥

## ٢ - ذكر ما قيل في الشمس

(والشمس هي النير الأعظم)

وقد ذهب بعض المفسرين لحآب الله تعالى الى أن نور الشمس والقمر في سائر  
السموات بدليل قول الله عز وجل: ((وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا)).

وجاء في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "الشمس والقمر وجوههما الى السماء وأقفاؤهما الى الأرض" وفي حديث آخر "وجوههما الى العرش وأقفاؤهما الى الأرض". وفي حديث آخر "أن الشمس تكون في الصيف في السماء الخامسة، وفي الشتاء في السماء السابعة تحت عرش الرحمن".

ووزعموا أن حركتهما وحركة سائر الكواكب مستقيمة غير مستديرة، وأن الشمس تقطع سماء الدنيا في يومها، وتغيب في الأرض في عين حَمَّة . ومعنى حَمَّة ذات حَمَاة . وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ أى الى موضع قرارها، لأنها تجرى الى أبعاد منازلها في الغروب، ثم ترجع؛ ومن قرأ "المستقر" لها أى هى دائبة السير ليلا ونهارا . وهى قراءة شاذة.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ وروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: « أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إنها تجرى لمستقر لها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يُؤذَن لها في الطلوع، ويوشك أن يقال لها: ارجعى من حيث جئت؛ وذلك طلوعها من مغربها» .

وذهب وهب بن منبه الى أن الشمس على عجلة لها ثلثمائة وستون عروة، وقد تعلق بكل عروة ملك، يجزونها في السماء ودونها البحر المسجور في موج مكفوف كأنه جبل ممدود في الهواء، ولو بدت الشمس من ذلك البحر لأحرقت ما على وجه الأرض من شئ حتى الجبال والصخور . وروى عن كعب أنه قال: "خلق الله القمر من نور وخلق الشمس من نار".

(١) هذا الرأى هو الذى أستقر عليه علماء الفلك أخيرا، بعد التحقيق والتدقيق . فلهذا درّ صاحبه! فإنه، وإن كان قد خالفه فيه الدهماء، لكنه قد أقره الرايخون في العلم الآن .



وقوله :

وكلُّ كُصُوفٍ فِي الدَّرَارِي شَنِيعَةٌ \* وَلِيَكُنَّ فِي الشَّمْسِ وَالبَدْرِ أَشْعَعُ

وقوله أيضا :

أَعِنْدَكَ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَنَازِلِهَا \* وَأَنْتَ مُشْتَعِلُ الأَخَاطِطِ بِالقَمَرِ

وقال البُحْتَرِيُّ :

كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامِيَ \* وَيَدْنُو الضُّوءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ

وقال ابن الرومي :

وَرَأَيْتُهُ كَالشَّمْسِ إِنْ هِيَ لَمْ تُتَلَّ \* فَالذَّفءُ مِنْهَا وَالضُّيَاءُ يُنَالُ

وقال أيضا :

كَالشَّمْسِ لَا تَبْدُو فَضِيلَتُهَا \* حَتَّى تُغَشَى الأَرْضَ بِالظُّلَمِ

وقال أيضا :

كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ مَحَلُّهَا \* وَشُعَاعُهَا فِي سَائِرِ الآفَاقِ

وقال العباس بن الأحنف :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُنُهَا فِي السَّمَاءِ \* فَعَزَّ الفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلاً

وقال أبو عبيد البكري :

وَالشَّمْسُ يُسْتَعْنَى إِذَا طَلَعَتْ \* أَنْ يُسْتَضَاءَ بِغُرَّةِ البَدْرِ

وقال أبو الطيب المتنبي :

كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ \* مَنَفَعَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا

وقال ابن لُنُكَّ البصرى :

وَهَبَكَ كَالشَّمْسِ فِي حُسْنِ أَلْمِ تَرَاهَا \* يُفَرُّ مِنْهَا إِذَا مَالَتْ إِلَى الضَّرَرِ

وقال ابن عَبَّاد :

فَقَلْتُ وَشَمْسُ الضُّحَى تُحْتَمَى \* إِذَا بَسَطَتْ فِي المَصِيفِ الأَذَى

وقال ابن مسعويه الخالدي :

لَا يُعْجِبُنِكَ حُسْنُ القَصْرِ تَنْزِلُهُ \* فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا

وقال أبو الفتح البستي :

فَالْحَرُّ عَزِيزُ النِّفْسِ حَيْثُ نَوَى \* وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بَرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارِ

#### ٤ - ذكر ما جاء في وصف الشمس وتشبيهها

§ من ذلك قول الوزير المهلبى :

الشَّمْسُ فِي مَبْرِقِهَا قَدْ بَدَتْ \* مُنِيرَةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبٌ

كَأَنَّهَا بُوْدَقَةٌ أُحْمِيَتْ \* يَحْوُلُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبٌ

وقال ظافر الحداد :

أَنْظُرْ لِقَرْنِ الشَّمْسِ بِأَزْغَةٍ \* فِي الشَّرْقِ تَبْدُو ثَمَّ تَرْتَفِعُ

كسَيْبِكَةِ الرَّجَّاجِ ذَائِبَةً \* حَمْرَاءَ يَنْفُخُهَا فَتَنْسَمِعُ

وقال أبو هلال العسكري :

وَالشَّمْسُ وَاصِحَةُ الجَبِينِ كَأَنَّهَا \* وَجْهُ المَالِيحَةِ فِي الخِمَارِ الأَزْرَقِ

وكانها عند أنيساط شعاعها \* تبرُّ يدوبُّ على فروع المشرق

وقال أحمد بن عبد العزيز القرطبي :

أوما ترى شمس الأصيل عليله \* تزداد من بين المغارب مغربا  
ما لت لتحبب شخصها فكانها \* مدت على الدنيا ملاء مذهباً

§ ومما وصفت به - وقد قابلت القمر - قول الشاعر :

أما ترى الشمس وهي طالعة، \* تمنع عنا إدامة النظر  
حمراء صفراء في تلونها \* كأنها تستكي من السهر  
مثل عرويس غداة ليلتها \* تمسك مرآتها من القمر

وقال مؤيد الدين الطغراني، عفا الله عنه ورحمه :

وكانما الشمس المنيرة إذ بدت \* والبدر يحنح للغيب وما غرب  
متحاربان لذا يحن صاعه \* من فضة ولذا يحن من ذهب

§ ومن أحسن ما وصفت به في الطلوع والزوال والغروب قول أعرابي :

محباةً أما إذا الليل جنها \* فتخفي وأما في النهار فتظهر  
إذا انسق عنها ساطع الفجر وأنجلي \* دجى الليل وانجاب الحجاب المستر  
وألّيس عرض الأفق لوأنا كأنه \* على الأفق الغربي ثوب معصفر  
عليها دروع الزعفران يسوبه \* شعاع تلالاً فهو أبيض أصفر  
ترى الظل يطوى حين تبدو وتارة \* تراه إذا زالت عن الأرض ينشر  
فأفنت قرونا وهي في ذلك لم تزل \* تمسوت ونجسا كل يوم وتُنشر

وقال آخر :

وبدلتنا تُرْسٌ من الذهب الذي \* لم يُنتَرَعْ من معدن بتعمل  
 مِرْآة نُورٍ لم تُسَنَّ بصياغة \* كَلَّا ولا جُليث بكف الصيقل  
 تسمو الى كبد السماء كأنها \* تبغى هناك دفاع أمير معضل  
 حتى اذا بلغت الى حيث انتهت \* وقفتم كوقفه سائل عن منزل  
 ثم انتنت تبغى الحدور كأنها \* طير أسف مخافة من أجدل

§ ومما وصفت به، وقد قابلت الغيم، قول ابن المعتز :

تظل الشمس ترمقنا بطريف \* خفي لحظه من خلف ستر  
 نحاول اتق غيم وهو يابى \* كهين يحاول نيل بكر

وقال آخر :

وعين الشمس ترنو من بعيد \* رنو البكر من خلف الستور

وقال محمد بن رشيق :

فكان الشمس بكر حجت \* وكان الغيم ستر قد ستر<sup>(١)</sup>

٥ - ذكر شيء مما وصفت به على طريق الدم

١٥ فمن ذلك ما قاله عبد الملك بن عمير، وقد سئل عنها فقال : مظهره للداء،  
 مثقلة للهواء مبالاة للشوب، جالبة للهث .

وقال آخر: الشمس تشحب اللون، وتغير العرق، وترخي البدن، وتثير الميزة.  
 اذا احتجمت فيها أمراضك؛ وان أطلت النوم فيها أفلجتك؛ وان قرأت منها  
 صرت زنجياً، وان بعدت عنها، صرت صقلياً .

(١) كذا بالأصل ولعل يد النسخ حرفته عن "سدل" كما هو ظاهر .

وقال ابن سنا الملك :

لا كانت الشمسُ فكم أضدأت \* صَفْحَةَ خَدِّ كَالْحُسَامِ الصَّقِيلِ  
وَكَمْ وَكَمْ صَدَّتْ بِوَادِي الكَرَى \* طَيْفَ خِيَالٍ جَاءَنِي عَنْ خَلِيلِ  
وأعدمتني من مُجُومِ الدُّجَى \* ومنه رَوْضًا بَيْنَ ظِلِّ ظَلِيلِ  
تَكْذِيبُ فِي الوَعْدِ وَبُرْهَانُهُ \* أَنْ سَرَابَ القَفْرِ مِنْهَا سَلِيلِ  
وهي إِذَا أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ \* حَدِيدُ طَرْفٍ رَاحَ عَنْهَا كَلِيلِ  
يَا عِلَّةَ المَهْمُومِ يَا جِلْدَةَ الـ \* مَحْمُومِ يَا زَفْرَةَ صَبَّ نَجِيلِ  
يَا قَرْحَةَ المَشْرِيقِ عِنْدَ الضُّحَى \* وَسَلْحَةَ المَغْرِبِ عِنْدَ الأَصِيلِ  
أَنْتِ عَجَّوزٌ لَمْ تَبْرَجِي لِي \* وَقَدْ بَدَأَ مِنْكَ لُعَابٌ يَسِيلِ

وقال التيفاشي، عفا الله تعالى عنه ورحمه :

فِي خِلَاقَةِ الشَّمْسِ وَأَخْلَاقِهَا \* شَتَّى عِيُوبٌ سِتَّةٌ تُذَكَّرُ  
رَمْدَاءُ عَمَشَاءُ إِذَا أَصْبَحَتْ \* عَمِيَاءُ عِنْدَ اللَّيْلِ لَا تُبْصَرُ  
وَيَعْتَدِي البَدْرُ لَهَا كَاسِفًا \* وَجُرْمُهَا مِنْ جُرْمِهِ أَكْبَرُ  
حُرُورُهَا فِي القَيْظِ لَا تُتَقَى \* وَدِفْؤُهَا فِي القُرِّ مُسْتَحَقَرُ  
وَحُلُقُهَا خُلُقُ المَلِيكِ الَّذِي \* يَنْكُثُ فِي العَهْدِ وَلَا يَبْصِرُ  
لَيْسَتْ بِحَسَنَاءَ وَمَا حُسْنٌ مِنْ \* يَعْسِرُ عَنْهُ اللُّحْظُ لَا يُبْصِرُ

وقال أبو الطيب المتنبي :

سُودُ الشَّمْسِ مِمَّا يَبِضُّ أَوْجُهَنَا \* وَلَا تُسَوِّدُ بِيضَ العُذْرِ وَاللَّمَمِ  
وَكَانَ حَالَهُمَا فِي الحَكْمِ وَاحِدَةً \* لَوْ اخْتَصَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكَمِ

## ٦ - ذكر ما قيل في الكسوف

- رُوى أن الشمس كُسفت في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووافق ذلك موت إبراهيم بن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال الناس : إنما كسفت الشمس لأجله فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ ، وَإِنَهُمَا لَا يَكْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا حَيَاتِهِ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بَكُمْ » .

وقال محمد بن هاني في الكسوف :

هِيَ الْحَوَادِثُ لَا تُبْقَى وَلَا تَدْرُ \* مَا لِجَبْرِيةٍ مِنْ مَحْتَمِهَا وَزَرُ  
لَوْ كَانَ يُنْجِي عُلوٌّ مِنْ بَوَائِقِهَا \* لَمْ تُكْسَفِ الشَّمْسُ بَلْ لَمْ يَخْسَفِ الْقَمَرُ

## ٧ - ذكر أسماء الشمس اللغوية

- وللشمس أسماء نطقت بها العرب . فمنها : ذُكَاءُ ، والجارية ، والجونة ، والغزالة ،  
(١) واللاهة ، والضحي ، والضح ، ويوح (بالياء المشناة والباء الموحدة) ، والشرق ، وحناذ ،  
والعين ، والمؤوبة ، والسراج .

(١) الذي في كتب اللغة أن اللاهة اسم نجية . وأما الشمس فاسمها إلهة مثلثة وألية . فعمل ما هنا

تصحيح من النسخ .

## ٨ - ذكر عباد الشمس

قال الشهرستاني في كتابه المترجم "بالممل والنحل": إن عبدة الشمس طائفة من الهنود يُسمون الديكينية<sup>(١)</sup> أى عباد الشمس، ومذهبهم مذهب الصابئة، وتوجههم الى الهياكل السماوية دون قصر الإلهية والربوبية عليها. ويزعمون أن الشمس ملك من الملائكة، وأن لها نفسا وعقلا، ومنها نور الكواكب، وضياء العالم، وتكون الموجودات السفلية. وهى ملك يستحق التعظيم، والسجود، والتبخير، والدعاء. ومن سنتهم أنهم آخذوا لها صنما بيده جوهرة على لون النار. وللصنم بيت خاص بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعا، وله سدة وقوام. فتأتى هذه الطائفة الى البيت، ويصلون فيه ثلاث كرات. ويأتى أصحاب العلل والأمراض فيصومون له، ويصلون، ويدعون، ويستشفون به.

## ٩ - ذكر ما قيل فى القمر

(وهو النير الثانى)

ذهب وهب بن منبه أن القمر موضوع على عجلة فى فلك، والفلك يدور بأمر الله تعالى الى ناحية المغرب، والعجلة يجزها ثلاثمائة وستون ملكا الى ناحية المشرق، وتدوير العجلة من تدوير الفلك الأعظم وتدوير فلك القمر من تدوير العجلة. ويقال: إن القمر كان كالشمس فى الضياء، فلم يكن يعرف الليل من النهار، فأمر الله تعالى جبريل أن يمز عليه بجناحه، فمز عليه، فحاه. فهو ما ترى فيه من السواد.

(١) الذى فى الشهرستانى طبع لوندرة: "الديكينية". وهو الأقرب للصواب و يقول مترجمه الألمانى

٢٠ العلامة هاربر دكرانه ولعله من (ديناكرت) ومعناه «صانع النهار».

وبهذا القول فسر قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوِّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ .

قالوا : ولا يسمى قمرًا إلا بعد مضي ثلاث ليالٍ من استهلاله . والأقمر هو الأبيض .

### ١٠ - ذكر ما قيل في القمر

(من استهلاله إلى انقضاء الشهر وأسماء لياليه)

قالوا : وللقمر من أول الشهر إلى آخره خمس حالات ؛ ولياليه عشرة أسماء .  
§ أما حالاته الخمس :

فالأولى : الهلالية، وهي خروجه من تحت شعاع الشمس وظهوره في الغرب في أول الشهر .

الثانية : أن يفضل فيه النور على الظلمة، وذلك في الليلة السابعة من الشهر .  
الثالثة : الاستقبال، وهو كونه في البرج السابع من بروج الشمس، ويسمى الأمتلاء لامتلاء القمر فيه نورا، وذلك في الليلة الرابعة عشرة من الشهر، ويسمى القمر فيها بدرًا لكماله، ويسمى بذلك لامتلائه، وقيل لمبادرته الشمس بالطولوع، وتسمى الليلة التي قبلها (وهي الثالثة عشرة) ليلة السواء لاستواء القمر فيها، وقيل : لاستواء ليالها ونهارها في الضياء، وهي ليلة التمام .

الرابعة : أن تفضل الظلمة فيه على النور، وذلك في الليلة الثانية والعشرين من الشهر .

الخامسة : المحاقية، وهي مدة استتاره بشعاع الشمس، ويسمى ذلك أيضا سمرارا، وذلك في الليلة التاسعة والعشرين، ويمكن أن يغيب ثلاث ليالٍ لا يرى ويهمل في اليوم

الرابع، ويسمى حينئذ قمرًا لا هلالًا، والشمس تعطيه من نورها كل ليلة ما يستضيء به نصف سبع قرصه حتى يكمل، ثم يُسلبه من الليلة الخامسة عشرة، في كل ليلة نصف سبع قرصه حتى لا يبقى فيه نور فيستر.

§ وأما أسماء لياليه، فإنه يقال لأول ثلاثة منها غرر، والثانية شهب، والثالثة زهر، والرابعة بهر، والخامسة بيض، والسادسة درع<sup>(١)</sup>، والسابعة حنادس، والثامنة ظلم، والتاسعة دآد، والعاشر ليلتان منها محاق ويلة سرار، ويسمونها الليلة الثامنة والعشرين الدنجاء، والليلة التاسعة والعشرين الدهماء، والليلة الموفية ثلاثين الليال، ويسمونها ليلة البراء لتبرئ القمر من الشمس.

### ١١ - ذكر أسماء القمر اللغوية

وللقمر أسماء نطقت بها العرب. فمنها: القمر، والباهر، والبدر، والطورس، والجلم، والغاسق، والوبأص، والزبرقان، والمذشق، والواضح<sup>(٢)</sup>، والباحور، والأبرص، والزمهير. ومنه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَرُونَ فِيهَا شمسًا وَلَا زَمَهْرِيًّا﴾ وقول بعض العرب:

وليلة ظلامها قد اعتكر \* قطعتها الزمهير ما ظهر

ومن أسمائه: السنمار، والساهور.

§ والفخت ضوءه، والأخذ منزله. وكذلك الوكس، وهي المنزلة التي يكشف فيها. والهالة دارته.

(١) الذي في اللسان والقاموس: أن الظلم، ثلاث ليال يلين الدرع. والحنادس، ثلاث ليال بعد الظلم. ويؤيده ما في الصحاح: أن الحندس الليل الشديد الظلمة. وقد ذكر ابن سيدة هذه الأسماء في المخصص (ج ٩ ص ٣٠ - ٣١) وأوردتها على هذا الترتيب. وعليه فصواب العبارة هكذا: (والسادسة درع، والسابعة ظلم، والثامنة حنادس الخ) ٥١.

(٢) الذي في كتب اللغة، أن اسم القمر الوضع بدون الألف فلعل زيادة الألف تحريف من الناصح.

(٣) عبارة اللسان مادة (أخذ): ونجوم الأخذ منازل القمر لأن القمر يأخذ كل ليلة في منزل منها ٥١.

## ١٢ - ذكر ما يمثّل به مما فيه ذكر القمر

يقال في أمثالهم :

أضيق من قمر الشتاء ! قيل : لأنه لا يجلس فيه .

إن يبغ عليك قومك ، لا يبغ عليك القمر .

ويقال : أضوا من القمر ، وأتم من البدر .

ومن أنصاف الأبيات :

\* أريها السها وتريني القمر \* لا تخرج الأقدار من هالاتها \*

\* هكذا البدر في الظلام يوافي \* كذلك كسوف البدر عند تمامه \*

ومن الأبيات قول الطائي :

١٠ إن الهلال إذا رأيت مومه \* أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

وقال ابن أبي البغل ، والبيت الثاني لابن بحر :

المرء مثل هلال حين تبصره \* يبدو ضعيفا ضئيلا ثم يتسق

« يزداد حتى إذا ماتم أعقبه \* كرا الحديدين نقصا ثم يتمحق »

وقال أبو الفرج البيهقي :

١٥ ستخلص من هذا السرار وأيما \* هلال تواري في السرار فما خلاص

## ١٣ - ذكر ما قيل في وصفه وتشبيهه

من ذلك قول عبد الله بن المعتز في الهلال :

وأنظر إليه كورق من فضة \* قد أثقلته حولة من عنبر

وقول عبد الجبار بن حمديس الصقلّي :

وَرُبَّ صُبْحٍ رَقَبْنَاهُ وَقَدْ طَلَعَتْ \* بَقِيَّةُ الْبَدْرِ فِي أُولَى بَشَائِرِهِ  
كَأَنَّمَا أَذْهَمُ الْإِظْلَامِ حِينَ نَجَا \* مِنْ أَشْهَبِ الصُّبْحِ أَلْقَى نَعْلَ حَافِرِهِ

وقال آخر :

قَدْ أَنْقَضَتْ دَوْلَةَ الصَّيَامِ وَقَدْ \* بَشَّرَ سُقْمُ الْهَلَالِ بِالْعَيْدِ  
يَتَلَوُ السُّرِّيًّا كِفَاغِيرِ شَرِيهِ \* يَفْتَحُ فَاهُ لِأَكْلِ عُنُقُودِ

وقال أبو هلال العسكري :

فِي هِلَالٍ كَأَنَّهُ حَيَّةُ الرَّمِّ \* لِي أَصَابَتْ عَلَى الْيَفَاعِ مَقِيلًا  
بَاتَ فِي مِعْصَمِ الظَّلَامِ سِوَارًا \* وَعَلَى مَفْرَقِ الدُّجَى إِكْلِيلًا

وقال آخر :

وَالجَوْ صَافٍ وَالْهَلَالُ مُشَنَّفٌ \* بِالزُّهْرَةِ الزُّهْرَاءِ تَحْوِ الْمَغْرِبِ  
كَصَحِيفَةٍ زَرْقَاءَ فِيهَا نُقْطَةٌ \* مِنْ فِضَّةٍ مِنْ تَحْتِ نُونٍ مُذْهَبِ

وقال آخر :

قُلْتُ لَمَّا دَنَتْ لَمَغْرِبِهَا الشَّمُّ \* سُ وِلَاحَ الْهَلَالِ لِلنُّظَارِ  
أَفْرَضَ الشَّرْقُ صِنُوهَ الْغَرْبِ دِينًا \* رَافَا عَطَاهُ الرَّهْنِ نِصْفَ سِوَارِ

وقال أبو العلاء المعزّي :

وِلَاحَ هِلَالٍ مِثْلُ نُونٍ أَجَادَهَا \* بَدُوبِ النَّضَارِ الْكَاتِبِ أَبْنِ هِلَالِ

وقال آخر :

وَكَأَنَّ الْهَلَالِ نُونٌ بُلْحِينِ \* غَرِقَتْ فِي صَحِيفَةِ زَرْقَاءِ

وقال أبو عاصم البصرى من شعراء اليبمة :

رَأَيْتُ الْهَلَالَ وَقَدْ أَحَدَقَتْ \* مُجُومُ الثَّرْيَا لِكِي تَسْبِقَهُ  
فَشَبَّهْتُهُ وَهُوَ فِي إِثْرِهَا \* وَبَيْنَهُمَا الزُّهْرَةُ الْمَشْرِقُوه  
بَقْوَيْسٍ لِرَامِ رَمَى طَائِرًا \* فَاتَّبَعَ فِي إِثْرِهِ بُنْدُوقَهُ

وقال آخر :

وَلَا حَ لَنَا الْهَلَالَ كَشَطْرِ طَوْقٍ \* عَلَى لَبَاتِ زَرْقَاءِ اللَّبَاسِ

وقال الواو أدمشق رحمه الله :

وَكَاثَ الْهَلَالَ نَحْتِ الثَّرْيَا \* مَلِكٌ فَوْقَ رَأْسِهِ إِكْلِيلُ

وقال إبراهيم بن محمد المرادى، من شعراء الأئمة، ملغزا فيه :

دَعَا ذَا وَقُلْ لِلنَّاسِ مَا طَارِقُ \* يَطْرُقُكُمْ جَهْرًا وَلَا يَتَّقِي  
لَيْسَ لَهُ رُوحٌ عَلَى أَنَّهُ \* يَرْكَبُ ظَهَرَ الْأَدْهِمِ الْأَبْلَقِ  
شَيْخٌ رَأَى آدَمَ فِي عَصِيرِهِ \* وَهُوَ إِلَى الْآنِ بِنَحْدِ نَبِي  
وَمَدَّ وَسَطَ السَّجِينِ مَعَ قَوْمِهِ \* لَا يَنْبَرِي مِنْ نَهْجِهِ الضَّيِّقِ  
هَذَا وَيَمْتَشِي الْأَرْضَ فِي لَيْلَةٍ \* أَعْجَبُ بِهِ مِنْ مُوْتِقٍ مُطْلَقِ  
فِتَارَةٌ يَنْزِلُ تَحْتَ الثَّرَى \* وَتَارَةٌ وَسَطَ السَّمَاءِ يَرْتَقِي  
وَتَارَةٌ يُوجَدُ فِي مَغْرِبِ \* وَتَارَةٌ يُوجَدُ فِي الْمَشْرِقِ  
وَتَارَةٌ تَحْسَبُهُ سَائِحًا \* يَسِيرِي بِسَاطِي الْبَحْرِ كَالزُّورِقِ  
وَتَارَةٌ تَحْسَبُهُ وَهُوَ فِي \* أَسْتَارِهِ وَالْبَعْضُ مِنْهُ بَقِي  
ذَبَابَةٌ مِنْ صَارِمٍ مُرْهَفِ \* بَارِزَةٌ مِنْ جَفْنِهِ الْمُطْبَقِ  
يَدْنُو إِلَى عَرْسٍ لَهُ حُسْنُهَا \* يَخْتَطِفُ الْأَبْصَارَ بِالرُّوْتِقِ

حَتَّى إِذَا جَامَعَهَا يَرْتَدِي \* بِحُلَّةِ سَوْدَاءِ كَالْمُحْرَقِ  
 وَهُوَ عَلَى عَادَتِهِ دَائِمًا \* يُجَامِعُ الْإِثْيَ وَلَا يَتَّقِي  
 ثُمَّ يَجُوبُ الْقَفْرَ مِنْ أَجْلِهَا \* مُشْتَمِلًا فِي مُطْرِفِ أَرْزِقِ  
 حَتَّى إِذَا قَابَلَهَا ثَانِيًا \* تَشْكُو بِالرَّيْحِ فِي الْمَفْرِقِ  
 وَبَعْدَ ذَا تُلْبِسُهُ حُلَّةً \* يَا حُسْنَهَا فِي لَوْنِهَا الْمَوْتِقِ  
 بِنَسْمِهِ مِنْ ذَهَبٍ جَامِدٍ \* وَجِلْدُهُ صَيْغَ مِنَ الزَّبَقِ  
 وَهُوَ إِذَا أَبْصَرْتَهُ هَكَذَا \* أَمْلَحُ مِنْ صَاحِبَةِ الْقَرْطَقِ

وقال ابن المعتز :

نَظَرْتُ فِي يَوْمٍ لَذَّةً عَجَبًا \* وَافِيَ بِهِ لِلشُّعُودِ مِقْدَارُ  
 يَقَابِلُ الشَّمْسَ فِيهِ بَدْرٌ دُجِي \* يَأْخُذُ مِنْ نُورِهَا وَيَتَمَارُ  
 كَصَيْرِفِي رُوحٍ مَتَقِدًا \* فِي كَفِّهِ دِرْهَمٌ وَدِينَارُ

وقال عبد الله بن علي الكاتب :

كَشَفَ الْبَدْرُ وَجْهَهُ لَتَمَامِ \* فَوُجُوهُ النُّجُومِ مَسْتَقْرَاتُ  
 وَكَأَنَّ الْبَدْرَ التَّمَامَ عُرُوسُ \* وَكَأَنَّ النُّجُومَ مُسْتَنْقَبَاتُ

١٤ - ذكر شيء مما قيل فيه على طريق الدم

حكى أن أعرابيا رأى رجلا يرقب الهلال . فقال له : ماترقب فيه ، وفيه عيوب  
 لو كانت في الحمار لكرد بها ! قال : وما هي ؟ فقال : إنه يهدم العمر ، ويقرب الأجل ،  
 ويحلل الدين ، ويقرض الكنان ، ويشحب اللون ، ويفسد اللحم ، ويفضح الطارق ،  
 ويدل السارق .

ومن عيوبه أن الإنسان إذا نام في ضوءه حدث في بدنه نوع من الاسترخاء والكسل، ويهيج عليه الزكام والصداع؛ وإذا وضعت لحوم الحيوانات مكشوفة في ضوءه، تغيرت طعومها وروائحها.

(٢١)

وقال ابن الرومي :

رُبَّ عَرِيضٍ مُتَرِّهِ عَنِ قَبِيحٍ \* دَسَّسَتْهُ مُعَرَّضَاتُ الْهَجَاءِ  
 لَوْ أَرَادَ الْأَدِيبُ أَنْ يَهْجُوَ الْبَدَّ \* رِ رِمَاهُ بِالْحُطَّةِ الشَّنْعَاءِ  
 قَالَ يَا بَدْرُ أَنْتَ تَعْدِرُ بِالسَّاءِ \* رِي وَتُرِي بَرَّورَةَ الْحَسَنَاءِ  
 كَلَّفَ فِي شُحُوبٍ وَجْهَكَ يَحْكِي \* نُكَّأً فَوْقَ وَجْنَةٍ بَرَّصَاءِ  
 يَعْتَرِكُ الْمِحَاقُ نِمْ يُخَيِّدُ \* كَ شَبِيهِ الْقَلَامَةِ الْمُجْنَاءِ  
 وَيَلِيكَ النُّقْصَانُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ \* رِ فِيمُحُوكَ مِنْ أَدِيمِ السَّمَاءِ  
 فَإِذَا الْبَدْرُ نَيْلَ بِالْهَجْوِ هَلْ يَا \* مَنْ ذُو الْفَضْلِ أَلْسَنَ الشُّعْرَاءِ  
 لِأَجْلِ الْمَدِيحِ بِلِخَيْفَةِ الْهَجْرِ \* وَ أَخَذْنَا جَوَازِ الْخُلُقَاءِ

هذا ما أمكن إيرادها في القمر، فلنذكر خبر عبادة القمر.

### ١٥ ذكر عبادة القمر

قال الشهرستاني : عبادة القمر طائفة من الهنود يسمون الحندر بكنية<sup>(١)</sup>، أي عبادة القمر . يزعمون أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة ، وإليه تدبير هذا العالم السفلي ، ومنه نضج الأشياء المتكونة واتصالها إلى كمالها ، وزيادته ونقصانه تعرف الأزمان والساعات ، وهو يلو الشمس وقرينها ، ومنها نوره ، وبالنظر إليها زيادته

(١) في الشهرستاني طبع لوندرد : "الحندر بكنية" . وأفادنا مترجمه إلى الألمانية أن "جندراكا"

ونقصانه؛ ومن سُنَّتِهِمْ أَنَّهُمْ أَخَذُوا صِنْمًا عَلَى عَجَلَةٍ تَجْرَهُ أْبَعَةً، وَيَبْدُو جَوْهَرَةً؛  
 وَمِنْ دِينِهِمْ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ وَيَعْبُدُوهُ، وَأَنْ يَصُومُوا النِّصْفَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَلَا يَنْظُرُوا  
 حَتَّى يَطْلُعَ الْقَمَرُ، ثُمَّ يَأْتُونَ الصَّنَمَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللَّبَنِ، ثُمَّ يَرْغَبُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُونَ  
 إِلَى الْقَمَرِ، وَيَسْأَلُونَهُ حَوَائِجَهُمْ؛ فَإِذَا آسَهَلَ الشَّهْرَ عَلَوْا السُّطُوحَ، وَأَوْقَدُوا الدُّخَانَ،  
 وَدَعَوْا عِنْدَ رُؤْيَيْهِ. وَرَغَبُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ نَزَلُوا عَنِ السُّطُوحِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْفَرَحِ  
 وَالسَّرُورِ، وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ إِلَّا عَلَى وُجُوهِ حَسَنَةٍ. وَفِي نِصْفِ الشَّهْرِ إِذَا فَرَّغُوا مِنْ  
 الْإِفْطَارِ، أَخَذُوا فِي الرِّقْصِ وَاللَّعْبِ بِالْمَعَازِفِ بَيْنَ يَدَيْ الصَّنَمِ وَالْقَمَرِ.

### ١٦ - ذكر ما قيل في الكواكب المتحيرة

والكواكب الخمسة الباقية من الكواكب السبعة تُسَمَّى المتحيرة. ثلاثة منها علوية  
 ١٠ تَعْلُو أَفْلَاقَهَا فَلَكَ الشَّمْسُ، وَهِيَ: زَحَلٌ، وَالْمَشْتَرِيُّ، وَالْمَرْزِيخُ؛ وَاثْنَانِ سَفَلِيَّةٌ  
 فَلَكَهُمَا تَحْتَ فَلَكَ الشَّمْسِ، وَهِيَ: الزُّهْرَةُ، وَعُطَارْدُ.  
 وَسَمَّيْتُ هَذِهِ الْكَوَاكِبَ الْمُتَحِيرَةَ لِأَنَّهَا تَرْجِعُ أحيانًا عَنْ سَمْتِ مَسِيرِهَا بِالْحَرَكَةِ  
 الشَّرْقِيَّةِ، وَتَتَّبِعُ الْغَرْبِيَّةِ. فَهَذَا الْإِرْتِدَادُ فِيهَا شَبهُ التَّحِيرِ.

### ١٧ - ذكر عباد الروحانيات

(وما آحتجوا به في سبب عبادتهم لها)<sup>(٢)</sup>

١٥ وعباد الروحانيات هم الصابئة. يقال: صبا الرجل إذا مال وزاغ.  
 ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعا فاطرا حكما مقدسا عن سمات الحدثان.

(١) الذي في الشهرستاني: صنما على صورة مجل ويبد الصنم الخ.

(٢) نقل المؤلف هنا بعض عبارات الشهرستاني في الملل والنحل مع تقديم وتأخير (انظر ص ٢٠٣)

٢٠ من طبعة الأب كرتون الانكليزي في لندرة سنة ١٨٤٢ - ١٨٤٦)

وكانت الصابئة تقول : إنا نحتاج في معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه ، إلى متوسط ، ولكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيا لاجسمانيا . وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب ، والجسماني بشر مثلنا يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ، يماثلنا في الصورة والمادة .

قالوا : ﴿ وَلَئِن أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾ .

وقالوا : الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله ، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه ، وهم الروحانيون المقدسون المطهرون ، جوهرها وفعلا وحالة .

أما الجوهر فهم المقدسون عن المواد الجسمانية ، المبرؤون عن القوى الجسدانية ، أى مترهون عن الحركات المكانية ، والتغيرات الزمانية ، قد جبلوا على الطهارة ، وفطروا على التقديس والتسيح ( لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ) .

وإنما أرشدنا إلى هذا معلمنا الأول ، عازيمون ، وهرمس ، فنحن نتقرب إليهم ، ونتوكل عليهم ، وهم أربابنا ، وأهلتنا ، ووسائلنا ، وشفعاؤنا عند رب الأرباب ، وإله الآلهة . فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا من دنس الشهوات الطبيعية ، ونهذب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغضبية ، حتى يحصل لنا مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات . فحينئذ نسأل حاجاتنا منهم ، ونعرض أحوالنا عليهم ، ونصبأ في جميع أمورنا إليهم . فيشفعون لنا إلى خالقنا وخالقهم ، ورازقنا ورازقهم . وهذا التطهير والتهديب ليس إلا بآكتسابنا ، ورياضتنا ، وفضامنا لأنفسنا عن دنيات الشهوات ، باستمداد من جهة الروحانيات ، والاستمداد هو التضرع والابتهاج بالدعوات ، وإقامة الصلوات ، وبذل الزكوات ، والصيام عن المطعومات والمشروبات ، وتقريب

القرابين والذبايح ، وتبخير البخورات ، وتعزيم العزائم . فيحصل لنفوسنا استعداد أو استعداد من غير واسطة ، بل يكون حكمتنا وحكم من يدعى الوحي واحدا .

قالوا : والأنبياء أمثالنا في النوع ، وأشكالنا في الصورة ، ومشاركونا في المادة .  
وياكلون مما ناكل ، ويشربون مما نشرب ، ويساهموننا في الصورة . أناس بشر مثلنا ، فمن أين لنا طاعتهم ، وبآية مزية لهم لزم مشايعتهم ! ﴿ وَلَئِن أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا نَحَلْتُمُوهُمْ ﴾ .

قالوا : وأما الفعل ، فالروحانيات هم الأسباب المتوسطون في الاختراع ، والإيجاد ، وتصريف الأمور من حال إلى حال ، وتوجيه المخلوقات من مبدأ إلى كمال ، يستمدون القوة من الحضرة القدسية ، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية .

§ فنها - مدبرات الكواكب السبعة السيارة في أفلاكها . وهي هياكلها . فلكل روحاني هيكل ، ولكل هيكل فلك . ونسبة الروحاني إلى ذلك الهيكل الذي آختص به نسبة الروح إلى الجسد . فهو ربه ومديره ومدبره .

وكانوا يسمون الهياكل أربابا (وربما يسمونها آباء) ، والعناصر أمهات .

ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص ليحصل من حركاتها أنفعالات في الطبائع والعناصر ، فيحصل من ذلك تركيبات وأمتزجات في المركبات فتبعها قوى جسمانية ، وتركب عليها نفوس روحانية ، مثل أنواع النبات والحيوان . ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي ، وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي . فعن جنس المطر ملك ، ومع كل قطرة ملك .

§ ومنها - مدبرات الآثار العلوية الظاهرة في الجوّ مما يصعد من الأرض فينزل مثل الأمطار والثلوج والبرد والرياح ، وما ينزل من السماء مثل الصواعق والشهب ؛

وما يحدث في الجوّ من الرعد والبرق والسحاب وقوس قُزَح ذوات الأذنان والهالة والمَجْرَة؛ وما يحدث في الأرض من الزلازل والمياه والأبْحَرَة إلى غير ذلك .

§ ومنها — متوسطات القوى السارية في جميع الموجودات، ومدبرات الهداية الشائعة في جميع الكائنات، حتى لا ترى موجودا ما خاليا عن قوّة وهداية، إذا كان قابلا لها .

قالوا : وأما الحالة، فأحوال الروحانيات من الرّوح، والرّيحان، والنعمة، واللذّة، والراحة، والبهجة، والسرور في جوار رب العالمين، كيف تخفى ! ثم طعامهم وشرابهم التسبيح والتقدّيس والتهلّيل والتمجيد؛ وأنسهم بذكر الله وطاعته، فن قائم وراكم وساجد، ومن قاعد لا يريد تبديل حالته لما هو فيه من النعمة واللذّة، ومن خاشع بصره لا يرفع، ومن ناظر لا يغمض، ومن ساكن لا يتحرك، ومتحرك لا يسكن وكروبي<sup>(١)</sup> في عالم القبض، وروحاني في عالم البسط، لا يعصون الله ما أمرهم .

وقد جرت مناظرات ومحاورات بين الصابئة والحنفاء في المفاضلة بين الروحاني المحض والبشرية النبوية، ليس هذا موضع إيرادها .

فلنذكر إن شاء الله تعالى بيوت الهياكل، تلو ما ذكرناه من عباد الروحانيات ومحتجّاتهم .

## ١٨ - ذكر بيوت الهياكل

(وأما كنها ونسبتها إلى الكواكب)

٢٢

قالوا : ثم لم تقتصر الصابئة على التقرب إلى الروحانيات بأعيانها، والتلقى بذواتها حتى آخذوا أصناما على هيئة الكواكب السبعة، وجعلوا لها بيوتا، وسمّوا البيوت

(١) الكروبيون سادة الملائكة المقربون .

بالحياكل ، وجعلوا الحياكل بمنزلة الأفلاك للكواكب . وعظموا هذه الأصنام التي صنعوها ، وزعموا أنهم إذا عظموها تحركت لهم الكواكب السبعة العلوية بكل ما يريدون .

وحكى المسعودي في كتابه المترجم "بمروج الذهب ومعادن الجوهر" أن هذه الطائفة تزعم أن البيت الحرام هيكل زحل ، وإنما طال بقاء هذا البيت على مرور الدهور ، معظما في سائر العصور ، لأن زحل تولاه ، إذ من شأنه الثبوت .<sup>(١)</sup>  
ومن البيوت المشهورة :<sup>(٢)</sup>

§ بيت على رأس جبل أصفهان ، يسمى مارس ، ثم آتخذ بعض ملوك الجوس بيت نار ؛

§ وبيت ببلاد الهند ؛ ١٠

§ وبيت ببليخ ، بناه منوشهر على اسم القمر ، وكان الموكل بسدائنه يسمونه برمك ، وإليه تنسب البرامكة ؛

§ وبيت محمدان باليمن ، بناه الضحالك على اسم الزهرة ؛

§ وبيت بفرغانة ، على اسم الشمس ، يعرف بكاسات ، بناه كاس<sup>(٥)</sup> أحد ملوك الفرس ، وخربه المعتضد بالله ؛<sup>(٦)</sup> ١٥

(١) راجع الشهرستاني طبعة كرتن (ص ٤٣٠ - ٤٣١) .

(٢) وراجع الشهرستاني (ص ٤٣١ ، ٤٣٢) .

(٣) في الشهرستاني : فارس .

(٤) من مدن خراسان .

(٥) في الأصل : مكاس [وهو خطأ من النسخ . والتصويب عن المسعودي وعن الشهرستاني] .

(٦) في الشهرستاني أنه المعتصم .

§ وبيت ببلاد الصين، بناه ولد عامور بن شوبل<sup>(١)</sup> بن يافث، وقيل بناه بعض ملوك الترك<sup>(٢)</sup>.

§ وحكى غير المسعودى أن البيت الأول الكعبة . ويذكرون أن إدريس (عليه السلام) أوصى به، وأوصى أن يكون الحج إليه وهو عندهم بيت زحل؛ والبيت الثانى وهو بيت المزيح، يزعمون أنه كان بصور من الساحل الشامى؛ والبيت الثالث وهو بيت المشتري، كان بدمشق بناه جيرون بن سعد بن عاد، وموضعه الآن الجامع الأموى؛ والبيت الرابع وهو بيت الشمس بمصر، ويسمى عين شمس، وآثاره باقية الى وقتنا هذا؛ والبيت الخامس وهو بيت الزهرة، كان بمنجج وخراب؛ والبيت السادس بيت عطارد، وكان بصيدا من الساحل الشامى وخراب؛ والبيت السابع وهو بيت القمر، كان بجزان؛ وهو بيت الصابئة الأعظم.

(١) فى بعض نسخ المسعودى : سوبل (بالسين المهملة) .

(٢) انظر الباب الرابع والستين من مروج الذهب، ففيه تفصيل لما أورده النويرى هنا بغاية التلخيص .

(٣) زالت هذه الآثار الآن .

## الباب الخامس

### من القسم الأول من الفن الأول

#### ١ - في الكواكب الثابتة

ذهب بعض من تكلم في ذلك أن هذه الكواكب معلقة في سماء الدنيا كالقنديل ،  
وأنها مخلوقة من نور .

وقال آخرون : إنها معلقة بأيدي ملائكة . وفسر بهذا القول قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ  
انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾ . يقال آنتثارها يكون بموت من كان يحملها من  
الملائكة .

وهذه الكواكب في سماء الدنيا بنص الكتاب العزيز ، لقول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ  
زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ .

وقال قتادة : خلق الله تعالى هذه النجوم لثلاثة : جعلها زينة للسماء ، ورجوما  
للشياطين ، وعلامات يهتدى بها في البر والبحر . فمن تأول غير هذا فقد أخطأ .  
قالوا : وإنما سميت بالنواب ، وإن كانت متحركة لأنها ثابتة الأبعاد على الأبد ،  
لا يقرب أحدها من الآخر ، ولا يبعد عنه ، ولا يزيد ، ولا ينقص ، ولا تتغير عن  
جهاتها . لأنها تتحرك بحركتها الطبيعية حول قطبي العالم . ولهذا سميت ثابتة . وهي  
في فلك ثامن غير أفلاك الكواكب السبعة السيارة . ودليل ذلك أن للكواكب  
السبعة حركات أسرع من حركات هذه .

ذكر ما يمثّل به مما فيه ذكر الكواكب

يقال : أنأى من كوكب ؛ أبعده من مناط النجم ؛ أهدى من النجم .

ومن أنصاف الأبيات :

\* وَأَيْنَ تَزِيلُ الْأَرْضِ عِنْدَ الْكَوَاكِبِ \* \* وَأَيْنَ الثَّرِيًّا مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِ \*

\* وَالْكَوْكَبُ النَّحْسُ يَسْقِي الْأَرْضَ أحيانًا \*

ومن الأبيات قول أبي تمام عفا الله عنه :

كالنجم إن سافرت كأن موأبجا • وإذا حططت الرجل كان جليسا

وقال أبو نؤاس :

أين النجوم الثابتة • ت من الأهلة والبذور

وقال آخر :

وكأ في أجماع كالثريا • فصرنا فرقة كينات نعش

وقال آخر :

كالفرقدين إذا تأمل ناظر • لم يعلم موضع فرقيد من فرقيد

وقال الوزير أبو الفتح البستي :

والنجم من بعد الرجوع استقامة • وللشمس من بعد الغروب طلوع

وقال جحظة :

مثل الذي يرجو البلو • غ إلى الكواكب وهو مقعد

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أَيْهَا الْمُنِيحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا \* عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ  
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ \* وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَهَلَّ يَمَانِي

وقال آخر :

وَكُلُّ أَيْحٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ \* لَعَمْرُؤُا بَيْكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ

٣ - ذكر ما قيل في وصف الكواكب وتشبيهها

من ذلك ما قاله ابن حجاج في المجرة :

يَا صَاحِبِيَّ اسْتَيْقِظْ مِنْ رَقْدَةٍ \* تَزُرِي عَلَى عَقْلِ اللَّيْلِ الْأَكْدِسِ  
هَذِي الْمَجْرَةُ وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا \* نَهْرٌ تَدْفُقُ فِي حَدِيقَةِ نَرْجِسِ

وقال آخر :

وَكَأَنَّ الْمَجْرَّ جَدُولُ مَاءٍ \* تَوَرَّ الْأَخْضَوَانُ فِي جَانِبَيْهِ

وقال المهذب بن الزبير فيها :

وَتَرَى الْمَجْرَةَ وَالنُّجُومَ كَأَنَّهَا \* تَسْقِي الرِّيَاضَ بِجَدُولٍ مَلَاتِنِ  
لَوْ لَمْ يُكُنْ نَهْرًا لَمَا عَامَتْ بِهِ \* أَبَدًا نُجُومُ الْحَوْتِ وَالسَّرَطَانِ

وقال أبو هلال العسكري :

تَبْدُو الْمَجْرَةُ مُنْجَرًا ذَوَائِبُهَا \* كَلِمَاءُ يَنْسَاحُ أَوْ كَلَايِمٌ يَنْسَابُ<sup>(١)</sup>

وقال هشام بن إلياس في الجوزاء :

فَكَأَنَّهَا جَوْزَاؤُهُ فِي غَرْبِهَا \* بَيْضَاءُ سَابِحَةٌ بِبِرْكَةِ زَيْبِقِي  
وَكَأَنَّهَا أَوْمَتْ ثَلَاثُ أَنْامِلٍ \* مِنْهَا تَقُولُ : إِلَى ثَلَاثٍ نَلْتَقِي

(١) الأيم، والأين : ضرب من الحيات . (عن النوادر في اللغة) .

وقال آخر :

وَكأنَّ الْجَوْزَاءَ لَمَّا اسْتَقَلَّتْ \* وَتَدَلَّتْ سُرَادِقُ مُمْدُودُ

وقال العلويّ فيها أيضا :

ها إنَّهَا الْجَوْزَاءُ فِي أَفْقِهَا \* وَاهِيَةٌ نَاعَسَةٌ تُسْحَبُ

نَطَاقُهَا وَإِيه لَدَى أَفْقِهَا \* يَنْسُلُ مِنْهَا كَوْكَبٌ كَوْكَبُ

وقال ابن وكيع فيها :

فَمُ فَاسْتَقِنِي صَافِيَةً \* تَهْتِكُ جُنْحَ الْعَسَقِ

أَمَّا تَرَى الصُّبْحَ بَدَأَ \* فِي تَوْبِ لَيْلِ خَلَقِ

أَمَّا تَرَى جَوْزَاءَهُ \* كَأَنَّهَا فِي الْأَفْقِ

مِنْطَقَةً مِنْ ذَهَبٍ \* فَوْقَ قَبَاءِ أَرْزِقِ

وقال كعب الغنويّ :

وَقَدْ مَالَتِ الْجَوْزَاءُ حَتَّى كَأَنَّهَا \* فَسَاطِيطُ رَكِبٍ بِالْفَلَاةِ نُزُولُ

وقال امرؤ القيس في الثريا :

إِذَا مَا الثَّرِيَاءُ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ \* تَعَرَّضَ أَشْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ

وقال ابن الطّريّة :

إِذَا مَا الثَّرِيَاءُ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا \* بُجْمَانٌ وَهِيَ مِنْ سِلْكِهِ فِتْبَدَا

وقال المبرّد :

إِذَا مَا الثَّرِيَاءُ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ \* يَرَاهَا حَدِيدُ الْعَيْنِ سِتَّةَ أَنْجُمِ

عَلَى كَيْسِدِ الْجَرْبَاءِ وَهِيَ كَأَنَّهَا \* جَبِيْرَةٌ دُرٌّ رُكِبَتْ فَوْقَ مِعْصَمِ

وقال عبد الله بن المعتز :

فناولنيتها والثريا كأنها \* جنى ترجيس حيا الندامى بها الساقى

وقال أيضا :

كأن الثريا في أواخر ليلها \* تفتح نوراً أو لحام مفضض

وقال السلامي شاعر اليتيمة فيها :

فسمونا والفجر يضحك في الشر \* ق الينا مبشراً بالصباح

والثريا كراية أو لحام \* أو بنان أو طائر أو وشاح

وكأن النجوم في يد ساق \* يتهدى تهادى الأقداح

وقال ابن المعتز :

ولاحت يسارها الثريا كأنها \* على الأفق الغربى قرط مسلسل

وقال أبو نضلة :

وتأملت الثريا \* في طلوع ومغيب

فتخيرت لها التند \* يبه في المعنى المصيب

وهي كأس في شروق \* وهي قرط في غروب

وقال آخر :

كأن الثريا هودج فوق ناقه \* يسير بها حاد مع الليل مزيج

وقد لمعت بين النجوم كأنها \* قوارير فيها زئبق يترجح

وقال ابن سكرة الهاشمي :

ترى الثريا والغرب يجذبها \* والبدر يهوى والفجر ينفجر

كف عروس لاحت خواتمها \* أو عقدة در في البحر ينتثر

وقال محمد بن الحسن الحاتمي :

وَحَلَّتْ الثَّرِيَّا كَفَّ عَذْرَاءَ طَفْلَةٍ \* مُحْتَمِيَةً بِالذَّرِّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ  
تَحَلَّتْهَا فِي الْجَوْ طُرَّةَ جَعْبِيَّةٍ \* مُلُوكِيَّةٍ لَمْ تَعْتَلِقْهَا حَمَائِلُ  
كَأَنَّ نَبَالَ سِتَّةٍ مِنْ لَالِيٍّ \* يُوَافِي بِهَا فِي قُبَّةِ الْأُفُقِ نَائِلُ

وقال أحمد بن إبراهيم الضبيّ، شاعر اليمامة :

حَلَّتْ الثَّرِيَّا إِذْ بَدَتْ \* طَالِعَةً فِي الْحِنْدِسِ  
مُرْسَلَةً مِنْ لُؤْلُؤِيٍّ \* أَوْ بَاقَةً مِنْ تَرْجِسِ

وقال أبو العلاء المعري في سهيل :

وَسَهِيلٌ كَوْجِنَةُ الْحَبِّ فِي اللَّوِّ \* نَوْقَلِبِ الْمُحِبِّ فِي الْخَفَقَانِ  
مُسْتَبِدًّا كَأَنَّهُ الْفَارِسُ الْمُعْدُّ \* لَمْ يُمِدُّوْا مُعَارِضَ الْفُرْسَانِ

وقال عبد الله بن المعتز :

وَقَدْ لَاحَ لِلسَّارِي سُهَيْلٌ كَأَنَّهُ \* عَلَى كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ رَقِيبُ

وقال الشريف بن طباطبا :

وَسَهَيْلٌ كَأَنَّهُ قَلْبُ صَبٍّ \* فَاجَأَتْهُ بِالْخَوْفِ عَيْنُ الرَّقِيبِ

وقال أبو عبادة البحرري :

كَأَنَّ سَهَيْلًا تَخْضُضُ ظَمَانَ جَانِحٍ \* مِنْ اللَّيْلِ فِي نَهْرٍ مِنَ الْمَاءِ يَكْرَعُ

وقال ابن طباطبا :

كَأَنَّ سَهَيْلًا، وَالنُّجُومُ أَمَامَهُ \* يُعَارِضُهَا، رَاجِعَ أَمَامَ قَطِيعِ

وقال الشريف الرضي في الفرقدين :

وَهَبَّتْ لَصَوِّ الْفَرْقَدَيْنِ نَوَاطِرِي \* إِلَى أَنْ بَدَأَ صَوُّهُ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ  
كَأَنَّهُمَا الْفَنَانِ قَالَ كِلَاهُمَا \* لِشَخِصٍ أُخِيهِ قُلُّ فُلَانِي سَامِعُ

وقال آخر :

قُلْتُ لِلْفَرَقَدَيْنِ وَاللَّيْلِ مُرْجِحٌ \* سِتْرَ ظَمَائِنِهِ عَلَى الْآفَاقِ  
إِبْقِيَا مَا بَقِيْنَا سَوْفَ يُرْمَى \* بَيْنَ شَخْصِيكُمَا بَسْمَهُمُ الْفِرَاقِ

وقال القاضي التُّنُوحِيُّ :

وأشقر الجؤ قد لاحت كواكبُه \* فيه كدرٌ على الياقوت منتور

وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم من رسالة :

سِرْنَا ، وروضة السماء فيما من الزُّهْرُ زَهْرًا ، ومن المجرة نَهْرٌ ، والليل كالْبَنْفَسَجِ  
تخلله من النجوم أَفَاحٌ ، أو كالزُّبُجِ شعله من الرِّيحِ جراحٌ ، والكواكب سائرَاتُ  
المواكب لا مُعْتَرَسٌ لها دون الصُّبْحِ ؛ ومهيل كالظمآن تدلَّى الى الأرض ليشرب ،  
أو الكريم أَنْفٌ من المُقَامِ بدار الدُّلِّ فتغرب ؛ فكأنه قَبَسٌ تُسَلَّعِبُ به الرياح ،  
أو زينة قدمها بين يَدَيِ الصُّبْحِ ؛ أو ناظر يُنْضِهُ الغَيْظُ ويفتحه ، أو معي يُغْمِضُهُ  
الحسن ثم يشرحه ؛ أو صديقٌ لجماعة الكواكب مغاضبٌ ، أو رقيبٌ على المواكب  
مُؤَاكِبٌ ؛ أو فارسٌ يحمي الأعقاب ، أو دأجٌ به اليها وقد شردت عن الأصحاب .  
والجوزاء كالسرادق المضروب ، أو الهودج المنصوب ؛ أو الشجرة المنورة ، أو الجبر  
المصورة . والثريا قد همُّ عُنُقُودُهَا أن يتدلَّى ، وجيش الليل قد همُّ أن يتولى .

١٠

١٥

## القسم الثاني

من الفن الأول في الآثار العلوية

وفيه أربعة أبواب



## الباب الأول

من القسم الثاني من الفن الأول

١ - في السحاب، وسبب حدوثه، وفي الثلج والبرد

والسحاب من الآثار العلوية .

روى أبو الفرج بن الجوزي بإسناد يرفعه إلى عبيد بن عمير أنه قال : يبعث الله ريحا فتقوم الأرض ، ثم يبعث المنيثرة فتثير السحاب ، وذلك أنها تجعل الماء فتجمعه في السحاب ، ثم يثيره فيدر كما تدر اللقحة .

١٠

وقد روى في الأثر أن الرياح أربع : ريح تقم ، وريح تثير ، فتجعله كسفا ، وريح تؤلف ، فتجعله ركما ، وريح تمطر .

وروى عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : إن الله تعالى يرسل الرياح فتثير سحابا ، وينزل عليه المطر فتتمخض به الرياح كما تمخض التّوج بولدها .

١٥

وروى عن عكرمة (رضي الله عنه) أنه قال : ينزل الله الماء من السماء السابعة فتقع القطرة على السحاب مثل البعير ، والسحاب للمطر كالغربال ينزل منه بقدر . ولولا ذلك لأفسد ما على الأرض .

وقال الزمخشري في تفسيره : السحاب من السماء ينحدر، ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذ من البحر . ويؤيد ذلك قوله عز وجل ﴿ وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ .

## ٢ - ذكر ما قيل في ترتيب السحاب

وأسمائه اللغوية وأصنافه

- قال أبو منصور، عبد الملك بن محمد الثعالبي في فقه اللغة، ينقله عن أعمتها :
- أول ما ينشأ السحاب، فهو نَشْرٌ .
  - فإذا آنسحب في الهواء، فهو السَّحَابُ .
  - فإذا تغيرت وتعممت له السماء، فهو الغَمام .
  - فإذا كان غيم ينشأ في عُرْض السماء فلا تبصره وإنما تسمع رعدده، فهو العَقْرُ .
  - فإذا أطل وأظلم السماء، فهو العَارِضُ .
  - فإذا كان ذا رعد وبرق، فهو العَرَّاصُ .
  - فإذا كانت السحابة قطعاً صغاراً متدانياً بعضها من بعض، فهي النِّمْرَةُ .
  - فإذا كانت متفرقة، فهي القَرَعُ .
  - فإذا كانت قطعاً متراكمة، فهي الكِرْفِيُّ (واحدتها كِرْفِيَّةٌ) .
  - فإذا كانت قطعاً كأنها قطع الجبال، فهي قَلَعٌ، وكنهور (واحدتها كنهورة) .
  - فإذا كانت قطعاً رفاقاً، فهي الطَّخَارِيرُ (واحدتها طُخْرورٌ) .
  - فإذا كانت حولها قطع من السحاب، فهي مُكَّالَةٌ .
  - فإذا كانت سوداء، فهي طَخْيَاءٌ، ومُتَطَخِطَةٌ .
  - فإذا رأيتها وحسبها ماطرة، فهي مُخِيلَةٌ .

فإذا غلظ السحاب وركب بعضه بعضا، فهو المكفّهت .  
 فإذا ارتفع ولم ينسط، فهو النشاص .  
 فإذا تقطع في أقطار السماء وتلبّد بعضه فوق بعض، فهو القرد .  
 فإذا ارتفع وحمل الماء وكثف وأطبّق، فهو العماء، والعماية، والطّاء، والطّخاف  
 والطّهاء .

فإذا اعتراض اعتراض الجبل قبل أن يطبق السماء، فهو الحى .  
 فإذا عنّ، فهو العنان .

فإذا أظلمت الأرض، فهو الدّجن .

فإذا أسودت وتراكب، فهو المحمومي<sup>(١)</sup> .

فإذا تعلق سحاب دون السحاب، فهو الرّباب .

فإذا كان سحاب فوق سحاب، فهو الغقارة .

فإذا تدلى ودنا من الأرض مثل هذب القطيقة، فهو الهيدب .

فإذا كان ذا ماء كثير، فهو القنيف .

فإذا كان أبيض، فهو المزن، والصّبير .

فإذا كان لرعده صوت، فهو الهزيم .

فإذا اشتد صوت رعده، فهو الأجش .

فإذا كان بارداً وليس فيه ماء، فهو الصّراد<sup>(٢)</sup> .

فإذا كان ذا صوت شديد، فهو الصّيب .

فإذا أهرق ماءه، فهو الجّهام . (وقيل بل الجّهام الذى لا ماء فيه) .

(١) اسم فاعل من أحومى الشيء. إذا أسودت . يوصف به نحو السحاب والليل .

(٢) فى فقه اللغة بعده: فإذا كان عذيقا تسفره الريح فهو الزبرج . وعده: فإذا كان ذا صوت الخ .

٣ - ذكر ما قيل في ترتيب المطر

قال الثعالبي رحمه الله : أَخْفُ الْمَطَرِ وَأَضَعُهُ الطَّلُّ، ثُمَّ الرَّذَاذُ، ثُمَّ الْبَغْشُ وَالذُّثُّ  
ومثله الرُّكُّ، ثُمَّ الرَّهْمَةُ .

ويقال أيضا : أَوْلُهُ رَشٌّ وَطَشٌّ، ثُمَّ طَلٌّ وَرَدَاذٌ، ثُمَّ نَضْحٌ وَنَضِخٌ، وَهُوَ قَطْرٌ بَيْنَ  
قَطْرَيْنِ، ثُمَّ هَطْلٌ وَتَهْتَانٌ، ثُمَّ وَايِلٌ وَجَوْدٌ .



٤ - ذكر ما قيل في فعل السحاب والمطر

يقال إذا أتت السماء بالمطر اليسير الخفيف : حَفَّشَتْ، وَحَشَّكَتْ .

فإذا آسَمَتْ قَطْرُهَا، قِيلَ : هَطَلَتْ، وَهَتَّتْ .

فإذا صَبَّتِ الْمَاءَ، قِيلَ : هَمَعَتْ، وَهَضَبَتْ .

فإذا أَرْتَفَعَ صَوْتُ وَقْعِهَا، قِيلَ : أَنْهَلَتْ، وَاسْتَهَلَّتْ .

فإذا سَالَ الْمَطَرُ بِكَثْرَةٍ، قِيلَ : أَنْسَكَبَ، وَأَنْبَعَقَ .

فإذا سَالَ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، قِيلَ : أُنْعَجَرَ، وَأُنْعَجَجَ .

فإذا دَامَ أَيَّامًا لَا يُقْلِعُ، قِيلَ : أُنْجِمَ، وَأَغْبَطَ، وَأُدْجَنَ .

فإذا أَقْلَعَ، قِيلَ : أُنْجِمَ، وَأَفْصَمَ، وَأَفْصَى .

٥ - ذكر أسماء أمطار الأزمنة

قالت العرب : أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ الْمَطَرُ فِي إِقْبَالِ الشِّتَاءِ، فَاسْمُهُ الْخَرِيْفُ، ثُمَّ بِلِيهِ الْوَشْمِيُّ،

ثُمَّ الرَّبِيعُ، ثُمَّ الصَّيْفُ، ثُمَّ الْحَمِيمُ .

وقيل المطر الأول هو الوشمي، ثم يليه الولي، ثم الربيع، ثم الصيف، ثم الحميم .

(١) كذا في لغة الثعالبي . وعبارة اللسان : حَفَّشَتْ السَّمَاءُ تَحْفَشُ حَفْشًا : جَاءَتْ بِمَطَرٍ شَدِيدٍ سَاعَةً ثُمَّ أَقْلَعَتْ .

ومثله حَشَّكَتْ وَأَغْبَيْتْ، فَالْحَفْشَةُ وَالْحَشْكَةُ وَالْفَيْتَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

## ٦ - ذكر أسماء المطر اللغوية

قال الثعالبي :

- إذا أحيا الأرض بعد موتها، فهو الحيا .  
 فإذا جاء عميق المثل أو عند الحاجة إليه، فهو العيث .  
 فإذا دام مع سكون، فهو الديمة . والضرب فوق ذلك قليلا، والمطّل فوقه .  
 فإذا زاد، فهو الهتلان، والهتان والتّهتان .  
 فإذا كان القطر صغارا كأنه شدر، فهو القَطِطُ .  
 فإذا كانت مطرة ضعيفة، فهي الرّهمة .  
 فإذا كانت ليست بالكثيرة، فهي الغيبة، والحفشة، والحشكة .  
 ١٠ فإذا كانت ضعيفة يسيرة، فهي الذهاب<sup>(١)</sup>، والمهميمة .  
 فإذا كان المطر مستمرا، فهو الودق .  
 فإذا كان ضخم القطر شديد الوقع، فهو الوابل .  
 فإذا أتبع بالماء، فهو البعاق .  
 فإذا كان يروى كل شيء، فهو الجود .  
 ١٥ فإذا كان عاما، فهو الجدا .  
 فإذا دام أياما لا يقلع، فهو العين .  
 فإذا كان مسترسلا سائلا، فهو المرثعن .  
 فإذا كان كثير القطر، فهو الغدق .  
 فإذا كان شديد الوقع كثير الصوب، فهو السجيفة .  
 ٢٠ فإذا كان شديدا كثيرا، فهو العز، والعباب .

(١) في فقه الثعالبي : الهيمة، بإسقاط الميم الأول، وهو تحريف كما يعلم من مراجعة القاموس .

- فإذا جرف ما مرّ به ، فهو السَّحِيقَةُ <sup>(١)</sup> .  
 فإذا قشرت وجه الأرض ، فهي السَّاحِيَةُ .  
 فإذا أثرت في الأرض من شدّة وقعها ، فهي الحَرِيصَةُ .  
 فإذا أصابت القطعة من الأرض وأخطأت الأخرى ، فهي النُّفْصَةُ .  
 فإذا جاءت المطرة لما يأتي بعدها ، فهي الرُّصْدَةُ ، والعِيَادُ نحو منها .  
 فإذا أتى المطر بعد المطر ، فهو الوَلِيُّ .  
 فإذا رجع وتكرر ، فهو الرَّجْعُ .  
 فإذا تتابع ، فهو اليَعْلُولُ .  
 فإذا جاءت المطرة دَفْعَاتٍ ، فهي الشَّايِبُ .

٧ - ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر المطر

يقال : أبرد من غبّ المطر . أرق من دمع الغمام . أسرع من السيل إلى الحدور . أطفئ من السيل . أغشم من السيل . أمضى من السيل . يذهب يوم الغيم ولا يُسْعَرُ به . قد بلغ السيل الزبى . اضطزه السيل إلى معطشه . أرنيها يجره ، أريكمها مطره . سبق سيله مطره . قبل السحاب أصابني الوكف .

ومن أنصاف الأبيات :

- هَلْ يَرْتَجِي مَطَرٌ بَغَيْرِ سَحَابٍ • وَأَقُولُ الْغَيْثِ طَلٌّ ثُمَّ يَنْسَكِبُ •  
 • سَحَابُهُ صَيْفٌ عَنْ قَرِيبٍ تَقَشُّعُ • فَدَرَّ كَمَا دَرَّ السَّحَابُ عَلَى الرَّعْدِ •

(١) نقل صاحب التمام في مادة (س ح ف) عن الأصمعي : (أن السحيفة بالقاف : المطرة الحديدة التي تجرف كل شيء ، والسحقة بالقاف : المطرة العظيمة القطر الشديدة الوقع القليلة العرض) . وهو عكس ما نقله التوريري عن الثعالبي .

\* أَسْرَعُ السَّحَابِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامُ \* وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَطِيلُ؟ \*  
 \* سَحَابٌ عَدَانِي فَيُضِئُهُ وَهُوَ صَيَّبٌ \* يَحْسَبُ الْمَطُورُ أَنْ كُلُّ مُطَرٍّ \*  
 \* سَأَلَ بِهِ السَّيْلُ وَمَا يَدْرِي بِهِ \*

ومن الأبيات قول الطائي :

٥ وكذا السحابُ قائماً تدعو إلى \* معروفيها الرقاد ما لم تبرق

وقال البحتري عفى عنه :

وأعلم بأن الغيث ليس ينافع \* ما لم يكن للناس في إبانهِ

وقال أبو الطيب :

لَيْتَ الْغَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ \* يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيمُ

وقال كثير :

١٠ كما أبرقت يوماً عطاشاً غمامةً \* فلما رجوها ، أقشعت وتجلت

وقال آخر :

أَنَا فِي ذِمَّةِ السَّحَابِ وَأَظْهًا! \* إِنَّ هَذَا لَوْصَةٌ فِي السَّحَابِ

وقال آخر :

١٥ والله يَنْثِي سَحَابًا تَطْمَنُّ بِهِ النَّفُوسُ مِنْ قَبْلِ بَلِّ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ

٨ - ذكر شيء مما قيل في وصف السحاب والمطر

قال أبو تمام الطائي :

سَحَابُهُ صَادِقَةٌ الْأَنْوَاءِ \* تَجْرُ أَهْدَابًا عَلَى الْبَطْحَاءِ

تَجْمَعُ بَيْنَ الضَّحِكِ وَالْبُكَاءِ \* بَدَتْ بِنَارٍ وَنَتَتْ بِمَاءِ

وقال أبو عبادة البُحْتَرِيُّ عفا الله تعالى عنه :

ذات أَرْجَاسٍ يَحِينُ الرَّعْدُ \* مَجْرُورَةَ الذَّيْلِ صَدُوقِ الوَعْدِ  
مَسْفُوحَةَ الدَّمْعِ بغيرِ وَجْدِ \* لَمَّا نَسِيمٌ كَنَسِيمِ السَّوَرِدِ  
ورنَّةٌ مثلُ زفيرِ الأَسَدِ \* ولَمَعُ بَرِقِ كَسُوفِ الهِنْدِ  
جاءتْ بها رِيحُ الصَّبَا من نَجْدِ \* فانتثرَتْ مثلَ آنتثارِ العِقْدِ  
وراحتِ الأرضُ بعَيْشِ رَغْدِ \* من وَشْيِ أنوارِ التَّرَى في بُرْدِ  
كأنما عُدرُها في الوَهْدِ \* يَلْعَبَنَّ تَرَحَابًا بها بِالرَّندِ

وقال أبو الحسن علي بن القاسم القاشاني من شعراء اليتيمة عفى عنه :

إِذَا الغُيُومُ أَرْجَحْنَ بِاسِقِهَا \* وَحَفَّ أَرْجَاءَها بَوَارِقِهَا  
وُعِيَّتْ لِلتَّرَى كَأَثِهَا \* وَأَنْتَصَبَتْ وَسَطِهَا عَقَائِقِهَا  
وَجَلَجَلَ الرَّعْدُ بَيْنَهَا فَحَى \* خَفَقَ طُيُولُ أَلْحِ خَافِقِهَا  
وَأَبْتَسَمَتْ فَرِحَةً لَوَامِعِهَا \* وَأَخْتَلَفَتْ عِبْرَةً حَمَالِقِهَا  
وَقِيلَ طُوبَى لبلدَةٍ تُنَجَّتْ \* يَحْوِ أَوْ كَأَفِهَا بَوَارِقِهَا  
أَيُّ نَعَاءٍ لَا تُحَلُّ بِهَا؟ \* وَأَيُّ بَأْسَاءٍ لَا تُفَارِقِهَا؟

وقال القاضي التُّنُوحِيُّ :

سَحَابٌ أتَى كالأَمْنِ بَعْدَ تَخَوُّفِ \* لَهُ فِي التَّرَى، فِعْلُ الشِّفَاءِ بِمُدْنَفِ  
أَكْبَ عَلَى الآفَاقِ إِكْتَابَ مُطْرِيقِ \* يُفَكِّرُ أَوْ كَالنَّادِمِ الْمُتَلَهِّفِ  
وَمَدَّ جَنَاحِيهِ عَلَى الأَرْضِ جَانِحًا \* فَرَّاحَ عَلَيْهَا كَالغُرَابِ المُرْفَرِفِ  
غدا البَرُّ بِحِرَا زَانِحًا وَأَنْتِي الضُّحَى \* بِظُلْمَتِهِ فِي ثَوْبِ لَيْلِ مُسَجِّفِ  
فَعَبَسَ عَن بَرِقِ بِهِ مُتَبَسِّمِ \* عُبُوسٌ بِبَحِيلِ فِي تَبَسِّمِ مُعْتَفِ  
تُحَاوَلُ مِنْهُ الشَّمْسُ فِي الجَوِّ مُحَرَّجًا \* كَمَا حَاوَلَ المَغْلُوبُ تَجْرِيدَ مُرْهَفِ

وقال ابن الرومي :

تَحَابُّ قَيْسَتْ بِالْبِلَادِ فَأَلْفَيْتُ \* غِطَاءً عَلَى أَعْوَارِهَا وَجُودِهَا  
حَدَّثَهَا النَّعَامَى مُقْبِلَاتٍ فَأَقْبَلْتُ \* تَهَادَى رُويْدًا سَيْلَهَا كَرُودِهَا

وقال أبو هلال العسكري :

٥ وَبَرِّقَ سَرَى وَاللَّيْلُ يُحْمَى سَسَاوَدَهُ \* فَقُلْتُ سِيوَارٌ فِي مَعَاصِمِ أَسْمَرَا  
وَقَدْ سَدَّ عُرْضَ الْأُفُقِ غَيْمٌ تَحَالَهُ \* يَزُرُّ عَلَى الدُّنْيَا قَيْصًا مَعْنَبَرًا  
تَهَادَى عَلَى أَيْدِي الْجَنَائِبِ وَالصَّبَا \* تَحْرِقُ مِنَ الْفِتْيَانِ نَازِعَ مُسْكَرَا  
تَحَالَ بِهِ مَسْكًَا وَبِالْقَطْرِ لُؤْلُؤًا \* وَبِالرَّوِضِ يَاقُوتًا وَبِالْوَحْلِ عُنْبَرًا  
سَسَاوَدُ غَمَامٍ يَتَعَثُّ الْمَاءُ أَيْضًا \* وَغُرَّةُ أَرْضٍ تُنْبِتُ الزَّهَرَ أَصْفَرَا  
١٠ أَنْتَكَ بِهِ أَنْفَاسُ رِيحِ مَرِيضِيَّةٍ \* كَكُفْظَةِ رَعْنَاءَ تَسْتَأِقُ عَسْكَرَا  
فَالْقَى عَلَى الْغُدْرَانِ دَرْعًا مَسْرَدًا \* وَأَهْدَى إِلَى الْقَيْعَانِ بُرْدًا مُحْبَرًا  
تَحَالَ الْحَيَا فِي الْجَوْدِ دُرًّا مَنْظَمًا \* وَفِي وَجَنَاتِ الرَّوِضِ دُرًّا مَنْرًا  
وَأَقْبَلَ تَسْرُ الْأَرْضِ فِي نَفْسِ الصَّبَا \* فَبَاتَ بِهِ ثَوْبُ الْهَوَاءِ مُعْطَرَا  
إِذَا مَا دَعَتْ فِيهِ الرَّعُودُ فَاسْمَعْتُ \* أَجَابَ حُدَاةً وَاسْتَهَلَّ فَاغْرَزَا  
وَيَسْكِي إِذَا مَا أَصْحَكَ السَّبْقُ سِنَهُ \* فَيَجْعَلُ نَارَ الْبَرْقِ مَاءً مُفَجَّرَا  
١٥ كَأَنَّ بِهِ رُودَ الشَّبَابِ خَرِيدَةً \* قَدْ اتَّخَذْتُ ثَنِي السَّحَابَةِ مِعْجَرَا  
فَنَغْرُ يُرِينَا مِنْ بَعِيدٍ تَبَلْجًا \* وَدَمْعٌ يُرِينَا مِنْ بَعِيدٍ تَحَدَّرَا

وقال مؤيد الدين الطغراني :

٢٠ سَارِيَةٌ ذَاتُ عُبُوسٍ بَرِّقُهَا \* يَضْحَكُ وَالْأَجْفَانُ مِنْهَا تَهْمَلُ  
حُكْلَةٌ دَكَّاءٌ فِي حَاشِيَةِ \* فِيهَا طِرَازٌ مُذْهَبٌ مُسَلْسَلُ  
إِذَا دَنَتْ عِشَارُهَا صَاحَ بِهَا \* قَاصِفٌ رَعْدٌ وَحَدَّثَهَا الشَّمَالُ

وقال عبد الله بن المعتز:

وَمُرْنِيَّةٌ جَادٌ مِنْ أَجْفَانِهَا الْمَطَرُ \* فَالرُّوْضُ مَنِيظٌ وَالْقَطْرُ مَسْتَرٌ  
تَرَى مَوَاقِعَهُ فِي الْأَرْضِ لِأَنْحَةٍ \* مِثْلَ الدَّرَاهِمِ تَبْدُوهُمْ تَسْمَتِرُ

وقال أيضا:

مَا تَرَى نِعْمَةَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ \* ضِيقٌ وَشُكْرُ الرِّيَاضِ لِلْأَمْطَارِ؟  
وَكَأَنَّ الرِّبِيْعَ يَحْمِلُو عَرُوسًا \* وَكَأَنَّ مِنَ قَطْرِهِ فِي نِشَارِ

وقال ابن عوف الكاتب في إطباق الغيم وقربه:

فِي مُرْنِيَّةٍ أَطْبَقَتْ فَكَادَتْ \* تُصَاغُ الثَّرَبَ بِالْعَمَامِ

وقال آخر:

تَبَسَّمَتِ الرِّيحُ رِيحُ الْجَنُودِ \* بِ فِيهَا هَوَى غَالِبًا وَأَدَّكَارَا  
وَسَاقَتْ سَحَابًا كَمَنْبَلِ الْجِبَالِ \* إِذَا الْبَرْقُ أَوْمَضَ فِيهِ أَنَارَا  
إِذَا الرَّعْدُ جَلَجَلَ فِي جَانِبِي \* مَهْ رَوَى النَّبَاتَ وَأَرَوَى الصَّحَارَى  
تَطَايَعْنَا الشَّمْسُ مِنْ دُونِهِ \* طِلَاعَ فَنَاءٍ تَخَافُ اشْتِهَارَا  
تَخَافُ الرِّقِيبَ عَلَى نَفْسِهَا \* وَتَحَدَّرُ مِنْ زَوْجِهَا أَنْ يَغَارَا  
فَنَسَتْ غُرَّتَهَا بِالنِّمَامَا \* رِطَورًا وَطَورًا تُرِيْلُ النِّمَارَا  
فَلَمَّا رَأَتْهُ هُبُوبُ الْجَنُودِ \* بِ وَأَنْهَمَرَ الْمَاءُ فِيهِ أَنْهَامَارَا  
تَبَسَّمَتِ الْأَرْضُ لَمَّا بَكَتْ \* عَلَيْهَا السَّمَاءُ دُمُوعًا غِزَارَا

وقال الأسعد بن بليلة من شعراء الذخيرة:

لَوْ كُنْتُ شَاهِدَنَا عَشِيَّةَ أَمْسِنَا \* وَالْمُزْنَ تَبَكِّينَا بَعْنَى مُدْنِي  
وَالشَّمْسُ قَدْ مَدَّتْ أَدِيمَ شِعَاعِهَا \* فِي الْأَرْضِ تَجَنُّحُ غَيْرَانَ لَمْ تَذْهَبِ  
خَلَّتِ الرِّذَاذَ بُرَادَةً مِنْ فِضَّةٍ \* قَدْ غُرِبَتْ مِنْ فَوْقِ نِطْعِ مُدْهَبِ

وقال أبو عبد الله محمد بن الحياط من شعرائها :

رَاحَتْ بُدَّكَرٌ بِالنَّسِيمِ الرَّاحَا • وَطَفَاءُ تَكْسِيرِ الْجُنُوجِ جَنَاحَا  
أَخْفَى مَسَالِكَهَا الظَّلامُ فَأَوْقَدَتْ • مِنْ بَرَقِهَا كِي تَهْتَدِي مِصْبَاحَا  
وَكأنَّ صَوْتِ الرَّعْدِ خَلْفَ سَمْعِهَا • حَادٍ إِذَا وَنَتْ السَّحَابُ صَاحَا  
جَادَتْ عَلَى التَّلْعَاتِ فَأَكْتَسَتِ الرِّبَا • حُلَلًا أَقَامَ لَهَا الرَّبِيعُ وَشَاحَا

وقال ابن برد الأصغر الأندلسي من شعرائها :

وَمَا زِلْتُ أَحْسَبُ فِيهِ السَّحَابَ • وَنَارُ بَوَارِقِهَا تَلْتَهَبُ  
بَحَائِي تُوضِعُ فِي سَيْرِهَا • وَقَدْ قُرِعَتْ بِسِيَاطِ الذَّهَبِ

### ومما ورد في وصفها نثرا

§ قال بعض الأندلسيين من رسالة :

ثم أرسل الله الرياح من كوائنها، وأخرجها من خزائنها، فجرت ذبولها، وأجرت  
خيولها؛ خافقة بنودها، متلاحقة جنودها؛ فأثارت الغمام، وقادته بغير زمام؛  
وأنشأت بحرية من السحاب، ذات أتراب وأصحاب؛ كثيرا عددها، غزيرا مددها،  
فبشرت بالقطر كل شائم، وأنذرت بالورد كل حائم، والريح تنثها، والبرق يحثها،  
كأنه قضيب من ذهب، أو لسان من لهب؛ وللسحاب من ضوء البرق هاد، ومن  
صوت الرعد حاد؛ والريح توسع بأحمتها سداها، وتُسرع في حياكتها يداها. فلما  
التحم فتقها، والتأم رتقها؛ وامتدت أشطانها، واتسعت أعطانها؛ وانفسحت  
أجنابها، وانسدلت أطنابها؛ وتهتل تحملها، وتمخض حملها؛ ومدت على آفاق  
السماء نطاقها، وزرت على أعناق الجبال أطواقها، كأنها بناء على الجوق مقبوع،  
أو طبق على الأرض مكبوع؛ تمشي من الثقل هونا، وتستدعي من الريح عونا؛

ومخايلها تقوى ، وعارضها أحوى . فلما أذن الله لها بالآنحدار، وأنزل منه الودق بمقدار ، أرسلت الريح خيوط القطر من رُود السحاب ، وأسبلتها إسبال الذوائب . فدرت من خليف مضرور، وثرت طللها نثر الدرور . ثم انخرق جيئها ، وانبتق سبيها ، وصار الخيط حبالا ، والطلُّ وبلا . فالسحاب يتعلق ، والبرق يتألق ؛ والرعد يرتجس ، والقطر ينبجس ؛ والنقط تترامى طباقا ، وتبارى اتساقا ؛ فيردف السابق المصلي ، ويتصل التابع بالمولي ؛ كما يقع من المنخل البر، وينثر من النظام الدر؛ بغيوب السماء تُسقطه ، وأكف الغدران تلتقطه ؛ والأرض قد فتحت أفواها ، وجرعت أمواها ، حتى أخذت ربيها من المطر، وبلغت منه غاية الوطر، خفي من الرعد تسبيحه ، وطفتت من البرق مصايحه ، وحسرت السماء نقابها ، وولت المطر أعقابها ؛ وحكت في ردها طلق السابق ، وهرب الآبق .

§ ومن رسالة محمد بن شرف القيرواني :

برئ عليل البرى ، وأثرى فقير الثرى ، وتاريخ ذلك انصرام ناخر، وقد بلغت القلوب الحناجر، مجازةً احمرت لها خضرة السماء، واغبرت مرآة الماء، حتى انهل طالع وشمى ، وتلاه تابع ولي ، دنا فأسف ، ووكتف فما كفف . فما فتى مسكوبا قطره ، محجوبا شمسه وبدره ، وجلت عروس الشمس ، معتذرة عن مغيبها بالأمس . فعندها مُزق عن الدعاء صخيخ إهابها ، واخترن دُر البر في أصداف ترابها . فما مرت أيام إلا والقيعان مستدسة ، والآكام مطوسة .

§ ومن رسالة لأبي القاسم ، محمد بن عبد الله بن أبي الجحد في وصف مطر

بعد حط :

(١) رجب أو صفر . وكل شهر من شهر الصيف (فاموس) .

قال : لله تعالى في عباده أسرار، لا تُدرِكها الأفكار، وأحكام، لا تسألها الأوهام .  
تختلف العدل مُتَّفِق، وتفترق والفضل مجتمع مُتَّسق . ففي مَنَحها نفائس المأمول،  
وفي مَحْنها مَدَاوس العقول . وفي أثناء فوائدها حدائق الإِنعام رائقة، وبين أرجاء سرائرها  
بوارق الإِعذار والإِنذار خافقة . وربما تفتحت كجاثم النوايب، عن زَهرات المواهب .  
وانسكبت غمائم الرزايا، بنفحات العطايا . وصدع ليل اليأس صبحُ الرجاء ، وخلع  
عامل البأس وإلى الرخاء . ذلك تقدير اللطيف الخبير، وتدير العزيز القدير .

ولما ساءت بتبطل الغيث الظنون، وانقبض من تبسط الشك اليقين، واسترابت  
حياض الوهاد، بعهود العهاد، وتأهبت رياض النَّجاد ، لبرود الحداد ، واكتحلت  
أجفان الأزهار، بإمد النقع المُنثار، وتعطلت أجياد الأنوار، من حُلَى الديمة المِدرار،  
أرسل الله بين يدي رحمة ريحا بلبلة الجَناح ، مُجِيلة النَّجاح ، سريعة الإِلقاح . فنظمت  
عقود السحاب ، نظم السَّحاب ، وأحكمت برود الغمام ، رائقة الأعلام . وحين ضربت  
تلك المِخيلةُ في الأفق قِبابها ، ومدت على الأرض أطنائها ، لم تلبث أن انهتكَ رواقها  
وانبتكَ وشيكا نطاقها ، وانبرت مدامعها تبكي بأجفان المُشتاق ، غداة الفراق ، وتحكي  
بنان الكرام ، عند أريجِة المِدام ، فاستغربت الرياض ضحكا يبسكائها ، واهترُرقات  
النبات طر بالغريرد مَكائها ، واكتست ظهور الأرض من بيض إنائها ، خُضِر مَلائها .  
فكأن صنعاء قد نثرت على بسطها بساطا مُفَوفاً ، وأهدت إليها من زخارف بزها  
ومطارف وشيا الطافا وتحافا . وخيل للعيون أن زواهر النجوم ، قد طلعت من مواقع  
التُخوم ، ومباسم الحسان ، قد وصلت باقترار الغيطان . فيا برد موقِعها على القلوب  
والأبجاد ! ويا خلوص ريبها إلى غلَل النفوس الصَّواد ! كأنما استعارت أنفاس  
الأحباب ، أو ترشفت شَبب الثنايا العذاب ، أو تحملت ماء الوصال ، إلى نار البلبال .

(١) جمع مَدَاوس ، أى مصافل العقول .

أوسرت على أنداء الأستحار وريحان الآصال . لقد تبين للصنع الجليل ، من خلال  
ديمها تنفس ونصول ، وتمكّن للشكر الجميل ، من ظلال نعمها معزز ومقيل .  
فالحمد لله على ذلك ما انسكب قطر ، وانصدع فجر ، وتوقد قَبَس ، وتردد نَفَس ؛  
وهو الكفيل تعالى بإتمام النعمى ، وصلة أسباب الحياة والحيا بعزته !

§ وقال الوزير أبو عمرو الباجي في مثل ذلك :

إن لله تعالى قضايا واقعة بالعدل ، وعطايا جامعة للفضل ؛ ونعما يسطها اذا شاء  
إنعاما وترفيها ، ويقبضها متى أراد إلهاما وتنبها ؛ ويجعلها لقوم صلاحا وخيرا ،  
ولآخرين فسادا وضيرا . ( وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ  
وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ) . وإنه كان من امتسك السقيا ، وتوقف الحيا ؛ ما ربيع به  
الآمن ، واستطير له الساكن ؛ ورجفت الأيجاد فزعا ، وذهل الأبواب جزعا ؛  
وأذكت ذكاء حرها ، ومنعت السماء دزها ؛ واكتست الأرض غيرة بعد خضرة ،  
ولبست شحوبا بعد نضرة ؛ وكادت برود الرياض تطوى ، ومدود نعم الله تزوى ؛  
ثم نشر الله تعالى رحمته ، وبسط نعمته ، وأتاح ميثه ، وأزاح محته . فبعث الرياح  
لواقح ، وأرسل الغمام سوافح ؛ بماء يتدقق ، ورواء غدق ، من سماء طبق . استهل جفنها  
فدمع ، وسمح دمعها فهمع ، وصاب وبلها فنقع . فاستوفت الأرض ربا ، واستكلت  
من نباتها أنانا وريا ؛ فزينة الأرض مشهورة ، وحلة الزهر منشورة ، ومينة الرب  
موفورة ؛ والقلوب ناعمة بعد بوسها ، والوجوه ضاحكة إثر عبوسها ؛ وآثار الجزع  
محموة ، وسور الشكر متلوة ؛ ونحن نستريد الواهب نعمة التوفيق ، ونستهديه في قضاء  
الحقوق الى سواء الطريق ؛ ونستعيد به من المنة أن تعود فتنة ! والمنحة أن تصير  
محنة ! والحمد لله رب العالمين !

## ٩ - ذكر شيء مما وصف به الثلج والبرد

قال أبو الفتح كشاجم :

الثلج يسقط أم بلجين يسبك \* أم ذا حصى الكاور ظل يفرك  
 راحت به الأرض الفضاء كأنها \* في كل ناحية بثغر تضحك  
 شابت ذوائبها فبين ضحكها \* طرباً وعهدى بالمشيب ينسك  
 وتردت الأشجار منه ملاءة \* عمّا قليل بالرياح تهتك

وقال أيضا :

ثلج وشمس وصوب غادية \* فالأرض من كل جانب غره  
 باتت وقيعانها زبرجدة \* فأصبحت قد تحولت دزه  
 كأنها والثلوج تضحكها \* تُعار من أحبه ثغره  
 شابت فسرت بذلك وابتجت \* وكان عهدى بالشيب يستكره

وقال الصاحب بن عباد :

أقبل الثلج في غلائل نور \* تنهادى بلؤلؤ منشور  
 فكان السماء صاهرت الأزر \* ض فصار النثار من كأفور

وقال النمرى :

أهدى لنا برداً يلوح كأنه \* في الجوحب لآلي لم يتقّب  
 أو تفر حواء اللثات تبسمت \* عن واضح مثل الأفاحى أشنّب

## الباب الثاني

## من القسم الثاني من الفن الأول

في النيازك، والصواعق، والرعد، والبرق، وقوس قزح

(١) فأما النيازك، فهو ما يرى من الذوايب المتصلة بالشهب والكواكب.

روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال لجماعة من الأنصار: "ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به" قالوا: يا رسول الله، كنا نقول إذا رأيناها يرمى بها: مات ملك، ولد مولود. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ليس ذلك كذلك ولكن الله تعالى كان إذا قضى في خلقه أمرا سمعه الملائكة فيسبحون فيسبح من تحمهم لتسبيحهم فيسبح من تحت أولئك حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيسبحون ثم يقولون ألا تسألون من فوقكم ثم يسبحون فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا للأمر الذي كان فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيتحدثون به فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاف ثم يأتون به الكهَّانَ فيصيبون بعضا ويُخطئون بعضا ثم إن الله تعالى حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقدِّفون بها فانقطعت الكهَّانة فلا كهَّانة اليوم".

والشهب التي يُقذف بها الشياطين غير النجوم الثوابت التي منها البروج والمنازل لقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾.

وقال بعض الشعراء:

وَكُوكِبٍ نَظَرَ العُفْرِيَّتِ مُسْتَرَقًّا \* لِلسَّمْعِ فَانْقَضَ يُدْكَى إِثْرُهُ لَهَبِهِ

كفارسٍ حلَّ من تبيهِ عمامته \* وجرَّها كُلُّها من خلفه عَدْبِهِ

وكتب ابن الحرون الى صديق له ، وقد كثر انقضاض الكواكب ، وذلك في أيام  
المتوكل على الله :

أما بعد ، فإن الفلك قد تفرى عن شهب ثواقب ، كثيران الحباحب ، متقده  
كشعر الزنود ، وشعل زبر الحديد ، مازجها عرض حمرة البهرمان ، وصفرة العقيان<sup>(١)</sup> .  
فهى كارسال جراد منتشر ، وهشيم ذرته ريج صرصر ، فى سرعة الكف ، ووحى  
لحظ الطرف .

(ب) وأما الصواعق ، فهى ماقاله الزمخشري فى تفسيره : الصاعقة قصفة  
من رعد ينقض معها شقة من نار .

وقالوا : إنها تنفدح من السحاب اذا أصطكت أجرامه . وهى نار لطيفة جديدة  
لا تتربشئ إلا أنت عليه ، إلا أنها مع حدتها سريعة التمود . على أنها متى سقطت  
على نخلة أحرقت عاليها .

وقال صاحب كتاب "مناهج الفكر ومباهج العبر" فى كتابه :

ومن عجيب شأنها أنها تحرق ما فى الكيس ، ولا تحرق الكيس ، وإن احترق  
فإنما يحترق باحترق ما ذاب فيه وسال . قال : وهى اذا سقطت على جبل أو حجر  
كلسته ونفدته ، واذا سقطت فى بحر غاصت فيه وأحرقت ما لاقت من جوانبه .  
وربما عرض لها عند انطفائها فى الأرض برد ويس ، فتكون منها أجرام حجرية .  
أو حديدية ، أو نحاسية . وربما طبعت الحديد سيوفا لا يقوم لها شئ .

(ج) وأما الرعد وما قيل فيه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَيَسْبَحُ  
الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ . قال المفسرون : الرعد ملك موكل بالسحاب ، معه كرم من حديد ،

(١) العقيان : الذهب .

يسوقه من بلد الى بلد كما يسوق الراعي إبله . فكلمنا خالف سحاب ، صاح به فزجره .  
فالذي يُسَمَع هو صوت المَلَك .

وقال الزمخشري في تفسيره : الرعد الذي يسمع من السحاب ، كأن أجرام السحاب  
تضطرب وتتنفض اذا حادت بها الريح فنصوت عند ذلك .  
وأما صوت الرعد ، تقول العرب : رَعَدَت السماء .  
فإذا ازداد صوتها ، قيل : ارْتَجَسَتْ .  
فإذا زاد ، قيل : أَرْزَمَتْ ، وَقَعَعَتْ<sup>(١)</sup> .  
فإذا بلغت النهاية ، قيل ، جَلَجَلَتْ ، وَهَدَّهَدَتْ .

### المثل :

رُبَّ صَافٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ . (البخيل المتكبر) . ١٠

( د ) وأما البرق وما قيل فيه ، فقد ذهب المفسرون لقول الله تعالى  
الى أنه ضَرْبُ المَلَك الذي هو الرعد للسحاب يُخْرِاقُ من حديد . وروى عن مجاهد :  
ان الله عز وجل وكل بالسحاب مَلَكًا . فالرعد قَعَقَعَةٌ صوته ، والبرق سَوَطُهُ<sup>(٢)</sup> .

### وأما ترتيبه في لمعانه

تقول العرب اذا برق كأنه يتبسم ، وذلك بقدر ما يريك سواد الغيم من بياضه :  
أُنْكَلَّ أَنْكَلًا . ١٥

(١) عبارة فقه اللغة : (فإذا زاد ، قيل : أَرْزَمَتْ ، ودوت . فإذا زاد واشتد ، قيل : قصفت ،  
وقععت . فإذا بلغ النهاية الخ) ا .

(٢) في الأصل نغمة : . وهو محرف عن قعقة بالقاف كما يقتضيه السياق .

(٣) في الأصل صوته . وهو محرف عن سوطه وهو مخراق الحديد الذي ذكر في السطر الذي قبله . ٢٠

فإذا بدا من السماء برقٌ يسير، قيل : أوشمت السماء . ومنه قيل : أوشم النبئُ  
إذا أبصرت أوله .

فإذا برق برقاً ضعيفاً، قيل : خفا .

فإذا لمع لمعاً خفيفاً، قيل : لمح، وأومض .

فإذا تشقق، قيل : انعقَّ انعقاداً .

فإذا ملاء السماء وتكشفت واضطرب، قيل : تبوج .

فإذا كثرت وتابع، قيل : ارتعج .

فإذا لمع وأطمع ثم عدل، قيل له : حُلب .

### المثل :

”ليس في البرق اللامع مستمتع“ .

### ذكر ما قيل في وصف الرعد والبرق

قال أبو هلال العسكري، عفا الله عنه :

والرعدُ في أرجائه مُترنمٌ • والبرقُ في حافاته متلهبٌ

كالبلقِ ترخ والصوارمُ تنضى • والحوّ يبسمُ والأنامل تحسبُ

وقال آخر :

إذا وَّنتِ السُّحُبُ الثَّقَالُ وحَّتها • من الرعدِ حادٍ ليس يبصرُ أكمةً

أحاديثه مُستَهْوِلَاتٌ وصَوْتُهُ • إذا انخفضت أصواتهن مقهقهةً

إذا صاح في آثارهن حَسْبَتُهُ • يجاوبه من خلفه صاحبٌ له

وقال ابن الدقاق الأندلسي :

أرى بارقا بالأبلاق الفرد يومض \* يذهب أكاف الدجى ويفضض  
كأن سلمي من أعاليه أشرفت \* تمد لنا كفا خضيبا وتقضب

وقال ابراهيم بن خفاجة الأندلسي :

ويوم جرى برقه أشقرا \* يطارد من منزله أشمها  
ترى الأرض فيه وقد فضضت \* ووجه السماء وقد ذهب

وقال أحمد بن عبد العزيز القرطبي ، شاعر الذخيرة :

ولما تجلى الليل والبرق لايع \* كما سل زنجي حساما من التبر  
ويت سيمير النجم وهو كأنه \* على معصم الدنيا جبار من دُر

وقال محمد بن عاصم ، شاعر الخريدة عفا الله عنه :

أضياء بوادي الأثل والليل مظلم \* بريق كحد السيف صرجه الدم  
إذا البرق أجرى طرفه فصهيله \* إذا ما تفرى رعد الموترم  
فشبهته إذ لاح في غسق الدجى \* بأسنان زنجي بدت تتبسم

وقال أيضا :

والبرق يضحك كالخبيب وعنده \* رعد يحشن كالرقيب مقاله

وقال آخر :

أرقت لبرق غدا موهنا \* خفي كغمزك بالحاجب  
كأن تألقه في السما \* يدا كاتب أويدا حاسب

وقال عبد الله بن المعتز ، يشير الى سخابة :

رأيت فيها برقها منذ بدت \* كمثل طرف العين أو قلب يجب<sup>(١)</sup>  
ثم حدث بها الصبا حتى بدا \* فيها الى البرق كأمثال الشهب

(١) يجب مضارع وجب القلب : خفق ورجف

تَحَسَّبُهُ فِيهَا إِذَا مَا انْصَدَعَتْ \* أَحْشَاؤُهَا عَنْهُ شُجَاعًا يَضْطَرِبُ  
وَتَارَةً تُبْصِرُهُ كَأَنَّهُ \* أَبْلَقُ مَالٍ جُلَّهُ حِينَ وَثَبُ  
حَتَّى إِذَا مَا رَفَعَ الْيَوْمُ الضُّحَى \* حَسِبْتَهُ سَلَسَلًا مِنَ الذَّهَبِ

قوله شجاعا يضطرب مأخوذ من قول دعبل :

أَرِقْتُ لِبَرْقِ آخِرِ اللَّيْلِ مُنْصَبٍ \* خَفِيَ كِبَطْنِ الْحَيَّةِ الْمُتَقَلِّبِ

وقال أيضا :

مَازَلْتُ أَكَلًّا بَرَقًا فِي جَوَانِيهِ \* كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ تَحْبُو ثُمَّ تَحْتَطِفُ  
بَرَقٌ تَجَاسَّرَ مِنْ حَقَّانٍ لَا مَعَهُ \* يَقْضِي اللَّبَانَةَ مِنْ قَلْبِي وَيَنْصِرِفُ

(هـ) وأما قوس قزح وما قيل فيه . قالوا : وإنما سمي بذلك لتلونه .

- ١٠ وكان ابن عباس (رضي الله عنهما) يكره أن يسميه قوس قزح، ويسميه قوس  
الله، ويقول : قزح اسم الشيطان .

وزعم القدماء في علته تلونه وتكوّنه ، أنه إذا تكاثف جزء من الهواء بالبرد ثم أشرق  
عليه نور بعض الكواكب أنصبغ ذلك الجزء، وأنعطف منه الضوء إلى ما يليه من  
الهواء، كالحمرة الصافية إذا طلعت عليها الشمس سطع نورها، وأنعطف منه ألوان  
مختلفة إلى ما يقرب منها . وحمرة وصفرتها من قبل الرطوبة واليبس .

١٥

قالوا : وقياس ذلك النار، فإنها إذا كانت من حطب رطب، كان لونها أحمر  
كدرًا، فإن كانت من حطب يابس، كان لونها أصفر صافيا .

وقال آخرون : القوس يحدث عن رطوبة الهواء وصقالته، حتى يمكن أن ترسم  
فيه دائرة الشمس كما ترسم الأشباح في المرآيا، وتشتبك الأشعة بما يكون فيه البخار  
الرطب فيتولد، فيكون منها تلك الألوان . وإنما توجد دائرة على الناظر، لأن الشمس

٢٠

أبدا تكون في قفاها، ولذلك تُرى في مقابلة الجهة التي تكون فيها الشمس، فُترى في المغرب إذا كانت الشمس في المشرق، وتُرى في المشرق إذا كانت في المغرب .  
 وزعم بعض القدماء أن أثر القوس غير حقيقي، وإنما هو تخيل لا وجود له في نفسه . وقال : إن إدراكه على نحو إدراك صورة الإنسان في المرآة من غير أن تكون منطبعة على الحقيقة فيها ولا قائمة بها . وذلك بحسب غلظ الحس الباصر، وهو لا يرى إلا أن يكون وراء السحاب الصقيل، إذ ذلك يكون كالمِرآة مؤديا للبصر على نحو تأدية البُلُور، إذا جعل وراءه شيء غير مُشَفِّف . ولا يكون ذلك عن السحاب الصقيل وحده، كما لا يكون عن البُلُور وحده، ولا عن غير المُشَفِّف وحده . والله أعلم .

### ذكر ما قيل في وصفه وتشبيهه

قال أبو الفرج الوأواء، عفا الله تعالى عنه ورحمه :

٢٥

سَقِيًّا لِيَوْمِ بَدَا قَوْسُ الْغَمَامِ بِهِ \* وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ وَالْبَرْقُ خَلَّاسُ  
 كَانَ قَوْسُ رَامٍ وَالْبَرْقُ لَهُ \* رَشَقُ السَّهَامِ وَعَيْنُ الشَّمْسِ بُرْجَاسُ

وقال سعيد بن حميد القيرواني، رحمة الله عليه :

أما ترى القوس في الغمام وقد \* تَمَّقَ فِيهِ الْهَوَاءُ نُورًا  
 حَكَى الطَّوَاوِيسَ وَهِيَ جَاعِلَةٌ \* أَذْنَابَهَا لِيَلِيَاهِ أَسْتَارًا  
 أَخْضَرُ فِي أَحْمَرٍ عَلَى يَقَقِي \* عَلَى وَشَاحِ السَّحَابِ قَدْ دَارَا  
 كَأَنَّمَا الْمُزْنُ وَهِيَ رَاهِبَةٌ \* شَدَّتْ عَلَى الْأَفْقِ مِنْهُ زَنَارَا

وقال ظاهر الدين الحريري، شاعر الخريدة عفا الله عنه :

أَلَسْتَ تَرَى الْجَوْ مُسْتَعِيرًا \* يُضَاحِكُهُ بَرْقُهُ الْخَلْبُ

وقد بَاتَ من قُرْجِ قَوْسُهُ \* بَعِيدًا وَتَحَسَّبَهُ يَقْرُبُ  
كَطَاقٍ عَقِيْقٍ وَفَيْرُوزِجٍ \* وَبَيْنَهُمَا آخِرٌ مُذْهَبٌ

وقال سيف الدولة بن حمدان من أبيات :

وقد نَشَرَتْ أَيْدِي الْجَنُوبِ مَطَارِقًا \* عَلَى الْجَوْدِ كَمَا وَالْحَوَاشِي عَلَى الْأَرْضِ  
يُطَرِّزُهَا قَوْسُ السَّحَابِ بِأَصْفِيرٍ \* عَلَى أَحْمَرٍ فِي أَخْضَرٍ وَسَطٌ مُبَيِّضٌ  
كَأَذْيَالِ خَوْدِ أَقْبَلَتْ فِي غَلَائِلٍ \* مُصْبَغَةٌ وَبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ

وقال عبد المحسن الصوري، عفا الله تعالى عنه :

تَأْمَلِ الْجَوَّ تَرَى وَالْيَا \* قَدْ ولى الْعَهْدَ عَلَى السُّحْبِ  
سَارَ وَقَوْسُ اللَّهِ تَأَجَّ لَهُ \* رَكْبًا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ

### الباب الثالث

#### من القسم الثاني من الفن الأول

##### ١ - في أسطقس الهواء <sup>(١)</sup>

رُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : "الريح من رُوح الله تعالى  
تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فلا تسبوا وأسألوا الله خيرها وأستعيذوا بالله من  
شرها" . أخرجه البيهقي في سننه .

وروي أبو الفرج بن الجوزي بإسناده : أن الريح تنقسم إلى قسمين : رحمة  
وعذاب ، وينقسم كل قسم إلى أربعة أقسام . ولكل قسم اسم . فاسماء أقسام قسم

(١) كلمة معربة عن اليونانية معناها : العنصر .

الرحمة : المبهثرات ، والنشتر ، والمرسلات ، والرشاء . وأسماء أقسام قسم العذاب :  
العاصف ، والقاصف ( وهما في البحر ) ، والعقيم ، والصرصر ( وهما في البر ) .  
وقد جاء القرآن بكل هذه الأسماء .

## ٢ - ذكر ما قيل في حدّ الهواء

قال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في حده : الهواء جرم بسيط ، طباعه أن  
يكون حازا رطبا مشفا متحركا إلى المكان الذي تحت كرة النار التي فوق كرة  
الأرض والماء .

وقال إبقراط : إن تغير حالات الهواء هو الذي يغير حالات الناس ، مرة إلى  
الغضب ، ومرة إلى السكون ، وإلى الهم والسرور ، وغير ذلك . وإذا آستوت حالات  
الهواء ، آستوت حالات الناس وأخلاقهم .

وقال : إن قوى النفوس تابعة لأمزجة الأبدان ، وأمزجة الأبدان تابعة لتصرف  
الهواء ، إذا برد مرة ، وبتخن مرة ، نخرج مرة الزرع نضيجا ، ومرة غير نضيج ، ومرة  
قليل ، ومرة كثيرا ، ومرة حازا ، ومرة باردا ، فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم . وإذا  
آستوى وأعتدل الهواء ، نخرج الزرع معتدلا ، فاعتدلت بذلك الصور والمزاجات .  
قال : والعلّة في تشابه الترك ، هو أنه لما آستوى هواء بلادهم في البرد آستوت  
صورهم وتشابهوا .

وقال : إن الرياح تقلب الحيوان حالا إلى حال ، وتصرفه من حر إلى برد ، ومن  
يبس إلى رطوبة ، ومن سرور إلى حزن ، وإنها تغير ما في البيوت من أصناف المآكل  
كالتمر ، والعسل ، والسمن ، والشراب ، فتسخنها مرة ، وتبردها أخرى ، وتصلبها مرة ،

وتيسرها مرة . وعلّة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها ، وإذا تغير الهواء تغير بتغيره كل شيء .

٣٦

وقال : إن الجنوب إذا هبت ، أذابت الهواء وبردته ، وسخنت البحار والأنهار . فكل شيء في رطوبة تغير لونه وحالاته . وهي ترخي الأبدان والعصب ، وتورث الكسل ، وتحدث ثقلا في الأسماع ، وغشاوة في الأبصار . وأما الشمال فإنها تصلب الأبدان ، وتصحح الأدمغة ، وتحسن اللون ، وتصفي الخواس ، وتقوى الشهوة والحركة ، غير أنها تهيج السعال ، ووجع الصدر .

وزعم بعض من تأخر في الإسلام من الحكماء : أن الجنوب إذا هبت بأرض العراق تغير الورد ، وتناثر الورق ، وتسقق القنبيط ، وسخن الماء ، وأسترخت الأبدان ، وتكثرت الهواء .

وزعم آخرون من القدماء : أن الهواء جسم رقيق متى تموج من المشرق إلى المغرب سمي ريح الصبا .

قيل : سميت ريح الصبا ، لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها . والصبوة : الميل . وجاء في بعض الآثار : ما بعث نبي إلا والصبا معه ، وهي الرياح التي سُخِّرَتْ لسليمان ( عليه السلام ) غدوها شهر ، أي من أول النهار إلى الزوال ، ورواحها شهر ، أي من الزوال إلى المغرب . كان يغدو من تدمر من بلاد الشام فيقيل في إصطخر من بلاد فارس ، ويبيت بكابل من بلاد الهند .

وعن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) أنه قال : " نُصِرْتُ بالصبا وأهلكت عاد بالديور " .

وإذا تموج من الجنوب إلى الشمال سمي ريح الجنوب ، وهي الرياح التي أهلك الله عز وجل بها عاداً .

- وسياتى ذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى الفن الخامس من كتابنا هذا .  
 وإذا تموج من الشمال إلى الجنوب سمي ریح الشمال .  
 وهم يزعمون أن مبادئ الرياح شمالية أخذت إلى الجنوب، وغربية أخذت  
 إلى المشرق للطف الهواء فى هاتين الجهتين .  
 ٥ والعرب تُحبُّ الصَّبَا لرقتها، ولأنها تجيء بالسحاب . والمطرُ فيها والخِصْبُ .  
 وهى عندهم اليمانية .

### ٣ - ذكر أسماء الرياح اللغوية

- قال الثعالبي فى فقه اللغة :  
 إذا وقعت الریح بين ريحين، فهى النَّجْأُ .  
 فإذا وقعت بين الجنوب والصَّبَا، فهى الحُرْبِيَاءُ .  
 ١٠ فإذا هبَّت من جهات مختلفة، فهى المتناوِحة .  
 فإذا كانت لينةً، فهى الرِّيدَانَةُ .  
 فإذا جاءت بنفيس ضعيف وروح، فهى النَّسِيمُ .  
 فإذا كان لها حين كحين الإبل، فهى الحُنُونُ .  
 ١٥ فإذا ابتدأت بشدة، فهى العاصف، والسيَّوج .  
 فإذا كانت شديدة ولها زَفْرَفَةٌ وهى الصوت، فهى الزَّفْرَافَةُ .  
 فإذا آسدت حتى تَقْلَع الخيام، فهى الهجُوم .  
 فإذا حركت الأغصان تحريكاً شديداً أو قلعت الأشجار، فهى الزَّعْرَاعُ، والزَّعْرَعَانُ،  
 والزَّعْرَعُ .

(١) عبارة الثعالبي . فإذا ابتدأت بشدة، فهى الناجحة . فإذا كانت شديدة، فهى العاصف الخ .

- فإذا جاءت بالخصباء، فهي الخاصبة .
- فإذا درجت حتى ترى لها ذيلا كالرّسن في الرمل، فهي الدّروج .
- فإذا كانت شديدة المرور، فهي التّووج .
- فإذا كانت سريعة، فهي المّجفل، والخالفة .
- فإذا هبت من الأرض كالعمود نحو السماء، فهي الإعصار .
- فإذا هبت بالعبرة، فهي الهبوة .
- فإذا حملت المور وجرّت الذيل، فهي الهوجاء .
- فإذا كانت باردة، فهي الحرّجف، والصرصر، والعريّة .
- فإذا كان مع بردها ندى، فهي البليل .
- فإذا كانت حازة، فهي الحرور، والسّموم .
- فإذا كانت حازة وأتت من قبل اليمن، فهي الهيف .
- فإذا كانت باردة شديدة تحرق البيوت، فهي الحرّيق<sup>(١)</sup> .
- فإذا ضعفت وجرت فويق الأرض، فهي المسقسقة .
- فإذا لم تلقح شجرا ولم تحمل مطرا، فهي العقيم . (وقد نطق بها القرآن) .

#### ٤ - فصل فيما يذكر منها بلفظ الجمع

- يقال: الرياح الحواشك: المختلفة الشديدة. البوارح: الشمال الحازة في الصيف.  
الأعاصير: التي تهيج بالغبّار. المعصرات: التي تأتي بالأمطار. المبشّرات: التي تهبّ  
بالسحاب والغيث. السّوافي: التي تسفي التراب .

(١) في اللسان أنها الريح الباردة الشديدة الهبوب كأنها تحرقت . أماتوا الفاعل بها .

٥ - ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الهواء

يقال :

أخف من نسيم . أسرع من الريح . ريجهما جنوب (يضرب للتصافين) . هو ساكن الريح (إذا كان حليا) . قد هبت ريجه (إذا قامت دونه) .

ومن أنصاف الأبيات .

\* إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا \* \* وبعض القبول يذهب بالرياح \*  
\* تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن \* \* لو كنت ريحا كانت الدبورا \*

ومن الأبيات :

إذا هبت رياحك فأغنمها \* فإن لكل خافقة سُكُونُ

وقال آخر :

وكل ريح لها هبوب \* يوما فلا بد من رُكُود

وقال آخر :

والريح ترجع عاصفا \* من بعد ما آبتدأت نسيما

وقال أبو تمام ، عفا الله عنه :

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت \* عيدان تجيد ولم يعبان بالريم

وقال ابن الرومي ، رحمة الله عليه :

لا تُطْفِئَنَّ جَوَى بَلْوَمِ إِنْهُ \* كالريح تُغْرِى النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ

٦ - ذكر ما جاء في وصف الهواء وتشبيهه

قال عبد الله بن المعتز ، رحمة الله عليه :

ونسيم يبشر الأرض بالقطر \* كذبل الغلالة المبلول

ووجوه البلاد تنتظر الغيث \* أنتظار المحب رد الرسول

وقال ابن الرومي :

حَيْتَكَ عَنَّا شَمَّالٌ طَافَ طَائِفُهَا \* تَحِيَّةٌ بَجَرَتْ رَوْحًا وَرِيحَانَا  
هَبَّتْ سُحَيْرًا فَنَاجَى الْغُصْنُ صَاحِبَهُ \* سِرًّا بِهَا وَتَنَادَى الطَّيْرُ إِعْلَانَا  
وُزُقٌ تُغْنِي عَلَى خُضِرٍ مُهْدَلَةٌ \* تَسْمُو بِهَا وَتَسْمُ الْأَرْضُ أَحْيَانَا  
يُحَالُ طَائِرُهَا تَشْوَانٌ مِنْ طَرِبٍ \* وَالْغُصْنُ مِنْ هَزَّةٍ عِظْفِيهِ تَشْوَانَا

وقال أيضا :

كَأَنَّ نَسِيمَهَا أَرْجُ الْخُرَامِي \* وَلَاهَا بَعْدَ وَتَمِيَّ وَلِيُّ  
هَدِيَّةٍ شِمَالٍ هَبَّتْ بَلِيلٍ \* لِأَفْنَانِ الْغُصُونِ بِهَا نَيْجِيُّ  
إِذَا أَنْفَاسُهَا نَسَمَتْ سُحَيْرًا \* تَنْفَسُ كَالشَّجِيِّ لَهَا الْخَلِيُّ

وقال آخر :

وَأَنْفَاسٌ كَأَنْفَاسِ الْخُرَامِي \* قُبَيْلَ الصُّبْحِ بَلَّتْهَا السَّمَاءُ  
تَنْفَسَ نَشْرُهَا سَحْرًا بِجَاءَتْ \* بِهِ سَحْرِيَّةُ الْمَسْرَى رُخَاءُ

وقال إسحاق الموصلي :

يَا حَبِّذَا رِيحُ الْجَنُوبِ إِذَا جَرَّتْ \* فِي الصُّبْحِ وَهِيَ ضَعِيفَةُ الْأَنْفَاسِ  
قَدْ حَمَلَتْ بَرْدَ النَّدَى وَتَحَمَّلَتْ \* عَبَقًا مِنَ الْجُنُجَاتِ وَالْبَسْبَاسِ<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>

(١) في الاصل بالاهمال وهو من إهمال الناصح . فقد ورد في مادة (ج ث ث) من لسان العرب :  
« الجنجات شجر أصفر مرطيب الريح تستطيه العرب وتكثر ذكره في أشعارها » . وقال أبو حنيفة  
الدينوري : إنه من احرار الشجر وهو أخضر ينبت بالقيظ له زهرة صفراء كأنها زهرة العريضة طيبة الريح .  
وقال بن اليطار : أول ما رأيته بساحل نيل مصر في أعلاه في صحاريه بمقرية من ضبعة هناك ، تسمى  
شاهور ، وهي على طريق الطرانة . وقال داود في تذكيره : إنه يسمى باليونانية نرديسون .

(٢) في اللسان : « البسباس : نبات طيب الريح » . وهو المعروف عند علماء العرب بالاسم الفارسي  
« الرازابنج » وبهذا الاسم كان يعرف في الاندلس والمغرب ولا يزال معروفه الى اليوم في قطر الجزائر  
واسمه السرياني « برهلينا » ويعرف في مصر والشام باسم « الشمار » ومنه نوع برى ينبت بالقبروان ويسميه  
أهلها « قزاح » .

وقال آخر :

إذا خلا الجوّ من هواء \* فعيثهم غمّة وبؤس  
فهو حياة لكلّ حيّ \* كأن أنفاسه نفوس

وقال ابن سعيد الأندلسي :

الريّح أفود ما يكون لأنّها \* تُبدى خفايا الرّدف والأعْكَان<sup>(١)</sup>  
وتُجِلُّ الأغصانَ بعد علوها \* حتى تُقبِلَ أوجه الغُدران  
وكذلك العُشاقُ يتخذونها \* رُسلًا إلى الأُحباب والأوطان

وقال آخر :

أيا جبليّ نعمان بالله خليّا \* سيبل الصبا يخلص إلى تسيّمها  
أجد بردّها أو تشيف مني حرارة \* على كيدٍ لم يبق إلا صيّمها  
فإن الصبا ريحٌ إذا ما تنفّست \* على كيدٍ حراء قلت هومها

وقال ابن هتيميل اليميني :

هبت لنا سحرا والصبح ملتئم \* واللّيل قد غاب فيه الشيب والهزم  
سقيمة من بنات الشرق أضعفها \* عن قوة السير لما هبت السقم  
فبلغت بلسان الحال قائلة \* ما لم يبلغه يوما إلى فم  
سرا لغانية تسري إلى به \* من النسيم رسول يس يتهم  
أصافح الرياح إجلالا لما حملت \* إلى من ريح بردتها وأستلم

(١) الأعكان واحدة عكنة بالضم ، وهي ما تبقى من لحم البطن سميّا .

## الباب الرابع

## من القسم الثاني من الفن الأول

١ - في أسطقس النار وأسمائها، وعبادها، وبيوت النيران

حكي أصحاب التواريخ في حدوث النار أن آدم عليه السلام لما هبط الى الأرض  
 وحجّ نزل جبل أبي قبيس . فأنزل الله إليه مَرَّخَتَيْنِ من السماء، فحكّ إحداهما بالأخرى  
 فأورّيا نارا . فلهذا سمي الجبل بأبي قبيس .

ويدل على أن النار من الشجر، قوله عز وجل : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ  
 الْأَخْضِرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ .

والعرب تقول: "في كل شجر نار، وأسمجد المرخ والعقار"، لأنهما أسرع اقتداحا.

قال الله عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ .

وقال أصحاب الكلام في الطبائع : إن الله عز وجل جمع في النار الحركة،  
 والحرارة، واليبوسة، واللطافة، والنور . وهي تفعل بكل صورة من هذه الصور  
 خلاف ما تفعل بالأخرى .

فبالحركة تعلق الأجسام، وبالحرارة تسخن، وباليبوسة تجفف، وباللطافة تنفذ،

وبالنور تضيء ما حولها .

(١) أنظر في كتاب الحيوان للملاحظ تفصيلات ومعلومات عن النار . وهي مما يجب الوقوف عليه  
 والاحاطة به من الوجهة العلمية والفلسفية . أما من حيث اللغة والأدب فيراجع ما ورد في كتاب « سرور  
 النفس بمدارك الخواص الخمس » للتيغاشي باختصار صاحب لسان العرب، وهو موجود بالفتوغرافية  
 في « دار الكتب المصرية » ومحل الشاهد هو الباب الثامن من ص ٣٩١ الى ص ٤٢٣

ومنفعة النار تختص بالإنسان دون سائر الحيوان . فلا يحتاج إليها شيء سواه ،  
وليس به عنها غنى في حال من الأحوال .  
ولهذا عظمتها المحجوس<sup>(١)</sup> ، وقالوا : إذ أفردتنا بنفعها ، فنفردها بتعظيمها . على أنهم  
يعظمون جميع ما فيه منفعة على العباد ، فلا يدفنون موتاهم في الأرض ، ولا  
يستنجون في الأنهار .

## ٢ - ذكر أسماء النار

وأحوالها في معالجتها وترتيبها

أما أسماءها ؛ فمنها :

النار ، والصَّلاء ، والسَّكن ، والضَّرمة ، والحرِّق ، والحمدة (وهو صوت ألتهاها) ،  
والخدمة ، والجحيم ، والسَّعير ، والوحي .

وأما تفصيل أحوالها ومعالجتها وترتيبها ، فقد قال الثعالبي في فقه اللغة :

إذا لم يُخرج الزند النار عند القدح ، قيل : كَبَّأَ يَكْبُو .

فإذا صوت ولم يخرج ، قيل : صَلَدَ يَصَلِدُ .

فإذا أخرج النار ، قيل : وَرَى يَرَى .

فإذا ألقى الإنسان عليها ما يحفظها ويُدَكِّمها ، تقول : شَبَعْتَهَا وَأَتَقَبَّتَهَا .

فإذا عالجها لتتهب ، قال : حَصَّأَتْهَا وَأَرْتَتْهَا<sup>(٢)</sup> .

فإذا جعل لها مذهباً تحت القدر ، قال : سَخَّوَتْهَا .

(١) guébrois, mages. عند الفرنسين . والمجوس لفظ مشتق من "وع" و "مع" ومعناه النور

في اللغة الطورانية .

(٢) في فقه الثعالبي : وَأَرَشَتْهَا بِالشَّيْنِ . وعبارة القاموس في مادة (أرش) وتأريش النار تأريشها .

فإذا زاد في إيقادها وإشعالها، قال : أَجْبَتْهَا .

فإذا أَشْتَدَّ تَأَجُّجُهَا، فهي جاحمة<sup>(١)</sup> .

فإذا طَفِئَتْ البتة، فهي هامةٌ .

فإذا صارت رَمَادًا، فهي هابيةٌ .

والله تعالى أعلم .

### ٣ - ذكر عباد النار

وسبب عبادتها وبيوت النيران

§ أقول من عبد النار قابيلُ بن آدم .

وذلك أنه لما قتل أخاه هابيلَ هرب من أبيه إلى اليمن ، بغناه إبليس لعنه

الله، وقال له : إنما قُيِّلَ قُرْبَانِ هَابِيلَ وَأَكَلْتَهُ النَّارُ لِأَنَّهُ كَانَ يَخْدُمُهَا وَيَعْبُدُهَا .

فأنصب أنت أيضا نارا تكون لك ولِعَقِيكَ، فبني بيت نار .

فهو أقول من نصَّب النار وعَبَدَهَا .

§ وأقول من عظمها من ملوك الفرس، جَمَّ . وهو أحد ملوك الفرس الأول،

عظمها ودعا الناس إلى تعظيمها، وقال : إنها تشبه ضوء الشمس والكواكب،

لأن النور عنده أفضل من الظلمة .

§ ثم عُبِدَت النار بالعراق، وأرض فارس، وكرمان، وسجستان، وخراسان،

وطبرستان، والجلال، وأذربيجان، وأران، وفي بلاد الهند، والسند، والصين .

§ ونبي في جميع هذه الأماكن بيوت للنيران، نذرها بعد إن شاء الله تعالى .

(١) عبارة فقه اللغة بعده : (فإذا سكن لها ولم يُطْفَأ حرها فهي خامدة) وبعده فإذا طفت البتة الخ

§ ثم انقطعت عبادة النيران من أكثر هذه الأماكن إلا الهند . فإنهم يعبدونها إلى يومنا هذا وهم طائفة تدعى الإكنواطرية <sup>(١)</sup> . زعموا أن النار أعظم العناصر حرما ، وأوسعها حيزا ، وأعلاها مكانا ، وأشرفها جوهرًا ، وأنورها ضياء وإشراقا ، وألطفها جسما ويكنا ، وأن الاحتياج إليها أكثر من الاحتياج إلى سائر الطبائع ؛ ولا نور في العالم إلا بها ؛ ولا نمو ولا انعقاد إلا بمزجتها .

وعبادتهم لها أن يحفروا أخدودا مربعا في الأرض ويحشوا النار فيه ، ثم لا يدعون طعاما لذيذا ، ولا شرابا لطيفا ، ولا ثوبا فانرا ، ولا عطرا فائحا ، ولا جوهرًا نفيسا إلا طرحوه فيها ، تقربا إليها ، وتبركا بها . وحرموا إلقاء النفوس فيها ، وإحراق الأبدان بها ، خلافا لجماعة أخرى من زهاد الهند .

§ وعلى هذا المذهب أكثر ملوك الهند وعظماؤها . يعظمون النار لجوهرها تعظيما بالغا ، ويقدمونها على الموجودات كلها .

§ ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صاغين ، يستنون منافسهم حتى لا يصل إليها من أنفاسهم نفس صدر عن صدر مجرم . وسنتهم الحث على الأخلاق الحسنة ، والمنع من أضرارها ، وهي الكذب ، والحسد ، والحقد ، والكفاح ، والحرص ، والبغى ، والبطر . فإذا تجرد الإنسان عنها ، تقرب من النار .

(١) أفادنا المترجم الألماني لكتاب الملل والنحل أن هذه الكلمة مأخوذة من "أجنيترا" وهي النار المقدسة (أى التى نتأجج إكراما لاله أجنى) .

## ٤ - وأما بيوت النيران

ومن رسمها من ملوك الفرس

قال المسعودي :

§ أول من حكي ذلك عنه أفريدون الملك . وذلك أنه وجد نارا يعظمها أهلها ، [ وهم ]<sup>(١)</sup>  
 معتكفون على عبادتها . [ فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم في عبادتها . فأخبروه  
 بأشياء اجتذبت نفسه إلى عبادتها ]<sup>(١)</sup> وأنها واسطة بين الله تعالى وبين خلقه ، وأنها من  
 جنس الآلهة النورية ، وأشياء ذكرها له . وجعلوا للنور مراتب وقوانين [ وفرقوا بين  
 طبع النار والنور ]<sup>(١)</sup> وزعموا أن الحيوان يبتذبه النور ، فيحرق نفسه : كالفراش الطائر بالليل  
 فما لطف جسمه يطرح نفسه في السراج فيحرقها . وغير ذلك مما يقع في صيد الليل  
 من الغزلان ، والوحش ، والطير ، وكظهور الحيتان من الماء إذا قربت من السراج  
 في الزوارق كما يصاد السمك ببلاد البصرة في الليل ، فإنهم يجعلون السراج حوالى  
 المركب ، فيثب السمك من الماء إليها ، وأن بالنور صلاح هذا العالم ، وشرف النار  
 على الظلمة إلى غير ذلك .

فلما أخبروا الملك أفريدون بذلك أمر أن تحمل جمرة منها إلى خراسان ،  
 فحملت . فأتخذ لها بيتا بطوس . [ وأتخذ بيتا آخر بمدينة بخارا يقال له برد سورة ]<sup>(٢)</sup>  
 وبيتا آخر بسجستان كواكر ، كان<sup>(٣)</sup> آتخذ بهمن بن إسفنديار بن يستاسف بن  
 يهراسف .

§ وبيت آخر ببلاد الشير والزان ، كانت فيه أصنام أخرجها منه أنوشروان ، وقيل  
 إنه صادف هذا البيت ، وفيه نار معظمة فنقلها إلى الموضع المعروف بالبركة .

(١) الزيادة عن المسعودي .

(٢) سماء الشهرستاني : " قباذان " (ص ١٩٧) .

(٣) سماء الشهرستاني : " كركرا " (ص ١٩٧) .

§ وبيت آحر للنار يقال له كويجة<sup>(١)</sup> : بناه كيخسرو الملك .  
 § وقد كان بقومس بيت نار معظم لا يُدرى من بناه ، يقال له حريش<sup>(٢)</sup> . ويقال  
 إن الإسكندر لما غلب عليها ، تركها ولم يطقها .

§ وبيت نار آخري سمي كَنكَدَز ، بناه سياوش بن كاوس الجبار ، وذلك في زمن  
 لُبَيْثِه بشرق الصين مما يلي البركة .

§ وبيت نار بمدينة أَرْجان من أرض فارس ، بناه قمار .

§ وبيت بأرض فارس آتخذ في أيام يهراسف<sup>(٣)</sup> .

§ فهذه البيوت كانت قبل ظهور زرادشت .

§ ثم آتخذ زرادشت بعد ذلك بيوتا للنيران . فكان مما آتخذ بيت بمدينة نيسابور

من بلاد خراسان ، وبيت بمدينة نَسَا والبيضاء من أرض فارس . وقد كان زرادشت

أمر يستاسف<sup>(٤)</sup> الملك بطلب نار كان يعظمها جَم فطبت ، فوجدت بمدينة خوارزم .

فقلها يستاسف إلى مدينة دَارَ آبِجُرد من أرض فارس ... .. والمجوس تعظم

هذه النار ما لا تعظم غيرها من النيران والبيوت ... .. وللفرس بيت نار

بإصطخر فارس ، يعظمه المجوس . كان في قديم الزمان للأصنام ، فأخرجتها جمان بنت

بهمن بن آسپنديار وجعلته بيت نار ، ثم نقلت عنه النار فخرّب ... .. وفي مدينة

سابور من أرض فارس بيت معظم عندهم آتخذه دارا بن دارا . وفي مدينة جور

من أرض فارس ... .. بيت بناه أردشير بن بابك ... .. وقد كان أردشير بن

بيت نار يقال له بارنوا في اليوم الثاني من غلبته على فارس . وبيت نار على خليج

القسطنطينية من بلاد الروم بناه سابور الجنود ابن أردشير بن بابك حين نزل على هذا

الخليج وحاصر القسطنطينية . ولم يزل هذا البيت إلى خلافة المهدي . وكان سابور

٢٠

(١) سماه الشهرستاني : "كويجة" (ص ١٩٧) . (٢) سماه الشهرستاني : "جبر" (ص ١٩٧) .  
 (٣) هو طراسب . (٤) في الشهرستاني : كشتاسف . (٥) هو الملك جشيد .

أشترط على الروم بقاء هذا البيت ... .. وأرض العراق بيت نار بالقرب من مدينة السلام . بنته <sup>(١)</sup> بوران بنت كسرى أبرويز، الملكة، بالموضع المعروف بأستينا <sup>(٢)</sup> . وبيوت النيران كثيرة تعظمها المجوس . والذي ذكرناه هو المشهور منها <sup>(٣)</sup> .

### ٥ - ذكر نيران العرب

ونيران العرب أربعة عشر نارا .

١ - نار المزدلفة . توقد حتى يراها من دفع من عرفة . وأول من أوقدها قصى بن كلاب .

٢ - نار الاستسقاء . كانت الجاهلية الأولى إذا تابعت عليهم الأزمات، وأشدت الجذب، واحتاجوا إلى الأمطار، يجمعون لها بقرًا، معلقة في أذناها وعراقيها <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> السلع والعشر، ويصعدون بها إلى جبل وعمر، ويشعلون فيها النار، ويضجون بالدعاء والتضرع . وكانوا يرون ذلك من الأسباب المتوصل بها إلى نزول الغيث . وفي ذلك يقول الوداك الطائي :

- (١) في الشهرستاني : توران . (٢) في المسعودي : استينا . وفي الشهرستاني : إسفينا .  
 (٣) هذا الباب كله منقول عن مروج الذهب (أنظر طبعة باريس ج ٤ ص ٧٢ - ٨٦) .  
 (٤) قال العلامة الدكتور أغست هفتر الأمانى والأب المحقق الفاضل لويس شيخو اليسوعي في حاشية صفحة ٣٦ من كتاب النبات والشجر للصنعى الذى عينا بتحقيقه وطبعه في بيروت سنة ١٩٠٨ ، مانصه : السلع : نبات . وقيل شجر حر . وقيل إنه سم . له ورقة صغيرة شاكّة كأن شوكتها زغب . وهو بقلة تنفرش كأنها راحة الكلب .  
 (٥) قال الفاضلان المذكوران في ذلك الموضع أيضا مانصه : "قيل إن العشر من كبار شجر العشاء وهو ذو صمغ حلو وحراق مثل القطن . يقتلح به . وهو عرض الورق . يخرج من شعبة ومواضع زهره سكر فيه شىء من المرارة يقال له سكر العشر . ويخرج له نقاخ كشفاشق الجمال . وله نور كالدفلى ، مشرق حسن النظر . وله ثمر : L., Asclepias gigantea, Lc., Asclépiade, Forsk., Galotropis procera  
 (٦) أما الافرنج والامريكان في هذا العصر فانهم يستزلون الغيث باطلاق المدافع لاحداث الدوى والضجيج والالتهاب في الجو .

④

لَا دَرَّ دَرٌّ رَجَالٍ خَابَ سَعِيمُهُمْ \* يَسْتَمِطِرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعَشِيرِ  
أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيْقُورًا مُسَلَّعَةً \* ذَرِيعَةٌ لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ  
وقال أمية بن أبي الصلت :

وَيَسُوقُونَ بِأَقْرَابِ السَّهْلِ لِلطُّورِ \* دِمَهَائِيلَ خَشِيَةً أَنْ تَبُورًا  
عَاقِدِينَ النَّيْرَانَ فِي بُكَرِ الْأَذَى \* نَابٍ مِنْهَا لِكَيْ تَهَيِّجَ النَّحُورَا  
سَلَعٌ مَا وَمِثْلُهُ عَشْرًا مَا \* عَائِلٌ مَا وَعَالَتِ الْبَيْقُورَا

٣ - نار الزائر والمسافر . ويسمونها نار الطرد . وذلك أنهم كانوا إذا لم  
يجبوا رجوع شخص أوقدوا خلفه نارا ودعوا عليه . ويقولون في الدعاء : أبعده الله  
وأسخقه ! وأوقدوا نارا إثره . قال الشاعر :

وَجُمَّةٌ قَوْمٍ قَدِ اتَّوَكَّأَ وَلَمْ تَكُنْ \* لِتُوقِدَ نَارًا خَلْفَهَا لِلتَّنَدِمِ

والجمَّة : الجماعة يمشون في الدم ، وفي الصلح . ومعنى هذا البيت : لم تندم على  
ما أعطيت في الجمالة عند كلام الجماعة ، فتوقد خلفهم نارا كي لا يعودوا .

٤ - نار التحاليف . كانوا لا يعقدون حلفهم إلا عليها ، فيذكرون منافعها ،  
ويدعون الله بالحرمات والمنع من منافعها على الذي ينقض العهد ، ويطرحون فيها  
الكبريت والملح . فإذا فرقت هؤل على الخالف . قال الكمييت :

هُمُ خَوْقُونِي بِالْعَمَى هُوَّةَ الرِّدَى \* كَمَا سَبَّ نَارَ الْخَالِفِينَ الْمُهَوَّلِ

وقال أوس بن حجر :

إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ \* كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمُهَوَّلِ حَالِفِ

٥ - نار الغدر . كانت العرب اذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له نارا بمنى ،  
أيام الحج على الأخشب (وهو الجبل المطل على منى) . ثم صاحوا : هذه غدره فلان .  
قالت امرأة من هاشم .

فإن نهلك فلم نعرف عقوقا \* ولم نوقد لنا بالغدر نارا

٦ - نار السلامة . وهي نار توقد للقادم من سفره ، اذا قدم بالسلامة  
والغنيمة . قال الشاعر :

يا سلمي أوقدي النارا \* إن من تهوين قد زارا

٧ - نار الحرب . وتسمى نار الأهبة والإنذار . توقد على يفاع ، فتكون إعلاما  
لمن بعد . قال ابن الرومي :

١٠ له ناران نار قرى وحرب \* ترى كلتيهما ذات ألتهاب

٨ - نار الصيد . يوقدونها لصيد الظباء ، لتعشى أبصارها .

٩ - نار الأسد . كانت العرب توقدها اذا خافوه ؛ فإن الأسد اذا عين النار  
حدق إليها وتأملها .

١٠ - نار السليم . توقد للدوغ ، والمجروح ، ومن عضه الكلب الكلب حتى

١٥ لا يناموا فيشتد بهم الألم . قال النابغة :

يُبهد من ليل التمام سليمها \* لحي النساء في يديه قعاقع

وذلك لأنهم كانوا يعلقون عليه حلي النساء ويتركونه سبعة أيام .

١١ - نار الفساد . وذلك أن ملوكهم كانوا اذا سبوا قبيلة وخرجت اليهم

السادات في الفساد وفي الاستيهاب كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن .

وأما في الظلمة فيخفى قدر ما يحبسون من الصفى لأنفسهم ، وقدر ما يجودون به ،  
وما يأخذون عليه القداء . فيوقدون لذلك النار . قال الشاعر :

نِسَاءُ بَنِي شَيْبَانَ يَوْمَ أُورِيةَ \* على النَّارِ إِذْ تُجْلِى لَهُ قَتِيَاتُهَا

١٢ - نار الوَسْم . كانوا يقولون للرجل : ما نارك ؟ (في الاستخبار عن الإبل)

أو ما سَمِتَكَ ؟ [فيقول] : حياط ، أو علاط ، أو حلقه ، أو كذا ، أو كذا .

حكى أن بعض اللصوص قرب إبلا كان قد أغار عليها وسلبها من قبائل شتى إلى  
بعض الأسواق ، فقال له بعض التجار : ما نارك ؟ وإنما سأل عن ذلك ، لأنهم كانوا  
يعرفون بيسم كل قوم وكرم إبلهم من لومها ، فقال :

تَسَأَلُنِي البَاعَةَ مَا نِجَارُهَا \* إِذْ زَعَزَعُوها فَسَمَتُ أَبْصَارُهَا  
وَكُلُّ دَائِرٍ لِأَناسٍ دَارُهَا \* وَكُلُّ نَارِ الْعَالَمِينَ نَارُهَا<sup>(١)</sup>

١٣ - نار القري . وهي من أعظم مفانحر العرب . كانوا يوقدون في ليالي

الشتاء ، ويرفعونها لمن يلتمس القري . فكلمها كانت أضخم وموضعها أرفع ، كان أنقر .  
وهم يتمادحون بها ، قال الشاعر :

له نَارٌ تُسَبُّ بِكُلِّ وادٍ \* إِذَا النَّيْرَانُ الْبَسَتِ الْقَبَاعا

وقال إبراهيم بن هرمة :

إِذَا ضَلَّ عَنْهُمْ ضَيْفُهُمْ رَفَعُوا لَهُ \* مِنَ النَّارِ فِي الظُّلْمَاءِ أَلْوِيَةَ حُمْرا

١٤ - وكانت للعرب نار عظمى تسمى نار الحزرتين . وهي التي أطفأها الله

تعالى بخالد بن سنان العبسي . وكانت حرة ببلاد عبس ، تسمى حرة الحدثان .

(١) يقول العرب في أمثالهم : "كل نجار إبل نجارها" وشطره الثاني "ونار إبل العالمين نارها" يضرّبون

المثل للخلط الذي فيه كل لون من الأخلاق وليس له رأى يثبت عليه .

روى عن ابن الكلبي أنه قال: كان يخرج منها عنق فيسيح مسافة ثلاثة أو أربعة أميال، لا تمر بشيء إلا أحرقته. وأن خالد بن سنان أخذ من كل بطن من بني عبس رجلاً فخرج بهم نحوها، ومعه دزة حتى انتهى إلى طرفها، وقد نرج منها عنق كأنه عنق بعير فأحاط بهم، فقالوا: هلكت والله أشياخ بني عبس آخر الدهر! فقال خالد كلاً! وجعل يضرب ذلك العنق بالدزة ويقول: "بداً بدأ، كل هدي الله يؤدى!" أنا عبد الله خالد بن سنان! "فما زال يضربه حتى رجع، وهو يتبعه والقوم معه كأنه نعبان يملك حجارة الحرة حتى انتهى إلى قليب، فأنساب فيه وتقدم عليه، فمكث طويلاً. فقال ابن عم لخالد، يقال له عروة بن شب: لا أرى خالداً يخرج إليكم أبداً! فخرج ينطف عرقاً، وهو يقول: زعم ابن راعية المعزى أنى لا أنرج. فقيل لهم: بنو راعية المعزى إلى الآن.

وفي هذه النار يقول الشاعر:

كأار الحرتين لها زفير \* نضم مسامع الرجل السميع

### ٦ - ذكر النيران المجازية

ومن النيران، نيران مجازية لا حقيقية، فمنها:

نار البرق. وقد وصفها بعض الأعراب فقال:

نار تجدد للعيدان نضرتها \* والنار تسعل عيداناً فتحترق

إشارة إلى أن النار تحرق العيدان، إلا نار البرق فإنها تجيء بالغيث.

نار المعدة. وهي التي تهضم الطعام. وهي كآار الحياة، ونار الغريزة. وقوتها مادة

للصحة، كما أن ضعفها سبب للعلامة.

§ نار الحمى . وقد قيل : النيران ثلاثة : نار لا تأكل ولا تشرب ، وهي نار الآخرة ؛  
ونار تأكل وتشرب وهي نار الحمى ، تأكل اللحم وتشرب الدم ، ونار تأكل ولا تشرب  
وهي نار الدنيا .

ومن النيران المجازية :

§ نار الشوق ، نار الشره ، نار الشباب ، نار الشراب .

قال شاعر يمدح بعض الملوك :

وَقِيَّتْ نَارَ الْجَمِيمِ يَا مَلِكُ \* أَرِيحُ نِيرَانَهُ لَهُ نَسَقُ  
نَارُ شَبَابٍ تَرُوقُ نَضْرُثُهَا \* وَنَارُ رَاحٍ كَأَنَّهُ شَفَقُ  
وَنَارُ سُلْطَانِهِ تَقَارِنُهَا \* نَارُ قِرَى لَا تَزَالُ تَأْتَلِقُ

٧ - ذكر النيران التي يضرب المثل بها

يُضْرَبُ الْمَثَلُ :

§ بنار الحُبَّاحِبِ . وهي نار لبخيل كان يوقدها . فإذا استضاء بها إنسان أطفأها .  
وقيل : إنها النار التي تُورِثُها الخليل بسنابكها من الحجارة . قال الله تعالى :  
( فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ) . وقال النابغة :

\* وَيُوقِدَنَّ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحُبَّاحِبِ \*

وهذا المثل يضرب لما لا منفعة فيه ولا حاصل له .

§ نار الغَضَى ، يضرب بها المثل في الحرارة . وهي جمر أبيض لا يصلح إلا للوقود .

§ نار العَرَجِجِ . هي نار تُتقد سرعاً . قال قتبية بن مسلم لعمر بن عباد بن الحصين :

” لَسْتُؤدُّ أَمْرِعَ إِلَيْكَ مِنَ النَّارِ فِي بَيْسِ الْعَرَجِجِ “ إذا ألتهمت فيه النار انتشرت .

وتسمى نار الزحفتين، لأن العريخ إذا آندشرت فيه النار عظمت وأستفاضت .  
فمن كان بالقرب منها زحف عنها، ثم لا تلبث أن تنطفئ من ساعتها . فيحتاج الذي  
زحف عنها أن يزحف إليها . فلا يزال المصطلي بها كذلك ، فلذلك سميت نار الزحفتين .

§ نار الحلفاء . يضرب بها المثل في سرعة الانتقاد، كما قيل :

فا ظنك بالحلفاء \* أذيت له نارا

وفي سرعة الانطفاء، كما قيل : نار الحلفاء سريعة الانطفاء .

### ٨ - ذكر ما جاء منها على لفظ أفعل

يقال :

آكل من النار؛ أحر من النار؛ أحر من الجمر؛ أحسن من النار؛ أسرع من شرارة  
في قصباء .

ويقال :

فلان وارى الزناد؛ وريت بك زنادى؛ فلان ثاقب الزند؛ فلان كابي الزناد؛  
صلدت زناده؛ فلان ما يضطلي بناره؛ هو القابس العجلان؛ هما زندان في وءاء .

ومن أنصاف الأبيات :

١٥ \* والنارُ قد يُجِدُّها النَّاعُ \* \* كَتَمِيسِ إِطْفَاءِ نارِ بِنائِغِ \* (٤٢)

\* والجمرُ يُوَضَعُ في الرِّمَادِ فيخْمَدُ \* \* كذا كُلُّ نارٍ رُوِحَتْ تَتَوَجَّحُ \*

\* هيهات مُكْتَمٌ في الظَّلامِ مَساعِلُ \*

ومن الأبيات قول علي بن الجهم :

٢٠ \* والنَّارُ في أَحجارِها مَكُونَةٌ \* \* لا تُصْطَلِي إن لم تُرْها الأزندُ \*

وقال آخر :

والنَّارُ بالماءِ الذي هو ضِدُّها \* \* تُعْطَى النَّضاجَ وطَبْعُها الإِحراقُ \*

وقال آخر :

والكأتم الأمر ليس يخفى \* كالموقد النار باليفاع

وقال آخر :

لا تتبع كل دخان ترى \* فالنار قد توقد للكي

وقال أبو تمام :

لولا اشتعال النار فيما جاورت \* ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال آخر :

وقبيلة المصباح تحرق نفسها \* وتضيء للسارى وأنت كذاكا

#### ٩ - ذكر ما قيل في وصف النار وتشبيهها

قال عبد الله بن المعتز، غفر الله له :

كأن الشرار على نارها \* وقد راق منظرها كل عين

سحالة تبر إذا ماعلا \* فإما هوى ففتات البجين

أخذه العسكري فقال :

أوقدت بعد الهدوء نارا \* لها على الطارقين عين

شرارها إن علا نضار \* لكنه إن هوى لجين

وقال السرى الرقاء :

والتهبت نارنا فمنظرها \* يغنيك عن كل منظر عجب

إذا رمت بالشرار فاطردت \* على ذراها مطارد اللهب

رأيت ياقوتة مشبكة \* تطير عنها قراضة الذهب

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

حَمْرَاءُ نَازَعَتِ الرِّيحَ رِدَاءَهَا \* وَهَنَا وَزَاوَمَتِ السَّمَاءَ بِمَنْكِبِ  
ضَرَبَتْ سَمَاءً مِنْ دُخَانٍ فَوْقَهَا \* لَمْ تَدْرِ مِنْهَا شُعْلَةً مِنْ كَوْكَبِ  
وَتَفَحَّتْ عَنْ كُلِّ نَفْحَةٍ جَمْرَةٍ \* بَاتَتْ لَهَا رِيحُ الشِّمَالِ بِمِرْقَبِ  
قَدْ أُهْمِيَتْ فَتَسْذَهَبَتْ فَكَأَنَّهَا \* شَقْرَاءُ تَمْرُحُ فِي عَجَاجِ أَكْهَبِ<sup>(١)</sup>

وقال أبو الفتح كُشَايِمُ :

كَأَنَّما النَّارُ وَالرَّمَادُ وَقَدْ \* كَادَ يُوَارِي مِنْ نُورِهَا الشُّورَا  
وَرَدَّ جَنِيَّ القِطَافِ أَحْمَرُ قَدْ \* دَزَّتْ عَلَيْهِ الأَكُفُّ كَافُورَا

وقال تاج الملوك بن أيوب :

أَمَا تَرَى النَّارَ وَهِيَ تُضْرَمُ فِي \* أَحْشَاءِ كَانُونِهَا وَتَلْتَهَبُ!  
كَأَنَّما الفَحْمُ فَوْقَهَا قُضِبُ \* مِنْ عَنَبٍ وَهِيَ تَحْتَهُ ذَهَبُ

وقال أبو مروان بن أبي الخصال :

لَأَبْنَةُ الزَّيْدِ فِي الكَوَانِينِ جَمْرٌ \* كَالدَّرَارِيِّ فِي دُجَى الظُّلَمَاءِ  
خَبَّرُونِي عَنْهَا وَلَا تَكْتُمُونِي \* أَلَدَيْهَا صِنَاعَةُ الكِيمِيَاءِ  
سَبَكْتُ حَمَمَهَا صَفَائِحَ تَبِيرٍ \* رَصَعْتَهَا بِالْفِضَّةِ البِيضَاءِ  
كُلَّمَا رَفَرَفَ النَّسِيمُ عَلَيْهَا \* رَقَصَتْ فِي غِلَالَةِ حَمْرَاءِ

هذا البيت مأخوذ من قول الخفاجي :

وَكَأَنَّهَا وَالرِّيحُ عَابِثَةٌ بِهَا \* تُرْهِى فَتَرْقُصُ فِي قَيْصِ أَحْمَرِ

(١) الكهبة : لون ليس بخالص في الحمرة، وهو في الحمرة خاصة (صحاح الجوهري).

وقال أبو هلال العسكري :

نَارٌ تَلْعَبُ بِالسُّقُوفِ كَأَنَّهَا \* حُلٌّ مُشَقَّقَةٌ عَلَى حُبَّشَانِ  
رَدَّتْ عَلَيْهَا الرِّيحُ فَضَلَّ دُخَانُهَا \* فَاتَتْ بِهِ سُبُجًا عَلَى عَقِيَانِ  
فَالجَوْ يَضْحَكُ فِي أَبِيضَائِ شَرَائِرِ \* مِنْهَا وَيَعِيسُ فِي أَسْوَدَادِ دُخَانِ

وقال ابن أبي الخصال :

وَعُوجُوا عَلَى يَاقُوتَةٍ ذَهَبِيَّةٍ \* يَمِيمٌ بِهَا الْمَقْرُورُ بِالسَّبْرَاتِ (١)  
إِذَا مَا أَرْتَمْتَ مِنْ خَمِيمِهَا بَشْرَارَهَا \* رَأَيْتَ نُجُومَ اللَّيْلِ مُنْكَدِرَاتِ

وقال سيف الدولة بن حمدان :

كَانَمَا النَّارُ وَالرَّمَادُ مَعَا \* وَضَوْءُهَا فِي ظِلَامِهِ يُجَجِبُ  
وَجَنَّةُ عُدْرَاءَ مَسْمَا تَجَجَّلُ \* فَاسْتَرَّتْ تَحْتَ عَنَبٍ أَشْهَبِ

وقال آخر :

فَحَمٌّ كَيَوْمِ الْفِرَاقِ تُشْعِلُهُ \* نَارُ كِنَارِ الْفِرَاقِ فِي الْكَيْدِ  
أَسْوَدٌ قَدْ صَارَتْ تَحْتَ حُمْرَتِهَا \* مِثْلَ الْعُيُونِ آكْتَحَلْنَ بِالرَّمَدِ

وقال أبو طالب المأموني :

مَا نَرَى النَّارَ كَيْفَ أَسْقَمَهَا الْفَرْقُ فَاصْخَتْ تَجْبُو وَطُورًا تَسَعَّرُ  
وَعَدَا الْجَمْرُ وَالرَّمَادُ عَلَيْهِ \* فِي قَمِيصٍ مُدْهَبٍ وَمَعْنَبِ

وقال أبو فراس الحمداني :

لَهُ بَرْدٌ مَا أَشَدَّ وَمَنْظَرٌ مَا كَانَ \* أَعْجَبُ  
جَاءَ الْغَسْلَامُ بِنَارِهِ \* هُوَ جَاءَ فِي خَمِّ تَلْهَبُ  
فَكَانَمَا جَمَعَ الْحُلِيَّ \* فَمُحْرَقٌ مِنْهُ وَمُدْهَبُ  
ثُمَّ أَنْطَفَتْ فَكَانَهَا \* مَا بَيْنَنَا نَدُّ مُعْشَبُ

(١) السبرة : الغداة الباردة .

١٠ - ذكر شيء مما قيل في الشمعة والشمعدان

(والسراج<sup>(١)</sup> والقنديل<sup>(٢)</sup>)

١ - أما الشمعة، فمن جيد ما قيل فيها قول الأرجاني :

نَمَّتْ بِأَسْرَارِ لَيْلٍ كَانَ يُخْفِيهَا \* وَأَطْلَعَتْ قَلْبَهَا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا  
 قَلْبٌ لَهَا لَمْ يَرَعْنَا وَهُوَ مُكْتَمِنٌ \* إِلَّا بِرُقِيَّةِ نَارٍ مِنْ تَرَاقِيهَا  
 سَقِيمَةٌ لَمْ يَزَلْ طَوَّلُ اللِّسَانِ لَهَا \* فِي الْحَى يُجْنَى عَلَيْهَا ضَرْبٌ هَادِيهَا  
 غَيْرِيقَةٌ فِي دُمُوعٍ وَهِيَ تُحْرِقُهَا \* أَنْفَاسُهَا بِدَوَامٍ مِنْ تَلْظِيهَا  
 تَنَفَّسَتْ نَفْسَ الْمَهْجُورِ إِذْ ذَكَرَتْ \* عَهْدَ الْخَلِيْطِ فَبَاتَ الْوَجْدُ يَبْكِيهَا  
 يُخَشَى عَلَيْهَا الرَّدَى مَهْمَا أَلَمَتْ بِهَا \* نَسِيمُ رِيحٍ إِذَا وَافَى يُحْيِيهَا  
 بَدَتْ كَنْجِيمُ هَوَى فِي إِثْرِ عَفْرِيَّةٍ \* فِي الْأَرْضِ فَاشْتَعَلَتْ مِنْهُ نَوَاصِيهَا  
 نَجْمٌ رَأَى الْأَرْضَ أَوْلَى أَنْ يُبَوِّأَهَا \* مِنَ السَّمَاءِ فَأَمْسَى طَوَّعَ أَهْلِيهَا  
 كَانَتْ غُرَّةً قَدْ سَالَ شَادِخُهَا \* فِي وَجْهِ دَهْمَاءَ يُزْهِمُهَا تَجَلِّيهَا  
 أَوْضَرَةٌ خُلِقَتْ لِلشَّمْسِ حَاسِدَةً \* فَكُلَّمَا حُجِبَتْ قَامَتْ تُحَاكِمُهَا  
 وَحِيدَةً كَشْبَاةِ الرُّمْحِ هَازِمَةً \* عَسَا كَرَّ اللَّيْلُ إِنْ حَلَّتْ يَوَادِيهَا  
 مَا طَنَّبَتْ قَطُّ فِي أَرْضٍ مَحِيْمَةً \* إِلَّا وَأَقْرَرَ لِلْأَبْصَارِ دَاجِيهَا  
 لَهَا غَرَائِبُ تَبْدُو مِنْ مَحَاسِنِهَا \* إِذَا تَفَكَّرْتَ يَوْمًا فِي مَعَانِيهَا  
 كَصَعْدَةٍ فِي حَشَا الظُّلَمَاءِ طَاعِنَةٍ \* تَسْقِي أَسَافِلَهَا رِيًّا أَعَالِيهَا

(١) مما يجب التنبيه إليه أن "سورج" و"سراج" معناهما الشمس في اللغة الهندية عن السنسكريتية

(أنظر القاموس الهندى الانكليزى تأليف فوريس)

(٢) في اللغة اللاتينية Candella وفي الفرنسية Chandelle بمعنى الشمعة وعنها Candélabre .

و يقول علماء الافرنج : إن اختراع الشمع للاستضاءة مما توصل إليه الغاليون وعلى ذلك يكون الأصل افرنجيا  
 ثم نقله العرب لمعنى المصباح المعروف بالقنديل .

فَالْوَجَنَةُ الْوَرْدُ إِلَّا فِي تَنَاوُلِهَا \* وَالْقَامَةُ الْغُصْنُ إِلَّا فِي تَسْنِيهَا  
 صَفْرَاءُ هِنْدِيَّةٌ فِي اللَّوْنِ إِنْ نُعِتَتْ \* وَالْقَدُّ وَاللِّينُ إِنْ أُثْمِتَتْ تَسْبِيهَا  
 فَالِهِنْدُ تَقْتَلُ بِالنِّيرَانِ أَنْفُسَهَا \* وَعِنْدَهَا أَنَّ ذَاكَ الْقَتْلَ يُحْيِيهَا  
 قَدْ أُثْمِرَتْ وَرَدَّةٌ حَمْرَاءَ طَالِعَةٍ \* تَجْنِي عَلَى الْكَفِّ إِنْ أَهْوَيْتَ تَجْنِيهَا  
 وَرَدُّ تَسَاكُ بِهِ الْأَيْدَى إِذَا قَطِفَتْ \* وَمَا عَلَى غُصْنِهَا شَوْكٌ يُوقِيهَا  
 مَا إِنْ تَرَأَى تَيْبَتُ اللَّيْلُ سَاهِرَةً \* وَمَا بِهَا غَلَّةٌ فِي الصَّدْرِ تُطْفِئُهَا  
 صُفْرًا غَلًّا لَهَا حَمْرًا عَمَّا يُمَيِّهَا \* سَوْدٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ لِيَالِهَا  
 تُحْيِي اللَّيَالِي نُورًا وَهِيَ تَقْتُلُهَا \* بِسِ الْجَزَاءِ لِعَمْرٍ اللهُ تَجْزِيهَا  
 قُدَّتْ عَلَى قَدِّ ثَوْبٍ قَدْ تَبَطَّنَا \* وَلَمْ يُقَدِّرْ عَلَيْهَا الثَّوْبَ كَاسِيهَا  
 غَرَاءُ فَرَعَاءُ مَا تَنْفِكُ قَالِيَةً \* تَقْضُ لِمَتَّهَا طَوْرًا وَتَغْلِيهَا  
 شَبَاءُ شَعْنَاءُ لَا تُكْسِي غَدَائِرُهَا \* لَوْنُ الشَّيْبَةِ إِلَّا حِينَ تَبْلِيهَا  
 قَنَاءُ ظَلَمَاءَ لَا تَنْفِكُ يَأْكُلُهَا \* سِنَانُهَا طَوَّلَ طَعْنٍ أَوْ يُسْظِيهَا  
 مَفْتُوحَةُ الْعَيْنِ تُفْنِي لَيْلَهَا سَمْرًا \* نَعَمٌ وَإِفْنَاؤُهَا إِيَّاهُ يُفْنِيهَا  
 وَرُبَّمَا نَالَ مِنْ أَطْرَافِهَا مَرَضٌ \* لَمْ يُسْفِ مِنْهُ بَغِيرَ الْقَطْعِ مُشْفِيهَا

وقال آخر :

بَيْضَاءُ أُصْحَكِتِ الظَّلَامَ فَرَاعَهَا \* فَبَكَتْ وَأَسْبَلَتِ الدُّمُوعَ بَوَادِرَا  
 جَفَّتْ دُمُوعٌ جَفُونَهَا فَكَأَمَّا \* كُسِيَتْ مِنَ الطَّلَعِ النَّضِيدَ ضَفَائِرَا

وقال أبو القاسم المطررز من أبيات :

وَاللُّشْمُوعُ عِيُونَُ كَأَمَّا نَظَرَتْ \* تَظَلَّمَتْ مِنْ يَدَيْهَا أَنْجُمُ الْعَسَقِ  
 مِنْ كُلِّ مُرْهَفَةِ الْأَعْطَافِ كَالْغُصْنِ الـ \* مَيَّادٍ لَكِنَّهُ عَارٍ مِنَ الْوَرَقِ  
 إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْهَا وَهِيَ وَادِعَةٌ \* تَبَّ لِي وَعَيْشَتُهَا مِنْ ضَرْبَةِ الْعُنُقِ

وقال آخر :

جاءت بِجِسْمٍ كَأَنَّهُ ذَهَبٌ \* تَبَيَّ وَتَسَكَّى الْهَوَى وَتَلْتَهَبُ  
كَأَنَّهَا فِي أَكْفٍ حَامِلِهَا \* رَمَحُ الْجَيْنِ سِسْنَانُهُ ذَهَبُ

وقال محمد بن أبي الثبات، شاعر اليتيمة :

وَمَجْدُولَةٌ مِثْلُ صَدْرِ الْقِنَاءِ \* تَعَسَّرَتْ وَبَاطِنُهَا مُكْتَسِبِي  
لَهَا مُقْلَةٌ هِيَ رُوحُهَا \* وَتَاجٌ عَلَى الرَّأْسِ كَالْبُرْسِ  
إِذَا غَازَلَتْهَا الصَّبَا حَرَّكَتْ \* لِسَانًا مِنَ الذَّهَبِ الْأَمْلَسِ  
وَتُتَبَّحُّ مِنْ حَيْثُ مَا أَلْقَحَتْ \* ضِيَاءٌ يُجَلِّي دُجَى الْحِنْدِسِ  
فَتَحْنُ مِنَ النُّورِ فِي أَسْعَدِ \* وَتِلْكَ مِنَ النَّارِ فِي أُنْحَسِ

وقال آخر :

وَرَشِيقَةٌ بِيضَاءَ تَطْلِعُ فِي الدُّجَى \* صُبْحًا وَتَسْفِي النَّاطِرِينَ بِدَائِمِهَا  
شَابَتْ ذَوَائِبُهَا أَوَانَ شَبَابِهَا \* وَأَسْوَدَ مَفْرِقُهَا أَوَانَ فَنَائِمِهَا  
كَالْعَيْنِ فِي طَبَقَاتِهَا وَدُمُوعِهَا \* وَبَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا وَضِيَائِمِهَا

وقال الصاحب بن عباد :

وَتَمْتَعِي قَدَمَتْ إِلَيْنَا \* تَجْمَعُ أَوْصَافَ كُلِّ صَبِّ  
صُفْرَةَ لَوْنٍ وَذَوْبَ جِسْمِ \* وَفَيْضَ دَمْعٍ وَحَرَ قَلْبِ

وقال السري الرفاء :

مَفْتُولَةٌ مَجْدُولَةٌ \* تَحْكِي لَنَا قَدَّ الْأَسْلِ  
كَأَنَّهَا عُمُرُ النَّسَى \* وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ

ومما ورد في وصفها نثرا .

من رسالة لابن الأثير الجزرى جاء منها :

وكان بين يدي شمعَةٌ تعمُّ مجليسي بالإيناس ، وتغني بوجودها عن كثرة الجلاس ؛  
وكانت الريح تتلعبُ بسُعبها ، وتدور على قُطب لَهَبها ؛ فطورا تقيمه فيصير أئمه ،  
وطورا تُميله فيصير سلسله ؛ وتارة تُجوفه فيصير مُذهنه ، وتارة تجعله ذا ورقات فيمثل  
سوسنه ؛ وآونة تنشره فيبسط منديلا ، وآونة تُلغه على رأسها فيستدير إكليلا .

ومن رسالة أخرى له :

وكانت الريح تتلعبُ بلهبا لدى الخادم فتشكله أشكالا ، فتارة تُبرزه نجما ، وتارة  
تُبرزه هلالا ؛ ولربما سطع طورا كالجنانة في تضاعيف أوراقها ، وطورا كالأصابع  
في أنضمامها وأفراقها .

§ وقال سيف الدين المشد في الفانوس :

وكأَنَّما الفانوسُ في غَسَقِ الدُّجى \* دَنَفٌ برآه سُقْمُهُ وسَهَادُهُ  
حُنَيْتٌ أضالعه ورَقٌّ أديمه \* وجرَّتْ مَدَامِعُهُ وذابَ فؤادُهُ

٢ - ومما قيل في السراج .

من رسالة لأبي عبد الله محمد بن أبي الحصال ؛ جاء منها :

عذرا إليك أيديك الله ! فإني خططت والنوم مغازل ، والقرُّ نازل ؛ والريح تلعب  
بالسراج ، وتصول عليه صولة الحجاج ؛ فطورا تبرزه سنانا ، وتحركه لسانا ؛ وآونة  
تطويه جنبابه ، وأخرى تنشره دؤابه ؛ وتارة تقيمه إبرة لَهَب ، وتعطفه برة ذهب ؛  
وحيثا تقوسه حاجب فتاة ، ذات غمزات ؛ وتسلمه على سليطه ، وتديله على خليطه ؛  
وربما نصبته أذن جواد ، ومسخته حدق جراد ؛ ومسقتَه حروف برق ، بكف ودق ؛

وَتَمَّتْ بِسَنَاهِ قَنَدِيلِهِ ، وَأَلْقَتْ عَلَى أَعْطَافِهِ مَنَدِيلَهُ ؛ فَلَا حَظَّ مِنْهُ لِلْعَيْنِ ، وَلَا هَدَايَةَ فِي الطَّرْسِ لِلْيَدَيْنِ .

### ٣ - رسالة القنديل والشمعدان .

من إنشاء المولى الفاضل البارع البليغ تاج الدين عبد الباقي بن عبد الحميد اليماني ، سمعناها من لفظه ، وقرأتها عليه ، وأجاز لي روايتها عنه . وهي الموسومة "بزهري الحنان" ، في المفاخرة بين القنديل والشمعدان .

ابتدأها بأن قال :

الحمد لله الذي أنار حالك الظلمات ، بأنوار بذر السماء ؛ وحلّى جديدها بعقود النجوم ، وحرس مشيدها ، بسمّام الرجوم ؛ وجعلها عبرة للاستبصار ، ونزهة للأبصار ؛ غشاؤها  
لأزورد مكلل بنصار ، أو أفاحي نجيلية تفتحت فيها أزرار الأزهار ؛ تهدي الساري  
بسواربها ، وتزري بالدرر أنوار دراريها ؛ كرع في نهر مجرتها النسران ، ورتع في مراعي  
رياضها الفرقدان .

أحمده على نعمه التي لا يقوم بشكرها لسان ، ولا يؤدى واجب حقها لإنسان ؛ حمدا  
يجلب إلى الحامد أنواع الإحسان ، ويسوق إلى الشاكر ركائب الخيرات الحسان .

وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الذي أنار الله بوجوده ظلمة الوجود ، وأظهر  
بظهوره أفعال الركوع والسجود ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله الوافين بالعهود ،  
وعلى أصحابه أهل الإفضال والجلود ، صلاة وسلاما دائماً إلى اليوم الموعود !

وبعد فإن فنون الآداب كثيرة الشعوب ، متباينة الأسلوب ؛ طالما تلاعب  
الأديب بفنونها بين جدّ ومجون ، وكيف لا والحديث ذو شجون . وكنت بحمد الله  
من هو قادر على إبراز ملج الأدب ، وعلى إظهار لطائف لغة العرب ؛ فتمثّل في خاطري  
المفاخرة بين الشمعدان والقنديل ، ولا بد من إبراز المفاخرة بينهما في أحسن تمثيل ؛

لأنهما آلتا نور، ونديما سرور؛ طالما مزقا جلاب الدجى بأضوائهما، وحسما مادة  
الظلمة بأنوارهما؛ وطلعا في سماء المجالس بدورا، وأنجلا نور الرياض لما أصدرتا من  
جوهرهما نورا . سما كل واحد منهما الى أنه الأصل، وأن بمدحه يحسن الفصل  
والوصل؛ وأنه الجوهرة اليتيمة، والبذرة التي ليست لها قيمة؛ سارت بحاسنه ركائب  
الركبان . ونظمت في جيد مجده قلائد العقيان .

فأحببت أن أنظّمها في ميدان المناظرة ليبرز كل واحد منهما خصائصه الواضحة،  
ويظهر تقائص صاحبه الفاضحة؛ وليتسنم غارب الاستحقاق بالفضيله، ويؤكد في تقرير  
فضائله الراجحة دليله؛ مع أنه لا تقبل الدعاوى إلا بالبرهان، ولعمري لقد قيل قديما:  
من تحلى بغير ما هو فيه . فضحته شواهد الإمتحان

فأتلع الشمعدان جيد للطاوله، وعرض سمهريه الجيني للناضله . وقال:  
«استنت الفصل حتى القرعى» .

لست بنديم الملوك في المجالس، كلاً ولا الروضة الغناء للمجالس! طالما أهدقت  
بي عساكر النظار، ووقفت في استحسانها على رؤية الأبصار؛ وحملت على الرءوس  
إذا علقت بأذنانك، وجليت كحلاء المرهفات إذا أسودت وجهك من دخانك .

فنضض لسان القنديل نضضة الصل، وأرتفع أرتفاع البازي المطل . وقال:  
إن كان نورك بمجالسة السلاطين، فافتخارى بمجالسة أهل الدين! طالما طلعت  
في أفق المحراب نجما آزداد علا، وآزدانت الأماكن المقدسة بشموس أنوارى حلا؛  
جمع شكلي مجموع العناصر، فعلى مثل تمقد الخناصر؛ يحسبني الرائي جوهرة البعد  
الثمين، إذا رأى أصفرار لونك كصفرة الحزين؛ ولقد علوتك في المجالس زمانا، ومن  
صبر على حر المشقة أرتفع مكانا .

(١) هذا مثل يضرب للذي يتكلم مع من لا ينبغي أن يتكلم بين يديه بجلالة قدره .

فنظر اليه الشمعدان مُغَضَّبًا، وهم بأن يكون عن جوابه منجًا . وقال :

أين ثمنك من ثمنى ، ومسكنك من مسكنى ! صفائحى صَفَحَاتِ الإبريز، فلذا سموت  
 عليك بالتبريز، تنزه العيون فى حوائلى الذهبية، وتسمر النفوس بيزوغ أنوارى الشمسية،  
 ولا يملكنى إلا من أوطنته السعادة مهادها، وقربت له الرياسة جياها، ولقد نفعت  
 فى الصحة والسقم، وازدادت قيمتى اذا نقصت فى اقيم، إن انفصمت عمرك  
 فلا تُسَعَبْ، ولا تعاد الى سبك نار فتصب وتقلب، لست من فرسان مناظرى،  
 ولا من قرناء مفانرقى .

فالتفت القنديل التفات الضرغام، وفوق الى قرينه سهام الملام . وقال :

أنت عندى كعالة، لا محاله، طالك العنقود، فأبرزت أنواع الحقود، وأين  
 الثريا من يد المتناول ! أم أين السها من كف المتناول ! تالله إنك فى صرفك بصفرك  
 مغلوط ! لقد خُصِصَتْ بالعلو وخُصِصَتْ بالهبوط . ترى باطنى من ظاهرى مشرقا،  
 وتحائى لخزائن الأنوار مطلقا، فحديث سيادتى مُسَلَّس، وتاج فضائلى بجواهر العلو  
 مَكَل .

فلاحظه الشمعدان بطرف طرفه، وأرسل فى ميدان المناظرة عنان طرفه . وقال :

إن افتخارك بالعلو غير مفيد، ومزية اختصاصك به ليس له أبهة مزيد، طالما  
 علا القتام وانحطت الفرسان، ومكث الجمر وسما الدخان، ولقد صيرتك كنظر  
 المشنوق حاله، وكضوء السها ذباله، وأنت الخليق بما قيل :

• وَقَبُّ بِلَابٍ وَأُذُنٌ بِلَا سَمْعٍ •

وسلاسلك تشعر بعقلك، وعلوك ينبئ عن غلو إسقاطك، عادت التبركة  
 بكفه، ووزنته إذ كان فيه خفه، فأصبح لمفانرقى الجليله، واستمع مناقبى الجميله .  
 أطارد جيوش الظلماء برمى، وأمزق أثواب الديجور بصبحى، جمع عاملى بين طلع

النخل ، وحلاوة النحل ؛ يتلو سورة النور لسانى ، ويقوى فى مصادمة عساكر الليل  
البهيم جنانى ؛ أسامر المليك خَلوه ، ويستجلى من محاسنى أحسن جَلوه .

ولله دَر القائل :

أُنظر الى تَمَعِدَانِ شَكْلُهُ عَجَبٌ \* كَرَوْضَةٍ رَوَّضَتْ أَزْهَارَهَا السُّحْبُ  
يُطَارِدُ اللَّيْلَ رَمَحٌ فِيهِ مِنْ وَرَقٍ \* سَسَانُهُ لَهَبٌ مِنْ دُونِهِ الذَّهَبُ  
فمثل هذه المناقب تُتلى ، ومثل هذه المحاسن تظهر وتُجلى .

فأضرم نار تبيينه ، فى أحشاء قرينه . فعندها قال القنديل :

لقد أطلت الأفتخار بمحاسن غيرك ، لما وقفت فى المناظرة ركائب سيرك ؛ فاشكر  
اليد البيضاء من شمعك ، وأحرص على معرفة قيمتك ووضعك ؛ وأما أفتخارك بتلاوة  
سورة النور ، فأنا أحق بها منك إذ محلى الجوامع ، والفرقان فارق بينى وبينك مع أنه  
ليس بيننا جامع ؛ ففضيلتى فيه بينه ، وآية نورى فى سورة النور مبيته ؛ فاقطع مواد  
الجماجه ، وأقرأ الآية المشتملة على الزجاجه ؛ يظهر لك من هو الأعلى ، ومن بالأفتخار  
الأولى ؛ تخالى دُرَّةً علقت فى الهواء ، أو كوكبا من بعض كواكب الجوزاء .

ولله دَر القائل :

قِنْدِيلُنَا فَاقَ بِأَنْوَارِهِ \* نَوَّرَ رِيَاضَ لَمْ تَرَلْ مُزْهَرَةً  
ذُبَالَةً فِيهِ إِذَا أُوقِدَتْ \* حَكَّتْ بِحُسْنِ الْوَضْعِ نَيْلُوفَرَةً

لا يجمل الأقداء خاطرى ، ولا يغمّ مشاهدى وناظرى ؛ فأنا خلاصة السبك ، والتبر  
الذى لا يفتقر الى الحك ؛ اشتقاق أسمك من النحوس ، ومن جرّمك تُقام هياكل  
الفلوس ، لقد عرّضت نفسك للنيه ، وانعكست عليك مواد الأمنيّه ؛ مع أن الحق  
أوضح من لبّة الصباح ، وأسطع من ضوء المصباح ؛ والآن غصّصت بريقك وخفيت  
لوامع بروقك ؛ فهذه الشبهاء والحلّبه ، وهذه ميادين المناضلة رَجبه .

بخار الشمعدان في الجواب ، وجعل ما أبداه أولاً فصل الخطاب .

فقال القنديل :

لابد من الإقرار بأن قدحى المعلى ، وأنى عليك بالتقديم الأولى ، وأن مقامى العالى ،  
ونورى المتوالى .

فقال الشمعدان :

لا منازعة فيما جاء به الكتاب من تفضيلك ، وكونك الكوكب الذى قصر  
عن بلوغك باع مثلك .

بفتح الشمعدان للسلام ، وترفع عن استيطان مواطن الإثم ؛ وشرع يئدى شعائر  
الخشوع ، وينشر أعلام الأوبة عما قال والرجوع ؛ وقال :

١٠ لولا حمية النفوس ، ما تجملت بمفاحرنا صفحات الطروس ؛ ولولا القال والقيل ،  
ما ضمتنا معرض التتميل ؛ ولكن أين صفاؤك من كدرى ، وأين نظرك من نظرى ؛  
خصك الله بنوره ، وذكرك في فرقانه وزبوره .

فعتها تهالت أسارى القنديل ، وتبسم فرحا بالتعظيم والتبجيل . وقال :

١٥ حيث رجعتنا إلى شرع الإنصاف ، وإظهار محاسن الأوصاف ؛ ففضلك لا يبارى  
ووصفك لا يجارى ؛ يحسبك الرأى نجيحة نور تفتحت أزهارها ، وحديقة ترجس أطردت  
أنهارها ؛ تُسربك النفوس ، وتدار على نضارتك الكؤوس ؛ وإن اللائق بحالنا طى  
بساط المنافسة ، وإحماد شرر المقابسه ؛ والاستغفار فيما فرط من كلامنا ، والرجوع  
إلى الله فى إصلاح أقوالنا وأفعالنا .

ونقول :

٢٠ الأصل فيما قلناه عدمه ، فقد حنى كل واحد منا فى إبراز معايبه قلمه . ونسال الله  
أن تدوم لنا نعمه ، ويتعاهدنا فى المساء والصبح كرمه ! بمنه وجوده وكرمه ! آمين !

## القسم الثالث من الفن الأول

في الليالي والأيام، والشهور والأعوام، والفصول والمواسم والأعياد  
وفيه أربعة أبواب

## الباب الأول

من هذا القسم

## ١ - في الليالي والأيام

رُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "خلق الله الخلق في ظلمة"  
ورُوي: في عماء "ثم رش عليهم من نوره".

وهذا يدل على أن الظلمة خلقت قبل النور.

وروي أن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) سئل عن الليل، أكان قبل  
أو النهار؟ قال: أرايتم حيث كانت السماوات والأرض رتقا، هل كان بينهما إلا  
ظلمة! ذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار.

والذي ورد في القرآن من ذكر الليل والنهار، والظلمات والنور، بدأ الله (عز وجل)  
بذكر الليل قبل النهار، وبالظلمات قبل النور.

ويروي أن الله (عز وجل) لما خلق السماء والأرض، وقع ظل السماء على الأرض  
فأظلمت، فجعل الشمس ضياء والقمر نورا.

ثم خلق الزمان وقسمه قسمين: ليلا، ونهارا. فجعل حصّة الليل للقمر،  
وحصّة النهار للشمس. فكانا يتعاقبان بالطلوع فيهما، فلم يكن بين الليل والنهار  
فرق في الإضاءة.

فلما أراد الله عز وجل خلق النوع الإنساني - وعلم أنه لا غنى له عن حركته للعاش نهارا وسكونه للراحة ليلا - أمر جبريل فأمرته جناحه على القمر فمحا نوره .  
فالسواد الذي يرى في القمر هو أثر المحو، وصار الليل مظلمًا، والنهار مبصرًا .

وروي أيضا أن الله (عز وجل) خلق حجبا من ظلمة مما يلي المشرق، ووكل به ملكا يقال له سراهيل . فإذا آنقضت مدة النهار، قبض الملك قبضة من تلك الظلمة وأستقبل بها المغرب، فلا تزال الظلمة تخرج من خلل أصابعه وهو يراعى الشفق .  
فإذا غاب الشفق، بسط كفه فطبق الدنيا ظلمة . فإذا آنقضت مدة الليل، قبض كفه على الظلمة، إصبعًا بعد إصبع إلى أن يذهب الظلام، حتى تنتقل الشمس من الشرق إلى الغرب . وذلك من أشرط الساعة . والله أعلم !

## ٢ - ذكر ما قيل في الليل وأقسامه

- ١٠ الليل طبعي، وشرعي .  
أما الطبعي، فهو من حين غروب الشمس واستئثارها إلى طلوعها وظهورها .  
وأما الشرعي، فهو من حين غروبها إلى طلوع الفجر الثاني، وهو المراد بقوله تعالى : ( حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ) .  
§ والليل ينقسم إلى اثنتي عشرة ساعة، لها أسماء وضعتها العرب، وهي :  
١٥ الشاهد، ثم العسق، ثم العتمة، ثم الفحمة، ثم الموهن، ثم القطع، ثم الجوشن  
ثم العبكة، ثم التباشير، ثم الفجر الأول، ثم الفجر الثاني، ثم المعترض .  
هذا ما ذكره ابن النحاس في وصف صناعة الكتاب .

(١) كذا بالأصل، والذي في كتب اللغة بهذا المعنى "المهكة" فلعل ما هنا تحريف من النسخ .

وحكى الثعالبي في فقه اللغة - عن حمزة الأصفهاني - قال - وعليه عهده -  
 أسماء غير هذه، وهي :  
 الجَهْمَةُ، والسَّفْقُ، والغَسْقُ، والعَتَمَةُ، والسُدْفَةُ، والزَّلَّةُ، والزَّلْفَةُ، والهِرَةُ،  
 والسَّحْرُ، والفجر، والصبح، والصبح .

### فصل

وقد عبّر بالليالي عن الأيام، كقول الله عز وجل: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾؛  
 وقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشِيرٍ﴾ . فعبر عن الأيام بالليالي، لأن كل ليلة  
 تتضمن يوماً .

### ٣ - ذكر الليالي المشهورة

- من الليالي المشهورة : ١٠
- § ليلة البراءة . وهي ليلة النصف من شعبان ، قيل سميت بذلك لأنها براءة لمن  
 يحييها ؛
- § وليلة القدر . والصحيح أنها في مفردات العشر الأخر من شهر رمضان ؛
- § وليلة الغدير . وهي ليلة الثامن عشر من ذي الحجة .
- § وليلة الهريز . وهي ليلة من ليالي صيفين ، قُتِلَ فيها خَلْقٌ كثير من أصحاب ١٥  
 معاوية (رضي الله عنه) .

(١) لا توجد هذه الكلمة بهذا المعنى لا في اللسان ولا في القاموس ولا في مستدرک شارحه . وهذا هو  
 الذي دعا الثعالبي لجعل العهدة على حمزة الأصفهاني .

§ وليفة الخلاء . وهي ليسةٌ باتها أبو الطمَّحان القيني عند دَيْرانية، فأكل  
طَفَيْشَلَهَا بلحم الخنزير، وشرب نمرها، وزنى بها، وسرق كساءها .

§ وليفة النابغة . يُضرب بها المثل في الخوف .

§ وليفة المتوكل . تضرب مثلاً في موت نتج من سرور . لأنه قُتِل في مجلس

أنسه، على ما ذكره في أخباره إن شاء الله تعالى .

#### ٤ - ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الليل

يقال :

أظنى من الليل . أطفل من ليل على نهار . أحيّر من الليل . أستر من الليل .

أظلم من الليل . أندی من ليلة ماطرة .

ويقال :

الليل أخنى للويل . الليل نهار الأريب . ليل طويل وأنت مُقَمَّر . الليل

وأهضام الوادي . الليل أعور (لأنه لا يُصَرِّفه) .

ويقال :

أخذ الليل جملاً . شمر ذيلاً، وأدرع ليلاً . أمر نهار فُضِيَ بليل .

ومن أنصاف الأبيات :

\* الليل حُبلى ليس تدرى ما تلد \* ما أقصر الليل على الراقد \*

\* ما أشبه الليلة بالبارحة \* وليل المحب بلا آخر \*

\* إحدى لياليك فهيسى هيسى \* فإنك كالليل الذى هو مُدركى \*

(١) نوع من المرق (فاموس) . وقال ابن الخشاب في تفسير ألفاظ الكتاب المنصوري للرازي مانصه :

٢٠ طَفَيْشِل (بهذا الضبط) : طعام يتخذ من الحبوب كالباقلى والخمص ونحوهما (عن تكملة المعجمات العربية  
لدوزى) .

ومن الأبيات :

إنَّ اللَّيَالِيَّ لَمْ تُحْسِنْ إِلَى أَحَدٍ \* إِلَّا أَسَاءَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ إِحْسَانِ

وَاللَّيَالِي كَمَا عَهَدَتْ حَبَالِي \* مُقَرَّبَاتٌ يَدْنُ كُلِّ عَجِيبِ

أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ \* جَارَيْنِ لَا يُبْقِيَانِ جَارًا

وقال حميد بن ثور :

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ \* إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكََا مَا تَمَيَّبَا

وقال أبو حية التَّمِيرِي :

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ \* تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

### — ٥ ذكر ما قيل في وصف الليل وتشبيهه

قد أكثر الشعراء في وصف الليل بالطول والقصر . وذكروا سبب الطول  
الهموم وسبب القصر السرور .

ولهذا أشار بعض الشعراء في قوله :

إِنَّ اللَّيْلِيَّ لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ \* تُطْوَى وَتُنشَرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهَمُومِ طَوِيلَةٌ \* وَطَوَالُهُنَّ مَعَ السَّرُورِ قِصَارُ

وقال آخر :

إِنَّ التَّوَاصِلَ فِي أَيَّامِهِ قَصْرٌ \* كَمَا التَّهَاجُرُ فِي أَيَّامِهِ طَوْلٌ

فَلَيْسَ يَعْرِفُ تَسْمِيدًا وَلَا رَمْدًا \* جَفْنٌ بِرُؤْيَةٍ مَن يَهْوَاهُ مَشغُولٌ

وقال ابن بسّام :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى \* أتَ نجومَ الليلِ ليستَ تُغورُ  
ليلاً كما شاءت فإن لم تُرر \* طالَ وإن زارتَ فليلٌ قصيرُ

أصله من قول علي بن الخليل :

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى \* أتَ نجومَ الليلِ ليستَ تُعولُ  
ليلاً كما شاءت قصيرٌ إذا \* جادتَ وإن صدتَ فليلٌ طويلُ

وقال آخر :

أخو الهوى يستطيلُ الليلَ من سهرٍ \* والليلُ في طوله جارٍ على قدره  
ليلُ الهوى سنّةٌ في الهجر مدته \* ليكنه سنّةٌ في الوصل من قصره

وقال الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

لا أسألُ اللهَ تغييراً لما صنعتُ \* نامتُ وقد أسهرتُ عينيَ عيناها  
فالليلُ أطولُ شيءٍ حينَ أفتدّها \* والليلُ أقصرُ شيءٍ حينَ ألقاها

## ٦ - وأما ما وُصف به من الطول

قال الخباز :

وليلٌ كواكبُه لا تسيرُ \* ولا هو منها يطيقُ البرّاحا  
كيومِ القيامةِ في طولِه \* على من يراقبُ فيه الصّباحا

وقال ابن المعتز :

مالي أرى الليلَ مُسبلاً شعراً \* عن غُزّة الصّبحِ غيرَ مفروق

وقال بشار :

خَلِيلِي مَا بَالُ الدُّجَى لَا يُزْحَجُ \* وَمَا بَالُ ضَوْءِ الصُّبْحِ لَا يَتَوَضَّحُ  
أَضَلَّ النَّهَارُ الْمَسْتَنِيرُ طَرِيقَهُ \* أَمْ الدَّهْرُ لَيْلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبْرُحُ

وقال الرِّفَاء :

أَلَا رَبَّ لَيْلٍ بَتُّ أَرَعَى نُجُومَهُ \* فَلَمْ أَغْتَمِضْ فِيهِ وَلَا اللَّيْلُ أَغْمَضَا  
كَأَنَّ الشُّرْبِيَّ رَاحَةً تُشَبِّرُ الدُّجَى \* لَتَعْلَمَ طَالَ اللَّيْلُ لِي أَمْ تَعَرَّضَا  
عَجِبْتُ لِلَّيْلِ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ \* يُقَاسُ بِشَيْرِ كَيْفَ يَرْجَى لَهُ أَنْقِضَا

وقال محمد بن عاصم :

أَقُولُ وَاللَّيْلُ دُجَى مُسْبِلٌ \* وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ بِهِ مُثَلٌ  
يَا طُؤْلَ لَيْلٍ مَا لَهُ آخِرٌ \* مِنْكَ وَصُبْحٌ مَا لَهُ أَوَّلٌ

وقال التنوخي :

وَيْلَةَ كَأَنَّهَا قُرْبُ أَمَلٍ \* ظَلَامُهَا كَالدَّهْرِ مَا فِيهِ خَلَلٌ  
كَأَنَّهَا الْإِصْبَاحُ فِيهَا بَاطِلٌ \* أَزْهَقَهُ اللَّهُ يُحَقِّقُ فَبَطَلٌ  
سَاعَاتُهَا أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ النَّوَى \* وَلَيْلَةَ الْهَجْرِ وَسَاعَاتِ الْعَدَلِ  
مَوْصَدَةٌ عَلَى الْوَرَى أَبْوَابَهَا \* كَالنَّارِ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا مَنْ دَخَلَ

وقال أبو محمد، عبد الله بن السيد البطليوسي :

تَرَى لَيْلَنَا شَابَتْ نَوَاصِيهِ كَبْرَةً \* كَمَا شَبَّ أَوْفَى الْجَوَّ رَوْضَ نَهَارِ  
كَأَنَّ اللَّيْلِي السَّبْعَ فِي الْأَفْقِ جُمَعَتْ \* وَلَا فَصَلَ فِيهَا بَيْنَهَا وَنَهَارِ

وقال الشريف البياضی :

أَقُولُ لَصَّحْبِي وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا \* وَقَدْ رَكَدَتْ فِي بَحْرِ حَنْدِسِهَا غَرْقِي  
أَرَى ثَوْبَ هَذَا اللَّيْلِ لَا يَعْرِفُ الْبَيْلِي \* فَهَلْ أَرَيْنَ لِلصُّبْحِ فِي ذَيْلِهِ فَتَقَا

وقال أيضا :

أقول وللدجى عمرٌ مديدٌ \* وآخره يُردُّ إلى معادٍ  
وقد ضلَّتْ كواكبُه فظلتُ \* حيارى ما لها فى الأفقِ هادى  
لعلَّ الليلَ ماتَ الصُّبحُ فيه \* فلازمَ بعده بُسَّ الحدادِ

وقال آخر :

أما لظلامِ ليلى من صَبَاحٍ \* أما للنَّجمِ فيه من بَرَّاحٍ  
كأنَّ الأفقَ سُدَّ فليس يُرَجى \* به نَهَجٌ إلى كُلِّ النواحِ  
كأنَّ الشَّمسَ قد مُسِخَتْ نُجُومًا \* تَسِيرُ مَسِيرَ رُؤَادِ طِلَاحٍ  
كأنَّ الصُّبْحَ مَهْجُورٌ طَرِيدٌ \* كأنَّ الليلَ ماتَ صَرِيعَ رِاحٍ  
كأنَّ بناتِ نَعِيشٍ مُتَنِّ حُرْنًا \* كأنَّ النَّسْرَ مَكْسُورَ الجَنَاحِ

وقال آخر :

يا لَيْلَةَ طالتَ على عاشِقٍ \* مُتَظَرِّرٍ للصُّبْحِ مِيعَادًا  
كأدَّتْ تَكُونُ الحَوْلَ فى طُولِها \* إذا مَضَى أوْلُها عَادًا

وقال ابن الرومى :

رُبَّ لَيْلٍ كأنَّهُ الدَّهْرُ طُولًا \* قد تَنَاهَى فليسَ فيه مَزِيدُ  
ذِي نُجُومٍ كأنَّهُنَّ نُجُومِ الشَّيْبِ لَيْسَتْ تَزُولُ لَكِنْ تَرِيدُ

وقال أبو الأحنف :

حَدَّثُونِي عن النَّهارِ حَدِيثًا \* أوِصِفُوهُ فَقَدْ نَسِيتُ النَّهَارَا

وقال بشار :

طالَ هذا اللَّيْلُ بَلَّ طَالَ السَّهْرُ \* ولَقَدْ أُعْرِفُ لَيْلِي بِالْقِصْرِ

لم يَطْلُ حَتَّى دَهَانِي فِي الْهَوَى \* نَاعِمُ الْأَطْرَافِ فَتَّانُ النَّظَرِ  
فَكَأَنَّ الْهَجَرَ شَخْصٌ مَائِلٌ \* كَلَّمَا أَبْصَرَهُ النَّوْمُ نَفَّرَ

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

يَا لَيْلَ وَجِدٍ بَنَجِدِ \* أَمَا لَطِيفِكَ مَسْرَى  
وَمَا لِدَمْعِي طَلَبِيقٌ \* وَأَنْجُمُ الْجَوِّ أَسْرَى  
وَقَدْ طَمَأَ بَحْرُ لَيْلٍ \* لَمْ يُعْقِبِ الْمَدَّ جَزْرَا  
لَا يَبْعُرُ الطَّرْفُ فِيهِ \* غَيْرَ الْحَجَرَةِ جَسْرَا

وقال أبو مروان بن أبي الخصال :

وَلَيْلٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ أَفْضَى بَعْمَرَهُ \* جَمِيعًا إِلَيْهِ فَانْتَهَى فِي ابْتِدَائِهِ  
يُحَدِّثُ بَعْضُ الْقَوْمِ بَعْضًا بِطَوْلِهِ \* وَلَمْ يَمِضْ مِنْهُ غَيْرُ وَقْتِ عِشَائِهِ

وقال إبراهيم ولد ابن لنتك البصري، شاعر اليتيمة :

وَلَيْلَةٌ أَزْقِي طَوْلَهَا \* فِيهَا فِي حَيْرَةِ الدَّاهِلِ  
كَأَنَّمَا أَشْتَقَّتْ لِإِفْرَاطِهَا \* فِي طَوْلِهَا مِنْ أَمَلِ الْجَاهِلِ

وقال امرؤ القيس :

وَلَيْلٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرِيحٌ سُدُولَهُ \* عَلَى بَأْنَوَاعِ الْهُمُومِ لَيْتَلِي  
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمْطِي بِصُلْبِهِ \* وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِي  
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي \* بِصَبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ  
فِيَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ \* بِأَمْرَاسٍ تَكَّانُ إِلَى صَمِّ جَنْدَلِ

وقال آخر :

أَرَأَيْتَ فِي السَّمَاءِ بَنَاتٍ نَعِيشُ \* وَلَوْ أَسْطِيعُ كُنْتُ لهنَّ حَادِي  
كَأَنَّ اللَّيْلَ أَوْ تَقَى جَانِبَاهُ \* وَأَوْسَطُهُ بِأَمْرَاسٍ شِدَادِ

وقال أنعم بن حميد :

وليل طويل الجانين قطعته \* على كبد والدمع تجرى سوا كبه  
كوا كبه حسرى عليه كأنها \* مقيدة دون المسير كوا كبه

وقال ابن الرقاع :

وكان ليلى حين تغرب شمسه \* بسواد آخر مثله موصول  
أرعى النجوم إذا تغيب كوكب \* أبصرت آخر كالسراج يحوّل

وقال آخر :

ما لِنُجُومِ اللَّيْلِ لَا تَغْرُبُ \* كأنها من خلفها تجذب  
رَوَاكِدَ مَاظَرَ فِي غَرْبِهَا \* ولا بدأ من شرقها كوكب

وقال سعيد بن حميد :

يَالَيْلُ بَلْ يَا أَبَدُ \* أَنَا مِمَّنْ عَنكَ غَدُ  
يَالَيْلُ لَوْ تَلْقَى الَّذِي \* أَلْقَى بِهَا أَوْ تَجِدُ  
قَصْرَ مَنْ طُولِكَ أَوْ \* ضَعْفَ مَنْكَ الْجَلْدُ

وقال سيف الدين المشد :

مَاتَ الصَّبَاحُ بَلِيلُ \* أَحْيَيْتُهُ حِينَ عَسَعَسَ  
لَوْ كَانَ فِي الذَّهْرِ صُبْحٌ \* يَعِيشُ كَانَ تَنَفَّسُ

٧ - أما ما وُصِفَ بِهِ مِنَ الْقَصْرِ

فمن ذلك قول إبراهيم بن العباس :

وَلَيْلَةٌ إِحْدَى اللَّيَالِي الرَّهْرِ \* قَابَلْتُ فِيهَا بَدْرَهَا بِيَدْرِي  
لَمْ تَكُ غَيْرَ شَفِيقٍ وَفَجْرٍ \* حَتَّى تَوَلَّتْ وَهِيَ بِكُرِّ الدَّهْرِ

وقال الشريف الرضى :

يَالَيْلَةَ كَادَ مِنْ تَقَاصُرها \* يَعْتُرُ فيها العِشاءُ بالسَّحَرِ

وقال آخر :

يَالَيْلَةَ جَمَعْتَنَا بعد فُرْقَتَنَا \* فَيْتٌ من صُبحِها لَمَّا بدا فِرَاقا

لَمَّا خَالَوْتُ بِأَمالي هَما قُصِرْتُ \* وكادَ يَسْبِقُ فيها بَحرُها العَسَقا

وقال آخر :

يا رَبِّ لَيْلِ سُرُورِ خِلْتَهُ قِصَرا \* بِعَارِضِ البَرِّقِ في أُفقِ الدُّجى بَرَقا

قد كادَ يَعْتُرُ أولاهِ بِأخِرِهِ \* وكادَ يَسْبِقُ مِنْهُ بَحرُهُ الشَّفَقا

وقال القاضي السعيد بن سناء الملك :

يا لَيْلَةَ الوَصْلِ بل يا لَيْلَةَ العُمُرِ \* أَحْسَنَتِ إِلا إِلى المِشْتابِ في القِصَرِ

يا لَيْتَ زَيْدَ بِحِكمِ الوَصْلِ فِىكَ لَنَا \* ما طَوَّلَ الهَجْرُ مِنْ أَيامِكَ الأَنْحَرِ

أوليتَ نَجْمِكَ لَمْ تَقْفُلْ رِكاثُبه \* أوليتَ صُبحِكَ لَمْ يَقدَمِ مِنَ السَّفَرِ

أوليتَ لَمْ يَصُفْ فِىكَ الشَّرْقُ مِنْ غَيبِشِ \* فَذلكَ الصَّفْوُ عِنْدِي غايَةُ الكَدَرِ

أوليتَ كُلا مِنَ الشَّرْقَيْنِ ما آبَسَنا \* أوليتَ كُلا مِنَ النُّسْرَيْنِ لَمْ يَطرِ

أوليتَ كَنتِ كما قَدِ قالَ بَعْضُهُم \* "إِيلَ الضَّريرِ فَصُبحِي غيرَ مُتَظَرِّ"

أوليتَ بَحرَكَ لَمْ يَنْفِرْ بِهِ رَشْئِي \* أوليتَ شَمْسِكَ ما جارتِ عَلى قَمَرِي

أوليتَ قَلْبِي وطَرَفِي تَحْتَ مَلِكِ يَدِي \* فَزِدْتُ فِيهِ سَوادَ القَلبِ والبَصَرِ

أوليتَ ألقى حَبِيبِي سَحَرَ مُقَلَّتِهِ \* عَلى العِشاءِ فابْقاها بلا سَحَرِ

أوليتَ كَنتِ سائِئِهِ مُساعِدَةً \* فَكانَ يَحبُّوكَ بالتَكييلِ والشَّعَرِ

كانَها حينَ وُلَّتْ قَمْتُ أَجَدِيبِها \* فَانْقَدَ في الشَّرْقِ مِنْها الثَّوبُ مِنْ دُبرِ

لا مَرَحَبًا بِصَباحِ جَوائِي بَدَلًا \* مِنْ غُزاةِ النُّجْمِ أو مِنْ طَلَعَةِ القَمَرِ

وقال عبد الله بن المعتز :

يا ليلة ما كان أط \* بينها سوى قصر البقاء  
أحييتها فأمثها \* وطويئها طي الرداء  
حتى رأيت الشمس نت \* لمو البدر في أفق السماء  
فكانه وكأنها \* قدحان من نحر وماء

وقال المهلب :

قد قصر الليل عند الفتن \* كأن حادي الصباح صاح به

وقال آخر :

كأنما الليل راكب فرسا \* منهزما والصباح في طلبه

٨ - أما ما وُصف به من الإشراق

فمن ذلك قول شاعر أندلسي :

رُبَّ ليلٍ عمَّرتُه \* فيك خالٍ من الفكر  
كثرت حوله الحجو \* لُ وسارت به الغرر

وقال أبو بكر الصنوبري :

١٥ يا ليلة طلعت بأشعد طالع \* تاهت على ضوء النهار الساطع  
بجاسين مقرونه بجاسين \* وبدائع موصولة ببدايع  
ضوء الشموع وضوء وجهك مازجا \* ضوء العقار وضوء برق لآمع  
فكأنما ألقى الدجى جلبابه \* وأراك جلباب النهار الساطع

٩ - أما ما وُصِفَ به من الظلمة

قال الله عز وجل : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ . فهذه أتم أوصاف الظلمة .

وقال مضر بن ربيعي :

وليل يقول الناس في ظلماته \* سواء صحبات العيون وعورها  
كانت لنا منه بيوتاً حبة \* مسوح أعاليها وساح كسورها

وقال أبو تمام :

إليك هتكنا جنح ليل كأنما \* قد أكتحلت منه البلاد بإئمد

وقال أبو نواس :

أين لي كيف صرت إلى حريمي \* وجفن الليل مكتحل بقار

وقال العلوّى الأصفهاني :

وربّ ليل باتت عساكره \* تحل في الجوّ سُودَ رايات  
لامعة فوقها أسنتها \* مثل الأزاهير وسط روضات

ومن رسالة لأبي عبد الله بن أبي الخصال . جاء منها :

والليل زنجي الأديم ، تبري النجوم ، قد جالنا ساجه ، وأغرقتنا أمواجه ، فلا مجال  
للحظ ، ولا تعارف إلا باللفظ ، ولو نظرت فيه الزرقاء لا كتحت ، ولو خضبت به  
الشبية ما نصلت .

(١) جمع مسح بكسر فسكون وهو الكساء . يتخذ من الشعر .

## ١٠ - ومما قيل في تباشير الصباح

قال أبو محمد العلوي :

كَأَنَّ أَخْضِرَّارَ الْجَوْضَرُحِ مَمْرَدٌ \* وَفِيهِ لَيْلٌ لَمْ تُشَنَّ بِتُقُوبِ  
كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ فِي صَوِّهِ صُبْحِهِ \* سَوَادُ شَبَابٍ فِي بَيَاضِ مَشِيبِ

وقال أبو علي بن لؤلؤ الكاتب :

رُبَّ بَغْرِ كَطَلْعَةِ الْبَدْرِ جَلَّى \* جُنْحَ لَيْلٍ كَطَلْعَةِ الْهَجْرَانِ  
زَارَ فِي حُلَّةِ الْبُرَاةِ فَوَلَّى اللد \* يَلُّ عَنْهُ فِي حُلَّةِ الْغُرْبَانِ

وقال الخالديان :

وَكَأَنَّما الصُّبْحُ الْمُنِيرُ وَقَدْ بَدَأ \* بَارِئًا <sup>(١)</sup> أَطَارَ مِنَ الظَّلَامِ غُرَابًا

وقال النظم البليغي، من شعراء الحريرة :

فَلَا حَ الصُّبْحُ مَبْتِمِ النَّسَايَا \* وَطَارَ اللَّيْلُ مَقْضُوصَ الْجَنَاحِ  
يَطِيرُ غُرَابٌ أَوْ كَارِ الدِّيَابِجِي \* إِذَا مَا حَلَّ بَارِئُ الصُّبْحِ

وقال تميم بن المعز :

وَكَأَنَّ الصُّبْحَ فِي الْأَفْقِ بَارِئٌ \* وَالذُّجَى بَيْنَ مَحَلِّيهِ غُرَابٌ

وقال ابن وكيع :

عَرَدَ الطَّيْرُ فَنَبَّهَ مِنْ نَعَسٍ \* وَأَدْرُ كَأَسْكَ فَالْعَيْشُ حُلَسٌ  
سُلَّ سَيْفُ الْفَيْجَرِ مِنْ عَمْدِ الدُّجَى \* وَتَعَرَّى الصُّبْحُ مِنْ ثَوْبِ الْعَلَسِ  
وَأَنْجَلَى فِي حُلَّةِ فَضْصِيَّةٍ \* مَا بَهَا مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ دَنَسٌ

(١) البار: لغة في البازي. (عن الجوهرى)، وأخبرنا ذلك لأنه منقول عن كلمة فارسية هي "باز". وتركبة

"طوغان" وهو نوع من الصقور وأشد الجوارح تكبرا وأضيقها خلقا. يوجد بأرض الترك ويؤخذ للصيد.

وقال أبو مروان بن أبي الخصال :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْغَرْبَ قَدْ غَضَّ بِالْذَجَى \* وَفِي الشَّرْقِ مِنْ ثُوبِ الصَّبَاحِ دَلَائِلُ  
تَوَهَّمْتُ أَنْ الْغَرْبَ بَحْرٌ أَخُوْضُهُ \* وَأَنْ الَّذِي يَبْدُو مِنْ الشَّرْقِ سَاحِلُ

وقال أسعد بن بليطة الأندلسي :

بَرَّتْ مِسْكُ الدَّجَى كَافُورَةُ السَّحَرِ \* فغَابَ إِلَّا بَقَايَا مِنْهُ فِي الطَّرْرِ  
صَبْحٌ يَفِيضُ وَجُنْحُ اللَّيْلِ مُنْغَمِسٌ \* فِيهِ كَمَا غَرِقَ الزَّيْجِيُّ فِي نَهَرِ  
قَدْ حَارَ بَيْنَهُمَا فِي بَرَزَخٍ قَمَرٌ \* يُلُوحُ كَالشَّنْفِ بَيْنَ الْخَدِّ وَالشَّعَرِ

وقال أحمد بن عبد العزيز القرطبي :

بُنَا كَأَنَّ حِدَادَ اللَّيْلِ شَمَلْتَنَا \* حَتَّى بَدَا الصَّبْحُ فِي ثُوبِ سَحُولِي  
كَأَنَّ لَيْلَتَنَا وَالصَّبْحُ يَتْبَعُهَا \* زَنْجِيَّةٌ هَرَبَتْ قُدَّامَ رُومِي

وقال أبو نُوَّاس :

فَقُمْتُ وَاللَّيْلُ يَجْلُوهُ الصَّبَاحُ كَمَا \* جَلَا التَّبَسُّمُ عَنْ غُرِّ الثَّنِيَّاتِ

وقال عبد الله بن المعتز :

قَدْ أَعْتَدِي وَاللَّيْلُ فِي جِلْبَابِهِ \* كَالْحَبَشِيِّ فَتَرَ مِنْ أَصْحَابِهِ  
وَالصَّبْحُ قَدْ كَشَّرَ عَنْ أُنْيَابِهِ \* كَأَمَّا يَضْحَكُ مِنْ ذَهَابِهِ

وقال السري :

وَشَرَّدَ الصَّبْحُ عَنَّا اللَّيْلَ فَاتَّضَحْتُ \* سَطُورُهُ الْبَيْضُ فِي آيَاتِهِ السُّودِ

وقال أبو فراس :

مَدَدْنَا عَلَيْنَا اللَّيْلَ وَاللَّيْلُ رَاضِعٌ \* إِلَى أَنْ تَرَدَّى رَأْسُهُ بِمَشِيبِ  
بِحَالِ تَرْدِ الْحَاسِدِينَ بَغِيظِهِمْ \* وَتَطْرُفُ عَنَّا عَيْنَ كُلِّ رَقِيبِ  
إِلَى أَنْ بَدَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ \* مَبَادِي نُصُولِ فِي عِدَارِ خَضِيبِ

وقال عبد الصمد بن بابك، شاعر اليتيمة :

وَأَسْتَهَلَّتْ لِمَصْرَعِ اللَّيْلِ وَرُزْقٍ \* ثَاكَلَاتُ حَدَادُهَا التَّطْوِيقُ  
فَضَاحَكْتُ شَامِتًا وَكَأَنَّ الصَّبِيحَ جَيْبٌ عَلَى الدَّبْحِ مَشْقُوقُ

وقال أبو بكر الصنوبري :

وَلَيْسَ كَالرَّفْرِفِ الْمُعَلِّمِ \* مَحْفُوفَةِ الظُّلَمَاءِ بِالْأَنْجَمِ  
تَعَلَّقَ الفَجْرُ بِأَرْجَائِهَا \* تَعَلَّقَ الْأَشَقْرُ بِالْأَذْمِ

وقال السلامي، شاعر اليتيمة :

وَقَدْ خَالَطَ الفَجْرُ الظُّلَامَ كَمَا آتَقَى \* عَلَى رَوْضَةِ خَضْرَاءَ وَرَدٌ وَأَدْمُ  
وَعَهْدِي بِهَا وَاللَّيْلُ سَاقٍ وَوَضَلْنَا \* عَقَارٌ وَفُوهَا الكَأْسُ أَوْ كَأْسُهَا الفَمُ  
إِلَى أَنْ يُدْرِنَا بِالنَّجُومِ وَغَرِبُهَا \* يَفُضُّ عُقُودَ الدَّرِّ وَالشَّرْقُ يَنْظُمُ  
وَنَبَّهْتُ فَيْتِيَانَ الصَّبُوحِ لِلذَّةِ \* تَلُوحُ كَدِينَارٍ يُغَطِّيهِ دِرْهَمُ



ومن رسالة للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي، عفا الله عنه . جاء منها :

” فلما قضى الليل نحبسه ، وأرسل الصباح على دُهمه شُبهه ؛ شمر الليل لزاره ،  
ووضع النجم أوزاره ؛ ونزح بالطيف طارداً ، وظل وراء الصبح ناشداً ؛ وبخّر  
الفجر نهر النهار ، وأسترد البنفسج وأهدى البهار ؛ فواكب الكواكب منزهة ،  
وغرّة الفجر كغرة مولاي مبتسمة “ .



ومما يدخل في هذا الباب ، ما حكى أن بعض الأعراب تزوج بأربع نسوة ،  
فأراد أن يختبر عقولهن .

فقال لإحدهن : إذا دنا الصبحُ فأيقظيني . فلما دنا الصبح ، قالت له : قم ، فقد دنا الصبح ؛ فقال : وما يدريك ؟ قالت : غارت صغار النجوم وبقى أحسنها وأضوؤها وأكبرها ، وبرَدَ الحُلَّى على جسدي ، وأستلذذتُ بأستنشاق النسيم . فقال لها : إن في ذلك دليلاً .

ثم بات عند الثانية ، فقال لها مثل مقالته للأولى . فلما دنا الصبح ، أيقظته . فقال لها : وما يدريك ؟ قالت : ضحكت السماء من جوانبها ، ولم تبق نابتة إلا فاحت رواحُها ، وعيني تطالبي بإغفاءة الصباح . فقال لها : إن في ذلك دليلاً .

ثم بات عند الثالثة ، فقال لها مثل ذلك . فلما دنا الصبح ، أيقظته . فقال لها : وما يدريك ؟ فقالت : لم يبق طائر إلا غرَّد ، ولا ملبوس إلا برَد ، وقد صار للطرف في الليل مجال ، وليس ذلك إلا من دنو الصباح . فقال لها : إن في ذلك دليلاً .

ثم بات عند الرابعة ، فقال لها مثل ذلك . فلما دنا الصبح ، قالت له : قم ، فقد دنا الصبح ! فقال لها : وما يدريك ؟ قالت : أبت نفسي النوم ، وطلبنى في بالسواك وأحججت إلى الوضوء . فقال لها : أنت طالق ، فإنك أبقجهن وصفا .

## ١١ - ذكر ما قيل في النهار

والنهار طبيعي ؛ وشرعي .

فالطبيعي زمان بين طلوع نصف قرص الشمس من المشرق ، وإلى غيابه في المغرب . والشرعي ما بين انفجار الفجر الثاني إلى غروب الشمس .

والفجر بخران : الفجر الكاذب ، وهو بياض مستطيل ؛ والفجر الصادق بياض

مستطير .

§ وقد وضعت العرب لساعات النهار أسماء، كما وضعت لساعات الليل، وهي:  
الذُرُورُ، ثم البُرُوعُ، ثم الضُّحَى، ثم الغَزَالَةُ، ثم الهَاجِرَةُ، ثم الزَّوَالُ، ثم الدُّلُوكُ،  
ثم العَصْرُ، ثم الأَصِيلُ، ثم الصَّبُوبُ، ثم الحُدُورُ، ثم الغُرُوبُ .

ويقال أيضا: البُكُورُ، ثم الشُّرُوقُ، ثم الإِشْرَاقُ، ثم الرَّادُّ، ثم الضُّحَى، ثم المَتَوَعُ،  
ثم الهَاجِرَةُ، ثم الأَصِيلُ، ثم العَصْرُ، ثم الطَّفَلُ، ثم العَشيُّ، ثم الغُرُوبُ .  
ذكر ذلك معا أبو جعفر النحاس .

وحكى الثعالبي في كتاب فقه اللغة — عن حمزة بن الحسن — قال : وعليه عهدتها :  
الشُّرُوقُ، ثم البُكُورُ، ثم الغُدُوةُ، ثم الضُّحَى، ثم الهَاجِرَةُ، ثم الظَّهيرةُ، ثم الرِّوَّاحُ،  
ثم العَصْرُ، ثم القَصْرُ، ثم الأَصِيلُ، ثم العَشيُّ، ثم الغُرُوبُ .

§ وكانت العرب العاربة تُسَمِّي أيام الأسبوع بأسماءٍ غير هذه التي نتداولها الناس  
في وقتنا هذا، وهي :

”أَوَّلُ“ وهو الأحد ”أَهْوَنُ“ وهو الاثنان ”جُبَارٌ“ وهو الثلاثاء ”دُبَارٌ“  
وهو الأربعاء ”مُؤْنِسٌ“ وهو الخميس ”عَرُوبَةٌ“ وهو الجمعة ”شِيَارٌ“ وهو السبت .  
نظم ذلك شاعرٌ فقال :

أؤمِّلُ أن أَعِيشَ وأنَّ يَوْمِي \* لأوَّلَ أو لِأَهْوَنَ أو جُبَارِ  
أو التَّالِي دُبَارَ وإن أفنُه \* فمؤنِسَ أو عَرُوبَةَ أو شِيَارِ

٥٤

## ١٢ — ذكر الأيام التي خُصَّت بالذكر

منها :

§ الأيام المعلومات . وهي عشر ذى الحجة، وفيها يوم التَّروِيَةِ . وهو اليوم

الثامن سمى بذلك لأنهم يرتوون من الماء لما بعده، لأن مَنى لا ماء بها .

§ الأيام المعدودات . هي أيام التشريق . وعدتها ثلاثة بعد يوم النحر . سميت بذلك لأنهم كانوا يشترقون فيها لحوم الأضاحي في الشمس والهواء ، لئلا تفسد .  
 § أيام العجوز . ويقال فيها الأيام الأعجاز ، وهي سبعة : أولها السادس والعشرون من شباط من شهور الروم ، والخامس من برمهات من شهور القبط . وهي لا تخلو من رياح وبرد . وسميت بالعجوز لأنها في عجز الشتاء .

§ يوم عبيد ، مثل لليوم المنحوس . كان عبيد بن الأبرص قد تصدّى للنعمان في يوم يؤسه الذي لا يفلح من لقيه فيه ، كما لا يجيب من لقيه في يوم نعيمه ، قال أبو تمام :

من بعد ما ظنّ الأعادي أنه • سيكون لي يوم كيوم عبيد

§ يوم المطر . يضرب مثلا في كفر النعمة . وذلك أنه حكى عن المعتمد على الله ابن عباد صاحب إشبيلية أنه خلا بزوجه الرميكية في مجلس أنس ، والزمان فيه قيظ . فتمنت عليه غيا ومطرا . فأمر بجامر العنبر والعود والند ، حتى انعقد الدخان كالضباب ، ثم أمر برش صحن المجلس بماء الورد من أعلاه . وحصل بينهما بعد ذلك نبوة ، فقالت له : ما رأيت معك يوم سرور قط ! فقال لها : ولا يوم المطر !  
 صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قوله : لمن يكفرن العشير .

§ يوم عاشوراء . وهو اليوم العاشر من المحرم . ورد في فضله أحاديث كثيرة . ويقال إن نوحا (عليه السلام) ركب السفينة فيه فصامه وأمر من معه بصومه . وصح أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما هاجر ، رأى اليهود في المدينة صياما في هذا اليوم . فسألهم عنه ، فقالوا : هذا اليوم الذي نبى الله تعالى فيه موسى

(٢) راجع رواية أوفي في فتح الطب لقرى وقد سماه "يوم الطين" . (ص ٢٨٧ ج ١ طبعة ليدن) .

وبنى إسرائيل، وأغرق فرعون وقومه . فنحن نصومه شكراً لله تعالى . فقال (عليه الصلاة والسلام) : أنا أحقُّ بأبني موسى . ثم أمر منادياً فنادى : من أكل فليُمسِكْ ، ومن لم يأكل فليصُم !

وفيه قُتِلَ الحسين بن عليّ (رضي الله عنهما) .

### ١٣ - ذكر أيام أصحاب المثلث

٥ § يوم الجمعة ، للمسلمين . وسبب اتّخاذهم له أنه اليوم الذي أتمَّ الله فيه خلق العالم ، وأوجد فيه أبا البشر آدم (عليه السلام) وفيه قُبِضَ ، وفيه يكون النفخُ في الصور ، وفيه الصَّعْقُ ، وفيه الساعة التي لا يُصادفُها عبدٌ مسلم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها له .

١٠ § يوم السبت ، لليهود . ومُحِبَّتُهُمْ على اتّخاذهم له أن الله تعالى أبتدأ خلق العالم يوم الأحد ، وفرغ منه يوم الجمعة ، وأن يوم السبت يومُ فراغٍ ودَعَا . ولهم في ذلك أقوال كثيرة .

§ يوم الأحد ، للنصارى . ذكر في سبب اتّخاذهم له أن الله (سبحانه وتعالى) أبتدأ فيه بخلق الأشياء .

### ١٤ - ذكر ما يُمَثَّلُ به مما فيه ذكر النهار

١٥

يقال :

أطولُّ من يوم الفراق . أضواءٌ من نهارٍ . أنورٌ من وضح النهار .

ويقال :

٢٠ يَذْهَبُ يَوْمُ الْحَمِّ وَلَا يُشْعِرُ بِهِ ، مَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بَيْرٍ . مَنْ يَرِي يَوْمًا يَرِيهِ . يَوْمُ السَّرُورِ قَصِيرٌ . الْيَوْمَ نَحْمَرُ وَغَدًا أَمْرٌ . الْيَوْمَ عَيْشٌ وَغَدًا خَيْشٌ . الْيَوْمَ فَعَلْتُ وَغَدًا ثَوَابٌ .  
يَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ عَلَيْنَا . لِكُلِّ قَوْمٍ يَوْمٌ .

ومن أنصاف الأبيات :

\* وهل يَحْتَنِي على الناس النهارُ \* وفي اللَّيَالِي والأَيَّامِ مُعْتَبَرٌ <sup>(١)</sup> \*

ومن الأبيات :

وَأَلَّهُ مَا أَمَكْنَ يَوْمَ صَالِحٍ \* إِنَّ يَوْمَ الشَّرِّ لَا كَانَ عَتِيدَ

وقال آخر :

أُمَامَ لَا أَدْرِي وَإِنْ سَأَلْتِ \* مَا نُسِكُ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ سَبْتِ

وقال آخر :

وَأَيَّامُ الشُّرُورِ مُقَصَّصَاتٌ \* وَأَيَّامُ الشُّرُورِ تَطِيرُ طَيْرًا

وقال آخر :

لَا تَحْمِلَنَّ هُمُومَ أَيَّامٍ عَلَى \* يَوْمٍ لَعَلَّكَ أَنْ تُقَصِّرَ عَنْ غَدِهِ

١٠

### ١٥ - ذكر شيء مما قيل في وصف النهار وتشبيهه

فمن ذلك قول شاعر، يصفه بالقصر :

ويوم سُرُورٍ قَدْ تَكَامَلَ وَصْفُهُ \* سِوَى قِصْرِ لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَاهُ

وَعَهْدِي بِهِ كَالرَّيْحِ طَوَّلًا فِعِنْدَمَا \* هَزَزْنَاهُ لِلَّهِوَ اتَّقَى طَرْفَاهُ



وقال آخر :

١٥

بِأَبِي مَنْ نَعِمْتُ مِنْهُ بِيَوْمٍ \* لَمْ يَزَلْ لِلشُّرُورِ فِيهِ بُرُوءٌ

يَوْمٌ لَهْوٍ قَدْ اتَّقَى طَرْفَاهُ \* فَكَأَنَّ العَشَى فِيهِ غُدُوٌّ

وقال آخر :

لَمْ يَنْتَشِرْ فَالِقُ الإِصْبَاحِ مِنْ قِصْرِ \* فِيهِ إِلَى أَنْ طَوَاهُ فَيَلْقُ الغَسَقَ

(١) لعل أصله : «رفى الأيام» غذفت كلمة «فى» من النسخ .

٢٠

ولم يكن مُلتقى جَفَنِي أَحَى رَمِيدٍ \* كَلْتَقِي طَرْفِيهِ الصُّبْحِ وَالشَّفَقِ  
وما تناولتُ فِيهِ الرِّطْلَ مُضْطَبِحًا \* إِلَّا أَعَادَتْهُ مِنِّي كَفٌّ مُغْتَبِقِ  
وقال آخر :

لِللَّهِ يَوْمٌ مَسْرِيَةٌ \* أَضْوَأُ وَأَقْصَرُ مِنْ دُبَالِهِ  
لَمَّا نَصَبْنَا لِلنَّبِيِّ \* فِيهِ بِأَشْرَاكِ جِبَالِهِ  
طَارَ النَّهَارُ مُرْوَعًا \* فِيهِ وَأَجْفَلَتِ الْغَزَالَهُ

وقال آخر :

حُثَّ الكُؤُوسَ فَذَا يَوْمٌ بِهِ قِصْرٌ \* وَمَا بِهِ مِنْ تَمَامِ الحُسَيْنِ تَقْصِيرُ  
صَحْوٌ وَغَيْمٌ يَرُوقُ الطَّرْفَ حَسْنَهُمَا \* فَالصَّحْوُ فَيُرْوِجُ وَالغَيْمُ بَلُورُ

وقال آخر :

وَيَوْمٌ تَكَلَّى الْغَانِيَاتِ سَلْبُهُ \* حُلِيَّ الرَّبَا حَتَّى أَنْتَقَى وَهُوَ عَاطِلُ  
سَبَقَتْ إِلَيْهِ الشَّمْسُ وَالشَّمْسُ غَضَّةٌ \* وَصَبَّغَ الدَّجِي مِنْ مَفْرَقِ الْفَجْرِ نَاصِلُ

\*  
\*

ومن كلام ابن برد الأصغر الأندلسي :

اليومُ يومٌ بَكَتْ أَمْطَارُهُ، وَضَحِكَتْ أَزْهَارُهُ، وَتَقَنَعَتْ شَمْسُهُ، وَتَعَطَّرَ نَسِيمُهُ؛  
وَعِنْدَنَا بَلْبَلٌ هَزِجٌ، وَسَاقِي غَنْجٍ، وَسُلَافَتَانِ : سُلَافَةُ إِخْوَانٍ وَسُلَافَةُ دِنَانٍ؛ قَدْ  
تَشَاكَلْنَا فِي الطَّبَاعِ، وَأَزْدُوجْنَا فِي إِثَارَةِ السَّرُورِ . فَاتَّخِرْ قَلْبَنَا سُرَادِقَ الدَّجَنِ تَجِدْ  
مَرَأَى لَمْ يَحْسُنْ إِلَّا لَكَ، وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِكَ .

ومن كلامه أيضا :

لَمْ نَلْتَقِ مِنْذُ عَرِينَا مَرْكَبَ اللّهُو، وَأَخْلَيْنَا رَبِيعَ الأَنْسِ، وَقَصَصْنَا جَنَاحَ الطَّرْبِ،  
وَعَبَسْنَا فِي وَجْهِهِ اللَّذَاتِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ نَخْفَ إِلَى مَجْلِسٍ قَدْ نُسِخَتْ فِيهِ الرِّيحِينَ

بالدواوين، والمجامر بالمخابر، والأطباق، بالأوراق، وتنازع المدام، بتنازع الكلام؛  
وآستماع الأوتار، باستماع الأخبار؛ وسميع البلايل، بسجع الرسائل؛ كأن أشخذ  
لذهنك، وأرشد لرأيك .

## ١٦ - ذكر شيء مما وصفت به الآلات

### الموضوعة لمعرفة الأوقات

قد وضع أهل هذا الفن لمعرفة درجات الليل وساعات النهار آلات، يستدلون بها  
على معرفة ما مضى من ذلك وما بقى، ولتحرير المواقيت: كالأصطرلاب، والطرجهارة  
والبنكام .

ووصف الشعراء والفضلاء ذلك بأوصاف، نذكر منها إن شاء الله تعالى  
ما تقف عليه .

١ - فأما الأصطرلاب وما قيل فيه ،

فقال أبو طالب عبد السلام المأموني :

وشبهه بالشَّمْسِ يَسْتَرِيقُ الأَذْنَ \* وَاوَّارَ مِنْ نُورِ جِرْمِهَا فِي خَفَاءِ  
فَسْتَرَاهُ أَدْرَى وَأَعْلَمَ مِنْهَا \* وَهَوِيَ الأَرْضَ، بِالذِّى فِي السَّمَاءِ

وقال أيضا :

وَعَالِمَ بِالْغَيْبِ مِنْ غَيْرِ مَا \* سَمِعَ وَلَا قَلْبٍ وَلَا نَاطِرِ  
يُقَابِلُ الشَّمْسَ فَيَأْتِي بِمَا \* صُمِّمَتْهَا مِنْ خَيْرِ حَاضِرِ  
كَأَنَّهَا نَاجَتْهُ لَمَّا بَدَأَ \* لِعَيْنِهَا بِالفِكْرِ وَالْحَاطِرِ  
وَأَلْهَمَتْهُ عِلْمَ مَا يَحْتَرِي \* عَلَيْهِ صَدْرُ الفِلَكِ الدَّائِرِ

وقال أبو إسحاق الصابى، وقد أهداه فى مهرجان إلى مخدومه :  
 أهدى إليك بنو الآمال وأجتهدوا \* فى مهرجانٍ جديد أنت تُبلييه  
 لكنَّ عبدك إبراهيم، حين رأى \* سموَّ قدرِكَ عن شئٍ يُساميه  
 لم يرض بالأرض يُهدِيها إليك فقد \* أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه  
 وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز :

أفضل ما استصحب النبيل فلا \* يُعدل به فى المقام والسفير  
 حرم إذا ما التمت قيمته \* جلَّ عن التبر وهو من صُفْرِ  
 مُخصَّر وهو إذ تُفَشِّشُه \* عن ملح العلم غير مُخصَّر  
 ذو مقلة تستنير ما رمقت \* عن صائب المحظ صادق النظر  
 تمحله وهو حامل فلكا \* لو لم يدر بالبنان لم يدر  
 مسكنه الأرض وهو يُثبنا \* عن جل ما فى السماء من خبر  
 أبدعه رب فكرة بعدت \* فى اللطف عن أن تقاس بالفكر  
 فاستوجب الشكر والثناء به \* من كل ذى فطنة من البشر  
 فهو لذى اللب شاهد عجب \* على اختلاف العقول والفطر

وكتب أبو الفرج البقاء يصف أصطربا بأهداه فقال :

آرتك — أيدك الله — بيهان الحكمة ونسبها ، ومدار الفلسفة وقطبها ، ومُرشد الفكر  
 ومنازه ، وميزان الحس ومِياره ، ونافى الشك ومُزِيله ، وشاهد الأثير ودليله ، ومصوِّر  
 الحكمة ومُثلها ، ومقسِّم البروج ومعدِّها ، وموقف النجوم ومسيرها ، وجامع الأقاليم  
 ومدبرها ، مرآة الحيك ، وصوره الفلك ، وأمين الكواكب ، وحدَّ المشارق والمغارب ،  
 مما اخترعت العقول تسطيعه ، وأتقن الحساب تصحيحه ، وتمارت الفطن  
 فى ترتيبه ، وأصطاحت الحكماء على تركيبه ، فأوضحت بالنقش تقسيمه ، وأبانت بالكتابة

رُسومَه ؛ إلى أن شافهنَا بالارتِفاع على بعد مسافته ، وحصرَ متفرِّقَ الأمور في حرقٍ  
عضادته ؛ وأحتوى على قُطرِي الشَّمالِ والجنُوبِ ، وأطلع باللطف على خفيَّات  
الغيوب ؛ الملقب بالأصطرلاب ، الفاصل بين الخطأ والصواب .

وقال أبو نصر الكاتب فيه :

قطبُ الزمن ومسدَّاره ، وميزانُ الفلك ومعيَّارُه ؛ وأساسُ الحكمة وموضوعها ،  
وتفصيلُ الفطنة ومجموعُها ؛ الناطقُ في صمته ، الموفى على نعمته ؛ مظهرُ السَّرِّ المكنون ،  
المخبر بما كان وما يكون ؛ ذو شكلٍ مقمرٍ مستدير ، ولونٍ مشمسٍ مستنير ؛ ومنطقة  
محيطة بأجزائه ، وخطوطٌ معتدلةٌ على أعضائه ؛ وكتابةٌ مطبقةٌ بتدويره ، ورموزٌ بأثمة  
بضميره ؛ متقابل الأهداف ، متكامل الأوصاف ؛ بحجرة مسكونة ، وصفائح مصونة  
وقد موموق ، وباب مطروق ؛ للعلم فتحه ورتاجه ، وعليه طريقته ومنهاجه ؛ إذا  
أنتصب قال فحمد ، وإذا أضطجع عبي فلم يُفد ؛ صُفري الانتساب ، ذهبي  
الإهاب ؛ يخترق الأنوار من نقابه ، ويستخدم الشَّمس في حسابِه ؛ يجمع الشرق  
والغرب في صفحته ، ويستتره الحامل في راحته ؛ رافعه ينظر من تحته ، وأخباره  
تسند عن تحرته .

٢ - ومما قيل في طَرْجَهارة :

قال أبو الفتح كُشَّاجِمُ يصفها :

رُوحٌ من الماءِ في جِسْمٍ من الصُّفْرِ \* مؤلَّفٌ بلطيفِ الحِسِّ والفِكرِ  
له على الظُّهرِ أجفانٌ مَحَجَّرَةٌ \* ومُقَلَّةٌ دَمْعُها جارٍ على قَدَرِ  
تُنشأ له حَرَكَاتٌ في أَمَاقِلِه \* كأنها حَرَكَاتُ الماءِ في الشَّجَرِ  
وفي أعاليه حُسابٌ مُفَصَّلَةٌ \* للناظِرِينَ بلا ذِهْنٍ ولا نَظَرِ

(١) هي من الآلات التي تعرف بها الساعات . ولهم آلات أخرى في هذا المعنى مثل صندوق الساعات ،  
دبة الساعات ، الرخامة ، المكحلة ، اللوح (أنظر مفاتيح العلوم لخواززمي ص ٢٣٥ طبع ليدن) .

- إذا بكى دار في أحشائه فَلَكُ \* خَافِي الْمَسِيرِ وَإِنْ لَمْ يَبْكِ لَمْ يَدْرِ  
وَمُخْرَجٌ لَكَ بِالْأَجْزَاءِ أَلْفَهَا \* مِنَ النَّهَارِ وَقَوْسُ اللَّيْلِ فِي السَّحَرِ  
مُتْرَجِمٌ عَنْ مَوَاقِيْتٍ يُحَبِّرُنَا \* عَنْهَا فَيُوجِدُ فِيهَا صَادِقَ الْخَبْرِ  
تُقْضَى بِهِ الْخَمْسُ فِي وَقْتِ الْوَجُوبِ وَإِنْ \* غُطِّيَ عَلَى الشَّمْسِ أَوْ غُطِّيَ عَلَى الْقَمَرِ  
وَإِنْ سَهْرَتْ لِأَسْبَابٍ تُؤَرِّقُنِي \* عَرَفْتُ مَقْدَارَ مَا أَلْقَى مِنَ السَّهْرِ  
مُحَدِّدٌ كُلَّ مِيقَاتٍ تَخَيَّرُهُ \* ذُووُ التَّخْيِيرِ لِلْأَسْبَابِ وَالسَّفَرِ

## الباب الثاني

### من القسم الثالث من الفن الأول في الشهور والأعوام

- ١٠ نذكر في هذا الباب الشهور العربية، وأشتقاقها، والشهور العجمية، ودخول بعضها في بعض، والسنين القمرية والشمسية، والنسب ومعناه، وما يجري هذا الجرى، مما لحناه أثناء المطالعة بعون الله تعالى وقدرته . وإياه أسأل التوفيق بكرمه ومته ! .

#### ١ - ذكر الشهور وما قيل فيها

- الشهر إما طبيعي، وإما أصطلاحي .  
١٥ فالطبيعي هو مدة مسير القمر من حين يفارق الشمس إلى حين يفارقها مرة أخرى .  
وقال آخرون : هو عود شكل القمر في جهة بعينها إلى شكله الأول .  
وأما الأصطلاحي، فهو مدة قطع الشمس مقدار برج من بروج الفلك . وذلك ثلاثون يوماً، وثلاث عشر يوم بالتقريب . وهذا مذهب الروم، والسريان، والفرس والقبط . والله سبحانه وتعالى أعلم !

٥٧

٢ - ذكر الأشهر العربية

وما يختص بها من القول

والأشهر العربية قسمان : قسم غير مستعمل ، وهو الذي وضعته العرب العاربة ؛ وقسم مستعمل ، وهو الذي وضعته العرب المستعربة . وكلا القسمين موضوع على الأشهر القمرية .

§ فأما القسم غير المستعمل ، فهو أسماء كانت العرب العاربة أصطلحوا عليها ، وهي : مؤتمر ، ناجر ، خوان ، صوان ( ويقال فيه بضان ) ، رثنى ، أيدة ، الأصم ، عادل ، ناطل ، واغل ، ورنة ، برك .

وفي هذه الأسماء خلاف عند أهل اللغة . والذي ذكرناه منها هو المشهور ،

ويدل عليه قول الشاعر :

بمؤتمِرٍ وناجرٍ آبتدأنا \* وبالخوانٍ يتبعه البضانُ  
ورثنى ثم أيدةٌ تليه \* تعودُ أصمَّ صمَّ به السنانُ  
وعادله وناطله جميعاً \* وواغله فهم غرر حسانُ  
وررنةٌ بعدها بركٌ فتمت \* شهوراً حول يعقدها البنانُ

§ وأما القسم المستعمل فهو هذه الأسماء المشهورة :

المحرم ، صفر ، الربيعان ، الجماديان ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة .

قيل : وإنما وضعوا هذه الأسماء على هذه الشهور لأنفاق حالات وقعت في كل

شهر ، فسمى الشهر بها عند ابتداء الوضع . فسموا المحرم محرمًا لأنهم أغاروا فيه

فلم ينجحوا ، فحرموا القتال فيه ، فسموه محرمًا . وسموا صفرًا لصفر بيوتهم فيه منهم

عند خروجهم إلى الغارات . وقيل : لأنهم كانوا يُغيرون على الصُفريّة، وهي بلاد .  
 وشهر ربيع لأنهم كانوا يُحْصَبون فيهما بما أصابوا في صفر، والربيع : الخِصْب .  
 والجُمَاديان من جَمَدِ الماء، لأن الوقت الذي سميا فيه بهذه التسمية كان الماء جامدا  
 فيه لبرده . ورجب : لتعظيمهم له . والترجيب : التعظيم . وقيل : لأنه وسط السنة فهو  
 مشتق من الرواجب، وهي أنامل الأصبع الوسطى . وقيل : إن العود رجب النبات  
 فيه أي أخرجته، فسمى بذلك . وكذلك تشعب العود في الشهر الذي يليه، فسمى  
 شعبان . وقيل : سمي بذلك لتشعبهم فيه للغارات . وسمى رمضان، أي شهر الحَرّ .  
 مشتق من الرمضاء . وشوّال، من شالت الإبل أذنانها إذا حالت، أو من شال يشول  
 إذا ارتفع . وذو القعدة لعودهم فيه عن القتال إذ هو من الأشهر الحرم . وذو الحجة  
 لأن الحج آتفق فيه، فسمى به .

١٠

ويقال : إن أول من سماها بهذه الأسماء، كلاب بن مُرّة .

ومن مجموع هذه الأشهر أربعة حُرْم، ثلاثة سَرْد، وهي ذو القعدة، وذو الحجة،  
 والمحرم، وواحد فَرْد، وهو رجب .

هذا ما رواه الأصمعيّ عن العرب في ترتيب الأشهر الحرم . وأختار غيره أن الواحد  
 الفرد هو المحرم، والسرد رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، لتكون الأربعة الأشهر في سنة  
 واحدة . وهذا مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما .

١٥

ومنها أربعة أشهر لا تكاد العرب تنطق بها إلا مضافة، وهي : شهر ربيع،  
 وشهر رجب، وشهر رمضان .

فهذه الشهور العربية وما قيل فيها .

٣ - وأما شهور اليهود

فأسمائها :

تشرى ، مرحشوان ، كسلاو ، طابات ، شباط ، آذار ، نيسان ، أيار ، سيوان ، تموز ، آب ، أيلول .

٤ - وأما الشهور العجمية

فإنها شمسية . وهي أقسام ، بحسب الأمم التي تنسب إليهم .

§ فتنها الشهور القبطية ، وتنسب لدقلطيانوس . وكل شهر منها ثلاثون يوما . وما فضل من عدد أيام السنة الشمسية جعلوه كيبسا في آخر شهر منها ، وهي :

توت ، بابه ، هاتور ، كيهك ، طوبه ، أمشير ، برمها ، برمودة ، بشنس ، بؤونة ، أبيب ، مسرى .

وأول توت يكون النوروز . وفي أول يوم من كيهك تدخل الأربعينيات ، وهي أربعون يوما باردة تؤذن بالشتاء . وفي الرابع من برمودة تدخل الخمسينيات ، وهي أيام حارة تؤذن بالصيف .

§ ومنها شهور السريان والروم . وهما متفقان في العدد والدخول . والسريانيون

ينسبون شهورهم لأغسطس<sup>(١)</sup> ، وهو قيصر . وهذه الشهور منها ما ينقص عن الثلاثين ، ومنها ما يوفيها ، ومنها ما يزيد عليها . وفيها يقول الكيزاني :

شهور الروم ألوان \* زيادات ونقصان

فتشرينهم الثاني \* وأيلول ونيسان

(١) هو القيصر الروماني المشهور ، نقل عن اللاتينية Augustus . ولكن العرب حينما عربوا الشهر المعروف باسمه آكتفوا بقولهم أغشت (August) للتمييز بين اللفظين ، وأما نحن في هذه الأيام فقد تركنا هذا الفارق ونقول في تسمية هذا الشهر «أغسطس» أيضا .

ثلاثون ثلاثون \* سواءً وحزيرانُ  
وأشباطُ ثمانٍ به \* مد عشرين له شانُ

والسبعة التي تركها، كل شهر منها يزيد يوما .

ووضع لها بعض المغاربة ضابطا، وهو حروف معجمة ومهملة يجمعها في أربع كلمات، وهي: "فاز رجلٌ ختمَ بحج" . وجمعها آخر في مثل ذلك فقال: "غاب عنك زيدٌ فحج" . فما كان معجبا فهو أحد وثلاثون يوما، وما كان مهملًا فهو ثلاثون، والشهر الموافق للألف ثمانية وعشرون .

وأول سنة السريان تشرين الأول . ودخوله رابع بابه، ويوافق أكتوبر من شهر الروم، وهو أحد وثلاثون يوما، ثم تشرين الثاني، ودخوله في الخامس من هاتور، ويوافقهُ نومبر من <sup>(١)</sup>شهور الروم، وهو ثلاثون يوما، ثم كانون الأول، ودخوله في الخامس من كيهك، ويوافقهُ دجنبر من <sup>(٢)</sup>شهور الروم، وهو أحد وثلاثون يوما، ثم كانون الثاني، ودخوله في السادس من طوبه، ويوافقهُ يناير من <sup>(٣)</sup>شهور الروم، وهو أول سنتهم، وعدد أيامه أحد وثلاثون يوما، ثم شباط، ودخوله في السابع من أمشير ويوافقهُ فبراير من <sup>(٤)</sup>شهور الروم، وهو ثمانية وعشرون يوما وربع يوم، ثم آذار، ودخوله في الخامس من برمهاث، ويوافقهُ مارس من <sup>(٥)</sup>شهور الروم، وهو أحد وثلاثون يوما، ثم نيسان، ودخوله في السادس من برمودة، ويوافقهُ أبريل من <sup>(٦)</sup>شهور الروم، وهو

(١) Novembre . وتقول في مصر الآن نوفمبر .

(٢) Décembre . وتقول في مصر الآن ديسمبر .

(٣) Janvier . وتقول في مصر الآن يناير . (وقد كان عربيه المرحوم رفاعة بك بقوله: "ينويه")

شأن هذا الاصطلاح لم يعمل به .

(٤) Février . وتقول في مصر الآن فبراير (مع الإشباج) .

ثلاثون يوماً؛ ثم أيار، ودخوله في السادس من بشنس، ويوافقه مايه من شهر  
الروم، وهو أحد وثلاثون يوماً؛ ثم حزيران، ودخوله في السابع من بؤونة، ويوافقه  
يونيه من شهر الروم، وهو ثلاثون يوماً؛ ثم تموز، ودخوله في السابع من أيب،  
ويوافقه يوليه من شهر الروم، وهو أحد وثلاثون يوماً؛ ثم آب، ودخوله في الثامن  
من مسرى، ويوافقه أغسطس<sup>(١)</sup> من شهر الروم، وهو أحد وثلاثون يوماً؛ ثم أيلول  
ودخوله في الرابع من توت، ويوافقه ستنبر<sup>(٢)</sup> من شهر الروم، وهو ثلاثون يوماً.



§ ونظم بعض الشعراء أرجوزة في مداخلة الشهور، فقال :

وإن حَفِظْتَ أَشْهُرَ السُّرْيَانِ \* وَكُنْتَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى بَيَانِ  
وَرُمْتَ مِنْهَا عَمَلَ الْمَنَازِلِ \* فَإِنَّهَا مَعْلُومَةُ التَّدَاخِلِ  
أَيْلُولٌ يَبْدُو رَابِعًا مِنْ تُوْتِ \* هَذَا بِحَكْمِ النَّظْرِ الْمَثْبُوتِ  
وَهَكَذَا تَشْرِينٌ وَهُوَ الْأَوَّلُ \* مِنْ بَابَةِ أَرْبَعَةِ تَكْمِلِ  
أَوَّلُ تَشْرِينِ الْأَخِيرِ يَدْخُلُ \* وَمِنْ هَتُورِ خَمْسَةِ يَارْجُلِ  
أَوَّلُ كَانُونِ وَأَعْنَى الْأَوَّلَا \* وَخَامِسَ مِنْ كَيْهَكَ تَعَدَّلَا  
أَوَّلُ كَانُونِ الْأَخِيرِ سَادِسُ \* مِنْ طُوبَةِ فِيهَا يَقْيِسُ الْقَائِسُ  
وَمِنْ شَبَاطِ أَوَّلُ يَوَافِي \* سَابِعَ أَمْشِيرِ بِلَا خِلَافِ  
أَوَّلُ آذَارِ حَسَابُ صَادِقُ \* مِنْ بَرْمَهَاتِ خَامَسَا يَوَافِقُ  
بَرْمُودَةَ سَادِسُهُ وَأَوَّلُ \* نَيْسَانَ وَفَقُّ لَيْسَ عَنْهُ مَعْدَلِ

(١) أنظر حاشية رقم (١) من صفحة ١٥٣

(٢) نقول الآن في مصر "سبتمبر" مجازاة للتلفظ الفرنسي الحديث September . على أنهم يقولون  
"ست" عند ما يريدون السبعة Sept بإهمال الباء، فإذا أرادوا السبعين لفظوا بالياء .

أول أيار به — سير ليس \* يوافق السادس من بشنس  
 بؤونة وافق منسه سابعه \* أول حزيران لما يتابعه  
 أول تموز على الترتيب \* يدخل في السابع من أيب  
 أول آب ثامن من مسرى \* العلم بالمسرة اللبيب أخرى

وقال بعض الشعراء في مثل ذلك :

متى تشأ معرفة التداخل \* من أول الشهر في المنازل  
 فعذ من توت بلا تطويل \* أربعة فهي آبتدا أيلول  
 وبابة كذلك من تشرين \* الأول السابق في السنين  
 والخامس المعدود من هاتور \* أول تشرينهم الأخير  
 أول كانون بغير دلالة \* إذا نقصت من كيهك خمسة  
 وطوبه إن مر منه ستة \* أذاك كانون الأخير بقتة  
 ومن شباط أول يوافق \* سابع أمشير حساب صادق  
 أول آذار إذا جعلته \* لبرمهاث خامسا وجدته  
 أول نيسان لدى التجريد \* السادس المعدود من برمود  
 ومثله أيار مع بشنس \* واحدة مقسرونة بخمس  
 أما حزيران فيحسبونه \* من أول السابع من بؤونه  
 كذلك السابع من أيب \* أول تموز بلا تكذيب  
 أول آب عند من يحصل \* ثامن مسرى ذلك ما لا يجهل

✦

§ وأما شهر الفرس فهي موافقة لشهور القبط في العدد، لأن كل شهر منها ثلاثون  
 يوما، إلا أبان ماه، وهو الشهر الثامن، فإنهم يضيفون إليه خمسة أيام لأجل النسيء،

ويسمونها الاندركاه . ولكل يوم من أيام الشهر اسم خاص ، يزعمون أنه اسم ملك من الملائكة موكل به . فأسماء المشهور منها : <sup>(١)</sup> فروردین ماه ( وهو رأس سنتهم ) ، أردبهشت ماه ، خرداد ماه ، تیر ماه ، مرداد ماه ، شهر ماه ، مهر ماه ، آبان ماه ، آذر ماه ، دی ماه ، بهمن ماه ، اسفندار مد ماه . ويعنون بقولهم "ماه" القمر .



المثل — قول بعض الشعراء :

شهورٌ ينقضين وما شعرنا \* بأنصافٍ لهنّ ولا سرارٍ

٥ — ذكر ما يختص بالسنة من القول

وما جاء من اختلاف الأمم في آبدائها وآنتهاها ، والفرق بين السنة والعام

§ أما الفرق بين السنة والعام ، فإنهم يقولون "سنة جذب" و"عام خصب" . قال ١٠

الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الشَّجَرَاتِ ﴾ . وقال تعالى :

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴾ .

والصحيح أنهما اسمان موضوعان على مسمى واحد . قال الله تعالى : ﴿ فَلَيْتَ

فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا تَحْسِينًا ﴾ .

§ والسنة طبيعية ، وأصطلاحية . ١٥

فالتبعية قمرية ، وأولها استهلال القمر في غرة المحرم ، وأنتسلاخها بسريره

في ذى الحجة . وهي اثنا عشر شهرا ، وعدد أيامها ثلثمائة يوم وأربعة وخمسون يوما

وخمس وسدس يوم تقريبا ، ويتم من هذا الخمس والسدس في ثلاث سنين يوم ،

(١) مقتضى عبارته أن ما سيذكره هو من أسماء الأيام ، والواقع أنها أسماء الشهور عند الفرس .

(٢) في الأصل : "أفر يدون ماه" .

فتصير السنة في الثالثة ثلاثمائة وخمسة وخمسين يوما . ويبقى شيء يتم منه ومن خمس  
اليوم وسدسه المستأنف في السنة يوم واحد إلى أن يبقى الكسر أصلا بأحد عشر يوما  
عند تمام ثلاثين سنة . وتسمى تلك السنين بكأنس العرب .

وأما السنة الأَصْطَلاحِيَّةُ فإنها شَمْسِيَّةٌ ، وَعَدَدُ أَيامها عند سائر الأمم ثلاثمائة يوم  
وخمسة وستون يوما وربُّعُ يوم . فتكون زيادتها على السنة العربية عشرة أيام ونصف  
يوم وربُّع يوم وثمان يوم وخمسا من خمس يوم .

ويقال : إنهم كانوا في صدر الإسلام يُسَقِطُونَ عند رأس كل آثنتين وثلاثين سنة  
عربية سنة ، ويسمونها الأزدلاف . لأن كل ثلاث وثلاثين سنة قمرية آثتان  
وثلاثون سنة شمسية تقريبا . وذلك لتحرزهم من الوقوع في النسيء الذي أخبر الله  
عز وجل أنه زيادة في الكفر . وهذا الأزدلاف هو الذي نسميه في عصرنا هذا بين  
كتاب التصرف " التحويل " . لأننا نحول السنة الخراجية إلى الهلالية ، ولا يكون  
ذلك إلا بأمر السلطان .

§ وسنة العالم — على ما آتفق عليه المنجمون — هي من حين حلول الشمس رأس  
الحمل ، وهو الاعتدال الربيعي . ومنهم من يجعل أولها من حين حلول الشمس  
رأس الميزان ، وهو الاعتدال الخريفي .

§ وأبتداء سنة القبط قطع الشمس آثتي عشرة درجة من السنبلة ، وأبتداء  
بفعل ذلك في زمن أغسطس ، وهو قيصر الأول على ما ذكره أصحاب الزيجات .

§ وأما الفرس ، فأقول سنتهم عند حلول الشمس أول نقطة من الحمل <sup>(١)</sup> .

§ وأما السريانيون ، فأقول سنتهم عند قطع الشمس من الميزان ست عشرة درجة .

(١) وهذا اليوم هو عيد نيروزهم إلى الآن .

٦ — ذكر النسيء ومذهب العرب فيه

يقال إن عمرو بن لُحَيٍّ، وهو نخزاعة — ويقال اسمه عمرو بن عامر الخزاعي — هو أول من نَسَأَ الشهور، وبحر البحيرة، وسَيَّب السائبة، وجعل الوصيلة، والحامي. وهو أول من دعا الناس إلى عبادة هُبَل، قدم به معه من هيت .

ومعنى النسيء أنهم يُنَسِّئُونَ المحرم إلى صَفَر، ورجب إلى شعبان .

وكان جملة ما يعتقدونه من الدين تعظيم الأشهر الحرم الأربعة، وكانوا يتحرَّجون فيها من القتال . وكانت قبائل منهم يستبجحونها، فإذا قاتلوا في شهر حرام، حرَّموا مكانه شهرا من أشهر الحَلِّ، ويقولون : نُسِيَ الشهر .

وحكى ابن إسحاق صاحب السيرة النبوية (على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) أن أول من نَسَأَ الشهور على العرب، وأحلَّ منها ما أحلَّ، وحرَّم ما حرَّم، القلمس . وهو حذيفة بن فقيم بن عامر بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمية .

ثم قام بعده ولده عباد، ثم قام بعد عباد ابنه قلع، ثم قام بعد قلع ابنه أمية، ثم قام بعد أمية ابنه عوف، ثم قام بعد عوف ابنه أبو ثمامة جنادة، وعليه ظهر الإسلام .

فكانت العرب إذا فرغت من حجها، اجتمعت عليه بمنى، فقام فيها على جبل، وقال بأعلى صوته : «اللهم إني لا أخاف ولا أعاف<sup>(١)</sup>، ولا مرد لما قضيتُ ! اللهم إني أحلت شهر كذا (ويذكر شهرا من الأشهر الحرم، وقع آفاقهم على شقِّ الغارات فيه) وأنسأته إلى

العام القابل (أى أنرت تحريمه) وحرمت مكانه شهر كذا من الأشهر البواق ! »

وكانوا يحلّون ما أحلَّ، ويحرّمون ما حرّم .

(١) في اللسان : "أنا الذي لا أعاب ولا أجاب ولا يرذلني قضاء" .

وفي ذلك يقول عمير بن قيس بن جندل الطَّعَانُ، من أبيات يفخر:

أَلَسْنَا النَّاسِيْنَ عَلَى مَعَدَّةٍ \* شُهُورَ الْحِلِّ نَجْعُلُهَا حَرَامًا

وحكى السهيلي في كتابه المترجم "بالروض الأنف" أن نسيء العرب كان على

ضريين : أحدهما تأخير المحترم إلى صفر لحاجاتهم إلى شتن الغارات وطلب النار،

- والثاني تأخير الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية . فكانوا يؤخرونه في كل عام  
أحد عشر يوماً حتى يور الدور في ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته . فلما كانت  
السنة التاسعة من الهجرة، حج بالناس أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) فوافق حجه  
في ذى القعدة، ثم حج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في العام القابل فوافق عود  
الحج إلى وقته في ذى الحجة كما وضع أولاً . فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه  
وسلم) حجه، خطب فكان مما قال في خطبته (صلى الله عليه وسلم) : "إنَّ الزمانَ  
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض" . <sup>١٠</sup> يعنى أن الحج قد عاد في ذى الحجة .

### ٧ - ذكر السنين التي يضرب بها المثل

يُضْرَبُ الْمَثَلُ :

§ بعام الجراد . كان سنة ثمان من الهجرة .

- ١٥ § عام الحزن . وهي السنة التي مات فيها أبو طالب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وخديجة (رضى الله عنها) وهي سنة عشر من الهجرة، وكان موتها بعده بثلاثة أيام وقيل بسبعة .

§ عام الرمادة . كان سنة ثمانى عشرة من الهجرة، في خلافة عمر بن الخطاب

(رضى الله عنه) . أصاب الناس فيه حُطٌّ حتى صارت وجوههم في لون الرماد

- ٢٠ (١) كذا في لسان العرب وشرح القاموس مادة نسا وسيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦ طبع بولاق .  
وفي الأصل : "عمرو" .

من الجوع . وقيل : كانت الريح تسمى ترابا كالرَّمَادِ لِشِدَّةِ بُسِّ الأَرْضِ ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في "التاريخ" .

§ عام الرِّعَافِ . كان سنة أربع وعشرين من الهجرة ، سمي بذلك لكثرة ما أصاب الناس فيه من الرِّعَافِ .

§ عام الجماعةِ . كان سنة أربعين من الهجرة . فيه سَلَّمَ الحسن بن عليّ (رضي الله عنهما) الخلافة لمعاوية ، فاجتمعت الكلمة فيه .

§ عام الجُحَافِ . كان سنة ثمانين من الهجرة ، وقع بمكة سيل عظيم ذهب بالإبل وعليها الجمول .

§ عام الفقهاء . وهو سنة أربع وتسعين من الهجرة . فيها مات عليّ بن الحسين زين العابدين ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنهم) وسعيد بن المسيّب ، وعروة بن الزبير ، وعطاء بن يسار ، وسعيد بن زيد بن ثابت . وفيه قتل الحجاج بن يوسف الثقفيّ سعيد بن جبيرة .

§ سُنَيَّاتُ خَالِدِ . يُضْرَبُ بها المثلُ في الجذب . وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث المعروف بأبي مطير . كان قد تولى هشام بن عبد الملك المدينة سبع سنين تولى القحط فيها حتى أجلي أهل البوادي .

§ سنة عشر ومائة . مات فيها قرينان في الزهد : الحسن البصريّ ومحمد بن سيرين ، وقرينان في الشعر : جرير والفرزدق .

§ سنة ست وخمسين وثلثمائة . مات فيها جماعة من الملوك ، وهم : شمكير بن زياد صاحب طبرستان وجرجان ، ومعز الدولة بن بويه ، وكافور الإخشيدى صاحب مصر ، ويقفور ملك الروم ، وأبو عليّ محمد بن إلياس صاحب كرمان ، وسيف الدولة ابن حمدان ممدوح المتنبى ، والحسن بن قيرزان صاحب أذربيجان .

## الباب الثالث

## من القسم الثالث من القرن الأول

## ١ - في الفصول وأزميتها

وفصول السنة أربعة : الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء . ولكل فصل

• منها ثلاثة بروج، وثلاثة أشهر، وسبع منازل، وموافقه من الطبائع الأربع .

١ - فأما فصل الربيع، وهو عند العرب الصيف، فطبعه حار رطب .

ودخوله عند حلول الشمس برج الحمل، والثور، والجوزاء . وهذه البروج عندهم تدل

على الحركة . وله من السن الطفولية والحدائث، ومن الرياح الجنوب، ومن الساعات

الأولى والثانية والثالثة، ومن القوى القوة الجاذبة، ومن الأخلاط الدم، ومن الكواكب

١٠ القمر والزهرة، ومن المنازل بعض الفرغ المقدم والفرغ المؤخر، والرشاء، والسرطان،

والبطين، والثريا، والدبران، وبعض الحقعة . وعدد أيامه أربعة وتسعون يوماً .

وحلول الشمس في الثاني عشر من آذار، ويوافقها مارس من شهور الروم،

وفي السادس عشر من برمهات من شهور القبط، وفي العشرين من آسفندارماه من

شهور الفرس . وإذا حلت الشمس برج الحمل، اعتدل الليل والنهار، وصار كل

١٥ واحد منهما اثنتي عشرة ساعة . ثم يأخذ النهار في الزيادة، والليل في النقصان .

وفي هذا الفصل تحرك الطبائع، وتظهر المواد المتولدة في الشتاء . فيطلع النبات

وتزهو الأشجار وتورق، ويهب الحيوان للسفاد، وتذوب الثلوج، وتنبع العيون،

وتسيل الأودية .

(١) أي برج الحمل الذي هو أول فصل الربيع .

ذكر ما قبل في وصف فصل الربيع وتشبيهه نظماً وتراً .

فمن ذلك ما قاله الصنوبري :

ما الدهرُ إلا الربيعُ المُستنيرُ إذا \* جاء الربيعُ أتاكَ النورُ والنورُ  
فالأرضُ ياقوتةُ والجوُّ أولؤةُ \* والنبتُ فيروزجُ والماءُ بلورُ

وقال آخر :

أشربُ حينئذٍ قد أتاكَ زمانُ \* متعطرٌ مهللاً نَسوانُ  
فالأرضُ وشى والنسيمُ معنبرُ \* والماءُ راحٌ والطيورُ قيانُ

وقال الشعالي :

أظنُّ الربيعَ العامَ قد جاءَ زائراً \* ففي الشمسِ بزائراً وفي الريحِ عطاراً  
وما العيشُ إلا أن تواجِهَ وجهه \* وتقضىَ بين الوشي والمسكِ أوطاراً

وقال آخر :

وفصلَ فصلُ الربيعِ الرياضُ \* عقوداً ورضعَ منها حلياً  
وفانحَرَ بالأرضِ أفقَ السماءِ \* فخلَى الثرى بنجومِ الثريا

وقال الحسن بن وهب :

طلعتْ أوائلُ للربيعِ فبشَّرت \* نورَ الرياضِ بمجدةٍ وشبابِ  
وغدَّ السحابُ يكادُ يسحبُ في الثرى \* أذبالَ أنعمَ حالِكِ الجلبابِ  
فترى السماءَ إذا أجَدَّ ربابها \* فكأئماً التحقتْ جناحَ غرابِ  
وترى الغصونَ إذا الرياحُ تناوحتْ \* ملتفةً كتعانقِ الأحبابِ

وقال بعض فضلاء أصفهان في وصف فصل الربيع من رسالة ذكرها العماد

الأصفهان في الخريدة :

أما بعد . فإن الزمان جَسَدٌ وفصلُ الربيع رُوحه ، وسرَّ حِكْمَةِ إلهيةٍ وبه كَشَفُهُ  
ووضوحُه ؛ وعمر مقدور وهو الشببية فيه ، ومنهلُ جَمِّ وهو نَميره وصافيه ؛ ودَوْحَةٌ  
خَضِرَةٌ وهو يَنْعُمُها وجَنَاهَا ، وألفاظُ مجموعة وهو نَتيجَتُها ومعناها ؛ فمن لم يَسْتَهوَ طَبَاعَهُ  
نَسِيمُ هَوَاهُ ، ولم يَدْرِكْ شِفَاءَ دَائِهِ في صَفَاءِ دَوَائِهِ ؛ لم يَذُقْ لِطْعَمِ حَيَاتِهِ نَفْعًا ، ولم يجد  
لِخَفْضِ حَظِّهِ من أَيامِهِ رَفْعًا .

٢ - وأما فصل الصيف ، فإن طبيعته الحرارة واليبس ، ودخوله عند حلول  
الشمس برج السرطان ، والأسد ، والسنبلة .

وهذه البروج تدل على السكون . وله من السن الشباب ؛ ومن الرياح الصبا ؛  
ومن الساعات الرابعة والخامسة والسادسة ؛ ومن القوى القوة المسككة ؛ ومن

- ١٠ الأخلاط المُرَّة الصفراء ؛ ومن الكواكب المِترِيجُ ، والشمس ؛ ومن المنازل بعض  
الهِقْمَةِ ، والهِنْئَةِ ، والذراع ، والنُّثْرَةُ والطَّرْفُ والجَبْهَةُ (وهي أربعة عشر يوماً) والخَرَائِنُ  
وبعض الصَّرْفَةِ . وتنزل الشمس في برج السرطان في الرابع عشر من حزيران . وعدد  
أيامه ثلاثة وتسعون يوماً ، ويوافقُه يَنيرُ من شهور الروم ؛ وفي العشرين من بؤونة ، وإذا  
حلت الشمس برج السرطان ، أخذ الليل في الزيادة ، والنهار في النقصان . والله أعلم .

١٥ ذكر ما قيل في وصف فصل الصيف وتشبيهه نظماً ونثراً  
فمن ذلك ما قاله ذو الرمة :

وَهَاجِرَةٌ حَرُّهَا وَأَقِيدٌ \* نَصَبْتُ لِحَاجِبِهَا حَاجِبِي

تَلُوذُ مِنَ الشَّمْسِ أَطْلَاؤُهَا \* لِيَبَاذَ الْعَرِيمِ مِنَ الطَّالِبِ

وَتَسْجُدُ لِلشَّمْسِ حِرَابُهَا \* كَمَا يَسْجُدُ الْقَسُّ لِلرَّاهِبِ

- ٢٠ (١) كذا في الأصل الفتوغرافي والمعروف أن شهر يناير من الشهور الشمسية وهو يقع في قلب الشتاء  
دائماً والظاهر أن النسخ حرف يناير عن بونية الذي يوافق حزيران .

وقال مسكين الدارمي :

وهاجرة ظَلَّتْ كَأَنَّ ظَبَاءَهَا \* إِذَا مَا آتَقَمْتَهَا بِالْقُرُونِ تُجُودُ  
تَلُوذُ بِسُؤْبُوبٍ مِنَ الشَّمْسِ فَوْقَهَا \* كَمَا لَأَذَّ مِنْ حَرِّ السَّنَانِ طَرِيدُ

وقال ابن الفقيسي :

فِي زَمَانٍ يَسْوِي الْوُجُوهُ بِحَرِّ \* وَيُذِيبُ الْجُسُومَ لَوْ كُنَّ صَخْرًا  
لَا تَطِيرُ النَّسُورُ فِيهِ إِذَا مَا \* وَقَفَّتْ شَمْسُهُ وَقَارَبَ ظُهُرًا  
وَيَوِّدُ الْغُصْنُ النَّضِيرُ بِهِ لَوْ \* أَنَّهُ مِنْ لِحَائِهِ يَتَعَرَّى

وقال أيضا :

بِالْيَلَةِ يَتُّ بِهَا سَاهِدًا \* مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَقَرِطِ الْأَوَارِ  
كَأَنِّي فِي جُنْحِهَا مُحْرِمٌ \* لَوْ أَنَّ لِلْعَوْرَةِ مِنِّي أَسْتِنَارُ  
وَكَيفَ لَا أُحْرِمُ فِي لَيْلَةٍ \* سَمَاؤُهَا بِالشَّهْبِ تَرْمِي الْجَمَارُ

وقال آخر :

وَيَوْمَ سُمُومٍ خَلْتُ أَنَّ نَسِيمَهُ \* ذَوَاتُ سُمُومٍ لِلْقُلُوبِ لَوَادِعُ  
ظَلَلْتُ بِهِ أَشْكَو مُكَابِدَةَ الْهَوَى \* فَكُوزِي مَلَانٌ وَمَائِي فَارِعُ

وقال محمد بن أبي الثياب، شاعر اليبيمة :

وَهَاجِرَةٌ تَسْوِي الْوُجُوهُ كَأَنَّهَا \* إِذَا لَفَحَتْ خَدَيَّ نَارٌ تَوَهَّجُ  
وَمَاءُ كَلُونِ الزَّيْتِ مِلْحٌ كَأَنَّهُ \* يَوْجِدِي يَغْلِي أَوْ يَهْجُرُكَ يُمزَجُ

وقال الثعالبي :

رَبِّ يَوْمٍ هَوَاؤُهُ يَتَلَطَّى \* فَبِحَاكِي فُؤَادِ صَبِّ مُتَمِّمِ  
قُلْتُ إِذْ صَكَّ حَرُّهُ حَرَّ وَجْهِي \* "رَبَّنَا أَصْرَفْنَا عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ"

وبما وصف به من النثر قول بعضهم :

أَوْقَدَتِ الظَّهِيرَةُ نَارَهَا ، وَأَذَكَّتْ أَوَارَهَا ، فَأَذَابَتْ دِمَاحَ الضَّبِّ ، وَأَلْهَبَتْ قَلْبَ  
الضَّبِّ ، هَاجِرَةً كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ العُشَّاقِ ، إِذَا أَشْتَعَلَتْ بِنِيرَانِ الفِرَاقِ ، حَرَّ تَهْرُبُ لَهُ  
الحِرَابِ مِنَ الشَّمْسِ ، وَتَسْتَجِيرُ بِمِثْرَاكِ الرَّمْسِ ، لَا يَطِيبُ مَعَهُ عَيْشٌ ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ  
سِرْجٌ وَلَا خَيْشٌ ؛ فَهُوَ كَقَلْبِ المَهْجُورِ ، أَوْ كَالنُّورِ المَسْجُورِ .

(٢) - وَأَمَّا فَصْلُ الخَرِيفِ - فَإِنْ طَبَعَهُ بَارِدٌ يَابَسَ ، وَدَخُولُهُ عِنْدَ حُلُولِ

الشَّمْسِ بِرَأْسِ المِيزَانِ وَالعَقْرِبِ وَالقَوْسِ .

وهذه البروج تدل على الحركة ؛ وله من السنن الكهولة ؛ ومن الرياح الشمال ؛

ومن الساعات السابعة والثامنة والتاسعة ؛ ومن القوى القوة الهاضمة ؛ ومن الأخلاط

الميرة السوداء ؛ ومن الكواكب زحل ؛ ومن المنازل بعض الصرفة والعرواء والسماك  
والغفر والزبانين والقلب وبعض الشولة ؛ وعدد أيامه تسعة وثمانون يوما ؛ ويكون  
حلول الشمس الميزان في الخامس عشر من أيلول ، ويوافقه ستمبر من شهور الروم ،  
وفي الثامن عشر من توت .

وفي هذا الفصل يبرد الهواء ، ويتغير الزمان ، وتضرم الثمار ، ويغير وجه الأرض ،

ويصفى ورق الشجر ، وتهزل البهائم ، وتموت الهوام ، وتنجح الحشرات ، وتطلب  
الطير المواضع الدفئة ، وتصير الدنيا كأنها كهلة مدبرة .

ويقال : فصل الخريف ربيع النفس كما أن فصل الربيع ربيع العين .

والله أعلم .

ذكر ما قبل في وصف فصل الخريف وتشبيهه نظما وترا .

فمن ذلك ما قاله الصنوبري، عفا الله عنه :

ما قضى في الربيع حقَّ المَسْرَا \* تِ مُضِيعُ زَمَانُهُ فِي الْحَرِيفِ  
نَحْنُ مِنْهُ عَلَى تَلَقَّى شِتَاءٍ \* يُوجِبُ الْقَصْفَ أَوْ دَوَاعِ مَصِيفِ  
فِي قَيْصٍ مِنَ الزَّمَانِ رَقِيقِ \* وَرِدَاءٍ مِنَ الْهَوَاءِ خَفِيفِ  
يَرْعُدُ الْمَاءُ مِنْهُ خَوْفًا إِذَا مَا \* لَمَسَتْهُ يَدُ النَّسِيمِ الضَّعِيفِ

وقال عبد الله بن المعتز :

طَابَ شُرْبُ الصُّبُوحِ فِي أَيْلُولِ \* بَرَدَ الظِّلِّ فِي الضُّحَى وَالْأَصِيلِ  
وَخَبَّتْ بَجْمَرَةِ الْهَوَايِرِ عَنَّا \* وَأَسْتَرَحْنَا مِنَ النَّهَارِ الطَّوِيلِ  
وَنَحْرَجْنَا مِنَ السَّمُومِ إِلَى بَرِّ \* دِ نَسِيمِ وَطِيبِ ظِلِّ ظَلِيلِ  
وَتَمَالٍ تَبْشُرُ الْأَرْضَ بِالْقَطْرِ \* بِرِ كَذِيلِ الْغَسَالَةِ الْمَبْلُولِ  
فَكَأَنَّا نَزْدَادُ قُرْبًا إِلَى الْحَيَاةِ \* فِي كُلِّ شَارِقٍ وَأَصِيلِ  
وَوُجُوهُ الْبَقَاعِ تَنْتَظِرُ الْغَيْثَ \* مَتَّ أَنْتَظَارَ الْمِحْبِّ رَدَّ الرَّسُوبِ  
تَبْتَنِي غُلَّةٌ لِنَعْمَلْ رَوْضًا \* بِكَثِيرٍ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْ قَلِيلِ

وقال آخر:

اشْرَبْتُ عَلَى طَيْبِ الزَّمَانِ فَقَدَحَدَا \* بِالصَّيْفِ مِنْ أَيْلُولِ أَسْرَعِ حَادِ  
وَأَشْتَمْنَا بِاللَّيْلِ بَرْدَ نَسِيمِهِ \* فَأَرْتَا حَتِ الْأُرُوحِ فِي الْأَجْسَادِ  
وَإِفَاكَ بِالْأَنْدَاءِ قُدَّامَ الْحَيَاةِ \* فَالْأَرْضُ لِلْأَمْطَارِ فِي أَسْتَعْدَادِ  
كَمْ فِي صَمَائِرِهَا مِنْ رَوْضَةٍ \* بِمَسِيلِ مَاءٍ أَوْ قَرَارَةٍ وَادِ  
تَبْدُو إِذَا جَادَ السَّحَابُ بِقَطْرِهِ \* فَكَأَنَّمَا كَانَا عَلَى مِيعَادِ

وقال آخر :

لَا تَصْغَ لَلْوَمِ إِنَّ الْوَمَّ تَضْلِيلُ \* وَاشْرَبْتُ فِي الشَّرْبِ لِلْأَحْزَانِ تَحْلِيلُ

فقد مضى القيظ وأحسنت رواجه<sup>(١)</sup> \* وطابت الراح لما آل أنسلول  
وليس في الأرض نبت يشكي رمدا \* إلا ونظره بالطلل مكحول  
وقال آخر يذمه :

خذ بالتدثر في الخريف فإنه \* مستوبل ونسيمه خطاف  
يبحري مع الأيام جرى نفاقها \* لصديقها "ومن الصديق يخاف"  
ومما وصف به من النثر :

قال أبو إسحاق الصابي يصفه :

الخريف أحص فصول السنة زمانا، وأسهلها أوانا، وهو أحد الاعتدالين، المتوسطين  
بين الانقلابين، حين أبدت الأرض عن ثمرتها، وصرحت عن زينتها، وأطلقت  
السماء حوافل أنوائها، وتأذنت بانسكاب مائها، وصارت الموارد، كمتون المبرد،  
صفاء من كدرها، وتهذباً عن عكرها، وأطرادا مع نفحات الهواء، وحركات الريح  
الشجواء، واكتست المشاية وبرها القشيب، والطائر ريشه العجيب .  
وقال ابن شبل :

كل ما يظهر في الربيع نواره، ففي الخريف يُجنى ثماره، فهو الحاجب أمامه،  
والمطرق قدامه .

وقال ضياء الدين بن الأثير الجزري عن الخريف يفتخر على فصل الربيع :  
أنا الذي أتى يذهب السموم، وإياب الغيوم، واعتصار بنات الكروم، وتكائر ألوان  
المشروب والمطعموم، وفي يترقق صفاء الأنهار، فتشبه القوابل بالأبحار، وأيامي

(١) "وأحسنت" بالخاء المهملة من حث الدابة ساقها بعنف . وفي الأصل: "واجنت" بالهميم

المعجمة والسياق يقتضى ما أثبتناه .

هى الذهبيات وتلك نسبة كريمة النّجاز ؛ ومن ثمّ اتى ما لا تزال أمهاته حوامل ،  
وأوراقه نواضر وغيرها ذوابل ، وقد شبه بالمصابيح وشبهت أغصانه بالسلاسل .

ولقد أنصف من قال :

مَحَاسِنُ لِلتَّيْرِيفِ بَيْنَ فَخْرٍ \* عَلَى زَمَنِ الرَّبِيعِ وَأَيُّ فَخْرٍ  
بِهِ صَارَ الزَّمَانُ أَمَامَ بَرْدٍ \* يُرَاقِبُ تَرْحَهُ وَعَقِيبَ حَرِّ

؛ — وأما فصل الشتاء، فإن طبعه بارد رطب، ودخوله عند حلول الشمس  
رأس الجدى والدلو والحوت .

وهذه البروج تدل على السكون. وله من السنّ الشيخوخة ؛ ومن الرياح الدبور؛  
ومن الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة ؛ ومن القوى القوّة الدافعة ؛  
ومن الأخلاط البلغم ؛ ومن الكواكب المشترى وعطارد ؛ ومن المنازل بعض الشولة  
والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعد وسعد الأخبية وبعض  
الفرغ المقدم ؛ وعدد أيامه تسعة وثمانون يوما .

ويكون حلول الشمس برأس الجدى فى الثالث عشر من كانون الأول، ويوافق  
دجنبر من شهور الروم ؛ وفى السابع عشر من كيهك من شهور القبط . وإذا حلت  
الشمس ببرج الجدى يشتدّ البرد ، ويخشّن الهواء ويتساقط ورق الشجر ، وتنجح  
الحيوانات ، وتضعف قوى الأبدان ، وتكثر الأنواء ، ويظلم الجوّ ، وتصير الدنيا كأنها  
عجوز هريمة قد دنا منها الموت .

وروى عن على (رضى الله عنه) أنه قال : "توقّفوا البرد فى أوّله ، وتلقّوه فى آخره ،  
فإنه يفعل فى الأبدان كفعله فى الأشجار : أوّله يُحرق ، وآخره يُورق" .

ذكر ما قيل في وصف فصل الشتاء وتشبيهه .

فمن ذلك ما قاله شاعر الحماسة :

فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةِ \* لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ فِي ظَلَمَائِهَا الطُّنْبَا  
لَا يَنْبِغُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ \* حَتَّى يَلْفَ عَلَى خَيْشُومِهِ الدَّنْبَا

وقال ابن حكينا البغدادي :

إِلْبَسَ إِذْ قَدِمَ الشَّتَاءُ بُرُودًا \* وَأَفْرَشَ عَلَى رَعْمِ الْحَصِيرِ لُبُودًا  
الرِّيقُ فِي اللَّهَوَاتِ أَصْبَحَ جَامِدًا \* وَالذَّمْعُ فِي الْآمَاقِ صَارَ بُرُودًا  
وَإِذَا رَمَيْتَ بِفَضْلِ كَأْسِكَ فِي الْهَوَا \* عَادَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْعَقِيقِ عُفُودًا  
وَتَرَى عَلَى بَرْدِ الْمِيَاهِ طُيُورَهَا \* تَخْتَارُ حَرَّ النَّارِ وَالسَّفُودًا  
يَا صَاحِبَ الْعُودَيْنِ لَا تُهْمِلُهُمَا \* أَوْ قَدْ لَنَا عُودًا وَحَرَّكَ عُودًا

وقال آخر :

وَيَوْمُنَا أَرْوَاهُ قَرَّةً \* تُحْمَشُ الْأَبْدَانُ مِنْ قُرْصَهَا  
يَوْمٌ تَوَدُّ الشَّمْسُ مِنْ بَرِّهِ \* لَوْ جَرَّتِ النَّارُ إِلَى قُرْصَهَا

وقال عبد الله بن المعتز :

قَدْ مَنَعَ الْمَاءُ مِنَ الْإِس \* وَأَمَكَّنَ الْجَمْرُ مِنَ الْمَسِ  
فَلَيْسَ نَلْقَى غَيْرَ ذِي رِعْدَةٍ \* وَمُسْلِمٌ يَسْجُدُ لِلشَّمْسِ

وقال آخر :

لَيْسَ عِنْدِي مِنْ آلَةِ الْبَرْدِ إِلَّا \* حُسْنُ صَبْرِي وَرِعْدَتِي وَقُنُوعِي  
فَكَأَنِّي لِشِدَّةِ الْبَرْدِ هَرٌّ \* يَرْقُبُ الشَّمْسَ فِي أَوَانِ الطُّلُوعِ

وقال ابن سكرة الهاشمي ، عفا الله تعالى عنه ورحمه :

قِيلَ مَا أَعَدَّدْتَ لِلْبَرِّ \* دِ وَقَدْ جَاءَ بِشِدَّةِ  
قَلْتَ دُرَاعَةَ بَرِّ \* تَحْتَهَا جِبَّةُ رِعْدَةٍ

وقال أبو سعيد الخزومي :

إذا كُنْتُ في بلدةٍ نازلاً \* وحلَّ الشتاءُ حُلُولَ المَقِيمِ  
فلا تَبْرُزَنَّ إلى أن تَرَى \* من الصَّحُو يوماً صحیح الأديمِ  
فكم زَلَقِيه في حواشي الطريق \* تَرُدُّ الثيابَ يَغْزِي عَظِيمِ  
وكم مِن لَسيمِ غداً راجِئاً \* يُجِبُّ البلاءَ لما يشِ كَرِيمِ

وقال الصاحب بن عباد :

أثي رَكِبْتُ فكفَّ الأرضَ كاتِبَةً \* على ثيابي سُطوراً ليس تَكْتُمُ  
فالأرضُ مَحْبَرَةٌ والحبرُ مِن لَشيقِ \* والطرُسُ ثوبِي ويُمْنِي الأُشهبِ القَلَمُ

وقال أبو علي كاتب بكر شاعر اليتيمة :

يا بلدةً أسلمني برُدِّها \* وبرُدِّ من يَسْكُنُها للَقَلَقِ  
لا يَسْلَمُ الشَّاتي بها من أَدَى \* من لَشيقِ أو دَمَقِ أو زَلَقِ

ومما وصف به ترا قول بعضهم :

إذا حَلَّتِ الشمسُ برَجِ الجدى مدَّ الشتاءُ رِواقَه، وحلَّ نَطاقَه، ودبَّت عَقاربُ  
البردِ لآسِبَه، ونَمَع مَذخُورُ الكَسبِ كآسِبَه .

ومن رسالة لأبن أبي الخصال، جاء منها :

الكلب قد صاغ خيشومه ذنبه، وأنكر البيت وطنبه، وألتوى ألنواء الحباب،  
وأستدار أستدارة الغراب، وجلده الجليد، وضر به الضريب وصعد أنفاسه الصعيد،  
فجأه مباح، ولا هير يرله ولا تُباح، والنار كالصديق، أو كالرحيق، كلاهما عتقاء  
مُغرب، أو نجم مُغرب .

وقال بعضهم :

برد يُغير الألوان ، وينشف الأبدان ، ويجمد الريق في الأشداق ، والدمع  
في الآماق ، بردٌ حال بين الكلب وهريره ، والأسيد وزئيره ، والطير وصفيره ،  
والماء وتحريره .

- ٥ وقيل لبعضهم : أى البرد أشد ؟ فقال : إذا دمعت العينان ، وقطر المنيخران ،  
وتلجلج اللسان ، وأصطكت الأسنان .

ووصف ابن وكيع الفصول الأربعة في أرجوزة فقال :

عِنْدِي فِي وَصْفِ الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ \* مَقَالَةٌ تُغْنِي اللَّيْبَ مُقْنَعَةً

ذكر ما قيل في فصل الصيف

- ١٠ أما المصيفُ فاستمع ما فيه \* من فطين يفهم سامعيه  
فصل من الدهر إذا قيل حضر \* أذكرنا بحتره نار سقر  
يظل فيه القلبُ مقشعراً \* والأرض تشكو حره المضراً  
أوله فيه ندى منغص \* كأنه على القلوب يقنص  
يلصق منه الجلد بالثياب \* ويعلق التراب بالأنواب  
١٥ حتى إذا ما طردته الشمس \* وفرحت بان يزول النفس  
فتحت النار لنا أبوابها \* وشب فيها مالك شهابها  
حر يجل الأوجه الغرانا \* حتى ترى الروم به حبشانا  
يلوبه الكرب ويستند القلق \* وتنضح الأبدان فيه بالعرق  
تبصره فوق القميص قد علا \* حتى ترى مبيضه مصدلاً  
٢٠ إن كان رثاً زاد في تمزيقه \* أو مستجداً جد حبلى زيقه  
ثم يعيد الماء ناراً حامية \* يزيد في كرب القلوب الصادية

شَارِبُهُ يَكْرَعُ فِي حَمِيمٍ \* كَأَنَّهُ مِنْ سَاكِنِي الْجَحِيمِ  
يُنْسِيهِ مَا يَلْقَى مِنَ الْتَهَابِهِ \* أَنْ يَمْحَدَ اللَّهُ عَلَى شَرَابِهِ  
حَتَّى إِذَا أَعْيَا أَنْقَضَى نَهَارَهُ \* وَأُرْخِيتُ مِنْ لَيْلِهِ أَسْتَارَهُ  
تَحَرَّكَتْ فِي جُنْحِهِ دَوَاهِي \* سَارِيَةٌ وَأَنْتَ عَنْهَا لَاهِي  
مِنْ عَقْرِبٍ تَسْعَى كَسَعَى اللَّصِّ \* سِلَاحُهَا فِي إِثْرِهِ كَالشِّصِّ  
وَحَيَّةٌ تَنْفُثُ سُمًّا قَاتِلًا \* تَزُودُ الْمَلْسُوعَ حَتْفًا عَاجِلًا  
تُبْصِرُ مَا يَجْلِدُهَا مِنَ الرَّقَشِ \* كَوْجِنَةٌ مُصْفَرَّةٌ فِيهَا تَمَشُّ  
لَوْ نَهَشَتْ بِاللَّنَابِ مِنْهَا الْحَضْرَا \* لَنَثَرَتْ مِنْهُ الْحَيَاةَ نَثْرًا  
فَلَا تَقُلْ إِنْ جَاءَ يَوْمًا أَهْلًا \* فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَضْلًا

ذكر ما قيل في فصل الخريف

حَتَّى إِذَا زَالَ أُنَى الْخَرِيفُ \* فَصَلُّ بِكُلِّ سَوَاةٍ مَعْرُوفُ  
أَهْوَنُهُ يَدِيرُ فِي حَلِّ الْجَسَدِ \* وَهُوَ كَطَبْعِ الْمَوْتِ بَيْسُ وَبَرْدِ  
يُجْنِي عَلَى الْأَجْسَامِ مِنْ آفَاتِهِ \* وَأَرْضُهُ قَرَعَاءٌ مِنْ نَبَاتِهِ  
لَا يُمَكِّنُ النَّاسَ اتِّقَاءُ شَرِّهِ \* وَلَا خِلَافُ بَرْدِهِ وَحَرِّهِ  
تُبْصِرُهُ مِثْلَ الصَّبِيِّ الْأَرْعَنِ \* مِنْ كَثْرَةِ الْعُشَاقِ وَالْتِمَلُونِ  
فَأَنْتَ مِنْهُ خَائِفٌ عَلَى حَذَرٍ \* لِأَنَّهُ يَمْزُجُ بِالصَّفْوِ الْكَدْرَ  
أَحْسَنُ مَا يَهْدِي لَكَ النَّسِيَا \* يَقْلِبُهُ فِي سَاعَةٍ سَمُومًا  
وَهُوَ عَلَى الْمَعْدُودِ مِنْ ذُنُوبِهِ \* خَيْرٌ مِنَ الصَّبْفِ عَلَى عِيُوبِهِ

ذكر ما قيل في فصل الشتاء

حَتَّى إِذَا مَا أَقْبَلَ الشِّتَاءُ \* جَاءَتْكَ مِنْهُ عَمَّةٌ عَمِيَاءُ  
لَوْ أَنَّهُ رُوحٌ لَكَانَ قَدَمًا \* أَوْ أَنَّهُ شَخْصٌ لَكَانَ جَهْمًا

يَلْقَاكَ مِنْهُ أَسَدٌ يَبْرُ \* لَهُ وَعَيْدٌ وَلَهُ تَحْذِيرٌ  
 تَأْتِيكَ فِي أَيَّامِهِ رِيَّاحٌ \* لَيْسَ عَلَى لَاحِظِهَا جُنَاحٌ  
 حَرَّأَكُهَا لَيْسَ إِلَى سُكُونٍ \* تَضُرُّ بِالِاسْتِمَاعِ وَالْعِيُونُ  
 يَحْدُثُ مِنْ أَفْعَالِهَا الرُّكَامُ \* هَذَا إِذَا مَا فَاتَكَ الصُّدَامُ  
 ٥ ثُمَّ يَلِيهَا مَطَرٌ مُدَاوِمٌ \* كَأَنَّهُ خَصَمٌ لَنَا مُلَازِمٌ  
 يَقْطَعُنَا بَعْضًا عَنِ الطَّرِيقِ \* وَعَنْ قَضَاءِ الْحَقِّ لِلصَّدِيقِ  
 وَرَبَّمَا نَحَرَ عَلِيكَ السَّقْفُ \* فَإِنْ عَفَا عَنْكَ أَنَاكَ الْوَكْفُ  
 وَإِنْ أَرَدْتَ فِي النَّهَارِ الشُّرْبَا \* فِيهِ فَقَدْ قَاسَيْتَ خَطْبًا صَعْبَا  
 وَأَحْتَجَّتْ أَنْ تُوقِدَ فِيهِ نَارَا \* تُطِيرُنَا نَحْوَ الْحَدَقِ الشَّرَّارَا  
 ١٠ يَتْرُكُ مُبَيِّضَ الثِّيَابِ أَرْقَطَا \* يَحْكِي السَّعِيدِيَّ لَكَ الْمُنْقَطَا  
 وَبَعْدَ ذَا تُسَدِّدُ النَّقَابَا \* مِنْ خَوْفِهِ وَتُعَلِّقُ الْأَبْوَابَا  
 نَعْمَ وَتُرِيحِي دُونَهُ السُّتُورَا \* حَتَّى تَرَى صَبَاحَهُ دَيُّجُورَا  
 وَإِنْ أَرَدْتَ الشُّرْبَ فِي الظَّلَامِ \* عَاقَكَ عَنِ تَتَاوُلِ الْمُدَامِ  
 حَسْبُكَ أَنْ تَتَدَسَّ فِي الخَافِ \* مِنْ خَشْيَةِ البَرْدِ عَلَى الْأَطْرَافِ  
 ١٥ وَرَعْدُهُ يَسْعَلُ عَنِ كُلِّ عَمَلٍ \* وَيُؤَثِّرُ النَّوْمَ وَيَسْتَحْلِي الكَسْلَ  
 حَتَّى إِذَا جِئْتَ إِلَى الرُّقَادِ \* نِمْتَ عَلَى فَرْشٍ مِنَ القِتَادِ  
 إِنَّ الْبِرَاغِيَّتَ عَذَابٌ مُزِجٌ \* لِكُلِّ قَلْبٍ وَلِحَالِدٍ يُنْضِجُ  
 لَا يَسْتَلِدُّ جِلْدَكَ المَضَاجِعَا \* كَأَنَّمَا أَفْرَشَهُ مَبَاضِعَا  
 تَنَحَّ فَضْلًا فَوْقَ مَا ذَمَّتْهُ \* لَوْ أَنَّهُ يَظْهَرُ لِي قَتْلَتُهُ  
 ٢٠ حَتَّى إِذَا مَا هُوَ عَنَّا بَانَا \* وَزَالَ عَنَّا بَعْضُهُ لَا كَانَا

ذكر ما قيل في فصل الربيع

جاء إلينا زمن الربيع \* بغناء فصل حسن الجميع  
 لبرده وحره مقدار \* لم يكتنف حداهما إكثار  
 عدل في أوازنه حتى اعتدل \* وحمد التفصيل منه والجمال  
 نهاره في أحسن النهار \* في غاية الإشراق والإسفار  
 تضحك فيه الشمس من غير عجب \* كأنها في الأفق جام من ذهب  
 وليله مستلطف النسيم \* مقوم في أحسن التقويم  
 لبدرة فضل على البذور \* في حسن إشراق وفوط نور  
 بحامة البلور في صفائها \* أذابت الجراد في نقائها  
 كأنها إذا دنت من بديره \* جوزأوه قبل طلوع بغيره  
 روميّة حلتها زرقاء \* في الجيد منها درة بيضاء  
 هذا وكم تجمع من أمور \* إطرأ مطربها من التفسير  
 فيه تظل الطير في ترم \* حاذقة بالحن لم تعلم  
 غناؤها ذو عجمة لا يفهمه \* سامعه وهو على ذا يغرمه  
 من كل دئبي له رنين \* وكل قسرى له حنين  
 في قرطبي أعجل أن يوردا \* خاط له الحياط طوقا أسودا  
 تبصره منه على الحيزوم \* كمثل عقيد سبج منظوم  
 هذا وفيه للرياض منظر \* يقسى الثرى من سره ما يضمير  
 سرنبات حسنه إعلانه \* إذا سواه زانه كئانه  
 فيه ضروب لنبات الغص<sup>(١)</sup> \* يحكى لباس الجند يوم العرض

(١) لعله للنبات بالتمريف .

من نرجس أبيض كالثغور \* كأنه مخاق الكافور  
 وروضة زهر من بنفسج \* كأنها أرض من الفيروزج  
 قد ليست غلالة زرقاء \* وكأيدت بلونها السماء  
 يضحك منها زهر الشقيق \* كأنه مداهن العقيق  
 مضمنات قطعاً من السبج \* قد أشرفت من آحمرار ودعج  
 كأنما المحمر في المسود \* منه إذا لاح عيون الرمد  
 وارم بعينيك إلى البهار \* فإنه من أحسن الأزهار  
 كأنه مداهن من عسجد \* قد سمرت في قضب الزرجد  
 فأنهض إلى اللهو ولا تحلف \* فلتت في ذلك بالمعنف  
 واشرب عقاراً طال فينا كونها \* يصفر من خوف المزاج لونها

\* \* \*

دونك هذى صفة الزمان \* مشروحة في أحسن التبيان  
 وأرض بتقليدي فيما قلته \* فإني أدري بما وصفته

## الباب الرابع

من القسم الثالث من الفن الأول

في ذكر مواسم الأمم وأعيادها، وأسباب اتخاذهم لها، وما قيل في ذلك

والذي أوردته في هذا الباب، هو مما وقفت عليه أثناء مطالعتي للكتب الموضوعة  
 فيه، ونقلته منها لما تعذر علي من أتلقاه من فيه. وضمته أعياد المسامين، والفرس  
 والنصارى، واليهود.

## ١ - ذكر الأعياد الإسلامية

والأعياد الإسلامية التي وردت بها الشريعة آثان: عيد الفطر، وعيد الأضحى .  
والسبب في آتخاذهما ، ما رُوِيَ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "أنه قَدِمَ  
المدينةَ، ولأهلها يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟ فقالوا: كنا نلعب فيهما  
في الجاهلية . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إن الله (عز وجل) قد بدلكم  
خيرا منهما، يوم الفطر، ويوم الأضحى" . فأقول ما بدئ به من العيدين عيد الفطر،  
وذلك في سنة اثنتين من الهجرة . وفيها كان عيد الأضحى .

وعيد آبتدعته الشيعة، وسموه عيد الغدير. وسبب آتخاذهم له مؤاخاة النبي (صلى  
الله عليه وسلم) على بن أبي طالب (رضى الله عنه) يوم غدير خم . والغدير على ثلاثة  
أيام من الجحفة بسرة الطريق . قالوا: وهذا الغدير تُصبُّ فيه عين، وحوله شجر كثير  
ملتف بعضها ببعض . وبين الغدير والعين مسجدٌ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) .  
واليوم الذي آبتدعوا فيه هذا العيد هو الثامن عشر من ذى الحجة، لأن المؤاخاة كانت  
فيه في سنة عشر من الهجرة، وهي حجة الوداع. وهم يُحْيُونَ ليلتها بالصلاة، ويصلون  
في صبيحتها ركعتين قبل الزوال . وشعارهم فيه لبس الحديد، وعتق الرقاب، وبرّ  
الأجانب، والذبايح .

وأقول من أحدثه معز الدولة أبو الحسن على بن بويه، على ما نذكره إن شاء الله  
تعالى في أخباره في سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة .

ولما ابتدع الشيعة هذا العيد وآتخذوه من سننهم عمل عوام السنة يوم سرور  
نظير عيد الشيعة في سنة تسع وثمانين وثلثمائة . وجعلوه بعد عيد الشيعة بثمانية أيام،

(١) في صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤٠٧) ثلاثة أميال، وفي المعجم [بينه وبين الجحفة ميلان] .

وقالوا : هذا يوم دخول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الغار هو وأبو بكر الصديق (رضى الله عنه) . وأظهروا في هذا اليوم الزينة، ونصب القباب، وإيقاد النيران .

## ٢ - ذكر أعياد الفرس

وأعياد الفرس كثيرة جدًا . وقد صنف على بن حمزة الأصفهاني فيها كتابا مستقلاً ذكر فيه أعيادهم ، وسبب اتخاذهم لها وسنن ملوكهم فيها . وقد رأيت أن أقصر على المشهور منها ، وهي ثلاثة أعياد : النيروز، والمهرجان، والسدق .

١ - فأما النيروز، فهو أعظم أعيادهم وأجلها . يقال إن أول من اتخذهم جمشيد أحد ملوك الفرس الأول . ويقال فيه جمشاد، ومعنى جم : القمر، وشاد : الشعاع والضياء، وسبب اتخاذهم لهذا العيد أن طهومت لما هلك ، ملك بعده جمشاد . فسمى اليوم الذي ملك فيه نوروز، أي اليوم الجديد .

ومن الفرس من يزعم أن النيروز اليوم الذي خلق الله (عز وجل) فيه النور، وأنه كان مُعظَم القدر عند جمشاد . وبعضهم يزعم أنه أول الزمان الذي ابتدأ فيه الفلك بالدوران . ومدته عندهم ستة أيام، أوقها اليوم الأول من شهر أفرديون ماه، الذي هو أول شهر سنتهم . ويسمون اليوم السادس الثوروز الكبير، لأن الأكامرة كانوا يقضون في الأيام الخمسة حوائج الناس ثم ينتقلون إلى مجالس أنسهم مع خواصهم .

وحكى ابن المقفع أنه كان من عاداتهم فيه أن يأتي الملك من الليل رجلاً جميل الوجه، قد أرصد لما يفعله . فيقف على الباب حتى يصبح . فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان . فإذا رآه الملك، يقول له : من أنت؟ ومن أين أقبلت؟ وأين تريد؟ وما اسمك؟ ولأى شيء وردت؟ وما معك؟ فيقول : أنا المنصور، وأسمى

المبارك، ومن قبل الله أقبلتُ، والملك السعيد أردتُ، وبالهناء والسلامة وردتُ،  
ومعى السنة الجديدة. ثم يجلس، ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة، وفيه حنطة  
وشعير، وجلبان، وحمص، وسمسم، وأرز (من كل واحد سبع سنابل وتسع حبات)  
وقطعة سكر، ودينار ودرهم جديان. فيضع الطبق بين يدي الملك. ثم تدخل عليه  
الهدايا. ويكون أول من يدخل عليه وزيره، ثم صاحب الخراج، ثم صاحب المعونة،  
ثم الناس على طبقاتهم ومراتبهم. ثم يقدم للملك رغيف كبير مصنوع من تلك الحبوب،  
موضوع في سلة. فياكل منه ويطعم من حضره. ثم يقول: هذا يوم جديد، من شهر  
جديد، من عام جديد، من زمان جديد، يحتاج أن نجدد فيه ما أخلق الزمان، وأحق  
الناس بالفضل والإحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء. ثم يخلع على وجوه دولته  
ويصلهم ويفرق فيهم ما حمل إليه من الهدايا.

وكانت عادة عوام الفرس فيه رفع النار في ليلته، ورش الماء في صبيحته.

وفي ذلك يقول المعوج :

كيف آتباك بالتيروز ياسكني \* وكُل ما فيه يحكي وأحكيه  
فناره كلهب النار في كيدي \* وماؤه كتسوالي عبرتي فيه

وقال آخر :

نورز الناس ونورز \* ت ولكن بدموعي  
وذكرت نارهم والنار ما بين ضلوعي

٢ - وأما المهرجان، فوقعه في السادس والعشرين من تشرين الأول من

شهور السريان، وفي السادس عشر من مهرماه من شهور الفرس.

(٧)

(١) لم يوجد هذا المصدر في القاموس واللسان بهذا المعنى والمصدر الحسن. والتبته.

وهذا الأوان وسط زمان الخريف، وفيه يقول بعض الشعراء :

أَحِبُّ الْمَهْرَجَانَ لِأَنَّ فِيهِ \* سُرُورًا لِللُّوكِ ذَوِي السَّنَاءِ

وَبَابًا لِلصَّيْرِ إِلَى أَوَانٍ \* تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ

وهو ستة أيام . ويسمى اليوم السادس المهرجان الأكبر . قال المسعودي :

- ٥ . وسبب تسميتهم لهذا اليوم بهذا الاسم ، أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم . وكان لهم ملك يسمى مهر ، يسير فيهم بالعنف والعسف . فمات في نصف الشهر الذي يسمونه مهرماه ، فسمى ذلك اليوم مهرجان ، وتفسيره "نفس مهر ذهبت" وهذه لغة الفرس الأول . وزعم آخرون أن "مهر" بالفارسية حِفَاطٌ و "جان" الروح .

وقد نظم عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ذلك ، فقال :

١٠ إذا مَا تَحَقَّقَ بِالْمَهْرَجَا \* نِ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَعْنَاهُ حَاطَا

وَمَعْنَاهُ أَنْ غَلَبَ الْفُرْسُ فِيهِ \* فَسَمَّوْهُ لِلرُّوحِ حَقًّا حِفَاطَا

ويقال إنه إنما عُملَ في عهد أفريدون الملك ، وأن معنى هذا الاسم "إدراك النار" .

وسبب اتخاذهم له ، أن بيوراسف (وهو الضحاك) ، ويقال له أزدهاق ذوالحيتين

- والأفواه الثلاثة ، والأعين الست ، الذاهي الخبيث المتمرد ، لما قتل جمشاد ، وملك بعده ، غير دين المجوسية . وجاء إبليس في صورة خادم ، فقبل منكبيه ، فنبت فيهما ١٥ حيتان ، فكان يُطعمهما أدمغة الناس . فأجحف ذلك بالرعية ، فخرج رجل بأصبهان ، يقال له كابي ، ويقال فيه كايان . ودعا الناس الى قتاله ، فاجتمع له خلق كثير . فشخص الضحاك لقتاله ، فهاب كثرة جمعه وفر منهم . فاجتمع الناس على كابي ليملكوه عليهم ، فأبى ذلك وقال : ما أنا من أهل الملك ، وأخرج صبيا من ولد جمشاد ، يسمى ٢٠ أفريدون وملكه ، فأطاعه الناس فيه وملكوه عليهم .

ونخرج أفريديون في طلب الضحاك ليأخذ ثار جدّه فظفر به ، وجعل ذلك اليوم عيداً ، وسماه المهرجان . ويقال إن المهرجان هو اليوم الذي عقد فيه التاج على رأس أردشير بن بابك ، أول ملوك الفرس الساسانية .

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يفضل المهرجان على النيروز :

أَخَا الْفَرَسِ إِنَّ الْفَرَسَ تَعَلَّمَ إِنَّهُ \* لِأَطْيَبِ مِنْ نَيْرِوزِهَا مَهْرَجَانُهَا  
لِإِدْبَارِ أَيَّامٍ يَنْعَمُ هَوَاؤُهَا \* وَإِقْبَالِ أَيَّامٍ يَسْرُزَمَانُهَا

وكان مذهب الفرس فيه أن يدهن ملوكهم بدهن البان تبركا، وكذلك عواتهم، وأن يلبس القصب والوشى، ويتوج بتاج عليه صورة الشمس ومجملتها الدائرة عليها، ويكون أول من يدخل عليه الموبدان يطبق فيه أترجة، وقطعة سكر، ونبق، وسفرجل، وعناب، وتُفّاح، وعنقود عنب أبيض، وسبع طاقات آس قد زمرم عليها .

ثم يدخل الناس على طبقاتهم بمثل ذلك .

وكان أردشير، وأنوشروان يأمران بإخراج مافي خزائهم في المهرجان والنيروز من أنواع الملابس والقرش، فبتفرق كلها في الناس على مراتبهم، ويقولان : إن الملوك تستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء، وعن كسوة الشتاء في الصيف، وليس من أخلاقهم أن يحبوا كسوتهم في خزائهم ويساوا العامة في فعلها .

وزعم بعض أصحاب التاريخ أن النيروز عملة الفرس قبل المهرجان بالفى سنة وخمسمائة سنة .

٣ - وأما السّدقُ ، فإنه يُعمل في ليلة الحادى عشر من شهر بهمن ماه .

٢٠ ويسمى هذا اليوم عندهم "أبان روز" ، لأن لكل يوم من أيام الشهر عندهم اسما .

ويقال في سبب اتخاذهم له : إن فراسياب لما ملك ، سار إلى بلاد بابل وأكثر فيها الفساد ، ونحرب العمران . فخرج عليه دق بن طهماسب ، وطرده عن مملكته إلى بلاد الترك . وكان ذلك في يوم أبان روزه . فأتخذ الفرس هذا اليوم عيداً ، وجعلوه ثالثاً ليوم النيروز ، والمهرجان .

- ويقال أيضاً في سبب اتخاذهم له : إن الأب الأول ، وهو عندهم كيومرت ، لما كل له مائة ولد ، زوج الذكور بالإناث ، وصنع لهم عرساً أكثر فيه من إشعال النيران ، فوافق ذلك الليلة المذكورة ، وأستسنه الفرس بعده .  
وهم يوقدون النيران بسائر الأدهان ، ويزيدون في الولوع بها ، حتى إنهم يلقون فيها سائر الحيوانات .

وفي ذلك يقول ابن حجاج من أبيات يمدح بها عضد الدولة بن بويه :

- ١٠ مَوْلَايَ يَا مَنْ نَدَاهُ يَعْدُو \* فَفَاتَ سَبَقًا وَلَيْسَ يَلْحَقُ  
لَيْلَتَنَا حُسْنَهَا عَجِيبٌ \* بِالْقَصِيفِ وَالْعَرْفِ قَدْ تَحَقَّقُ  
لِنَارِهَا فِي السَّمَاءِ لِسَانٌ \* عَنِ نُورِ ضَوْءِ الصَّبَاحِ يَنْطِقُ  
وَالْحَوِ<sup>(١)</sup> مِنْهَا قَدْ صَارَ جَمْرًا \* وَالنَّجْمُ مِنْهَا قَدْ كَادَ يَحْرَقُ  
١٥ وَدَجَلَةٌ أَضْرِمَتْ حَرِيقًا \* بِالْأَيْفِ نَارٍ وَالْأَيْفُ زَوْرَقُ  
فَمَاؤُهَا كُلُّهُ حَمِيمٌ \* قَدْ فَارَ مَا غَلَى<sup>(٢)</sup> وَبَقَبَقُ

وقال أبو القاسم المطرزي في سدق ، عمله السلطان ملك شاه ، أشعل فيه الشموع والنيران في السُمَيْرِيَّاتِ بِدَجَلَةَ ، وذلك في سنة أربع وثمانين وأربعمائة :

- وَكُلُّ نَارٍ عَلَى الْعُشَاقِ مُضْرَمَةٌ \* مِنْ نَارِ قَلْبِي أَوْ مِنْ لَيْلَةِ السَّدَقِ  
٢٠ نَارٌ تَجَلَّتْ بِهَا الظُّلُمَاءُ فَاسْتَبَهَتْ \* بِسَدَقَةِ اللَّيْلِ فِيهَا غُرَّةُ الْفَلَاقِ

(١) كذا في الأصل ولعله "والحرق منها بصير جمرا" \* والنجم منها يكاد يحرق" ليستقيم الوزن .

(٢) في الأصول : يغلى .

وزارت الشمس فيها الليل وأصطلحا • على الكواكب بعد الغيظ والحقق  
مدت على الأرض بسطاً من جواهرها • ما بين مجتمعا وأر ومفترق  
مثل المصابيح إلا أنها نزلت • من السماء بلا رجيم ولا حرق  
أعجب بنار ورضوان يسعها • وبالك قائم منها على فرق  
في مجلس ضحك روض الحنان له • لما جلا نغره عن واضح يقق

### ٣ - ذكر أعياد النصارى القبط

وأعياد النصارى أربعة عشر عيداً : سبعة يسمونها بكباراً، وسبعة يسمونها صغاراً،  
فأما الكبار :

- ١ - فمنها عيد البشارة • ويعنون بها بشارة غبريال، وهو عندهم جبريل عليه السلام على ما يزعمون أنه بشر مريم ابنة عمران بميلاد عيسى (عليهما السلام) • وهم يعملونه في التاسع والعشرين من برمهات من شهرهم •
- ١٠ - ومنها عيد الزيتونة • وهو عيد الشعانين، وتفسيره التسبيح • يعملونه في سابع أحد من صومهم • وستهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة • ويزعمون أنه يوم ركوب المسيح اليعقور في القدس، وهو الحمار، ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه، وهو الأمر المعروف وينهى عن المنكر •
- ١٥ - ومنها الفصح • وهو العيد الكبير عندهم يقولون إن المسيح قام فيه بعد الصليب بثلاثة أيام •
- ٢ - ومنها خميس الأربعين • ويسميه الشاميون السلاق<sup>(١)</sup> • وهو الثاني والأربعون من الفطر • يزعمون أن المسيح عليه السلام تسلق فيه من بين تلاميذه إلى السماء من بعد القيام، ووعدهم إرسال الفارقليط وهو روح القدس •
- ٢٠ - (١) في الأصل السلاق وفي القاموس [وكرمان عيد للنصارى] وفي صبح الأعشى تغير ياء على الصواب.

- ٥ - ومنها عيد الخميس . وهو العنصرة يُعمل بعد خمسين يوما من يوم القيامة يقولون إن روح القدس حلّت بالتلاميذ، وتفزقت عليهم السنة الناس، فتكلموا بجميع الألسنة، وتوجه كل واحد منهم إلى بلاد لسانه الذي تكلم به يدعوهم إلى دين المسيح .
- ٦ - ومنها الميلاد . وهو اليوم الذي ولد فيه المسيح . يقولون إنه ولد في يوم الاثنين فيجعلون عشية الأحد ليلة الميلاد . وهم يوقدون فيه المصابيح بالكائس ويزينونها . ويعمل في التاسع والعشرين من كيهك من شهرهم .
- ٧ - ومنها الغطاس . ويعمل في الحادي عشر من طوبة من شهرهم . ويقولون إن يحيى بن زكريا، وبعثونه بالمعمدان، غسل عيسى عليه السلام في بحيرة الأردن، ويزعمون أن عيسى (عليه السلام) لما خرج من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامة . والنصارى يغمسون أولادهم في الماء فيه، ووقته شديد البرد .
- ١٠ . وأما الأعياد الصغار :
- ١ - فمنها الختان . ويعمل في سادس بشونة، يقولون إن المسيح خُتن في هذا اليوم، وهو الثامن من الميلاد .
- ٢ - ومنها الأربعون . وهو عند دخول الهيكل يقولون إن سمعان الكاهن دخل بعيسى (عليه السلام) مع أتمه [الهيكل] وبارك عليه . ويعمل في ثامن أمشير من شهرهم .
- ٣ - ومنها خميس العهد . ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام . وسنتهم فيه أن يأخذوا إناء ويملؤوه ماء ويزمزموا عليه، ثم يغسل البطريك به أرجل سائر الناس . ويزعمون أن المسيح عيسى (عليه السلام) فعل مثل هذا بتلاميذه في مثل هذا اليوم،
- (١) الزيادة من صبح الأعشى ج ٢ ص ٤١٧ طبع دارالكتب المصرية .

يعلمهم التواضع ، وأخذ عليهم العهد ألا يتفترقوا ، وأن يتواضع بعضهم لبعض .  
وعوام النصارى يسمون هذا الخميس خميس العَدَس ، وهم يطبخون فيه العَدَس  
المقشور على ألوان ، ويسميه أهل الشام خميس الأرز . ومنها خميس البيض أيضا .  
ويسميه أهل الأندلس خميس أبريل ، وأبريل شهر من شهور الروم .

٤ — ومنها سبتُ النور . وهو قبل الفِصح بيوم . يقولون إن النور يظهر على  
مقبرة المسيح في هذا اليوم ، فتشتعل منه مصابيح كنيسة القيامة التي بالقدس . وليس  
كذلك ، بل هو من تخيلات فعلها أكابرهم ليستميلوا بها عقول أصاغرهم . وقيل  
إنهم يعلقون القناديل في بيت المذبح ، ويحيلون في إيصال النار إليها بأن يعدوا على  
سائرها شريطا من حديد في غاية الدقة ، يدهنونه بدهن البَلَسَان ودهن الزَنْبَق . فإذا  
صلوا ، وحان وقت الزوال ، فتحو المذبح ، فدخل الناس إليه ، وقد أشعلت فيه  
الشموع . ويتوصل بعض القوم إلى أن يعلق بطرف الشريط الحديد النار تسرى  
عليه ، فتقد القناديل واحدا بعد واحد بسبب الدهن .

٥ — ومنها حدُّ الحُدود . وهو بعد الفِصح بثمانية أيام . يعمل أول أحد بعد  
الفطر ، لان الآحاد قبله مشغولة بالصوم . وفيه يحددون الآلات ، والآثاث ،  
واللباس ، ويأخذون في المعاملات ، والأمور الدنيوية .

٦ — ومنها التجلي . يقولون : إن المسيح ( عليه السلام ) ، تجلّى لتلاميذه بعد أن  
رُفِع ، وتمنوا عليه أن يُحضّر لهم إيليا ، وموسى ، فأحضرهما لهم في مصلى بيت  
المقدس ، ثم صعد . ويعمل في ثالث عشر مسرى من شهورهم .

٧ — وعيد الصليب . وتزعم النصارى أن قسطنطين بن هيلاني انتقل عن  
اعتقاد اليونان إلى اعتقاد النصرانية ، وبني كنيسة قسطنطينية العظمى ، وسائر  
كنائس الشام .

(٧٢)

وسبب ذلك — على ما نقله المؤرخون — أنه كان مجاورا للبرجان ، فضاقت بهم  
ذُرُعا من كثرة غاراتهم على بلاده . فهم أن يصانعهم ويقتر لهم عليه إتاوة في كل عام  
ليكفوا عنه . فرأى ليلة في المنام أن ملائكة نزلت من السماء ومعها أعلام عليها  
صلبان ، فخارت البرجان فهزموهم . فلما أصبح ، عمل أعلاما وصوّر فيها صليبا ،  
ثم قاتل بها البرجان فهزمهم .

وقيل إنه رأى في المنام صليبا من نور في السماء ، وقائلا يقول له : اعمل مثل هذا  
على رؤوس أعلامك فإنك تنصر . فلما أصبح ، أمر بعمل صليبان من ذهب على  
رؤوس أعلامه وقاتل بها فنصر . فأمر أهل مملكته بالرجوع عن دينهم والدخول  
في دين النصرانية ، وأن يقصوا شعورهم ، ويحلقوا لحاهم . وإنما فعل ذلك بهم لأن  
رسل عيسى عليه السلام كانوا قد وردوا على اليونان من قبل يأمرؤنهم بالتعبد بدين  
النصرانية ، فأعرضوا عنهم ، ومثلوا بهم هذه المثلة نكالا بهم . ففعلوا ذلك تأسبا بهم .  
ولما تنصر قسطنطين ، خرجت أمه هيلاني إلى الشام ، فبنت الكائس ، وسارت  
إلى بيت المقدس ، فطلبت الخشبة التي صُلب عليها المسيح ، على ما يزعمون . وكانت  
مدفونة في مزبلة . فأخرجت منها ، وفيها مواضع سبعة مسامير فلما حُملت إليها ،  
غلفتها بالذهب وحمّتها إلى ابنها . واتخذت يوم رؤيتها لها عيدا .

قال المسعودي : وذلك لأربع عشرة ليلة خلت من أيلول ، ووافق ذلك سبع  
عشرة ليلة خلت من توت من شهور القبط . وكان من مولد عيسى إلى اليوم الذي  
وجدت فيه الخشبة ثلاثمائة وثمان وعشرون سنة .

وسياتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في أخبار الروم في فن التاريخ ، وهو في الجزء

الثالث عشر من هذا الكتاب .

## ٤ - ذكر أعياد اليهود

وأعياد اليهود التي نطقت بها توراتهم خمسة :

١ - منها عيد رأس السنة . ويسمونه رأس هيشا ، أى عيد رأس الشهر ، وهو أول يوم من تشرين . يتزل عندهم منزلة عيد الأضحية عندنا . ويقولون إن الله عز وجل أمر إبراهيم بذبح إسحاق ابنه عليهما السلام فيه ، وفداه بذبح عظيم .

٢ - ومنها عيد صوماريا . ويسمى الكبور . وهو عندهم الصوم العظيم الذى فرض عليهم ، ويقتل من لم يصمه . ومدة [هذا] الصوم خمس وعشرون ساعة ، يبدأ فيها قبل غروب الشمس فى اليوم التاسع من شهر تشرين ، وينجم بمضى ساعة بعد غروبها من اليوم العاشر . ويستترطون رؤية ثلاثة كواكب عند الإفطار . وهى عندهم تمام الأربعين الثالثة التى صام فيها موسى عليه السلام . ولا يجوز أن يقع عندهم فى يوم الأحد ، ولا فى يوم الثلاثاء ، ولا فى يوم الجمعة . ويرعمون أن الله تعالى يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم إلا الزنا بالمحصنات ، وظلم الرجل أخاه ، وجمد ربوبية الله تعالى .

٣ - ومنها عيد المظلة . وهو ثمانية أيام ، أولها الخامس عشر من تشرين . وكلها أعياد ، واليوم الأخير منها يسمى عرابا ، وتفسيره شجر الخلاف . وهو أيضا حج لهم . وهم يجلسون فى هذه الأيام تحت ظلال سعف النخل الأخضر ، وأغصان الزيتون ، والخلاف ، وسائر الشجر الذى لا ينتشر ورقه على الأرض . ويرعمون أن ذلك تذكارة لإظلال الله تعالى إياهم فى آتية بالغمام .

٤ - ومنها عيد الفطير . ويسمونه الفصح . ويكون فى الخامس عشر من نيسان . وهو سبعة أيام يأكلون فيها الفطير ، وينظفون بيوتهم فيها من خبز الخمير .

(١) الزيادة عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٦٦ ؛ (٢) فى صبح الأعشى [سبعة أيام] .  
(٣) فى صبح الأعشى [عرابا] .

لأنها عندهم الأيام التي خلاص الله تعالى فيها بني إسرائيل من فرعون وأغرقه، فخرجوا إلى التيه، وجعلوا يأكلون اللحم، والخبز الفطير، وهم بذلك فرحون، وفي آخر هذه الأيام غرق فرعون.

- ٥ - ومنها عيد الأسابيع، وهي الأسابيع التي فرضت عليهم فيها الفرائض، وجل فيها الدين. ويسمى عيد العنصرة، وعيد الخطاب. ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع. يقولون إنه اليوم الذي خاطب الله تعالى فيه بني إسرائيل من طور سيناء، وإن من جملة ما خاطبوا به العشر الكلمات، وهي وصايا تتضمن أمرا ونها. وهو من حجوجهم. وحجوجهم ثلاثة: الأسابيع، والفطير، والمظلة. وهم يعظمونه ويأكلون فيه القضايف ويعلمونها بدلا عن المن الذي أنزل عليهم في هذا اليوم على ما يزعمون. وأتخاذهم لهذا العيد في اليوم السادس من سيوان.
- ٦ - وعيد الفوز. وهو عيد أحدثوه، ويسمونه الفوريم. وذكروا في سبب أتخاذهم له أن بختنصر لما أجلى من كان بيت المقدس من اليهود إلى عراق العجم، أسكنهم مدينة جى، وهي إحدى مدينتي أصقهان. فلما ملك أردشير بن بابك، سماه اليهود بالعبرانية أجشادوس. وكان له وزير يسمونه بلغتهم هيمون. ولليهود يومئذ حبر يسمى بلغتهم مردوخاى. فبلغ أردشير أن له ابنة عم جميلة الصورة من أحسن أهل زمانها. فطلب تزويجها منه، فأجابته إلى ذلك. فترجها، وحظيت عنده، وصار مردوخاى قريبا منه. فأراد هيمون الوزير إصغاره حسدا له، وعزم على إهلاك طائفة اليهود التي في جميع مملكة أردشير. فرتب مع نواب الملك في سائر الأعمال أن يقتل كل واحد منهم من يعلمه من اليهود. وعين لهم يوما وهو النصف من آذار. وإنما خص هذا اليوم دون غيره، لأن اليهود يزعمون أن موسى عليه السلام ولد فيه، وتوفي فيه. وأراد بذلك المبالغة في نكايتهم ليضعف الحزن عليهم بهلاكهم،

وبموت موسى (عليه السلام) . فبلغ مردوخاى ذلك ، فأرسل إلى آبنة عمه يعلمها بما بلغه ، ويحضها على أعمال الخيلة في خلاصهم . فأعلمت الملك بالحال ، وذكرت له أن الوزير إنما حمله على ذلك الحسد ، لقرب مردوخاى منه . فأمر بقتل هيمون الوزير ، وأن يكتب أمان لليهود .

فأتخذوه عيداً . واليهود يصومون قبله ثلاثة أيام .

وهذا العيد عندهم عيد سرور ، وهو ، وخلاعة ، وهدايا يهدونها بعضهم لبعض ، ويصوّرون فيه من الورق صورة هيمون ، ويمشون بطن الصورة نخالة ويلقونها في النار حتى تحترق .

٧ - وعيد الحنكة . وهو أيضا مما أحدثوه . وهو ثمانية أيام ، أولها ليلة الخامس والعشرين من كسلا . وهم يوقدون في الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجا ، وفي الثانية سراجين ، ويضعف ذلك في كل ليلة إلى ثمان ليال . فيكون في الثامنة ثمانية سُرُج .

وسبب اتخاذهم لهذا العيد ، أن بعض الجبابرة تغلب على البيت المقدس وقتل من كان فيه من بنى إسرائيل ، وأقتض أبقارهم . فوثب عليه أولاد كاهنهم ، وكانوا ثمانية ، فقتله أصغرهم . فطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا إلا يسيرا ، وزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج على أبوابهم في كل ليلة إلى ثمان ليال . فأتخذوا هذه الأيام عيداً وسموه الحنكة ، وهو مشتق من التنظيف ، لأنهم نظفوا فيها الهيكل من أقدار شيعة الجبار ،

## القسم الرابع من الفن الأول

في الأرض، والجبال، والبحار، والجزائر، والأنهار، والعيون، والغدران

وفيه سبعة أبواب.

## الباب الأول

من هذا القسم

## ١ - في مبدأ خلق الأرض

قال الله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ .

والأرض سبع، كما أن السموات سبع . والدليل على ذلك قوله عز وجل :  
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ .

وأختلف فيها هل هي سبع متطابقات بعضها فوق بعض، أو سبع متجاورات؟  
فذهب قوم إلى أن الله تعالى خلق سبع سماوات متطابقات متعاليات، وسبع أرضين  
متطابقات متسافلات، وبين كل أرض وأرض، كما بين كل سماء وسماء، خمسمائة  
عام . وقُسر بهذا قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا  
رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ . أي كانت سماء واحدة ففتقناها سبعة .

قيل : ولكل أرض أهل وسكان مختلفو الصور والحيثات ؛ ولكل أرض

اسم خاص .

(١) أي وأرضا واحدة [ولعله سقط من قلم النسخ] .

• وذهب قوم إلى أنها سبع متجاورات متفرقات لا متطابقات . فجعلوا الصين أرضا ، وخراسان أرضا ، والسند والهند أرضا ، وفارس والجلال والعراق وجزيرة العرب أرضا ، والجزيرة والشام وبلاد إرمينية أرضا ، ومصر وإفريقية أرضا ، وجزيرة الأندلس وما جاورها من بلاد الجلالقة والأندكبردة وسائر طوائف الروم أرضا .

• ويقال : إنها كانت على ماء ، والماء على صحرة ، والصحرة على سنام ثور ، والنور على كلكم ، والكلكم على ظهر حوت ، والحوت على الماء ، والماء على الريح ، والريح على حجاب ظلمة ، والظلمة على الثرى . وإلى الثرى انقطع علم المخلوقين .

قال الله تعالى : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ .

وزعم آخرون أن تحت الأرض السابعة صحرة ، وتحت الصحرة الحوت ، وتحت الحوت الماء ، وتحت الماء الظلمة ، وتحت الظلمة الهواء ، وتحت الهواء الثرى . وقد تقدم في الباب الأول من هذا الكتاب أن الأرض مخلوقة من الزبد . فلا فائدة في تكراره .

## الباب الثاني

### من القسم الرابع من الفن الأول

١٥ ١ - في تفصيل أسماء الأرضين وصفاتها ، في الاتساع ، والاستواء ، والبعد ، والغلظ ، والصلابة ، والسهولة ، والحزونة ، والارتفاع ، والانخفاض ، وغير ذلك . قال الثعالبي : في كتابه المترجم " بفقته اللغة " وأسندته إلى أئمة اللغة :

(١) كذا بالأمل . ؟

إذا اتسعت الأرض ولم يتخللها شجر أو حجر، فهي الفضاء والبراز والبراح، ثم  
الصحرَاء والعراء؛ ثم الرهَاء والجهرَاء .

فإذا كانت مستوية مع الاتساع، فهي الخبْت والجدد؛ ثم الصحصح والصدْرَح؛  
ثم القاعُ والقرقرُ؛ ثم القرقُ والصفصفُ .

٥ فإذا كانت مع الاستواء والاتساع بعيدة الأكناف والأطراف، فهي السهب  
والخرقُ؛ ثم السببُ والسملقُ والملقُ .

فإذا كانت مع الاتساع والاستواء والبعد لا ماء فيها، فهي القلاة والمهمة؛ ثم  
التنوفة والنيفاء؛ ثم النفف والصرماً .

فإذا كانت مع هذه الصفات لا يهتدى فيها لطريق، فهي اليماء والغطشاء .  
فإذا كانت تضل سالكها، فهي المضلة والمتيمة .

١٠ فإذا لم يكن بها أعلام ولا معالم، فهي الجهل والهوجل .

فإذا لم يكن بها أثر، فهي الغفل .

فإذا كانت قفراء، فهي القى .

فإذا كانت تُبئد سالكها، فهي البيداء . والمقازة كناية عنها .

١٥ فإذا لم يكن فيها شيء من النبات، فهي المرث والمليع .

فإذا لم يكن فيها شيء، فهي المروارة والسبروت والبلقع .

فإذا كانت الأرض غليظة صلبة، فهي الجبوب، ثم الجلد، ثم العزاز، ثم الصيذاء،  
ثم الجدد .

فإذا كانت صلبة يابسة من غير حصي، فهي الكلد، ثم الجمعاع .

٢٠ فإذا كانت غليظة ذات حجارة ورمل، فهي البرقة والأبرق .

فإذا كانت ذات حصي، فهي المحصاة والمحصبه .  
 فإذا كانت كثيرة الحصى، فهي الأمعز والمعزاء .  
 فإذا آشمت عليها كلها حجارة سود، فهي الحرة واللابه .  
 فإذا كانت ذات حجارة كأنها السكاكين، فهي الحزير .  
 فإذا كانت الأرض مطمئنة، فهي الجوف والغائط؛ ثم الهبل والهضم .  
 فإذا كانت مرتفعة، فهي النجد والنشز .  
 فإذا جمعت الأرض الارتفاع والصلابة والغلظ، فهي المتن والصمد، ثم القف  
 والفدقد والقردد .

فإذا كان ارتفاعها مع اتساع، فهي اليفاع .  
 فإذا كان طولها في السماء مثل البيت، وعرض ظهرها نحو عشرة أذرع، فهي  
 التل؛ وأطول وأعرض منها الربوة والرأيه؛ ثم الأكمة؛ ثم الزبيسة، وهي التي  
 لا يعلوها الماء . وبها ضرب المشل في قولهم: "بلغ السيل الزبي"؛ ثم السجوة،  
 وهي المكان الذي تظن أنه نجاؤك؛ ثم الصمان، وهي الأرض الغليظة دون الجبل .  
 فإذا ارتفعت عن موضع السيل وأنحدرت عن غلظ الجبل؛ فهي الخيف .  
 فإذا كانت الأرض لينة سهلة من غير رمل، فهي الرقاق والبرث؛ ثم الميئاء والدميئة  
 فإذا كانت طيبة التربة كريمة المنبت بعيدة عن الأحساء والزوز، فهي العداة .  
 فإذا كانت مخيلة للنبت والخير فهي الأريضة .  
 فإذا كانت ظاهرة لا شجر فيها ولا شيء يختلط بها، فهي القراح والقرواح .  
 فإذا كانت مهياة للزراعة، فهي الحقل والمشارة والدرة .

[فإذا لم تُهَيَأ للزراعة، فهي بور<sup>(١)</sup>]

(١) الزيادة من فقه العالي .

- فإذا لم يصبها المطر، فهي الفل والحُرُرُ .  
 فإذا كانت غير ممطورة وهي بين أرضين ممطورتين، فهي الخَطِيطَةُ .  
 فإذا كانت ذات ندى ووَخَامَةٌ، فهي الغَمَمَةُ .  
 فإذا كانت ذات سِباح، فهي السَّبْحَةُ .  
 فإذا كانت ذات وباء، فهي الوَبِيئَةُ والوَبِيئَةُ .  
 فإذا كانت كثيرة الشجر، فهي الشَّجْرَاءُ والشَّجْرَةُ .  
 فإذا كانت ذات حَيَاتٍ، فهي المَحْوَاتُ<sup>(١)</sup> .  
 فإذا كانت ذات سباع أو ذئاب، فهي المَسْبَعَةُ والمَذَابَةُ .

## ٢ - ذكر تفصيل أسماء التراب وصفاته

- قال الثعالبي رحمه الله تعالى :  
 الصَّعِيدُ : تراب وجه الأرض .  
 والبَوْغَاءُ ، والدَّقْعَاءُ : التراب الرخو الرقيق الذي كأنه ذَرِيرَةٌ .  
 والثَّرَى : التراب النَّدَى، وهو كل تراب لا يصير طينا لآزباً إذا بُلَّ .  
 المُوْرُ : التراب الذي يَمُورُ به الريح .  
 الهَبَاءُ : التراب الذي تُطَيِّرُهُ الريح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم .  
 [ يلترق<sup>(١)</sup> لزوقاً ] .  
 [ والهَامَى : الذي دَقَّ وأرتفع<sup>(٢)</sup> ] .  
 السَّافِيَاءُ : التراب الذي يذهب في الأرض مع الريح .

(١) كذا ضبط في فقه اللغة، وفي اللسان : (وأرض مَحْيَاةٌ ومَحْوَاتٌ : كثيرة الحيات) وهو الأولى

لاطراد هذا الوزن في مثل ذلك .

(٢) الزيادة من فقه الثعالبي .

- النَيْبَةُ : التراب الذي يُخْرَجُ من البئر عند حفرها .  
 الرَّاهِطَاءُ وَالِدَّمَاءُ : التراب الذي يُخْرَجُهُ اليربوع من بُحْرِهِ ويجمعه .  
 الْجُرْثُومَةُ : التراب الذي يجمعه النمل عند قريته .  
 الْعَفَاءُ : التراب الذي يُعْفَى الآثَارُ . وكذلك الْعَفْرُ .  
 الرَّغَامُ : التراب المختلط بالرمل .  
 السَّادُ : التراب الذي يُسَمَّدُ به النبات . فإذا كان مع السَّرْقِينِ ، فهو الدَّمَالُ .

٣ - ذكر تفصيل أسماء الغبار وأوصافه

- النَّقْعُ وَالْعَكُوبُ : الغبار الذي يَثُورُ من حوافر الخيل وأخفاف الإبل .  
 الْعَجَاجُ : الغبار الذي تُثِيرُهُ الريح .  
 الرَّهْجُ وَالْقَسْطَلُ : غبار الحرب .  
 الْخَيْضَمَةُ : غبار المعركة .  
 الْعَثِيرُ : غبار الأقدام .  
 الْمَنِينُ : ما تقطع منه .

٤ - ذكر تفصيل أسماء الطين وأوصافه

قال :

- إن كان الطين حراً يابساً ، فهو الصَّلْصَالُ .  
 فإذا كان مطبوخاً ، فهو الفَخَّارُ .  
 فإذا كان علكاً لاصقاً ، فهو اللَّازِبُ .  
 فإذا غيَّره الماء وأفسده ، فهو الحَمَأُ .  
 (وقد نطق القرآن بهذه الأسماء الأربعة) .

- فإذا كان رطبا، فهو النَّاطِطُ والثُّرْمَطَةُ والطَّوْرَةُ .  
 فإذا كان رقيقا، فهو الرِّدَاغُ .  
 فإذا كان تَرْتِطِمَ فيه الدوابُّ، فهو الوَحْلُ . وأشدُّ منه الرِّدْغَةُ والرِّزْغَةُ . وأشدُّ  
 منها الوَرْطَةُ تقع فيها الغنم فلا تقدر على التخلص منها، ثم صارت مثلا لكل شدة  
 يقع فيها الإنسان .  
 فإذا كان حُرًّا طيبا عَلِكًا وفيه خضرة، فهو الغَضْرَاءُ .  
 فإذا كان مخلوطا بالتبين، فهو السِّيَاعُ .  
 فإذا جعل بين اللَّين، فهو المِلَاطُ .

### ٥ - ذكر تفصيل أسماء الزمالة

- قال :  
 العَدَابُ : ما أَسْتَرَقَ<sup>(١)</sup> من الرمل .  
 الحَبْلُ : ما أَسْتَطَالَ منه .  
 اللَّبْبُ : ما أَسْتَحْدَرَ منه .  
 الحِقْفُ : ما أَعْوَجَّ منه .  
 الدَّعْصُ : ما أَسْتَدَارَ منه .  
 العَقْدَةُ : ما تَعَقَّدَ منه .  
 العَقَنْقَلُ : ما تَرَكَمَ منه .  
 السَّقْطُ : ما جَعَلَ يَتَقَطَّعُ وَيَتَّصِلُ منه .  
 النُّهُورَةُ : ما أَشْرَفَ منه .

(١) في الأصل : ما أَشْتَدَّ . ولكن الذي في القاموس وفقه اللغة : ما أَسْتَرَقَ .

التَّيْهُورُ : ما أطمأت منه .

الشَّقِيقَةُ : ما أقطع وغلظ منه .

الكَثِيبُ والنَّقَا : ما أحدودب وأنهال منه .

العَاقِرُ : ما لا يُنبت شيئاً منه .

الهَدْمَلَةُ : ما كثر شجره منه .

الأَوْعَسُ : ما سهل ولان منه .

الرَّغَامُ : ما لان منه . وليس هو الذي يسيل من اليد .

الهِيَامُ : ما لا يتمالك أن يُمسك باليد منه للينه .

الدُّكْدَاكُ : ما آلتبد بالأرض منه .

العَازِكُ : ما تعقد منه حتى لا يقدر البعير على المسير فيه .

### ٦ - ذكر ترتيب كمية الرمل

قال الثعالبي :

الكثير يقال له : العَقْنَقَلُ .

فإذا نقص ، فهو كَثِيبٌ .

فإذا نقص ، فهو عَوَكَلٌ .

فإذا نقص عنه ، فهو سَقَطٌ .

فإذا نقص عنه ، فهو عَدَابٌ .

فإذا نقص ، فهو لَبٌّ .

وقال في "كتاب الغريب" (١) :

(١) ليس هذا الكتاب للثعالبي ؛ وإنما هو كتاب "الغريب المصنف" لأبي عمرو الشيباني ؛ الموجود منه

نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية .

- إذا كانت الرملة مجتمعة، فهي العوكةُ .  
 فإذا أنبسطت وطالت، فهي الكَيْبُ .  
 فإذا انتقل الكَيْبُ من موضع إلى آخر بالرياح وبقي منه شيء رقيق، فهو اللَّبُّ .  
 فإذا نقص، فهو العَدَابُ .

### ٧ - ذكر تفصيل أسماء الطرق وأوصافها

- قال الثعالبي :  
 المرصاد والنجد : الطريق الواضح؛ وكذلك الصراطُ .  
 والجادة والمنهج واللقم والمحجة : وسط الطريق ومُعظمه .  
 والأحِبُّ : الطريق الموطأُ .  
 المهيحُ : الطريق الواسع .  
 الوهمُ : الطريق الذي يردُّ المواردُ .  
 الشارِعُ : الطريق الأعظم .  
 النقبُ والشعبُ : الطريق في الجبل .  
 الخُلُّ : الطريق في الرمل .  
 المخرفُ : الطريق في الأشجار . ومنه الحديث : "عائِدُ المريضِ في مخارِفِ الجنة" .  
 النَّسَبُ : الطريق المستقيم؛ وقيل إنه الطريق المستدق الواضح، كطريق النمل  
 والحية وحر الوحش .  
 والله أعلم .

## الباب الثالث

## من القسم الرابع من الفن الأول

## في طول الأرض ومساقها

ذهب المتكلمون في ذلك [إلى] أن مسافة الأرض نحو مائة عام : تُكْتَمُّ عمران ،  
 وَتُكْتَمُّ خراب ، وَتُكْتَمُّ بَحَار ، وَأَنْ مَقْدَارَ المَعْمُورِ مِنَ الأَرْضِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً :  
 تَسْعُونَ مِنْهَا لِأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَأَتْنَا عِشْرًا لِلسُّودَانِ ، وَثَمَانِيَةً لِلرُّومِ ، وَثَلَاثَةً لِلعَرَبِ ،  
 وَسَبْعَةً لِسَائِرِ الأُمَمِ .

وقيل إن الدنيا سبعة أجزاء : ستة منها ليأجوج ومأجوج ، وواحد لسائر الناس .

وقيل إن الأرض نحو مائة عام : البحار منها ثلثمائة ، ومائة خراب ، ومائة عمران .

وقيل إن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ : للسودان منها اثنا عشر ألفاً ،

وللروم ثمانية آلاف فرسخ ، وللفارس ثلاثة آلاف ، وللعرب ألف .

وقال وهب بن منبه : ما العارة من الدنيا في الخراب إلا كقسطاط في الصحراء .

وقال أردشير بن بابك : إن الأرض أربعة أجزاء : جزء منها للترك ، وجزء للعرب ،

وجزء للفرس ، وجزء للسودان .

وقيل : إن الأقاليم سبعة ، والأطراف أربعة ، والنواحي خمس وأربعون ، والمدائن

عشرة آلاف ، والرساتيق مائتا ألف وستة وخمسون ألفاً .

وقال الخوارزمي صاحب الزيج : دَوْرُ المَعْمُورِ سَبْعَةَ أَلْفِ فَرَسَخٍ ، وَهُوَ نِصْفُ

سُدُسِ الأَرْضِ ، وَالجِبَالِ ، وَالمَقَاوِزِ ، وَالبَحَارِ . وَالباقِي خَرَابٌ يَبَّابٌ لَا نَبَاتَ فِيهِ

وَلَا حَيَوَانَ .

ومثل المعمور بصورة طائر، رأسه الصين، والجناح الأيمن الهند والسند، والجناح الأيسر الخزر، وصدرة مكة والعراق والشام ومصر، وذنبه الغرب .

وزعم أصحاب الهيئة أن قطر الأرض سبعة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلا، وأن دورها عشرون ألف ميل وأربعمائة ميل . وذلك جميع ما أحاطت به من بر وبحر .

وإنما علم ذلك وحرر زمن عبد الله المأمون، وذلك أنه لما أشكل عليه ما ذكره المتقدمون من مقدار الأرض بعث جماعة من أهل الخبرة بالحساب والنجوم - منهم علي بن عيسى - إلى «برية سنجان» وتفترقوا من هناك . فذهب بعضهم إلى جهة القطب الشمالي، وذهب آخرون إلى جهة القطب الجنوبي، وسار كل منهم في جهته إلى أن وصل غاية ارتفاع الشمس نصف النهار، وقد زال وتغير عن الموضع الذي اجتمعوا فيه وتفترقوا منه، مقدار درجة واحدة . وكانوا قد ذرعوا الطريق في ذهابهم، فصبوا السهام، ووثدوا الأوتاد، وشدوا الحبال . ثم رجعوا وامتحنوا الذرع ثانية، فوجدوا مقدار درجة واحدة من السماء سامت وجه بسيط الأرض ستة وخمسين ميلا وثلاثي ميل . (والميل أربعة آلاف ذراع، والذراع ست قبضات، والقبضة أربع أصابع، والإصبع ست شعيرات، بطون بعضها إلى بعض، والشعيرة ست شعرات من شعر الخيل) . فضربت هذه الأميال في جميع درجات الفلك، ونى ثلاثمائة وستون درجة، فخرج من الضرب عشرون ألف ميل وأربعمائة ميل .  
فحك بأن ذلك دور الأرض .

وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي : مسافة طول الأرض من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب نحو من أربعمائة مَرَّحَلَة، ومسافة عرضها من حيث العُمران

الذي من جهة الشمال ( وهو مساكن ياجوج وماجوج ) إلى حيث العميران الذي من جهة الجنوب ( وهو مساكن السودان ) مائتان وعشرون مرحلة ؛ وما بين برارى ياجوج وماجوج والبحر المحيط فى الجنوب خراب ليس فيه عمارة .

ويقال : إن مسافة ذلك خمسة آلاف فرسخ .

حكى هذه الأقوال صاحب كتاب "مباحج الفكر ومناجج العبر" رحمه الله .

## الباب الرابع

### من القسم الرابع من النسخ الأول

#### ١ - فى الأقاليم السبعة

ذهب أصحاب الزيجات إلى أن كل إقليم منها كأنه بساط ممدود، طوله من

المغرب إلى المشرق، وعرضه من الجنوب إلى الشمال .

١ - فأما الإقليم الأول فمبدؤه من مشرق أرض الصين إلى مدائن أبوابها .

وهى الأنهار التى تدخل السفن فيها من البحر إلى المدائن الجلييلة ، مثل خانقو و خانفور .

وفيه جزيرة سرنديب . ومن أرض اليمن ما كان جنوبيا من صنعاء ، مثل ظفّار

وحضرموت وعمّدن . وفيه من بلد النبوة دُنُقَلَّة ؛ ومن بلد السودان غَانَّة . ثم ينتهى

١٥ إلى البحر المحيط . وعرضه من خط الأستواء إلى مقدار ما يبعد عنه عشرون درجة

وثلاث عشرة دقيقة .

وذهب بعض الناس إلى أن أول المعمور من حيث يكون العرض وخط الأستواء

أثنتى عشرة درجة ، ونصف وربع درجة ، وفيما بين هذا العرض وخط الأستواء مسكون

(١) كذا بالأصل والصواب ، خانجور بألجم عن كتاب "تقويم الهادان" لأبى الفدا .

بطوائف من السودان في عداد الوحوش والبهائم . وعَدَّ فيه بَطْلَيْمُوس من البلاد ذوات العروض ستين مدينة . وأهل هذا الإقليم سود، وهو قليل الساكن لإفراط حره .

٢ - وأما الإقليم الثاني . فيبتدئ من بلاد الصين ، ويمر على بعض بلاد

الهند الساحلية ، مثل تانة ، وصِيمُور ، وسَنْدان ، ومن بلاد السند على المَنْصُورَة ودَيْبِل ،

ثم يبلغ عُمان . ويكون فيه من أرض العرب : نُجْران ، وهَجْر ، وجَنَابَة ، ومَهْرَة ،

وسَبَا ، وتَبَالَة ، والطائف ، وجُدَّة ، ومَكَّة والمدينة ، ومملكة الحبشة ، وأرض البُجَّة ،

وأُسوان ، وقوص ، والصعيد الأعلى ، وجنوب بلاد المغرب حتى يتهي إلى البحر

المحيط ، وعرضه من غاية الإقليم الأول إلى سبع وعشرين درجة وأثنتي عشرة دقيقة .

وزعم بَطْلَيْمُوس أن فيه أربعائة وخمسين مدينة . وأهله بين السمرة

والسواد ، وهو كثير الذهب .

٣ - وأما الإقليم الثالث . فببَدْءه من شرق أرض الصين ، وفيه مدينة

مملكتهما ، حمدان ، وفيه من بلاد الهند تانش والقُدُّهَار ، ومن بلاد السند المولتان

وَقَزْدَار . ثم يمر ببلاد سِيحِسْتَان ، وكرمان ، وفارس ، وأصْبَهَان ، والأهواز ، والبصرة

والكوفة ، وأرض بابل ، وبلاد الجزيرة ، والشام ، وفِلَسْطِين ، وبيت المقدس ، والقَلْزُوم ،

والتَّيْه ، وأرض مصر ، والإسكندرية ، وبلاد بَرْقَة ، وإفْرِيقِيَّة ، وتَاهَرْت ، وبلاد

(١) اسم لمدينة ببلاد الهند . قال البيروني : هي على الساحل . والنسبة إليها "تانشي" ومنها الثياب

التانشية (أنظر تقويم البلدان) .

(٢) في معجم ياقوت : جنابة بلدة صغيرة من سواحل فارس ، وهي في الإقليم الثالث . وفي "تقويم

البلدان" (جنابة بلدة قد تحرب غالبا ، وهي فرسة لفارس ، وضبطها ابن خلكان بفتح الجيم والمشهور الضم) .

(٣) هكذا بالأصل . ولعل المراد مدينة واقعة على النهر المشهور بأسم حمدان ببلاد الصين .

(٤) في الأصول : "كرورا" وليس بالسند بلد بهذا الاسم . ويرجح أن النساخين حرفوه عن

"كردار" . ويقال فيه : "قصدار" (أنظر معجم ياقوت) .

طَنْجَة، والسُّوس، ويتهى إلى البحر المحيط. وعرضه من غاية الإقليم الثاني في العرض إلى تمام ثلاث وثلاثين درجة وتسع وأربعين دقيقة .  
وزعم بطليموس أن فيه تسعا وخمسين مدينة . وأهله سمر .

٥ - وأما الإقليم الرابع . فببداؤه من أرض الصين، ويمتد على التبت والحقق،<sup>(١)</sup> ثم على جبال قشيمير، ووخان، وتل حسان، وكابل، والغور، وهرة، وبلخ، وطخارستان، ويمتد إلى الري، وقم، وهمدان، وحلوان، وبغداد، والموصل وأذربيجان . ويمتد على منبج، وطرسوس، والنعور، وأنطاكية، وجزيرة قبرس، وصقلية، ثم على الزقاق إلى البحر المحيط، وعرضه من غاية الإقليم الثالث في العرض إلى ثمة تسع وثلاثين درجة وعشرين دقيقة .

١٠ وزعم بطليموس أن فيه مائة وثلاثين مدينة . وأهله بين السمرة والبياض .

٥ - وأما الإقليم الخامس . فببداؤه من أرض الترك المشرفين على أجوج وماجوج إلى كاشغر، وبلاساغور، وقرغانة، وإسفيجاب،<sup>(٤)</sup> والشاش، وأشروسنة وسمرقند، وبجاري، وخوارزم، وبحر الخزر إلى باب الأبواب، وبردعة، وميفارقين ودروب الروم، وبلادهم . ثم يمتد على رومية الكبرى، وأرض الجلالقة،<sup>(٥)</sup> وبلاد الأندلس، ويتهى إلى البحر المحيط. وعرضه من غاية الإقليم الرابع إلى تمام ثلاث وأربعين درجة وثمانى عشرة دقيقة .

(١) في ياقوت : والختن . . . . . وبرجان، وبذخشان . وهو الصواب .

(٢) لم نعتز على بلدة بهذا الاسم ولعلها محرفة عن "وخش" وهي كما في معجم ياقوت : بلدة من نواحي

بلخ . وفي "تقويم البلدان" أنها بلدة بمنا وراه النهر في الإقليم الرابع .

(٣) أى حلوان العراق، لاحلوان مصر .

(٤) هي المشهورة أيضا باسم : إسفيجاب .

(٥) أهل جليقية بشمال الأندلس .

وذكر بطليموس أن فيه سبعا وتسعين مدينة . وأكثر أهله بيض .

- ٦ - وأما الإقليم السادس . فببداؤه من مساكن ترك المشرق، وهم الخرخيز، والكيماك، والتغزغز، ثم على بلاد الخوز من شمال تخومها، والألان، والسريز، وأرض برجان، ثم على قسطنطينية، وأفرنجية،<sup>(١)</sup> وشمالى الأندلس، وينتهى إلى البحر المحيط، وعرضه من غاية الإقليم الخامس إلى تمام سبع وأربعين درجة ونحو عشر دقيقتة .
- ٥ . وزعم بطليموس أن فيه ثلاثا وثلاثين مدينة، وهو كثير الأعداد والثلوج . وأهله بيض الأبدان، شقر الشعور .

- ٧ - وأما الإقليم السابع . فليس فيه كبير عمارة، وإنما هو فى المشرق غياض وجبال يأوى إليها طوائف من الترك كالمشوشين . ويمر على بلاد البجناك، ثم على بلاد البلغار، ثم على الروس والصقالبة، وينتهى إلى البحر المحيط . وعرضه من غاية الإقليم السادس إلى ثمة خمسين درجة ونصف . وفيه الأرض المحفورة، وهى وهدة لا يقدر أحد أن يتزل إليها، ولا أن يصعد منها من هو فيها لبعدها . يسكنها أمة من الناس لا يدري من هم . وإنما علم أنها معمورة برؤية الدخان فيها نهارا، والنار ليلا . يشقها نهر يجرى، والعمارة محيطة به .
- ١٠ . وزعم بطليموس أن فيها ثلاثا وعشرين مدينة . وأهل هذا الإقليم بيض صهب الشعور .

وما بقى من المعمور إلى نهايته إلى ثلاث وستين درجة مضاف إلى هذا الإقليم ومحسوب فيه . يسكنه طوائف من الناس، هم بالبائهم فى الخلق والخلق أشبه منهم بنى آدم .

(١) أى فرنسا .

٢ - ذكر ما يُمثل به مما فيه ذكر الأرض

يقال :

أحملُ من الأرض . أكتُمُ من الأرض . أصبر من الأرض . آمن من الأرض . أوثق من الأرض . أوطأ من الأرض . أحفظ من الأرض . أكثر من الرمل . أظلم من الرمل . أعطش من الرمل . أوجد من التراب .

يقال :

قتل أرضاً عالمها ، وقتلت أرضٌ جاهلها . رماه بين سمع الأرض وبصرها . أخذت الأرض زخارفها . أفق قبل أن يُحمر تراك . ابتغوا الرزق في حبايا الأرض .

ومن أنصاف الأبيات :

١٠ «الأرضُ من تربية والناس من رَجُلٍ» «وَأَنْى تُمَطَّرُ الأَرْضُ السَّمَاءُ»

ومن الأبيات :

والأرضُ لا تُطعمُ من قَوْفِهَا • إلا لِكى تُطعمَ من تُطعمُهُ

وقال آخر :

١٥ إذا الأرضُ أدت ربيعَ ما أنت زارعٌ • من البذرِ فهى الأرضُ ناهيك من أرضِ

وقال آخر :

ولا تَمِشْ فوقَ الأرضِ إلا تَوَاضَعًا • فكم تَحْتَهَا قومٌ هُمومِنك أرفعُ

وقال آخر :

يا أرضُ كم وافِدِ أُنَّاكَ فَلَمْ • يَرْجِعْ إلى أهلهِ ولم يُؤبِ

٣ - ذكر شيء مما قيل في وصف الأرض وتشبيهها

قال الأخطل :

وتيهاء مِمَحَالٍ كَأَنَّ نَعَامَهَا \* بَارِجَانِهَا الْقُصُوى أَبَعْرُ هُمَّلُ  
تَرَى لَامِعَاتِ الآلِ فِيهَا كَأَنَّهَا \* رِجَالٌ تَعْرَى نَارَةً وَتَسْرِبُلُ  
وَجَوَازِ فِلاةٍ لَا يُغْمَضُ رَكْبُهَا \* وَلَا عَيْنٌ هَادِيهَا مِنَ الخَوْفِ تَفْقُلُ  
وَكُلُّ بَعِيدِ العُورِ لَا يُهْتَدَى لَهُ \* بِعِرْفَانِ أَعْلَامٍ وَلَا فِيهِ مَنَهْلُ  
مَلَاعِبِ جِنَانٍ كَأَنَّ تُرَابَهَا \* إِذَا أَطْرَدَتْ فِيهَا الرِّيحُ يُغْرِبُلُ  
تَرَى التَّلَبَّ الحَوْلَى فِيهَا كَأَنَّهُ \* إِذَا مَا عَلَا نَشْرًا حِصَانٌ مُحْجَلُ

وقال ذو الرمة :

١٠ ودَوِيَّةٌ جَرْدَاءٌ جَدَاءٌ خِيَمَتْ \* بِهَا هَبَّوَاتُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
سَبَارِيْتُ يَخْلُو سَمْعُ مُجْتَازِهَا بِهَا \* مِنَ الصَّوْتِ إِلَّا مِنْ صِيَاغِ الثَّعَالِبِ

وقال ذو الرمة :

١٥ وَهَاجِرَةُ السَّرَابِ مِنَ المَوَاجِي \* تَرَقَّصُ فِي عَسَافِهَا الأُرُومُ  
تَمُوتُ قَطَا الفِلاةِ بِهَا أُوَامًا \* وَيَهْلِكُ فِي جَوَانِبِهَا النِّسِيمُ  
مَلَيْتُ بِهَا المَقَامَ فَارْقَنْتَنِي \* هُمُومٌ لَا تَنَامُ وَلَا تُنِيمُ

وقال ضابئ البرجمي :

وَدَاوِيَّةٌ تَبِيهُ يَحَارُ بِهَا القَطَا \* عَلَى مَنْ عَلَاهَا مِنْ ضُلُولٍ وَمُهْتَدَى  
مُسَافِهَةٍ لِلعَيْسِ نَاءٍ نِيَاطُهَا \* إِذَا سَارَ فِيهَا رَاكِبٌ لَمْ يُغْرَدِ

وقال مسلم بن الوليد :

٢٠ وَقَاطِعِيَّةٌ رِجْلُ السَّبِيلِ مُحْوَفَةٌ \* كَأَنَّ عَلَى أَرْجَانِهَا حَدَّ مَبْرٍ  
مُؤَزَّرَةٌ بِالأَلِ فِيهَا كَأَنَّهَا \* رِجَالٌ قَعُودٌ فِي مَلَأٍ مُعَمِّدِ

وقال الصاحب بن عباد :

وتيهاء لم تُطْمَثْ حُخْفٌ وَحَافِيرٌ \* ولم يَدْرِ فِيهَا النَّجْمُ كَيْفَ يَغُورُ  
مَعَالِمَهَا أَنْ لَا مَعَالِمَ بَيْنَهَا \* وآياتها أَنْ الْمَسِيرَ غُرُورُ  
ولو قيلَ لِلغَيْثِ أَسْقَهَا مَا أَهْتَدَى لَهَا \* ولو ظَلَّ مِلءَ الأَرْضِ وهو جَزُورُ  
تَجَشَّمَتَهَا وَاللَّيْلُ وَحُفَّ جَنَاحُهُ \* كَأَنِّي سِرٌّ وَالظَّلَامُ ضَمِيرُ

وقال الشريف الرضي :

وتُوفِيهِ حَضْبًا وَأُوهَا \* خُلِقَتْ لِنَارِ القَيْظِ جَمْرًا  
تُبْدِي جَنَادِيهَا الأَنِي \* بنَ أَسَى عَلَى المَجْتَازِ ظَهْرًا  
وترى بها العُصْفُورَ مَتَّخِذًا وَجَارَ الضَّبِّ وَكْرًا

وقال المتنبي :

مَهَالِكٌ لَمْ يَضْحَبْ بِهَا الذَّبُّ نَفْسَهُ \* وَلَا حَمَلَتْ فِيهَا الغُرَابَ قَوَادِمُهُ

وقال إبراهيم بن خلف بن الأندلسي :

ومفازة لا تَجَمُّ فِي ظَلَمَاتِهَا \* يَسْرَى وَلَا فَلَكَ بِهَا دَوَارُ  
تَتَهَبُّ الشُّعْرَى بِهَا فَكَاثَرُهَا \* فِي كَفِّ زَيْجِي الدُّجَى دِينَارُ  
تُرْمِي بِهَا الغِيطَانُ فِيهَا وَالرُّبَى \* أَلْ كَمَا يَتَمَوَّجُ التِّيَارُ  
وَالقُطْبُ مُلْتَرِمٌ لِمَرْكَزِهِ بِهَا \* فَكَأَنَّهُ فِي سَاجِحِهِ مَسَارُ  
قَدْ لَفَنِي فِيهَا الظَّلَامُ وَطَافَ بِي \* ذُبُّ يُلِمُّ مَعَ الدُّجَى زَوَارُ  
طَرِيقُ سَاحَاتِ الدِّيَارِ مَغَاوِرُ \* حَيْثُ لِأَبْنَاءِ السُّرَى غَدَارُ  
يَسْرَى وَقَدْ فَضَحَ الدُّجَى وَجْهَ الضِّيَا \* فِي فَرُوقِ قَدَمِهَا أَقْشَعْرَارُ  
فَعَشَوْتُ فِي ظَلَمَاءٍ لَمْ يُقْدَحْ بِهَا \* إِلا لِمُقْلَتِيهِ وَبِأَسَى نَارُ  
وَرَقَلْتُ فِي خِلْعِ عَلَى مِنَ الدُّجَى \* عَقِدْتُ بِهَا مِنْ أُنْجُمِ أَرْزَارُ  
وَاللَّيْلُ يَقْصِرُ خَطْوَهُ وَلِرُبَّمَا \* طَالَتْ لِيَالِي الرُّكْبِ وَهِيَ قَصَارُ

وقال آخر :

ومجهولة الأعلام طامسة الصوى \* إذا عسقتها العيس بالركب ضلت  
إذا ما تهادى الركب في فلواتها \* أجابت نداء الركب فيها فأصدت

وقال مسعود أخو ذى الرمة يصف بعد فلاة :

ومهمه فيها السراب يلمح \* يدأب فيها القوم حتى يطلحوا  
ثم يظنون كأن لم يبرحوا \* كأنما أمسوا بحيث أصبحوا

وقال مسلم :

تجرى الرياح بها مرضى موهة \* حسرى تلوذ بأطراف الجلاميد

وقال آخر :

ودوية مثل السماء قطعتها \* مطوفة آفاقها بسماها

وقال بعض الأعراب<sup>(١)</sup> في الآل :

كنى حزنا أنى تطاللت كى أرى \* ذرى علمى دحخ قماريان  
كأنهما والآل يجاب عنهما \* من البعد عينا برقع خلقان

قال أبو هلال : وهذا من أغرب ما روى من تشبيهات القدماء .

وقال آخر :

والآل تنزو بالصبرى أمواجه \* نزو القطا الكدرى في الأشرار  
والظلل مقرون بكل مطية \* مشى المهار الدهم بين رمال

وقال ابن المعتز :

وما راعنى بالبين إلا ظعائن \* دعون بكأى فاستجاب سواكبه  
بدت في بياض الآل والبعد دونه \* كاسطررق أمراض الخط كاتبه

(١) هو طهمان بن عمرو الدارمى ، كما في باقوت . وأورد القصيدة بتمامها ، وهي خمسة عشر بيتا .  
(أنظر معجم البلدان له في أسم دحخ) .

## الباب الخامس

### من القسم الرابع من الفن الأول

#### ١ - في الجبال

قال الله تعالى : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ .

قال المفسرون : خلق الله عز وجل الأرض على الماء فمادت وتكفأت ، كما تتكفأ السفينة ، فأثبتها بالجبال . ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقا .

وروى أبو حاتم في كتاب العظمة ، أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) قال : "إن الله تعالى لما خلق الأرض جعلت تميده ، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت ؛ فمجيبت الملائكة من خلق الجبال ، وقالت : يارب هل خلقت خلقا أشد من الجبال؟ قال : الحديد ، قالت : فهل من خلق أشد من الحديد؟ قال : النار ، قالت : فهل من خلق أشد من النار؟ قال : الماء ، قالت : فهل من خلق أشد من الماء؟ قال : الريح ، قالت : فهل من خلق أشد من الريح؟ قال : ابن آدم ، يتصدق يمينه فيخفيها عن شماله " .

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : "كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض . فبعث الله ريحا فعصفت الماء فأبرز عن حشفة في موضع البيت . فدحا الأرض من تحتها فمادت فأوتدها بالجبال " .

فكان أول جبل وُضِعَ ، جبلُ أبي قبيس . وهو الجبل المطلُّ على الكعبة . وفي كنيته بأبي قبيس قولان :

أحدهما - أن آدم كناه بذلك حين اقتبس منه النار التي بين أيدي الناس (وقد تقدم بيان ذلك في الباب الرابع من القسم الثاني من هذا الفن في ذكر النيران) .

- الثاني - انه أضيف إلى رجل من جرهم كان يتعبد فيه، اسمه أبو قبيس .  
ويقال فيه أبو قابوس، وشيخ الجبال . وكان من قبل يسمى بالأمين .  
وقال محمد بن السائب الكلبي : إن الله عز وجل لما خلق الأرض ، مادته  
بأهلها فضرها بجبل السراة فأطمأنت .
- وهو أعظم جبال العرب وأكثرها خيرا ، ويسمى الحجاز . وهو الذي حجز بين  
تهامة ونجد . فتهامة من جهته الغربية مما يلي البحر ، ونجد من جهته الشرقية .  
وهو أخذ من "قعر عدن إلى أطرار الشام" <sup>(١)</sup> . ويسمى هناك جبل لبنان . فإذا تجاوز  
اللاذقية ومرر بالثغور ، سُمي جبل اللكّام . ثم يمتد في بلاد الروم إلى بلاد إرمينية ،  
فيسمى هناك حارثا وحويرثا . ثم يمتد إلى بحر الخزر ، وفيه "الباب والأبواب" .
- وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : ( ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ) : إنه جبل محيط  
بالعالم من زمردة خضراء ، وإن جبال الدنيا متفرعة عنه .
- وقال قوم : إن السماء مطبقة عليه والشمس تغرب فيه ، وهو الحجاب الساتر لها  
عن أعين الناس ، في أحد الوجوه المفسر بها قوله تعالى : ( حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ) .  
وقال قوم . إن منه إلى السماء مقدار ميل ، وإن الذي يرى من خضرة السماء  
مكتسب من لونه .
- وقال ابن حوقل : جميع الجبال الموجودة في الدنيا متفرعة عن الجبل الخارج  
من بلاد الصين ، مشرقا ذاهبا على خط مستقيم إلى بلاد السودان مغربا .

(١) في الأصل أطبران ، وهو تحريف . والتصحيح عن البكري : "أطرار الشام" وفيه في موضع آخر  
"أطراف بوادي الشام" ومثل هذا في معجم ياقوت . وأطرار الوادي : نواحيه وكذلك أطرار البلاد  
والطريق واحدها طر . وأطرار البلاد : أطرافها . (انظر تاج العروس في مادة طر) .

٨٠

وقال أبو الفرج قدامة بن جعفر في "كتاب الحراج" : وجدت خلف خط الاستواء في الجنوب وقبل الإقليم الأول جبالات تسعة : خمسة منها متقاربة المقادير، أطولها ما بين أربعمائة ميل إلى خمسمائة ميل ؛ وجبلا طوله سبعمائة ميل ؛ وجبل القمر، وطوله ألف ميل ؛ وجبلا بعضه وراء خط الاستواء، وبعضه في الإقليم الأول ؛ وجبلا بعضه وراء خط الاستواء، وبعضه في الإقليم الثاني .

قال : ومجموع ما عُرف في الأقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا : منها في الإقليم الأول سبعة عشر جبلا ، وفي الإقليم الثاني تسعة وعشرون جبلا ، وفي الإقليم الثالث أحد وثلاثون جبلا ، وفي الإقليم الرابع أربعة وعشرون جبلا ، وفي الإقليم الخامس تسعة وعشرون جبلا ، وفي الإقليم السادس أربعة وعشرون جبلا ، وفي الإقليم السابع أربعة وأربعون جبلا .

## ٢ - ذكر أسماء ما ارتفع من الأرض إلى أن يبلغ الجبيل

ثم ما ارتفع عن ذلك إلى أن يبلغ الجبيل العظيم وترتيب ذلك

قال الثعالبي في كتابه المترجم "بفقه اللغة" وأسنده إلى أئمتها :

أصغرُ ما ارتفع من الأرض النَبْكَةُ ؛ ثم الرَّابِيَّةُ أعلى منها ؛ ثم الأَكْمَةُ ؛ ثم الزُّبْيَةُ ؛ ثم النَّجْوَةُ ؛ ثم الرَّبِيعُ ؛ ثم القُفُّ ؛ ثم الهَضْبَةُ (وهي الجبيل المنبسط على الأرض) ؛ ثم القَرْنُ (وهو الجبيل الصغير) ؛ ثم الدُّكُّ (وهو الجبيل الذليل) ؛ ثم الصَّلْبُ (وهو الجبيل الذي ليس بالطويل) ؛ ثم النَّيْقُ (وهو الجبيل الطويل) ؛ ثم الطَّوْدُ ؛ ثم البَاذِخُ والشَّاحُ ؛ ثم الشَّاهِقُ ؛ ثم المُشَدِّخُ ؛ ثم الأَقْوَدُ والأَخْشَبُ ؛ ثم الأَيْهَمُ ؛ ثم القَهْبُ (وهو العظيم) ؛ ثم الخُشَامُ .

(١) في الأصل : جبيل الدريك . وقد آخذنا ما في القاموس وفقه اللغة أيضا .

## ٣ - ذكر ترتيب أبعاض الجبل

قال الثعالبي :

أول الجبل الحِضْبُ، وهو القَرَار من الأرض عند أصل الجبل .

ثم السَّفْح، وهو ذيله .

ثم السَّنْد، وهو المرتفع في أصله .

ثم الكَيْحُ، وهو عَرْضُه .

ثم الحِضْنُ، وهو ما أطاف به .

ثم الرِّيدُ، وهو ناحيته المشرفة على الهواء .

ثم العُرْعُرَة، وهي غلظه ومعظامه .

ثم الحَيْدُ، وهو جناحه .

ثم الرِّعْنُ، وهو أنفه .

ثم الشَّعْفَة، وهي رأسه .

وقال صاحب كتاب "الفاخر" : يقال من أسماء الجبال : العظيم منها الطَّوْرُ،

والطَّوْدُ، والكِفْرُ، والقَهْبُ، والعمود، والعلم، والأرْعَنُ، والمُشْمِخِرُ .

والأَيْهَمُ : الطويل، وهو الشَّخُّ، والشَّهْقُ، والبَذِخُ، والبَاسِقُ، والأَقْوَدُ .

والأَخْشَبُ : الخشن .

والعِقَابُ : الصَّعَابُ .

والثَّنَايَا : التي ليست بصعبة .

والهَرِشْمُ : النَّخْرُ .

والخُشَامُ : جبل طويل ذو أنف .

والوَزْرُ، والمَلَجَا، والقَلْعَة : ما يُحَصَّن فيه .

- والقرن : جبل صغير .  
 والضلع والدك : فيه دقة وأنحاء .  
 والنيق : الذي لا يستطيع أن يرتقى إليه .  
 وأعلى الجبل : قلته وقتته ودؤابته .  
 وعمر عمرته : غلظه .  
 والفند : القطعة منه .  
 وشعفه ومصاده : أعلاه .  
 والكبح والكاح : عرضة .  
 والريح<sup>(١)</sup> : ناحيته المشرقة على الهواء .  
 والحضيض : أسفله .  
 قال : وصغار الجبال ، اليقع ، والضرس ، والضرب ، والعنابية ، والعنتوت<sup>(٢)</sup> ،  
 والأكمة ، والمضبة .  
 والدريجة : ما أنبسط على وجه الأرض .  
 واللوذ : يحضن الجبل وما يطيف به .  
 والرئد والرئود : توأجيه المحددة .  
 والمبذ : شاخص يتقدم كالجناح ، ومثله الشعوف .  
 والصدع والشقب : شق فيه .  
 والغار والكهف : مثل البيوت فيه .

(١) في الأصل : الريح بالواو . وهو تصحيف من النايخ . وقد صححناه اعتماداً على ما في القاموس والمخصص .

(٢) كذا بالأصل ولم نعر عليها في القاموس واللسان والمخصص .

والقرْدُوعَة : الزاوية فيه .

واللَّهَبُ والنَّفْنَفُ والغَارُ : مهوأة بين جبلين .

والشُّوْنُ : حُطُوط فيه .

والمَحْرِمُ : مُنْقَطِع أنفه .

والقِرْناس : شِبْه الأنف .

والإِرَمُ : العَلَم فيه .

#### ٤ - ذكر ترتيب مقادير الحجارة

قال الثعالبي :

إذا كانت صغيرة، فهي حَصَاة .

فإذا كانت مثل الجَوْزَة وصلحت للاستنجاها، فهي نَبْة . وفي الحديث .  
”اتَّقُوا المَالِيعِينَ وَأَعِدُّوا النَّبِيلَ“ . يعني عند إتيان الغائط .

فإذا كانت أعظم من الجَوْزَة، فهي قُرْزَعَة .

فإذا كانت أعظم منها وصَلَّحت للقُدْفِ، فهي مَقْدَافٌ ورُبْحَمَة ومِرْدَاة . ويقال :  
إن المِرْدَاة حَجَر الضَّبِّ الذي يَنْصِبُه علامة لِحُجْرِهِ .

فإذا كانت مِلاء الكَفِّ فهي بَهِيرٌ .

فإذا كانت أعظم منها، فهي فِهْرٌ، ثم جَنْدَلٌ، ثم جَلْمَدٌ، ثم صَخْرَة، ثم قَلْعَة .  
وهي التي تنقَلِع من عُرْض الجبل . وبها سميت القَلْعَة التي هي الحِصْن .

وقال صاحب كتاب ”الفاخر“ : من أسمائها الحِجَارَة، والحِلمُود والحِلمَـد :

الحجر الصُّلب .

(٨١)

- والرَيْطِيلُ : الصَّخْرَةُ العَظِيمَةُ .  
 وَالصَّفْوَانُ : الأَمْلَسُ .  
 والرَّصْمَةُ : الحِجْر العَظِيمُ .  
 وَالإِتَّانُ : صَخْرَةٌ فِي مَسِيلِ مَاءٍ أَوْ حَافَةِ نَهْرٍ .  
 ٥ وَالإِزَاءُ : الَّتِي عِنْدَ مَهْرَاقِ الدَّلْوِ .  
 والرُّجْمَةُ : مَا تُطَوَّى بِهِ البِئْرُ .  
 وَالكَذَّانُ : الرِّخْوُ .  
 وَالرِّمْعُ : الأَبْيَضُ الرِّخْوُ .  
 وَالْمُدْقُ وَالْمَدَاكُ وَالصَّلَايَةُ : حِجْر العِطَارِ الَّتِي يَسْحَقُ عَلَيْهِ العِطْرُ .  
 ١٠ وَالْفِهْرُ : مَا يَمْلَأُ الكَكْفَ وَيُسْحَقُ بِهِ العِطْرُ .  
 وَالْمِرْدَاةُ : مَا يَكْسِرُ بِهِ الحِجْرُ .  
 وَالْمِرْدَاسُ : مَا يُرْمَى بِهِ فِي البِئْرِ لِيَنْظُرَ أَفْهَامًا مَاءً أَمْ لَا . قَالَ الشَّاعِرُ :  
 مَنْ جَعَلَ العِدَّ القَدِيمَ الَّذِي \* أَنْتَ لَهُ عِدَّةُ أَحْرَاسِ  
 إِلَى ظُنُونِ أَنْتَ مِنْ مَائِهِ \* مَتَّظِرٌ رَجَعَةَ مِرْدَاسِ  
 ١٥ وَالنَّشْفُ : حِجْرٌ تُدَلِّكُ بِهِ الرَّجُلُ فِي الحَمَّامِ .  
 وَالنَّقْلُ : مَا كَانَ فِي طَرِيقِ الجِبَالِ .  
 وَالأَنْفِيَّةُ : مَا يُنْصَبُ عَلَيْهِ القَدْرُ .  
 وَالقَلَاعَةُ : مَا يُرْمَى بِهِ فِي المِقْلَاعِ .  
 وَالظَّرَانُ : حِجَارَةٌ مَحْدَدَةٌ يَدْبُجُ بِهَا .  
 ٢٠ وَالصَّفِيحُ : مَا رَقَّ مِنْهُ وَعَرَضُ .  
 وَالنَّعَافُ : حِجَارَةٌ عِرَاضُ .

- والفَلَك : قِطْعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ وَتَرْتَفِعُ عَمَّا حَوْلَهَا .  
 والمُدْمَلَك : المدور .  
 والكَلَيْت : حَجَرٌ مُسْتَدِيرٌ يُسَدُّ بِهِ وَجَارُ الضَّبْعِ .  
 والبَلَيْت : التام .  
 وقال ابن الأعرابي : القَيْبَلَة : صخرة على رأس البئر ، والعقَابان من جنبتها يعضدانها .  
 ومنها المَرَو ، وهي البيض كالخصى .  
 والحَصْبَاء : الصفار .  
 والرَّضْرَاض : نحوها .  
 والقَضِيض : أصغر منها .  
 والزَّنَانِير : واحدها زَنْبِيرٌ أَصْفَرٌ مَا يَكُونُ .

### ه - ذكر ما يَتَمَثَّلُ به مما فيه ذكر الجبال والمجارة

ما جاء من ذلك على لفظ أفعل . يقال :

- أثقل من ثَمَلَانَ . أثقل من نَصَادٍ . أثقل من أَحَدٍ . أصلب من الحَجَرِ . أصلب  
 من الجَنْدَلِ . أقسى من الحجر . أصبر من حجر . أَيْسُ من صَخْرٍ . أبق من النَّقْشِ  
 في الحجر .

ويقال :

رُمِي فلان بحجره . رَدَّ الحجر من حيثُ جاءك . وَجَّهَ الحجرَ وَجْهَةً قَا ، أى دَبَّرَ  
 الأمرَ على وَجْهه . ألقمه الحجر ، أى جاوبه بجوابٍ مُسَكَّت . رماه بثلاثة الأثافي .

(١) كذا بالأصل وعبارة القاموس (والبلية كسكيت لفظا ومعنى) في اللسان : (والبلية : الرجل

الزيت) وهو الخليم الساكن الفليل الكلام .

أنجد من رأى حَضَنًا (وحَضَنُ جبل بنجد) أى من رآه لم يمنح أن يسأل هل بلغ  
تجد أم لا . الليل يُوارى حَضَنًا ، أى يُخفى كل شيء حتى الجبل .

ومن أنصاف الأبيات :

• كأنه علم في رأسه نارُ • إذا قطعنا علمًا بدأ علمُ •

• قوموا أنظروا كيف تزول الجبال •

( يضرب لموت الرؤساء ) .

• جندلنان أضطكا أضطكا •

( يضرب لقرنين يتصاولان ) .

ومن الأبيات :

ولو بنى جبل يوماً على جبل • لانهد منه أعاليه وأسفله

١٠

تتناثر الأطوادُ وهي شواخِ • حتى تصير مداوس الأقدام  
جدُّ فقد تنفجر الصخرة • مرة بالماء الزلال

٦ - ذكر شيء مما قيل في وصف الجبال وتشبيهها

قال السموعل بن عادي :

لنا جبل يحتله من تحييره • مَنيع يرد الطرف وهو كليل  
رساً أصله تحت الترى وسما به • إلى النجم فرع لا يرأم طويل

١٥

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

وأرعن طمّاح الذؤابة باذخ • يطاول أعنان السماء بفارِب  
يصد مهبّ الريح من كلّ وجهه • ويُرجم لئلا شُبهه بالمناصِب  
وقور على ظهر الفلاة كأنه • طوال الليالي ناظر في العواقِب

٢٠

يَلُوثُ عَلَيْهِ الْغَيْمُ سُودَ عَمَامٍ \* لَمَّا مِنْ وَمِيضِ الْبَرْقِ حُمُرَ ذَوَائِبِ  
 أَصَحَّتْ إِلَيْهِ وَهُوَ أَحْرَسُ صَامِتٌ \* خَدَّتْنِي لَيْلَ السَّرَى بِالْعَجَائِبِ  
 وَقَالَ أَلَا كُمْ كُنْتُ مَلْجَأَ فَاتِيكِ \* وَمَوْطِنَ أَقْوَاهِ وَمَوْمِلَ تَائِبِ  
 وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُدْلِجِ وَمُؤَوِّبِ \* وَقَالَ بَسْفَجِي مِنْ مَطِيٍّ وَرَاكِبِ  
 وَلَا طَمَّ مِنْ نُكْبِ الرِّيَّاحِ مَعَاطِنِي \* وَزَاخَمَ مِنْ خُضْرِ الْجَارِ جَوَانِبِي  
 فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَّهْتُمْ يَدُ الرَّدَى \* فَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النَّوَى وَالنَّوَائِبِ  
 وَمَا غِيَضَ السُّلُوَانَ دَمْعِي وَإِمَامَا \* تَزَفَّتْ دُمُوعِي مِنْ فِرَاقِ الْأَصَاحِبِ  
 وَأَسْمَعَنِي مِنْ وَعْظِهِ كُلِّ عِبْرَةٍ \* يُتَرَجِّمُهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ  
 فَسَلَّى بِمَا أَبْكَى وَسَرَّ بِمَا شَجَا \* وَكَانَ عَلَى لَيْلِ السَّرَى خَيْرَ صَاحِبِ  
 وَقُلْتُ وَقَدْ نَكَبْتُ عَنْهُ مَطِيَّتِي \* سَلَامٌ فَإِنَّا مِنْ مُقِيمِ وَذَاهِبِ

وقال أيضا عفا الله عنه :

وَأَشْرَفَ طَمَّاحَ الدُّؤَابَةِ شَاخِ \* تَمَنَّقَ بِالْجَوْزَاءِ لَيْلًا لَهُ خَصْرُ  
 وَقَوَّرَ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي كَأَمَّا \* يُصْبِحُ إِلَى تَجْوَى وَفِي أُذُنِهِ وَقَرُّ  
 تَمَهَّدَ مِنْهُ كُلُّ رُكْنٍ رَكَابَهُ \* فَقَطَّبَ إِطْرَاقًا وَقَدَّحَكَ الْبَدْرُ  
 وَلَا ذَبَّهُ نَسْرُ السَّمَاءِ كَأَمَّا \* يُجَسِّرُ إِلَى وَكْرِ بِهِ ذَلِكَ النَّسْرُ  
 فَلَمْ أُدْرِ مِنْ صَمْتٍ لَهُ وَسَكِينَةٍ \* أَكْبَرَةُ سَنٍّ وَقَرَّتْ مِنْهُ أُمُّ كِبْرُ

وقال أيضا يصفه ترا من رسالة كتبها الى بعض الرؤساء :

وَكَيْفَ لِي بِقُرْبِكَ وَدُونِكَ كُلِّ عِلْمٍ بَادِخٍ ، حَجَّ اللَّيْلِ عَلَيْهِ رُضَابَهُ ، وَصَالِحَتْ  
 النُّجُومُ هِضَابَهُ ، قَدِ نَاءَ بَطْرَفِهِ ، وَشَمَخَ بَأْنِفِهِ ، وَسَارَ الْوَقَارَ عَلَى عِطْفِهِ ، قَدِ لَاحَتْ مِنْ  
 عَمَامِهِ عَمَامَهُ ، وَأَرْسَلَ مِنْ رَبَابِهِ ذَوَابَهُ ، تُطَرِّزُهَا الْبُرُوقُ الْخَوَاطِفُ ، وَتَهْفُو بِهَا الرِّيَّاحُ  
 الْعَوَاصِفُ ، بِحَيْثُ مَدَّهُ الْبَسِيطُ بِسَاطَا ، وَضَرَبَتْ السَّمَاءُ فُسْطَاطَا .

## الباب السادس

## من القسم الرابع من القرن الأول

## ١ - في ذكر البحار والجزائر

روى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: "لما أراد الله عز وجل أن يخلق الماء خلق ياقوته خضراء ووصف من طولها وعرضها وسمكها، ثم نظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء يترقق لا يثبت في صحضاح. فما يرى من التمزج والاضطراب إنما هو ارتعاده من خشية الله تعالى، ثم خلق الريح فوضع الماء على متنه، ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء". وفسر بهذا قوله عز وجل: (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ).

## ٢ - ذكر بحار المعمور من الأرض

وبحار المعمور ثلاثة: أعظمها البحر المحيط، ثم بحر مانيطش<sup>(١)</sup>، ثم بحر الخزر. فاما البحر المحيط وجزائره، ويسمى باليونانية أوقيانوس، ويسمى بحر الظلمات، سُمي بذلك لأن ما يتصاعد من البخار عنه لا تحلله الشمس لأنها لا تطلع عليه. فيغلظ ويتكاثف فلا يدرك البصر هيئته. ولعظم أمواجه، وتكاثف ظلمته، وغلظ مائه، وكثرة أهوائه، لم يعلم العالم من حاله إلا بعض سواحله وجزائره القريبة من المعمور. والذي عُلم به من الجزائر سُمي من جهة المغرب، تسمى جزائر السعادات، والجزائر الخالدات.

(١) كذا في الأصل، وفي كثير من كتب الجغرافية العربية، وهو المعروف في كتب الجغرافية

العربية مثل أبي الفدا ببحر أزرق، وعند الأتراك ببحر آزوف.

قال أبو عبيد البكري في كتابه المترجم "بالمسالك والممالك" : و بإزاء طنجة الجزائر المسماة باليونانية، فُرتانُس أي السعيدة . وسميت بذلك لأن في شَعْرانها<sup>(١)</sup> وغياضها كلها أصناف الفواكه الطيبة من غير غراسة ولا فلاحه، وأن أرضها تحمل الزرع مكان العشب، وأصناف الرياض بدل الشوك . وهي متفرقة متقاربة .

- ويقال إن بعض المراكب عصفت عليها الريح فألقتها إلى جزيرة من هذه الجزائر، فترل من فيها من الركاب إليها، فوجدوا فيها من أنواع أشجار الفواكه وأشجار الأفاويه وأنواع اليواقيت كل مستحسن . فحملوا منه ما أطاقوا ودخلوا به بلاد الأندلس . فسألهم ملكها من أين لهم هذا فأخبروه بأمرهم، فجهز مراكب وسيرها، فلم يقفوا على جزيرة منها . وهدمت المراكب لعظم البحر وشدة عصف الريح فلم يرجع منها شيء .
- ويقال إن هذه الجزائر مسكونة بقوم هم بالوحوش أشبه منهم بالناس . وبنها وبين ساحل البحر عشرة أجزاء .

- ويقال إن في جهة المشرق مما يلي بلاد الصين ست جزائر أخرى، تسمى جزائر السيلي . يقال إن ساكنيها قوم من العلويين، وقعوا إليها لما هربوا من بني أمية . ويقال إن جزائر السيلي لم يدخلها أحد من الغرباء وطاوعته نفسه على الخروج منها لصحة هوائها ورقة مائها، وإن كان منها في عيش قشيف .
- وفي هذا البحر من الجزائر العاصرة جزيرة بريطانية، وهي تتأذى جزيرة الأندلس، وأهلها صُهب الشعور، زُرُق العيون .

ومما يلي بلاد إفريقية جزائر يعمرها خلق من الفريج، لا يتقادرون إلبدا، ولا يدينون بدين .

(١) الشعراء : الأرض ذات الشجر .

وفيا بلى الأرض الكبيرة جزيرة ذات أبرجة ، يحيط بها سبعمائة ميل ونمسون ميلا، وفيها أربع مدائن في كل مدينة ملك .

وجزيرة برفاعة . يحيط بها أربعة آلاف ميل ، وفيها ثلاث مدائن عامرة .  
والداخل إليها قليل . وهي كثيرة الأنواء والأمطار . وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلّة طلوع الشمس عندهم ، ويعملونه في بيت ويوقدون النار حوله حتى يجف .

وجزيرة أنقلطرة . فيها مدائن عامرة، وجبال شاهقة، وأودية، وأرض سهلة . والشتاء بها دائم . وبين هذه الجزيرة والبر مجاز سبعة أثنى عشر ميلا .

وفيه مما بلى الصقالبة جزيرتان : إحداهما جزيرة أمرنانيوس النساء، لا يسكنها غير النساء فقط . وتسمى الأخرى أمرنانيوس الرجال، لا يسكنها غير الرجال . وهم في كل عام يجتمعون زمان الربيع ، ويتناكحون نحو من شهر ثم يفترقون .  
ويقال إن هاتين الجزيرتين لا يكاد يقع طرف أحد عليهما . لكثرة الغمام، وظلمة البحر، وعظم الأمواج .

### ٣ - ذكر ما يتفرع من البحر المحيط

يتفرع من البحر المحيط خليجان : أحدهما من جهة المغرب ، ويسمى البحر الرومي . والآخر من جهة المشرق ، ويسمى البحر الصبني ، والهندي ، والفارسي ، واليمنّي ، والحبشي ، بحسب ما يمتاز عليه من البلاد .

وهما المرادان بقوله تعالى : ( مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ) .  
أي لا يبغي هذا على هذا .

والبرزخ أرض بين المرما التي هي على بحر الروم، وبين مدينة القلزم التي هي على بحر الحبش<sup>(١)</sup>، مسافتها ثلاثة أيام . وقيل : البرزخ إرسال ماء البحر الحلو على ماء البحر المالح ، لأنه مغيض له . فلا سبيل لأحدهما على الآخر، بل جعل الله بينهما حاجزا وهو البرزخ .

- فأما البحر الرومي وجزائره ، فإن المؤرخين قالوا إن الإسكندر حفره وأجراه من البحر المحيط . ويقولون إن جزيرة الاندلس وبلاد البربر كانت أرضا واحدة يسكنها الإشبان والبربر . وكان بعضهم يُغير على بعض ، والحرب بينهم شجال . فلما ملك الإسكندر ، رغب إليه الإشبان فيما يحول بينهم وبين البربر . فرأى أن يجعل بينهما خليجا من البحر يمكن به احتراس كل طائفة من الأخرى . فحفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا ، وعرضه اثنا عشر ميلا . وبني بجانيه سكرين<sup>(٢)</sup> ، وعقد بينهما قنطرة يجاز عليها ، وجعل عليها حراسا يمنعون الجواز عليها من جهة البربر إلا بإذن من جعله نائبا عنه في بلاد الإشبان . وكان قاموس البحر أعلى من أرض الزقاق ، فطما وغطى السكرين والقنطرة ، وساق بين يديه بلادا وطغا على أخرى . حتى إن المسافرين فيه يخبرون أن المراكب في بعض الأوقات يتوقف سيرها فيه مع وجود الريح . فيسبرون أمرها ، فيجدون المانع لها سلوكها بين شرفات السور أو بين حائطين . فعظم طولها وعرضها ، وصار بحرا<sup>(٣)</sup> .

قال صاحب كتاب "مباحج الفكر ومناهج العبر" : وقد زاد عرضه ستة أميال عما كان عليه في زمن الإسكندر . فصار ثمانية عشر ميلا .

(١) في الأصل بحر فارس . وكانت الأصوب أن يبر باللفظ الذي اختاره لهذا المقام ، وهو البحر الحبشي .

(٢) السكر (بسكر السين) هو ما سد به النهر .

(٣) هو المسمى بحر الزقاق واسمه الآن مجاز جبل طارق .

قال : وزعم السالكون فيه أن البحر ربما جزر في بعض الأوقات ، فترى القنطرة . قالوا : وهذا الزقاق صعب شديد متلاطم الأمواج مهول ، شبيه بما جاوره من البحر المحيط .

وأهل الأندلس يقولون إن بين هذا البحر وبين البحر المحيط بحرا يسمونه بحر الأيلاية بتفخيم اللام<sup>(١)</sup> . وهو بحر عظيم الموج صعب السلوك .

ومبدأ جريه من البحر الرومي من الإقليم الرابع . فإذا خرج من الزقاق يمز مشرقا في جهة بلاد البربر وشمال المغرب الأقصى إلى أن يمز بالمغرب الأوسط ، إلى إفريقية ، إلى برقة ، إلى الإسكندرية إلى شمال أرض التيه وأرض فلسطين . فيمز بسواحل الشام إلى أن يصل إلى السويدية التي هي فرضة أنطاكية ، وعندها يحجز البحر . ومنها يعطف فيمز على العلايا وأنطالية (وهما فرضتان لبلاد الروم) ، ثم على ظهر بلاد قسطنطينية إلى أن ينتهي إلى المكان الذي منه خرج . وطوله خمسة آلاف ميل ، وقيل ستة آلاف . وعرضه مختلف : ففي موضع ثلثائة ميل ، وفي موضع ستمائة ميل ، وفي موضع سبعمائة .

ويقال إن فيه ما يزيد على مائة وسبعين جزيرة . كانت عامرة بطوائف من الفرنج ، أحرب المسلمون أكثرها بالمغازي في صدر الاسلام .

وأجل ما ملك المسلمون منها ، ثم أنتزع أكثره من أيديهم :

١ - جزيرة الأندلس .

٢ - وجزيرة يابسة . وهي حبال جزيرة الأندلس ، وسافتها يومان في يوم . وفيها مدينة صغيرة مسورة .

(١) لعل المؤلف يشير إلى خليج ليون فهو مشهور بشدة التيار وبصعوبة السلوك .

- ٣ - وجزيرة منرقة، ومساقمتها يومان في نصف يوم . وفيها مدينة عامرة .
- ٤ - وجزيرة ميورقة . ويقال فيها ما يورقة . ومساقمتها يومان في يومين  
وبها مدينة .
- ٥ - وجزيرة رودس<sup>(١)</sup> . وهي حيال بلاد أفريقية<sup>(١)</sup> . ويحيط بها ثلثمائة ميل .  
وفيها حصنان .
- ٦ - وجزيرة سرديانية . وطولها مائتان وثمانون ميلا، وعرضها مائة  
وثمانون ميلا . وفيها ثلاث مدائن كبار . وسكانها قوم من الفرنج متوحشون .  
وبها معدن فضة .
- ٧ - وجزيرة صقلية . وهي حيال إفريقية مضاهية لجزيرة الأندلس .  
وشكلها مثلث . يحيط بها خمسمائة ميل . كثيرة الجبال، والحصون، والأمصار،  
والأنهار، والأشجار .

ومما فيها من المدن المشهورة على ساحل البحر :

- بلرمو . وبها يكون الملك ؛ وكانت قصبة الجزيرة بعد أن فتحها المسلمون  
ثم أنتقل الناس منها إلى الخالصة . وهي محدثة . بنيت في أيام القائم بن المهدي  
العبيدي في سنة خمس وعشرين وثلثمائة . ثم صدرت بلرمو وبقيت الخالصة ربضا لها ؛  
وقطانية . وكانت عظيمة فأحرقها البركان الذي في الجزيرة ، فبنى الأمبراطور  
مدينة عوضها، وسمها غشطارة .

ومسيني ؛ وهي على أحد أركان الجزيرة .

وسرقوسة ؛ وهي على الركن الآخر، والبحر يحيط بها من ثلاث جهاتها .

(١) هذا الوصف لا ينطبق على جزيرة رودس ؛ بل على جزيرة قورسمة التي هي حيال بلاد أفريقية أي  
فرنسا، وهي تابعة لها .

- وطرابنش . وهي على الركن الثالث ، والبحر محيط بها ، ولها مجاز .  
 ومن بلاد هذه الجزيرة : البرية ، والشافة ، ومازر ، وكركنت ، ونوطس ،  
 وطبرمين ، وقصريانة ، والنور ، ورغوص ، وغبطة وغير ذلك .  
 وبهذه الجزيرة . (ويقال بجزيرة ملاصقة لها) بركان ، وهو أطيمة يخرج منها<sup>(١)</sup>  
 أجسام كأجسام الناس بغير رءوس من النار ، فتعلو في الهواء ليلا ثم تسقط في البحر ،  
 فتطفو على وجه الماء . ومنها يكون حجر المرو الذي تُحك به الأرجل .
- ٧ - وجزيرة بلونس . ودورها ألف ميل . ولها مجاز إلى البر الطويل ،  
 عرضه ستة أميال . فيها ما يزيد على خمسين مدينة ، القواعد منها خمس عشرة مدينة ،  
 وهي مشهورة عند الفرنج .
- ٨ - وجزيرة مالطة . وطولها أربعة وعشرون ميلا ، وعرضها اثنا عشر ،  
 وفي وسطها مدينة واحدة .
- ٩ - وجزيرة قوسرة . وفيها مواضع متوحشة .
- ١٠ - وجزيرة إقريطش . وهي حيال برقة . طولها ثلثمائة ميل ، وعرضها  
 مائة وثلاثون ميلا ، وبها مدينتان : إحداهما تسمى الخندق ، والأخرى تسمى ريبض  
 الجبن ، وفيها معدن ذهب .
- ١١ - وجزيرة قُبْرُس . وهو أسم النحاس ، لأن بها معدن نحاس ، يحيط بها  
 ألف ميل وخمسمائة ميل ، وفيها من المدن الجلييلة ، ليمسون ، وآلياف بباء مفخمة ،  
 والماغوصة ، وكلها في البحر ، وفي وسط الجزيرة مدينة الأقسية ، وهي القصبة ،  
 وبها يكون متولى الجزيرة .
- (١) أطيمة كسفية : موقد النار وأتون الحام وتجمع على أطائم . وفي الأصل : «أطمة» على وزن  
 أكمة : اسم حصن ، وهو لا يناسب السياق .

## ٤ - ويخرج من هذا البحر خليجان

أحدهما يسمى جون البنادقة، والآخر يسمى خليج القسطنطينية .

١ - فأما خليج البنادقة، فإنه خليج كبير متسع ليس له فوهة؛ وإنما هو جون له ركان، سعة ما بينهما سبعون ميلا؛ يحيط بهذا الجون مدن جلييلة لطائفة من الفرنج تسمى البنادقة؛ وهي ذوات حصون وقلاع ممتعة .

ومبدؤه من شرق بلاد فلورية عند مدينة تسمى أذرت<sup>(١)</sup>، ومنتهاه بلاد إيكلاية<sup>(٢)</sup> . ومن هناك يعطف، وطوله ألف ميل ومائة ميل؛ وفيه ست جزائر، ثلاث منها في ضفة، وثلاث في أخرى، بها مدن عامرة؛ وثلاث معترضة بين ركنيه مهملة لا ساكن بها .

٢ - وأما خليج القسطنطينية . ويسمى بحر نيطش فإن فوهته مقابلة لجزيرة رودس، وسعتها غلوة سهم . ويقال إنه كان بين الشطين سلسلة طرفاها في برجين تمنع المراكب من العبور إلا بإذن الموكل بها .  
ويتر هذا الخليج نحو مائتي ميل وخمسين ميلا إلى أن ينتهي إلى القسطنطينية فتكون في غربيه، يحيط بجهتين منها .

١٥ . وهي مدينة عظيمة مشهورة؛ وعرض البحر عندها أربعة أميال .  
ثم يتر ستين ميلا حتى ينصب في بحر ما نيطش؛ وهو بحر سوداق؛ وعرض فوهته هناك عشرة أميال؛ وفي موضع أقل؛ وفي موضع أكثر .  
فهذا البحر الرومي وجزائره وما تفرع منه .  
والله أعلم .

٢٠ (١) في الأصل "أكدت" وهو تحريف لمدينة أذرت قال في نزهة المشتاق: "خليج البنادقين ومبدؤه من شرق بلاد فلورية . . . من عند أذرت . . . وينتهي طرفه إلى بلاد إيكلاية" .  
(٢) في الأصل "إيكلاية"، وهو تحريف ظاهر عن إيكلاية التي ذكرها الإدريسي في هذا الموضع .

## ٥ - وأما بحر الهند وجزائره

فبدهؤه من مشرق الصين فوق خط الاستواء ؛ ويجرى إلى جهة الغرب ،  
فيجتاز ببلاد الواق ، وبلاد سفالة الزنج ؛ ثم ببلاد الزنج حتى يصل إلى بلاد بربرا ،  
وهناك حمزه .

٥ وأما الشرق : فبدهؤه من لوقين ، وهي أول مرافق الصين ، ثم بخانقو قُرُوضَة  
الصين العظمى ؛ ثم إلى سمندور من بلاد الهند ؛ ثم إلى حارتين ، إلى قندرينة ،  
إلى تانه ، إلى سندابور ، إلى بروص (ويقال بروج ، واليه ينسب القماش البروجي) ،  
إلى صيمور ، إلى سندان ، إلى سوتارة ، إلى كنباية . (واليه ينسب القماش الكنبايتي) ،  
إلى ديبيل (وهي أول مرافق السند) ؛ ثم إلى سرون ، ثم إلى التيز من بلاد مكران ،  
وهي أحد ركني الخليج الفارسي . والركن الآخر يسمى رأس الجمحة : وهو جبل  
خارج في البحر ، ومن هناك يسمى بحر اليمن ، ثم يمتد على ظفار ؛ ثم على الشحر  
ساحل بلاد مهرة ؛ ثم على شرممة ولسعا ( ساحل بلاد حضر موت ) ، ثم على آيين ،  
ثم على عدن ، ثم الخنق ، ثم العارة ، ثم يمتد إلى باب المندب .

١٥ (١) قال البيروني (في كتاب تحقيق ما للهند ص ١٠٣ سطر ٧) ما نصه : جزيرة الوقواق من جملة  
قير . وهو اسم لا كما تظنه العوام من أنه شجرة حملها كرموس الناس نصيح ولكن قير قوم ألوانهم إلى البياض  
فصار القردود على صور الأتراك ودين الهنود مخزمو الآذان وأهل جزيرة الوقواق منهم سود الألوان والناس  
فيهم أرغب ويحب منها الأبنوس الأسود وهو لب شجرة تلقى حواشيا فأما الملع والشوحط والصندل  
الأصفر فن الزنج . ٥١

(٢) لعل المقصود : قنبايل (وقد ذكرها ياقوت) .

(٣) ويقال : صيون بالنون (انظر ياقوت) . ٢٠

(٤) هي قصبه بلاد مكران بالسند .

ومن هناك يخرج خليج القلزم، وطوله ثمانية آلاف ميل، وعرضه يختلف .  
في موضع ألف ميل وسبعمئة ميل، وفي موضع ألفان، وفي موضع دون ذلك .

ويقال : إن بينه وبين البحر المحيط بجزر آخر يسمى البحر الزققي ، سمي بذلك  
لظلمته وسواده، وطوله ألف ميل وخمسمائة ميل .

وهذا البحر — أعني الهندي — يجلته قسمه السالكون له سِتَّ قطع، وضعوا  
لها أسماء مختلفة .

١ — فالذي يمر بأرض الصين يسمى بحر صنجي<sup>(١)</sup>، ينسب لمدينة في جزيرة من  
جزائره، وهو بحر كثير الأمواج مهول . فإذا كان في أول هياجه ظهر فيه بالليل  
أشخاص سود، طول الواحد منهم خمسة أشبار وأقل من ذلك ؛ يصعدون إلى  
المراكب ولا يضرّون أحدا ؛ فإذا عاينهم السّفّار أيقنوا بالدمار . وإذا قدر الله  
١٠ تعالى نجاتهم من هذه الشدة أراهم على رأس الدّقل طائرا أبيض كأنما خلق من  
النور، فيتباشرون به ؛ فإذا ذهب عنهم الروح، فقدوه .

وفيه من الجزائر المعمورة :

جزيرة شريرة<sup>(٢)</sup> . يحيط بها ألف ميل ومائتا ميل . فيها مدائن كثيرة، أجلها  
المدينة التي تنسب إليها، ومنها يجلب الكافور .

١٥ وجزيرة صنجي . وإليها تنسب هذه القطعة . وطولها مائتا ميل ؛ وعرضها  
أقل من ذلك . وفيها جواميس وبقر بغير أذنان .

(١) لعل هذا الاسم هو "شنجو" لمسى واحد . وهي المعروفة عند العرب باسم مدينة "زينون"

وهي فرضة الصين (راجع أبا الفدا) .

٢٠ (٢) سماها أبو الفدا : سريرة .

وجزيرة أنفوجة . يحيط بها أربعائة ميل ، عمارتها متصلة .

٢ - وبلى هذه القطعة قطعة تسمى بحر الصنف ؛ في جزيرة من جزائره مدينة ؛ وهو بحر خبيث ، كثير الأمطار والرياح الشديدة . وفي جباله معادن الذهب والزرصاص ، وفيه مغاوص اللؤلؤ ، وفي غياضه الخيزران ؛ وفيه مملكة المهرج ؛ ويشتمل على جزائر لا تحصى ، ولا يمكن المراكب أن تطوف بها في سنة ؛ وفيها أنواع الطيب من الكافور ، والقرنفل ، والعود ، والصندل ، والجوزبوى ، والبسباسة ، والكبابة .

ومن جزائره المشهورة :

جزيرة الزانج ؛ وتكسيرا سبعمائة فرسخ ، وبها يكون المهرج ، وهو اسم يطلق على كل من ملكها .

وجزيرة البركان . وهي جزيرة فيها جبل يرمى بالشرر ليللا ، وبالرعود القواصف نهارا ، وهي أحد أطام الدنيا المشهورة .

وجزيرة قُصار ؛ وإليها ينسب العود القهارى ، وبها شجر الصندل . دورها أربعة أشهر ؛ وهي ماوى عبّاد الهند وعلمائهم . يسمّى ملكها قامرون .

وجزائر الرامى<sup>(١)</sup> ؛ وهي نحو ألف جزيرة معمورة ؛ بها الملوك ؛ وفيها معادن الذهب ، وشجر الكافور .

وجزائر لنجبالوس ؛ ويقال إنجبالوس ؛ وهي كثيرة ، وأهلها سود ، مشوهو الصور لقربها من خط الاستواء ؛ وبها معادن الحديد .

في الأصل "الراق" وفي نسخة المشتاق "الرامى" .

٣ - وبلى هذه القطعة قطعة تسمى بحر لاروى ، وبحر كَلَّه ، وبحر الجاوه ، وبحر فنصور . وإنما ترادفت عليه هذه الأسماء بحسب ما يمتز عليه من البلاد والجزائر . وهو بحر لا يدرك قعره ، وفيه نحو ألف جزيرة تسمى جزائر النارجيل ، لكثرتها بها . وكلها عامرة بالناس . وبين الجزيرة والجزيرة الفرسخ والفرسخان . وليس يوجد في سائر جزائر البحر اللطيف صنعة من أهل جزائره في سائر المهن . وبيوت أمواله **الودع** .

ومن جزائره المشهورة مما بلى أوائل بلاد الهند :

- جزيرة **المائد** ، وهي جزيرة يحيط بها ألف ميل . وفيها ثلاث مدن كبار ، وجزيرة **كرموه** ، يحيط بها ثلثمائة ميل .
- ١٠ وجزيرة **بلى** ، منسوبة لمدينة من الهند على ساحله ، يأتيها التجار لأجل الفلفل ، وجزائر **الذئاب** ، وهي كثيرة . وأكبرها جزيرة **ديي** . وسكانها قبائل من العرب ، يحيط بها أربعمائة ميل . وفيها الموز ، وقصب السكر .
- وجزيرة **السيلان** ، وطولها ستمائة ميل ، وعرضها قريب من ذلك ، وفيها مدن كثيرة . وإليها ينسب العود السيلي .
- ١٥ وجزيرة **كله** ، وإليها ينسب البحر ، وهي جزيرة خطيرة ، طولها ثمانمائة ميل ، وعرضها ثلثمائة ميل وخمسون ميلا ، وبها من المدن فنصور . فيها شجر الكافور (وفيها العود الفاجر) وملاير ، ولاروى ، وكله (وإليها ينسب الدهن) . ولكل مدينة من هذه المدن حور تعبره المراكب من البحر .
- وجزيرة **صندابولات** ، وطولها نحو من مائتي ميل ، وعرضها نحو
- ٢٠ مائة ميل . تنسب إلى مدينة هي فيها .

وجزائر بداميان؛ فيها أمم سود، قَبَاح الوجوه؛ قامة الرجل منهم أقل من ذراع؛ ليس لهم مراكب؛ فإذا وقع اليهم غريق أو من يتيه من التجار أكلوه.

(٨٦)

٤ - ويلي هذه القطعة قطعة تسمى بحر هركند، وفيه جزائر كثيرة. ويقال إن عدتها ألف جزيرة وتسعمائة جزيرة. ويقع فيها العنبر الذي تكون القطعة منه مثل البيت. وسكانها أحذق الناس في الحياكة، ينسجون القميص بكبته ودخار يصبه قطعة واحدة.

وفيه من الجزائر المشهورة:

جزيرة سرنديب<sup>(١)</sup>. وهي مدورة الشكل، يحيط بها ألف فرسخ. يشقها جبل الراهون، وهو الجبل الذي هبط عليه آدم (عليه السلام) من الجنة. وفي أوديتها الياقوت والماس والسنبادج. وطولها مائتان وستون ميلا. ومدينة هذه الجزائر العظمى تسمى أغنا، يسكنها مسلمون، ونصارى، ويهود، ومجوس. ولكل أهل ملة من هذه الملل حاكم. لا ينبغي بعضهم على بعض. وكلهم يرجع إلى ملك يسوسهم ويجمع كلمتهم ولهذا البحر أربعة أودية تصب في البحر تسمى الأغباب<sup>(٢)</sup>.

٥ - ويلي هذه القطعة قطعة تسمى بحر اليمن. وأوله بحر الجمحة، وهو بلاد مهرة. معترض في البحر فيمتر بحاسك (وهو أول مرافئ اليمن)؛ ثم يمتزج بمرباط<sup>(٣)</sup> ساحل

(١) قال البيروني في كتابه على الهند (ص ١٠٢): سنكلديب وهي جزيرة سرنديب وفي أبي الفدا: سنكلديب.  
(٢) الأغباب: واحدها غُب. وهو - على ما قال البيروني - كالزاوية والعطفة يدخل من البحر إلى البر ويكون للسفن فيه مخاوف وخاصة من جهة المد والجزر. والخور هو شبه الغب ولكنه ليس من جهة دخول البحر وإنما هو من مجي المياه الجارية واتصاله بالبحر سائما ومخاوف السفن فيه من جهة الذوبة التي لا تستقل بالأفعال استقلال الملوحة بها (تحقيق ما للهند ص ١٠٢).

(٣) مدينة بين حضرموت وعمان وهي القرصة لمدينة ظفار الواقعة على خمسة فراسخ منها.

بلاد طَفَّارٍ) ؛ ثم يَمَزُّ بالشَّحْر (ساحل بلاد مَهْرَةَ) ؛ ثم بُشْرَمَةَ وَلَسَعَا (ساحل بلاد  
حَضْرَمَوْت) ؛ ثم بَأْيَيْنَ ؛ ثم بَعْدَنَ ؛ ثم بِالْمَخْنِقِ ؛ ثم بِالْعَارَةِ ؛ ثم الْبَابِ بِالْمَنْدَبِ .  
وفيه من الجزائر المشهورة :

جزيرة سقوطرة . وطولها نحو من مائة وثمانين ميلا ، وعرضها في الوسط  
نحو خمسة عشر ميلا . وبها الصَّيْرُ . يسكنها قوم من اليونان ، تغلبوا على من كان فيها  
من الهند في زمن الإسكندر . وبها عيون يقال إن الشرب منها يزيد في العقل .  
ولهذا سميت في الكتب القديمة جزيرة العقل .

وبلى هذه القطعة قطعة تسمى بحر الزنج ، وبحر بربراء ، ويسمى ساحله الزنجبار .  
وفيه مما يلي بلاد اليمن جزائر منها :

١٠ جزيرة دعون ، وهي مدورة .<sup>(١)</sup>

وجزيرة السود .

وجزيرة حورتان .

وجزيرة مروان . وفيها مدن يسكنها السُّرَّاقُ ، وهي مقابلة لبلاد مهرة .

وجزائر الديجات . وهي كثيرة . وأهلها مفرطون في السواد . وجميع

١٥ ما عندهم أسود ، حتى قصب السكر والكافور .

وجزيرة القُمر . وتسمى جزيرة ملاي . وطولها أربعة أشهر ، وعرض الواسع

منها يزيد على عشرين يوما . وهي تحاذي جزيرة مرنديب . وفيها بلاد كثيرة أجلها

(١) من المعلوم أن العرب يسمون شبه الجزيرة بالجزيرة . ولم نجد لهذا الاسم أثرا فيما بين أيدينا من

كتب المراجعة فقلنا هي التي ذكرها ياقوت باسم "دغوث" وقال : إنها بلد بنواحي الشحر من أرض عمان

٢٠ أو لعلها "دغوظة" التي قال أبو الفدا : أنها آخر مدن سفالة وآخر العارة في البر المتصل .

كيدانة، وملاي (وإليها تنسب الجزيرة) ودهمي، وبلق، وخافورا، ودعلى،  
وقُمريّة (وإليها ينسب القمر). ويقال: إن هذه الجزيرة خشبا، ينحت من الخشبة  
منه شأن<sup>(١)</sup> يكون طوله ستين ذراعا، يحذف على ظهره مائة وستون رجلا. ولما  
ضاققت هذه الجزيرة بأهلها بنوا على الساحل محلات يسكنونها في سفح جبل يعرف  
بهم. ومنها يخرج نهر النيل<sup>(٢)</sup>.

٦ - ويخرج من هذا البحر الذي يجمع هذه القطع خليجان

أحدهما بحر القلزم، والآخر بحر فارس.

١ - فأما خليج القلزم. فخروجه من باب المندب. وهو جبل طوله  
أثنا عشر ميلا، وسعة فوهته بمقدار أن الرجل يرى صاحبه من البر الآخر. فإذا قارب  
المندب يمر في جهة الشمال، بغلافقة، والأهواب (وهما ساحلا زبيد) ثم الجردة،  
ثم الشرجة، ثم عثر (وكانت مقر ملك قديم) ثم بالسرين، وحلى، وعسقان، والجار  
(وهي فرضة المدينة) والجحفة، والصفراء، والحوراء، ومدين، وأيلة، والطور،  
وقاران، ثم القلزم (وكانت مدينة مسكونة، وكذلك أيلة). ومن القلزم ينعطف من  
جهة الجنوب فيمر بالقصير (وهي فرضة لقوص) ثم إلى عيذاب (وهي فرضة لبلاد  
البيجة)، ثم يمتد إلى زيلع (وهي ساحل بلاد الحبشة) ويتصل ببربرا.

وطوله ألف ميل وخمسمائة ميل. وعرضه في مواضع أربعائة ميل، ودون

ذلك إلى مائتي ميل إلى ما دون ذلك.

وهو بحر كربه المنظر والرائحة.

(١) أي من السفن المعروفة بأسم الشواني.

(٢) يخلط الجغرافيون العرب كثيرا بين هذه الجزائر المعروفة بالقمر (بضم فسكون) وبين الجبل  
المعروف بالقمر (بفتح فسكون) فيجعلونها شيئا واحدا ويقولون بخروج منابع النيل من تلك الجزائر. وهذا  
أمر غيبي معقول.

وفيه فيما بين القازم وأيلة المكان المعروف بشاران، وهو مكان يشبه دردور  
عُمان . لأنه في سفح جبل إذا وقعت الرياح على ذرّوته انقطعت بنصفين على شعبتين  
متقابلتين ؛ ثم يخرج من كُئى هاتين الشعبتين ، فيثير البحر فتبَلد السفن باختلاف  
الرياح فلا تكاد تسلم . وهاتان الشعبتان تسميان الجيلين ، ومقدار هذا الموضع ستة  
أميال ، ويسمى بركة الغرندن<sup>(١)</sup> . ويقال : إنها التي أغرق الله فرعون وقومه فيها .  
فإذا كان للجنوب أدنى مهب ، فلا يمكن سلوكه .

(٨٧)

وفيه من الجزائر خمس عشرة جزيرة، العاصر منها أربع، وهي :

جزيرة دهلك . يحيط بها نحو مائتي ميل ؛ يسكنها قوم من الحبوش،

مسلمون .

- ١٠ وجزيرة سواكن . وهي أقل من ميل في ميل . وبينها وبين البحر الحبشى  
بحر قصير يخاض . وأهلها طائفة من البجة تسمى الخاسد وهم مسلمون ، ولهم بها ملك .  
وجزيرة النعمان . وبها نوبس تعيش من لحوم السلاحف<sup>(٢)</sup> .
- وجزيرة السامرى . يسكنها قوم من اليهود ، سامرة ، في عيش قشيف .
- ٢ — وأما خليج فارس . فإنه مثلث الشكل على هيئة القلح .
- ١٥ أحد أضلاعه من تيز مكران . فيمتر في بلاد كرمان على هرْمُرْ ، ومن بلاد فارس  
على سيراف ، وتوح ، ونجيم ، وجنابة ، ودارين ، وسينيز ، ومهر و بان ؛ ومنها يُفصى

(١) الذى فى تقويم أبى الفدا : الغرندل باللام .

(٢) تصغير ناس .

(٣) هكذا فى الأصغر . وفى أبى الفدا . وأما ياقوت فقال : إنها توح . (وضبطها أبو الفدا بضم التاء .

- ٢٠ وسكون الواو) واتفق أبو الفدا و ياقوت على أنها هى التى تسمى أيضا توز (ولكن ياقوت يضبطها بفتح  
فتشديد) . والذى فى ياقوت هو الصواب كما يؤخذ من " لب اللباب " للسيوطى ، ومن " لطائف  
المعارف " للتعالي .

البحر إلى عبّادان، ومن عبّادان ينعطف الضلع الآخر فيعزّ بالخط، وهو ساحل بلاد  
عُمان إلى صور، وهي ساحل بلاد عمان مما يلي بلاد اليمن؛ ثم يمتد إلى رأس الجُمُحَة  
من بلاد مَهَرَة .

والضلع الآخر يمتد على سطح البحر من تَبِيزِ مَكْرَانَ إلى رأس الجُمُحَة .

وهذه الأضلاع غير متفاوتة في الطول؛ فإن الضلع الذي يمتد على سطح البحر  
طوله نحو مائة ميل، وطول الضلع الآخر من حيث يتبدى من تَبِيزِ مَكْرَانَ إلى أن  
يتهي إلى عبّادان ثم ينعطف إلى أن يصل إلى رأس الجُمُحَة، تسعمائة ميل .

وفيه مما يلي عبّادان مكان يعرف بالدُرْدُور، وهو بين جبلين، أحدهما  
يسمى كُسَيْر، والآخر عَوِير . ويضاف إليهما جبل آخر بالقرب منهما يقال فيه:  
”وآخر ما فيه خير“ لشدة ما يرى بها من الأحوال . وهي جبال سود ذاهبة  
في الهواء يتكسر الماء على شُعبها . ولا بد للراكب أن تمرّ بينها، وقلما تسلم .

وفي هذا البحر من الجزائر المشهورة على السنة التجارية تسع، منها أربع  
عامرة، وهي :

جزيرة خارك . يحيط بها اثنا عشر ميلا . وهي عامرة أهلة كثيرة البساتين  
وبها مغاص اللؤلؤ .

وجزيرة كيش . وبها مغاص اللؤلؤ أيضا . وهي أهلة . وتسمى هذه  
الجزيرة في عصرنا هذا ”قَيْس“ .

وجزيرة أوال . وهي تجاه ساحل البحرين، وبينهما يوم . وبها مدينة .  
وأوال مدينة من مدائن البحرين .

وجزيرة لاقت . وتعرف بجزيرة بنى كاوان <sup>(١)</sup> . وطولها آثان وخمسون ميلا ،  
وعرضها تسعة أميال ، وهي آهلة .  
وهاتان الجزيرتان معدودتان في بلاد جُور من أعمال فارس .  
ويقال أيضا إنه يخرج من البحر المحيط خليج ثالث في شمال الصقالية ، ويمتد  
قرب بلد بلغار المسلمين ، ويسمى بحر أدريك ، منسوب إلى أمة على ساحله  
في جهة الشمال ، ثم ينحرف نحو المشرق ، وبين ساحله وبين أقصى بلاد الترك  
أرضون وجبال مجهولة خربة .  
فهذا البحر المحيط وما يتفرع منه .

### ٧ - وأما بحر مانيطش <sup>(٢)</sup>

ويسمى البحر الأسود وبحر سوداق . وهي مدينة على ساحله . هي  
فرضة لبلاد القفجاق مما يلي القسطنطينية . وعليه أيضا للقفجاق مدينة عظيمة تسمى  
قِرِم ، مقصودة من كل الجهات . وبها علماء ، وفقهاء ، ورؤساء . وهي محدثة . مُصرت <sup>(٣)</sup>

(١) ويسمى الادريسي : ابن كاوان ، وغيره يسميها : بركاوان .

(٢) جرى المؤلف على تعريف هذا البحر بأنه المعروف بالبحر الأسود . والحقيقة أن بحر نيطنش  
هو المعروف الآن بالبحر الأسود ، وأما بحر ما نيطنش فهو المعروف ببحر آزاق وبحر آزوف . وما يجب  
التنبه عليه أن كثيرا من كتاب العرب يخلطون بين هذين البحرين . ولذلك قال المسعودي : "بحر نيطنش  
وبحر مانطش يجب أن يكونا بحرا واحدا ، وإن تضايق البحر في بعض المواضع بينهما أو صار بين المائمين  
كالخليج . وليست تسمية ما أتسع منه وكثر ماؤه بمانطش ، وما ضاق منه وقل ماؤه بنيطنش ينبغي أن تجمعهما  
في اسم مانطش أو نيطنش . فاذا عبرنا في بعض المواضع في مبسوط هذا الكتاب فقلنا "مانطش"  
أو "نيطنش" فانما نزيد به هذا المعنى فيما أتسع من البحر وضاق " . (انظر مروج الذهب ج ١ ص ٥٨  
طبع بولاق) .

(٣) وبها سميت شبه الجزيرة الموجودة في البحر الأسود وهي شبه جزيرة القرم .

فيما بين الثلاثين والأربعين وستمائة للهجرة النبوية . ويسمى هذا البحر أيضا بحر الروس ، لجزائريه يسكنها أمة تسمى الروس ، نصارى . وهو بحر ضخم كثير الأخوار والتروش<sup>(١)</sup> والجبال الجرش . وطوله من الشمال إلى الجنوب ألف ميل وثلاثمائة ، وعرضه مختلف . ففي موضع ستمائة ميل ، وفي موضع ثلثمائة ميل . والناس مختلفون فيه . فمنهم من يقول إنه بحر مستقل بنفسه ، يخرج منه خليج القسطنطينية ويصب في بحر الروم أو هو مفيض لخليج القسطنطينية . وأكثرهم على أنه بحر مستقل بنفسه لطوله وعرضه وكثرة جزائره . وبعضهم يقول إنه خليج يخرج من البحر المحيط على ظهر بلاد الصقالبة ، ويحيط به بلاد البطلمية ، وبلاد الغامانية ، وبلاد الأزكشية ، وبلاد الشركسية ، وبلاد العلان<sup>(٢)</sup> والعنكر والناشقرد .

وفيه ست جزائر عامرة ، وهي كثيرة المدن والقرى ، يسكنها الروس .

## ٨ - وأما بحر الخزر

وهو بحر جرجان وطبرستان والديلم . وذلك بحسب ما يمر عليه من البلاد . وهو - على ما حكاه ابن حوقل - مدور الشكل ، ليس له اتصال ببحر آخر .

قال : ولو أن إنسانا طاف به ، لآتمى إلى الموضع الذي آبتدأ منه ، لا يقطعه عن ذلك إلا نهر<sup>(٣)</sup> يصب فيه .

(١) في الأصل التروس . ولكن الأديبي يستعمل لفظة " التروش " بالشين المعجمة . ومعناها الشعب أي الصخور التي تكون تحت سطح الماء ، قليلا فتتكسر السفن وتحطم إذا اصطدمت بها .

(٢) العلان : ترك تصروا وهم خلق كثير وقلمتهم إحدى قلاع العالم تنعم بالسحاب ( عن أبي الفدا ) وبلادهم في أرض قفجاق أو قفقاسية وهم المشهورون في كتب العرب أيضا باسم اللان .

(٣) هذا ملخص العبارة التي أوردها ابن حوقل ( وانظر كتابه ص ١٣ ) .

وفي شرفى هذا البحر بعض بلاد الديلم ، وبلاد طبرستان ، وجرجان ، وبعض  
المسافة التى بين جرجان وخورزم ، وغربيه بلاد أزان ، وبلاد الخزر ، وبعض مفازة  
الغزية ، وشماليه مفازة الطُّغُزُغُزِيَّة ، وجنوبيه الجليل ، والديلم . وطوله ثمانمائة ميل ،  
وعرضه ستمائة ميل .



وقال صاحب كتاب "نزهة المشتاق إلى آخترق الآفاق" : طولها من جهة الخزر  
إلى عين الهم ألف ميل ، وعرضها من ناحية جرجان إلى مصب نهر إتل ستمائة ميل ،  
ونخسون ميلا وهو يقطع عرضا من طبرستان إلى مدينة باب الأبواب فى أسبوع  
بالريح الطيبة ، وفيه أربع جزائر ، وهى :

جزيرة سيالكوه . وهى تجاه آبسكون ، فرضة جرجان . يسكنها طائفة من

الترك . يصاد بها البزاة البيض .

وجزيرة سهلان . وطولها نحو مائة ميل ، وعرضها نحو خمسين ميلا .

وجزيرة البركان . وهى أطيمة عظيمة تظهر منها نار فى الهواء ، كأشخ

ما يكون من الجبال . تُرى من نحو مائة فرسخ من البر .

(١) فى الأصل : الغرة . والتصحيح عن أبى الفدا .

(٢) فى الأصل : الخنل (وهو تحريف ظاهر من التناخ) .

(٣) هكذا فى مقدمة الادريسي (فى جميع النسخ) ولكنه عند كلامه على الجزء السابع من الاقليم الخامس  
نص على أن طول هذا البحر ٨٠٠ ميل وأن عرضه ٦٠٠ ميل (وهذا هو الذى نقله عنه أبو الفدا) ،  
ثم عاد الادريسي فقال : إن طوله ٩٠٠ ميل .

(٤) فى الأصل مائة ميل (والتصحيح عن الادريسي) .

(٥) فى الأصل : بسالكوه . (والتصحيح عن أبى الفدا) .

(٦) هى شبه الجزيرة المعروفة الآن باسم أبشرون . وفيها مدينة باكو المشهورة وهذه المدينة سماها  
أبو الفدا "باكوى" وسماها المسعودى "باكه" وقال : إن بها معدن النفط الأبيض (أى البترول) ثم  
قال : وفى هذه النفاطة أطيمة ، وهى عين من عيون النار لا تبدأ على سائر الأوقات تنصدم الصعداء . فهذا  
هو الذى عناه النويرى باسم "البركان" .

وجزيرة تجاه باب الأبواب . كثيرة المروج والأنهار . وهذا البحر يقال إنه كثير التنانين .

وقد اختلف فيها . فمن الناس من يقول إنها دواب تعظم في قعر البحر فتؤذى ما به من دواب ، فيبعث الله عز وجل عليها السحاب والملائكة فتخرجها من البحر وتقلبها في أرض يأجوج ومأجوج ، فتكون طعاما لهم . وهذا مما يحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما . ومنهم من رأى أنها ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر إلى النسيم وتلحق بالسحاب ، كالزوبعة التي تتور من الأرض وتستدير ثم تطول في الهواء . فيتوهم الناس أنها حيات سود .

وسائر البحار تمد وتجزر ، خلا هذا البحر .

ويقال إن علة المد والجزر تكون عن وضع الملك الموكل بقاموس البحر عقبه في أقصى بحر الصين ، فيفور فيكون منه المد ، ثم يرفعه فيكون من رفعه الجزر . ( ومنهم من روى مكان العقب الإبهام ) .

ومنهم من قال إن العلة فيه غير هذا كله .

والله أعلم !

ذكر ما في المعمور من البحيرات المالحة المشهورة

وما بها من العجائب

وفي المعمور بحيرات مالحة .

فالذى أشهر منها :

§ بحيرة خوارزم . وشكلها مثلث كالقلع ، وليس في المعمور بحيرة أعظم منها .

يحيط بها أر بعانة فرسخ . يصب فيها نهران سيحون وجيحون اللذان في أرض

الهياطلة ، وغيرهما من الأنهار العظيمة الجارية في بلاد الترك . وهى مع ذلك لا تزيد ولا تعدب .

وزعم صاحب كتاب "زهة المشتاق إلى أخترق الآفاق" أن في هذه البحيرة حيوانا يظهر على سطحها في صورة الإنسان يتكلم ثلاث كلمات أو أربعا بلغة لا تفهم ثم يغوص . وظهوره عندهم يدل على موت ملك من ملوك ذلك الحين .

§ ومنها بحيرة الطرخ ، لسماك صغير يصاد منها ويحمل الى سائر بلاد إرمينية وأذربيجان . وطولها أربع مراحل ، وعرضها مرحلة . يُجمع من أطرافها البورق . والسماك يوجد بها في زمان مخصوص ، يأتيها في نهر يصب إليها ، ويكثر حتى يصاد بالأيدي . فإذا انقضى ذلك الزمان لا يوجد منه شيء آلبتة .

١٠ § وفي بلاد أذربيجان بحيرة كبوذان<sup>(٢)</sup> . وكبوذان قرية في جزيرة يسكنها ملاحو المراكب التي يركب فيها من هذه البحيرة . وطول هذه البحيرة نحو ثلاثة أيام ، وعرضها كذلك وفيها جزائر : منها جزيرة فيها قلعة حصينة تسمى تلاب ، ولا يكون بهذه البحيرة حيوان آلبتة ، لأن ماءها متفن ردى .

§ وفي بلاد البحرين بحيرة . وبها وبالبحر الكبير سميت أرض حجر :  
١٥ "البحرين" .

(١) واسمها في كتب الجغرافية العربية بحيرة أرجيش ، وهذا السمك الذى سميت به ، كما في "القاموس" سمك صغار تعالج بالملح وتؤكل . وقد عرفنا ابن حوقل أنه صغير مقدار الشبر يملح ويحمل الى الجزيرة والموصل والزقة وحران وحلب وسائر الثغور .

(٢) هى التي ذكرها أبو الفدا باسم "بحيرة تلاب" وياقوت باسم "بحيرة أرمية" . وقد ذكر أن في وسطها جبلا يقال له : "كبوذان" وجزيرة فيها أربع قرى أو نحو ذلك يسكنها ملاحو سفن هذا البحر (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥١٣) .

§ وفي الشام بأرض الغور بحيرة زُغَر ، وتسمى المُنْتِنَة والميتة . لأنها لا يعيش بها حيوان ولا يتكوّن فيها شيء مما يتكوّن في المياه الجارية والراكدة من الحيوانات . وطولها ستون ميلا ، وعرضها اثنا عشر ميلا .

ويقال إنها ديار قوم لوط التي خَسَقَهُم اللهُ بها . ويقال إنها كانت خمس مُدُن ، أسماءها : "ضيعه" ، و"ضعوه" ، و"عمره" ، و"دوما" ، و"سدوم" . وكانت سدوم أكبرها وأعظمها .

ويُصَبُّ في هذه البحيرة نهر الأردن وغيره من الأنهار الصغار والسيول من بلاد الكرك وغيرها ، فلا تزيد . ويقال إن لها منقذا إلى بحر القلزم . وبساحلها الشرق إلى حدّ أريحا معدن الكبريت الأبيض ، يُخَفَّرُ عليه ويُحْرَج . ويتكوّن في هذه البحيرة شيء على شكل البقر ، ويطفو على وجهها ويتفقع ، فيجمع منه شيء أسود يسمونه "الحمر" وينقل إلى قلعة الكرك يدّخرها ، يدخل في النفط .

§ وفي أعمال مصر بحيرة تَنِيْس ، مقدارها إقلاع يوم في [ عرض ] نصف (١) يوم يكون ماؤها في أكثر السنة ملحا من دخول ماء البحر الرومي إليها فإذا مدّ النيل صبّ فيها فتحلوا فإذا جزر ملحت .

ويقال : إنه كان في مكانها برّ مسلوكة تغلب عليه البحر في ليلة واحدة ، فما كانت أرضه مستفلة غرق ، وما كانت أرضه عالية مثل تَنِيْس وتونة بقي .

وفي وسط هذه البحيرة جزيرة صغيرة تسمى سنجار ، يسكنها قوم صيادون .

وقال إبراهيم بن وصيف شاه في "كتاب العجائب الكبير" : إن بحيرة تَنِيْس كانت أجنة<sup>(٢)</sup> وكروما ومنازل ومستنزهات ، وكانت مقسومة بين ملكين من ولد أتريب بن

(١) الزيادة من معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٨٨٢ — في أسم "تنيس" .

(٢) أجنة جمع جنة وهو فريب .

مصر، وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا، فأنفق المؤمن ماله في وجوه الرِّحَى حتى باع حصته من أخيه وفتق مالها أيضا، فأصلحها أخوه وزاد فيها غُرُوسا وبَحَّرَ فيها أنهارا وبني فيها بنيانا، واحتاج أخوه إلى ما في يده فكان يَمْنَعُه ويفتخر عليه بما في يده من المال والأجنَّة، فخطبه أخوه في بعض الأيام فسطا عليه، وقال: أنا أَكْثَرُ مِنْكَ مالا وولدا وخيرا، فقال له أخوه: فما أراك شاكرا لله تعالى على ما رزقك ويوشك أن ينزع ذلك منك. ويقال: إنه دعا عليه ففتق ماء البحر ما كان له في ليلة واحدة.

وقيل: إن هذين اللذان ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز، فقال: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ الآيات، والله تعالى أعلم.

١٠. وبالقرب من الإسكندرية بحيرة، طولها إقلاع يوم وعرضها كذلك، يدخل إليها الماء من بحر الروم من مكان الأَشْتُوم، ويخرج منها إلى بحيرة أخرى دونها في خليج عليه مدينتان: إحداهما تسمى الجدية، والأخرى تسمى أتلو كثيرة المقائى<sup>(١)</sup> والنخل، وكلها في الرمل. ويصب في البحيرة خليج من النيل يسمى "الحافر" طولها نصف يوم إقلاعا، وهو كثير الطير والسماك والعُشْب.

١٥. وفي بلاد إفريقية بحيرة بَنَزْرَت ماؤها مِلْح، وطولها ستة عشر ميلا، وعرضها ثمانية أميال. وعلى عشرة أميال منها بحيرة عذب تسمى بحيرة مَتِيْجَة<sup>(٢)</sup>. فإذا جاء الشتاء وكثرت السيول غاضت بحيرة بَنَزْرَت، وفاضت بحيرة مَتِيْجَة حتى تمدها ستة شهور فلا يحلو ماؤها؛ فإذا أنقضى زمن الشتاء وجاء الصيف غاضت

(١) كذا بالأصل وفي معجم ياقوت "أنكو" بليدة قديمة من نواحي مصر قرب رشيد.

(٢) في الأصل: «المقات» وما أثبتناه أنسب لأن المقائى جمع مقثاة وهي الأرض التي تزرع قثا.

(٣) وزنها في القاموس بسكينة.

بحيرة متيِّجة، وفاضت بحيرة بنزرت فلا يملح ماؤها . ويصاد في هذه البحيرة في كل شهرين من شهور السنة نوعٌ من السمك لا يخالطه غيره، وأهل الناحية يعرفون دخول الشهور بتغير السمك فيها .

§ وحكى صاحب كتاب "مباح الفكر ومناجح العبر" : أن بتخوم بلاد إرمينية بحيرة يكون فيها الماء والسمك والطير ستة أشهر كوامل، ثم تجف فلا يرى فيها ماء ولا سمك ولا طير سبع سنين، فإذا كانت السنة الثامنة ظهر ذلك فيها ستة أشهر ثم ينقطع . وهذا دائماً مدى الزمان .

§ وبجلاط بحيرة لا يرى فيها سمك ولا ضفدع ولا سرطان عشرة أشهر من السنة؛ ثم يظهر ذلك كله في الشهرين الباقيين .

§ وبقرية من ناحية بجهير<sup>(١)</sup> من بلاد خراسان بحيرة، ما غمَس فيها شيء إلا ذاب، حديداً كان أو خشباً .

§ وكذلك بركة النطرون التي بأرض مصر ما وقع فيها شيء إلا صار نظرونا حتى العظم والحجارة .

### ذكر ما يُتمثل به مما فيه ذكر البحر

(ما جاء من ذلك على لفظ أفعال)

يقال : "أعمق من البحر" . "أندى من البحر" .

ويقال : "حدث عن البحر ولا حرج" .

(١) كذا في الأصل : "بجهير" وهي على ما قال ياقوت : مدينة بنواحي بلخ . فلذلك أظن أن ذلك الاسم محرف عن "بجديه" التي قال ياقوت : إنها من نواحي خراسان وهو الصقع الذي أشار إليه المؤلف . نعم إن ياقوت لم يذكر هذه البحيرة عند كلامه على كل من المدينتين ولكن المسعودي نص على أن بجهير من أرض خراسان (ج ٢ ص ١٥ طبع أوروبا) .





وقال ابن حمديس :

لا أركبُ البحرَ أخشى \* علىّ منه المعاطبُ  
طِينٌ أنا وهو ماءٌ \* والطّينُ في الماءِ ذائبُ

وقال آخر :

وزاخِر ليس له صَوْلَةٌ \* إلا إذا ما هبَّت الرِّيحُ  
فهو إذا ما سكنت ساكنٌ \* كأنما الرِّيحُ له رُوحُ

وقال أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت :

تساهى البحرُ في عَرِيضٍ وطُوبٍ \* وليس له على التَّحْقِيقِ كُنْهٌ  
وأعجَبُ كلِّ ما شاهدتُ فيه \* سلاَمَتنا على الأهوالِ مِنْهُ  
فحسبي أن أراه من بعيدٍ \* وأهرُبُ فوق ظَهْرِ الأرضِ عَنْهُ

ومما وصف به البحر والسفن

قول بشر بن أبي خازم :

أطاعنُ صفهم ولقد آراي \* على زوراء تسجد للرياح  
إذا أعرضت براكها خليجا \* تذكّر ما عليه من جناح  
ونحن على جوانبها فعودٌ \* نغض الطرف كالإبل الفجاج

وقال ابن تولو من أبيات :

تحتُ بنا فيه قِلاصٌ كأنها \* وعالٌ تبتت من جبالِ شواهِقِ  
لها كإفلا ماءٍ وريحٍ كإلهما \* يُعلمها في الجري سبِقِ السَّوابِقِ  
إذا انحدرت فإلى الماءِ الطُّفُّ قائِدٌ \* وإن صعدت فالريحُ أعسفُ سائقِ

وقال السلمي :

وميدان تجول به خيول \* تقود الدارين ولا تقاد  
ركبت به إلى اللذات طرفا \* له جسم وليس له فؤاد  
جرى فظننت أن الأرض وجه \* ودجلة ناظر وهو السواد

وقال محمد بن هاني :

مُعْظَمَةُ الْأَعْنَاقِ نَحْوُ مُتُونِهَا \* كَمَا نَبَّهَتْ أَيْدِي الْحَوَاةِ الْأَفَاعِيَا  
إِذَا أَعْمَلُوا فِيهَا الْمَجَازِفَ سُرْعَةً \* تَرَى عَقْرًا بِمَنْهَا عَلَى الْمَاءِ مَاشِيَا  
إِذَا مَا وَرَدَنَّ الْمَاءَ شَوْقًا لِبُرْدِهِ \* صَدْرًا وَلَمْ يَشْرَبْ غَرَى صَوَادِيَا

وقال الرستمي :

لم نزل مُشْفِقِينَ مُذْقِيلَ سَارَتْ \* بك دهم قليلة الأوضاح  
أصلها البر وهي ساكنة في ال \* بجر سُكْنِي إقامية لا براح  
هي في الماء وهي صفر من الماء \* وسوى تضح موجها النَّضَاح  
فإذا أوقرت فذات وقار \* وإذا أخليت فذات جماح  
وتراها في اللج ذات جناحين \* وإن لم تكن بذات جناح  
من مطايا لا يغتدين ولا يس \* بأمن سير البكور بعد الرواح  
مُشْتَاتٌ مِنَ الْجَوَارِي اللَّوَاتِي \* لسن من صنعة الجوارى الملاج  
والذات مولدات بلا حل نكاح \* ولا حرام سَفَاح  
لا من البيض بل من السود ألوا \* نأ وذات الأواج والأزواج  
طائرات مع الرياح وطورا \* كاسرات بالجرى حد الرياح  
سائرات لا يشكين سرى اللي \* بل ولا يرتقين ضوء الصباح

سَايَكْتُ بِلا خُضُوعِ سُكُونٍ \* جَايَحَاتُ بِلا عَرَامٍ جِمَاجِ (١)  
 لا يَخْفَنَ الْغِمَارَ يُقَدِّفَنَ فِيهَا \* وَيَخْفَنَ الْمُرُورَ بِالضَّحَضِاحِ  
 إِنْ صَدَمَنَ الْحَصَى عَطِبَنَ وَلَا يَدُ \* طَبَنَ إِمَّا صَدَمَنَ حَدَّ الرَّمَاجِ  
 مَا رَأَى النَّاسَ مِنْ قُصُورٍ عَلَى الْمَا \* سِوَاهَا يَسِيرُ سِيرَ الْقِدَاجِ  
 يَتَسَبَّبَنَ كَالْأَسَاوِدِ فِي الْخَفِةِ لَا فِي مَعَادَةِ الْأَشْبَاجِ (٢)  
 فَإِذَا مَا تَقَابَلَتْ قَلتْ ذُوْدُ \* مِنْ يَكَايَشٍ تَقَابَلَتْ لِلنَّطَاجِ  
 تُرْعَعُهَا الْبَيْضُ كَالْغَمَامَاتِ فِي الصَّيْبِ \* يَفِ صَحَّاحًا مِنْهَا وَغَيْرَ صَحَّاجِ  
 كَمْ مُدِيلٌ بِالْجَاهِ وَالْمَالِ فِيهَا \* وَبِهِ حَاجَةٌ إِلَى الْمَلَّاجِ  
 قَائِدٌ، جُنْدُهُ لَهُمْ أَدْوَاتٌ \* نَفْعُهَا تَمَّ فَوْقَ نَفْعِ السَّلَّاجِ  
 فَإِذَا الْبَحْرُ صَالَ صَالُوا عَلَيْهَا \* بِمَوَاضٍ تَمَضَى بِغَيْرِ حِرَاجِ  
 يُكْتَرُونَ الصَّيَّاحَ حَتَّى كَأَنَّ السَّفْنَ تَجْرَى مِنْ خَوْفِ ذَلِكَ الصَّيَّاحِ



ومما وصفت به البحار والسفن ثرا

قال أبو عمرو وابن صاحب الصلاة القرطبي يصف شائياً سافراً فيه (٣):

”فَارَقْتُ مَوْلَايَ حِينَ أَخَذْتُ لِسَفَرِ عُدَّةِ الْحَزْمِ، وَشَدَدْتُ عُقْدَةَ الْعِزْمِ،  
 وَأَنْتَضَمْتُ مَعَ السَّفَرِ فِي سَلَكِ، وَرَكَبْنَا عَلَى أَسْمِ اللَّهِ ظَهَرَ الْقُلُوكِ؛ فِي شَانِ عَظِيمِ الشَّانِ،  
 أَحَدَقْتُ بِهِ النَّطْقُ إِحْدَاقَ الْحَيَازِمِ، وَأَمْسَكْتُهُ إِمْسَاكَ الْأَبَازِمِ؛ ثُمَّ تُبِعَ خَلْلَهُ فَسُدَّ،  
 وَرِخْوَهُ فَسُدَّ؛ حَدَرًا عَلَى أَلْوَاحِهِ مِنَ الْإِنْخِلَاجِ (٤)، وَأَتَصَلْتُ بَعْرًا يَلِيهِ أَتْصَالُ الْجُلُودِ

(١) العَرَامُ: الشِّدَّةُ وَالْحِدَّةُ وَالشَّرَاسَةُ. وَفِي الْأَصْلِ «غَرَامٌ» وَهُوَ تَحْرِيْفٌ. (٢) كَذَا  
 بِالْأَصْلِ وَهِيَ غَامِضَةٌ الْمَعْنَى. (٣) الشَّائِي: اسْمٌ لِنَوْعٍ مِنَ السَّفَنِ التِّجَارِيَةِ وَالْحَرْبِيَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَيُجْمَعُ  
 شَوَانِي. (٤) الْإِنْخِلَاجُ: الْإِتْرَاجُ وَالنَّفْكَكُ. وَفِي الْأَصْلِ «الْإِنْخَاجُ» وَهُوَ تَحْرِيْفٌ.

- بالأضلاع، ثم جُلِبَّتْ جَلْبَابًا من القار، وُضِّعَ في المتين والفقار؛ فامتاز بأغرب ميسم،  
 وعاد كالغراب الأعصم<sup>(١)</sup>؛ قد حَسُنَ منه المخبر، وكأَن الكافور قد قُرِنَ فيه بالعنبر .  
 له من التماسيح أجنابها، ومن الخطاطيف أذنانها، وأستقلت رجله بفراشها، أستقلال  
 السهام برياشها، وقد مدَّ قَلْعِيه ذراعيه متلقيا من وفد الرياح مصاخفه، ومستهدبا  
 منها مناخفه . تقلد الحكم عليها إشتيام<sup>(٢)</sup> ذو تيقظ وأستبصار، وأستدلل على الأعماق  
 والأقصار؛ يستدل باختلاف المياه إذا جرى، ويهتدى بالنجوم إذا سرى، قد جعل  
 السماء مرآة ينظر فيها، ويحدّر من دجن يوافيها، فإذا أصدأها الظلامُ بجناسه،  
 وصقلها الضياء بمداوسه، يسبح الله في مُصْبَحِه ومُساءه، ويسمّل في مجراه ومرسأه،  
 ويذكر ربًا يحفظه ولا ينساه، قد آخذ فيه موآتيه، من أنجد النوانيه؛ مشمّرين  
 الأثواب، مدبّرين بالصواب؛ يفهمون عنه بالإيماء، ويتصرفون له تصرف الأفعال  
 بالأسماء؛ ويرتمون عند الجذب والدفع، والحط والرفع . بهينمة تبعثهم على النشاط  
 والجسام<sup>(٣)</sup>، وتؤدّبهم في عملهم بالتمام . نخرجنا وتفتح الريح تسيّم، ووجه البحر ويسيم؛  
 وراحة الريح تُصاغ عبايه مُصاخفة الخلل، وتطوى حبابه طي السجل؛ وتحوك  
 من بجه أرابادا، وتصوغ من حبكه أرابادا . كأنما ترسم في أديم رقشا، أو تفتح  
 في فصوص نقشا . فلما توسطن أشج البحر، وصرنا منه بين السحر والنحر؛ صحّت الريح  
 من سُكْرِها، وطارت من وكْرِها؛ فسمعنا من دوى البحر زئيرا، ومن جبال الشاني

(١) أي الأبيض الجناحين (أنظر تاج العروس) مادة عصم ج ٨ ص ٤٠٠ .

(٢) الإشتيام هو رئيس الملاحين، لفظ أجمعى أخذه العرب (راجع الجواليقي) .

(٣) ذهاب الإعياء والتعب .

٢٠ (٤) الحباب : معظم الماء أو سطحه وقيل حبابه فقاخاته وبقايعه التي تطفو كأنها القوارير .

وفي الأصل «جناحه» وهو تحريف :

صَفِيرًا، ورأيناهُ يُزِيدُ ويضطرب، كأنَّهُ بِكَأْسِ الجَنُوبِ قد شَرِبَ، وأستقبلنا منه  
 وجهٌ باسِرٌ، وطارت من أمواجه عِقبانُ كواسِرٍ، تَضَطَّرِبُ وتَصْطَفِقُ، وتختلف  
 ولا تُتَّفِقُ، كأنَّ الجَوَّ يأخُذُ بنواصِيبِها، ويخِذِها من أفاصِيبِها، والشانِي تلعب به أكْفُ  
 الموج، وَيَفْحصُ منها بكلِّكاه فوجًا بعد فوجٍ، ويجوب منها ما بين أنجاد وأغوار،  
 وخنادقٍ وأسوار، والبحرُ تحتنا كأرضٍ تميدُ بأهلها، وتزلزلُ بوغيرها وسهلها، ونحن  
 قُعود، دُودٌ على عُدود، قد نَبَتَ بنا من القلقِ أمكنَتُنا، وخرستُ من الفرقِ ألسنتُنا،  
 والرَّشُّ يكتنِفُنا من كلِّ جانبٍ، وَيَسِيلُ من أثوابنا سِيلَ المَذَازِبِ، فشِمِمنا رِيحَ  
 الموتِ، وظننا التلَفَ والهُوتَ، وبقينا في هَمٍّ ناصِبٍ، وعنابٍ واصِبٍ، حتى آتَنا  
 إلى كَنَفِ الجَونِ، وصرنا منه في كَنٍّ وِصُونٍ، وهدأ من البحرِ ما آستشَرى، وتنادينا  
 بالبُشرى، ووطئنا من الأرضِ جَدَدًا، ولبسنا أثوابَ الحِياةِ جُدُدًا! ... ..



ومن رسالة لأبي عامر بن عقال الأندلسي عفا الله عنه

٩٢

جاء منها :

”... وكان جَوَّازُهُ أيدُهُ اللهُ على بَحرِ ساكنٍ، قد ذَلَّ بعدَ آستصعابه، وسَهَّلَ بعدَ أن  
 رأى الشامِخَ من هِضابِهِ، وصار حِيَّهُ مِيتًا، وهديره صَمْتًا، وجِبَالُهُ لا تَرى بها عِوَجًا ولا  
 أَمْتًا، ووضَعُفٌ بعدَ تعاطِيهِ، وعَقَدَ السَّلْمَ بين موجهِ وشاطِئِهِ. فعبَرنا مِنَّا من لَهْواتِهِ، مَمْلَكا  
 لَصَهواتِهِ، على جِوادٍ يَقطَعُ البَحرَ سَبِحا، ويكاد يَسِيقُ الرِّيحَ لَمَحا، لا يَجملُ لِحامًا  
 ولا سَرِجا، ولا يَعرفُ غيرَ الجِمةِ سَرِجا، فله هُوَ من جِوادٍ، له جِسمٌ وليس له فُؤادٌ،  
 يَخترِقُ الهِواءَ ولا يَرهَبُهُ، ويركُضُ في المِماءِ ولا يَشربُهُ! ... ..“

٢٠ (١) كذا في الأصل ولعلها ”مرجا“.



ومن رسالة للأستاذ آبن العميد في مثل ذلك

جاء منها :

- ”... وكان العشاريات وقد رُدَّتْ بالقار، وحلَّتْ بالبحرين والنضار، عرائس منشورة  
 ٥ الذوائب، مخضوبة الحواجب، موشحة المناكب، مقلدة التراب، متوجة المقارق،  
 مكحلة العواتق، فضضية الحليل والقرايط، أو طواويس أبرزت رقابها، ونشرت  
 أجنحتها وأذنانها، وكأنها إذا جدت في الخاق، وتنافست في السباق، نوافر نعام،  
 أو حوافل أنعام، أو عقارب شالت بالإبر، أو دهم الخليل واضحة المجول والغرر، وكان  
 المجاديف طير تنفض خوافيها، أو حباب تعانق حباب بأيديها ... ..“

## الباب السابع

من القسم الرابع من الفن الأول

في العيون والأشهار والغدران

وما وُصِفَتْ به البرك والدوايب والنواعير والجداول

- قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ .  
 ١٥ قال المفسرون : هو المطر . ومعنى سَلَكَهُ أدخله في الأرض ، وجعله عيوناً  
 ومسالك ومجاري كالعروق في الجسد .

قال أبو الفرج، قدامة بن جعفر: مجموع ما في المعمور من الأنهار في الأقاليم السبعة  
 مائة نهر وأربعة وثمانون نهراً . منها :

- في الإقليم الأول ثلاثة وعشرون نهراً، وفي الإقليم الثاني تسعة وعشرون نهراً ؛  
 ٢٠ وفي الإقليم الثالث ستة وعشرون نهراً ؛ وفي الإقليم الرابع أربعة وعشرون نهراً ؛

وفي الإقليم الخامس ثمانية وعشرون نهرا ، وفي الإقليم السادس ستة وعشرون نهرا ؛  
وفي الإقليم السابع ثمانية وعشرون نهرا .

ثم قال : وفي هذه الأنهار ما جريانه من المشرق إلى المغرب كنهر نهاوند ، ونهر  
سجستان ، وما جريانه من الشمال إلى الجنوب كدجلة ، وما جريانه من الجنوب  
إلى الشمال ، كنهر النيل ونهر مهرا ، وما جريانه مرگب من هذه الجهات ، كنهر  
الفرات وجيخون ونهر الكر .  
وسندكر المشهور منها .



### فأما نهر النيل

§ فزعم قدامة بن جعفر ان أبعائه من جبل القمر وراء خطّ الاستواء ، من عين  
تجرى منها عشرة أنهار ، كل خمسة منها تنصب إلى بطيحة . ثم يخرج من كل بطيحة  
نهران ، وتجرى الأنهار الأربعة إلى بطيحة كبيرة في الإقليم الأول . ومن هذه  
البطيحة يخرج نهر النيل .

§ وقال صاحب كتاب "نزهة المشتاق إلى آخترق الآفاق" : « إن هذه البحيرة  
تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها ، متوحشون يأكلون  
من وقع إليهم من الناس . ومن هذه البحيرة يخرج نهر غانة ، ونهر الحبشة ، فإذا خرج  
النيل منها يشق بلاد كورى ثم بلاد ننه (طائفة من السودان أيضا ، وهم بين كانم  
والنوبة) ، فإذا بلغ دقولة (مدينة النوبة) عطف من غربها إلى المغرب ، وأخذت إلى الإقليم  
الثاني ، فيكون على شطبه عمارة النوبة . وفيه هناك جزائر تسعة عامرة بالمدن والقرى .  
ثم يشرق إلى الجنادل ، وإليها تنتهي مراكب النوبة آنحدارا ، ومراكب الصعيد  
إقلاعا . وهناك أحجار مضرسة لأمروور للراكب عليها إلا في إبان زيادة النيل .

٩٣

ثم يأخذ على الشمال فيكون على شريقه مدينة أسوان من بلاد الصعيد الأعلى ؛ ثم يمر بين جبلين هما يكتنفان لأعمال مصر أحدهما شرقى والآخر غربى حتى يأتى مدينة مصر فتكون في شريقه . فإذا تجاوزها بمسافة يوم ، أنقسم قسمين : أحدهما يمر حتى يصب في بحر الروم عند مدينة دمياط ، ويسمى بحر الشرق ؛ والآخر — وهو عمود النيل ومعظمه — يمر إلى أن يصب في بحر الروم أيضا عند مدينة رشيد ، ويسمى بحر الغرب .

§ قالوا : وتكون مسافة النيل من منبعه إلى أن يصب في رشيد سبعائة فرسخ وثمانية وأربعين فرسخا . وقيل إنه يجري في الخراب أربعة أشهر ، وفي بلاد السودان شهرين ، وفي بلاد الإسلام شهرا . «

- ١٠ § وروى البخارى في "صحيحه" عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث المعراج ، قال : "ثم رُفِعْتُ إلى سِدْرَةِ المنتهى ، فإذا نَبَّهْتُها مثل قَلالِ حَجَرٍ ، وإذا وَرَّقَها مثل آذانِ الفَيْلَةِ . (قال : هذه سِدْرَةُ المنتهى) وإذا أربعة أنهار نهرانِ باطنانِ ، ونهرانِ ظاهرانِ ، فقلتُ : ما هذا يا جبريلُ ؟ قال : أما الباطنانِ ، فنهرانِ في الجنة ؛ وأما الظاهرانِ ، فالنيلُ والقُرأتُ " . وليس في الأرض نهر يزيد حين تنقص الأنهار وتغيض غيره . وذلك أن زيادته تكون في القيظ الشديد في شمس السرطان والأسد والسنبلة .

§ وقد حكى في فضائل مصر أن الأنهار تمتد بماؤها ، وذلك عن أمر الله تعالى . وقال قوم : إن زيادته من ثلوج يديها الصيف على حسب مددها كثيرة كانت أو قليلة ؛ وفي مدده اختلاف كثير .

§ وكان منتهى زيادته قديماً ستة عشر ذراعاً، والذراع أربعة وعشرون إصبعا بمقياس مصر . فإن زاد عن ذلك ذراعاً واحداً زاد في الخراج مائة ألف دينار لما يروى من الأراضي العالية .

والغاية القصوى في الزيادة ثمانية عشر ذراعاً في مقياس مصر . فإذا انتهى إلى هذا الحد كان في الصعيد الأعلى أشنين وعشرين ذراعاً لأرتفاع البقاع التي يمر عليها .

فإذا آتته زيادته ، فتحت خلجاناً وترع تتخزق المياه فيها يميناً وشمالاً إلى البلاد البعيدة عن مجرى النيل .

§ وللنيل ثمانية خلجاناً وهي : خليج الإسكندرية ، وخليج دمياط ، وخليج منف ، وخليج المنهى (حفره يوسف الصديق عليه السلام) ، وخليج أشموم طنّاح ، وخليج سرُدوس (حفره هاملان لفرعون) ، وخليج سخّا ، وخليج حفره عمرو بن العاص ، يجري إلى أن يصب في السباخ .

§ ويحصل لأهل مصر إذا وفي النيل ستة عشر ذراعاً — وهي قانون الري — فرح عظيم : بحيث إن السلطان يركب في خواص دولته وأكابر الأمراء في الحرّاريق إلى المقياس ، ويمد فيه سماطاً يأكل منه الخواص والعوام ، ويخلف على القياس ، ويصله بصلة مقرّرة له في كلّ سنة .

§ وقد ذكر بعض المفسرين "للكتاب العزيز" أن يوم "وفاء النيل" هو اليوم الذي وعد فيه فرعون موسى بالاجتماع ، وهو قوله تعالى إخباراً عن فرعون : (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسَ حُشِّي) . والعادة جارية أن اجتمع الناس للتخليق في هذا الوقت .

ومتى قَصُر النيل عن هذا المقدار غَلَتِ الأسعار .

وهو إذا أبتدأ في زيادته يكون مُحْضَرًا ، ثم مجتزأ ، ثم كَدِرًا .

وإذا انتهى في الزيادة غَشِيَ الأرض ، وتصير القرى فوق الرَوَابِي فلا يُتَوَصَّلُ إليها إلا في المراكب أو على الجسور الممتدة التي تُتَفَقَّ عليها الأموال الكثيرة وتُتَخَذُ لحفظ الماء .

فإذا انتهى رىَ مكان وأخذ حذَه قُطِعَ جَسْرُ ذلك المكان من مكان معروف (يعرفه خَوْلَةُ البلاد ومشايخها) تروى منه الجهة التي تليها مع ما تجمع فيها من الماء المختص بها . ولولا إتقان هذه الجسور وحفر الترع لَقَلَّ الارتفاع بالنيل .

§ وقد حكى أنه كان يُرصد لعمارة الجسور في كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم بها ، لما يترتب عليها من المصالح ، ويحصل بها من النفع في رىَ البلاد .

§ وقد وصف بعض الشعراء النيل في طلوعه وهبوطه ، فقال :

وأما لهذا النيل أَى حَيِّبِيَّة \* يَكْرِي بمثل حديثها لا يَسْمَعُ

يَلْقَى الثرى في العام وهو مسَلَّم \* حتى إذا ما مَلَّ عادَ يودَعُ

مُسْتَقْبَلٌ مثل الهلال فدهره \* أبداً يزيد كما يزيد ويرجعُ

وللشعراء فيه أوصاف وتشبيهات ، نذكرها بعدُ إن شاء الله تعالى في موضعها .

§ وهذا النهر مخالف في جريه لسائر الأنهار ، لأنه يجرى مما يلي الجنوب مستقبل الشمال . وكذلك نهر مِهْرَانَ بالسند ، ونهر الأرنط ، وهو نهرٍ حِصَّ وحمّاة ، ويسمى العاصي لمخالفته للأنهار في جريها . وما عداها من الأنهار جريها من الشمال إلى الجنوب ، لارتفاع الشمال عن الجنوب وكثرة مياهه .

وهو أخف المياه وأحلاها وأعمها نفعاً وأكثرها خراجاً .

§ وقد حُكي أنه جُبي في أيام كيقاوش (أحد ملوك القبط الأول) مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار، وجباه عزيز مصر مائة ألف ألف دينار، وجباه عمرو بن العاص اثني عشر ألف ألف دينار، ثم رُدُّل إلى أن جُبي أيام القائد جوهر (مولى المعز العبدي) ثلاثة آلاف ألف ومائتي ألف دينار .

٥ وسبب تقهقره أن المملوك لم تسمح نفوسهم بما كان يُنْفِق في حفر ترعه وإتقان جسوره وإزالة ما هو شاغل للأرض عن الزراعة كالقصب والحلفاء .

وحكى ابن هبة أن المرتين لذلك كانوا مائة ألف وعشرين ألف رجل : سبعون ألفاً للصعيد، وخمسون ألفاً للوجه البحري .

١٠ وحكى ابن زولاق أن أحمد بن المدبر لما ولي الخراج بمصر، كشف أرضها فوجد غامرها أكثر من عامرها فقال : والله لو عمَّرها السلطان لوقت له بخراج الدنيا .

§ وقيل إنها مُسِحَّتْ أيام هشام بن عبد الملك، فكان ما يركبه الماء العامر والغامر مائة ألف فدان . والفدان أربع مائة قصبة، والقصبة عشرة أذرع .

واعتبر أحمد بن المدبر ما يصلح للزراعة بمصر في وقت ولايته، فوجده أربعة وعشرين ألف فدان . والباقي استبحر وتلف .

١٥ واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوماً . والحراث يُحرث خمسين فداناً، فكانت محتاجة إلى أربع مائة ألف وثمانين ألف حرث .



### وأما الفرات

٢٠ فهو أحد الترافدين، ويقال الوافدين، والآخردجلة، سميا بذلك لأنها يجريان في جانبي بغداد : دجلة من شرقها، والفرات من غربها، يأتي إليها من دجلة

من واسط ، والبصرة ، والأبلة ، والأهواز ، وفارس ، وعمان ، والجمامة ، والبحرين ،  
وسائر بلاد الهند ، والسند ، والصين ، ويأتي إليها من الفرات من الموصل ، وأذربيجان ،  
وإزمينية ، والجزيرة ، والتمغور ، والشام ، ومصر ، والمغرب ؛ وقد تقدم ذكرنا لحديث  
البخارى أنه يجري من تحت سدره المنتهى .

- ٥ وأما مبتدأ جريه الذي يعرفه الناس ، فن مدينة قالقلا من نهر يسمى أودخش ،  
ويجري مقدار أربعين ميلاً مغرباً ، ثم يخرج من جهة الجنوب حتى يميز بين  
نهرى ملطية ، وشميساط ؛ ثم إلى جسر منبج ؛ ثم يعطف ويأخذ جهة الجنوب حتى  
يصل إلى باليس ويمر بنصيبين ، والرقة ، وقرقيسيا ، والرغبة ؛ فيلتحف على عانات ؛  
ثم يمتد حتى يميز بهيت والأنبار . فإذا جاوزها أقسم قسمين : قسم يأخذ نحو  
١٠ الجنوب قليلاً وهو المسمى بالعلقم ، ينتهي إلى بلاد سورا وقصر ابن هبيرة والكوفة  
والحلة ، إلى البطيحة التي بين البصرة وواسط ؛ والقسم الآخر يسمى نهر عيسى ،  
منسوب لعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو ينتهي إلى بغداد ، ويمر حتى  
يصب في دجلة .

- قال المسعودي : وقد كان الأكثر من ماء الفرات ينتهي إلى بلاد الحيرة ؛ ثم  
١٥ يتجاوزها ويصب في البحر الفارسي ، وكان البحر يوم ذاك في الموضع المعروف  
بالجف في هذا الوقت ، وكانت مراكب الهند والصين ترد على ملوك  
الحيرة فيه .

قال : والموضع الذي كان يجري فيه بين إلى زمن وضعي هذا الكتاب ، يعني  
”كتاب مروج الذهب“ وهو في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، ويعرف بالعتيق ، وعليه  
كانت وقعة القادسية .

وطول الفُرات من حيثُ يخرجُ عند مَلْطِيَّة إلى أن يأتي ما يأتي منه إلى بغداد  
سُمِّيَتْ فرسخ وثلاثَةٌ وعشرون فرسخًا ، وفي شَطْطِه مُدُنٌ في جزائر تعدُّ من أعمال  
الفراتِ ، وهي الرِّيْسة ، والناووسة ، والقَصْر ، والحَدِيثَة ، وعانات ، والدَّالِيَّة .



### وأما نهر دجلة

ويسمى السلامة<sup>(١)</sup> ، وبه سميت بغداد دار السلام على أحد القولين ، والثاني  
السلام على الخلفاء فيها .

وهذا النهر فارز بين العراق والجزيرة ، وأنبعاته من أعين بجبال آمد ، ويصب  
إليه نهران يخرجان من أرزن الروم وميًّا فارقين وعيون أخرى من جبال السلسلة ،  
فيتمز ببلد ، ثم بالموصل فيصب فيه نهر الخابور الخارج من بلاد إرمينية بين بلاد  
سورا وقبر سابور ، ويصب فيه الزاب الأكبر الخارج من بلاد أذربيجان على فرسخ  
من الحديثة ، ويسمى المجنون لحذته وشدة جريه ، ثم تمر دجلة فيصب فيها الزاب  
الأوسط ، ومخرجه من الفرات ويجرى بين إربيل ودقوقاء . ويصب في دجلة أيضا  
الزاب الأصغر ، ومخرجه أيضا من الفرات .

وهذه الزوايا الثلاثة أنبها زاب بن طهماسب : أحد ملوك الفرس الأول . ثم تمر  
دجلة بتكريت إلى أن تتجاوز سامرا قليلا فيقع فيها نهر عيسى ويمر حتى يشق بغداد .  
فإذا تجاوزها صب فيه نهر يخرج من بلاد إرمينية يسمى تاعرا بعد أن يمر بناصلو  
ثم بباجسرا فيسمى النهروان ، ويشق مدينة تعرف به ، ثم تمر دجلة بجزايا والتعمانية  
ثم بواسط ، ثم إلى البطائح ، ثم تخرج منها فتعمر بالبصرة وتجري حتى تنتهي إلى عبّادان ،  
وعندها تصبُّ في البحر الفارسي .

وما يمر من دجلة بالبصرة يملح إذا مد البحر فلا يشرب منه آلبته ، ويحلو إذا جرز .

(١) كذا بالأصول ، ولعله «السلام» بدون تاء .

- فأهل البصرة ينتظرون بالاستقاء منه الجزر، وهو يمد بكرة ويجزر عشاء .
- وكانت المراكب التي ترد من الهند والصين تدخل في دجلة من بحر فارس إلى مدينة المدائن ، فاتفق أن أبتق في أسافل كسكر بئق عظيم على عهد قباد بن فيروز فأهل حتى طغى ماؤه وغرق عمارات وضياعا فصارت بطائح .
- ٥ ويسمى هذا البئق دجلة العوراء لتحويل الماء عنه . وصار بين دجلة الآن ودجلة العوراء مسافة بعيدة تسمى بطن جوحى ، وهو من حد فارس من أعمال واسط الى نحو السوس من أعمال خوزستان .
- ويقال إن كسرى أنفق أموالا عظيمة على أن يحول الماء إليها فأعياء ذلك . ورامه خالد بن عبدالله القسرى فعجز عنه .
- ١٠ § ومقدار مسافة جري نهر دجلة الى أن يصب في البحر الفارسي ثلاثمائة فرسخ ؛ ومقدار البطائح ثلاثون فرسخا طولا وعرضا . وهي تفيض في كثير من الأوقات حتى يحشى على بغداد الغرق .

\* \*

### وأما نهر سجستان

- ١٥ § ويسمى الهند مند، فيقال إن منوچهر بن أيراج بن أفريدون أنبطه .
- § وهو يجري من عيون في بلاد الهند ويمتد ببلد الغور؛ فإذا تجاوزها، مر من أعلى سجستان على بر رُحج، ثم على بسط، ثم على دونج فتفرع منه أنهار تجري في شوارعها، ثم يمر عمود النهر حتى يصب في بحيرة زرة .
- (١) وسماه المسعودي "الهرمد" في كتاب "التهذيب والإشراف" .
- (٢) في المسعودي "أيران" وقال : إن أيران تسميه الفرس أيراج .
- (٣) هي المشهورة باسم "بست" . ومنها أبو الفتح البستي الشاعر المعروف .
- (٤) لم نعتز على هذا الاسم فيما بيننا من كتب الجغرافيا العربية، ولعلها هي نفس المدينة التي ذكرها ياقوت وغيره باسم "زرنج" وقال : إنها قبة سجستان .

§ وطول هذا النهر من حيث يتدنى الى نهايته مائة فرسخ .

وزعم قوم أنه يخرج من نهر الكك .

+

### وأما نهر مهران •

§ وهو نهر السند ، فهو يشبه نيل مصر في زيادته ونقصه وأصناف حيوانه وما يتفرع منه من الخُلجان .<sup>(١)</sup>

§ وهو يستمد من أربعة أنهر : نهران يجريان من السند ، ونهر من ناحية كابل ، ونهر من بلاد قشمير . وتجتمع فتكون نهرا واحدا ، ويجرى حتى ينتهي الى الدور فيمتر بها ، ومن ثم يسمى نهر مهران ، ثم يمر بالموتان ، ثم بالمنصورة ، ثم يجرى الى ديبيل . فإذا تجاوزها صب في بحر الهند على ستة أميال منها .

§ وطوله ألف فرسخ .

+

(٢)

### وأما نهر جيحون

ويسمى بالفارسية "به روز" وهو "نهر بلخ"<sup>(٣)</sup> .

§ وأنبعثه من بحيرة في بلاد التبت مقدارها طولاً وعرضاً أربعون ميلاً ، تجتمع من أنهار الختل .

(١) لا يزال اسم "مهران" عليها يطلقه بعض الهنود الى الآن على القسم الأسفل من نهر السند .  
 (٢) في الأصل "جيحان" . وهو خطأ لأن جيحان نهر آخر في آسيا الصغرى و يعرف بنهر المصبغة ويصب في بحر الشام . (أنظر معجم ياقوت وابن رسته في "التبیه والإشراف") .  
 (٢) ويسمى أيضا نهر كالف على ما رواه المسعودي باسم قلعة حصينة ، قال ياقوت : إنها قائمة على طرفه شبيهة بالمدينة بينها وبين بلخ ثمانية عشر فرسخا .

فإذا خرج منها مر بوخان فيسمى نهر جرياب، ويجرى من المشرق إلى المغرب إلى أعلى حدود بلخ. ثم يعطف إلى ناحية الشمال إلى أن يصير إلى الترمذ، ثم منها إلى زم وأمل من بلاد خراسان. ثم يجرى إلى أن يمر ببلاد خوارزم فيشق قصبها. فإذا تجاوزها تشعب منه أنهار وخلجان يمينا وشمالا، تصب إلى مستنقعات وبطائح يصاد فيها السمك.

ثم تخرج منها مياه تجتمع وتصير عمودا واحدا، تجري مقدار أربعة وعشرين فرسخا، ثم تصب في بحيرة خوارزم.

§ ويكون مقدار جريه من مبدئه إلى نهايته ثلثمائة وخمسين فرسخا، وقيل: أربعمائة. وساحله يسمى الروذبار<sup>(٢)</sup>.

١٠ ويقال إنه يخرج منه خليج يأخذ سمت المغرب حتى يقرب من كرمان، ثم يمضي حتى يصب في بحر فارس.

§ ونهر جيحون ربما جمد في الشتاء حتى تعبر عليه القفول. قالوا: ويتبدى جموده من ناحية خوارزم.



### وأما نهر سيحون

١٥

ويسمى نهر الشاش، وهو فارز بين بلاد الهياطلة وبلاد تركستان.

§ قال ابن حوقل: مبتدؤه من أنهار تجتمع في حدود بلاد الترك [والإسلام]، فتصير عمودا واحدا وتجري حتى تظهر في حدود أوزكند من بلاد فرغانة فتصب فيه

(١) في الأصول "جواب" والتصحيح عن الإسطخرى وابن حوقل.

٢٠ (٢) قال ياقوت: كان معناه بالفارسية "موضع النهر". ثم نقل عن السمعاني أن الروذبار لفظة لمواقع عند الأنهار الكبيرة في بلاد منفرة. ثم ذكر رودبار بلخ، ثم قال: وبالشاش أيضا؛ قرية يقال لها رودبار من وراء جيحون. ولعل المراد هنا بلاد النهر أي نهر جيحون، كما قالوا زنجبار أي بلاد الزنج.

فيعظم ويكثر ماؤه، ثم يمتد إلى فاراب . فإذا تجاوزها يجري في برية فيكون على جانبيه الأترار الغزبية، ويمر إلى أن يصب في نهر جيحون<sup>(١)</sup> .

وبين موقعه في النهر وبين بحيرة خوارزم عشرة أيام .

+  
+

### وأما نهر الكنك<sup>(٢)</sup>

وهو نهر تعظمه الهند، فينبعث من بلاد قشмир ويجري في أعلى بلاد الهند .

§ وهم يزعمون أنه من الجنة فيعظمونه غاية التعظيم .

§ ومن عجائبه أنه إذا ألقى فيه شيء من القاذورات، أظلم جوه ورجفت أرجاؤه وكثرت الأمطار والرياح والصواعق .

§ وقد وصفه العتبي في "التاريخ اليميني" فقال :

"وهذا النهر الذي يتوآصف الهنود قدره وشرقه، فيرون من عين الخلد التي في السماء مغترقه، إذا أحرقت منهم ميت ذروه فيه بعظامه، فيظنون أن ذلك طهر لآتامه، وربما أتاه الناسك من المكان البعيد فيغرق نفسه فيه، يرى أن هذا الفعل ينجيه . والهنود يقرطون في تعظيمه حتى إن الرجل منهم إذا أراد الفوز، أحرقت نفسه وألقى رماده فيه، أو يأتي إلى النهر (وهناك شجر القنا في غاية الارتفاع، وقوم هناك بأيديهم سيوف مسلولة وخناجر) فيربط نفسه في طرف قناة، ثم يحز رأسه بيده

(١) اختصر المؤلف كلام ابن حوقل اختصاراً خفيفاً (وانظر كلام ابن حوقل في كتابه "المسالك

والممالك" ص ٣٩٢ - ٣٩٣) .

(٢) قال أبو الفدا : إن اسمه الهندى : كانكو، وسماه المسعودى "جنجن" في كتاب "التنبيه

والإشراف"

فيبقى الرأس معلقا في طرف القناة وتسقط الجنة ، أو يلقى نفسه من شاطئ على تلك السيوف والخناجر فيقطع ، ومنهم من يلقى نفسه في النهر فيغرق ” .



### وأما نهر الكُتْر

فهو نهر بأرض إرمينية .

§ وأتبعائه من بلاد الألان ، فيمتد ببلاد الأبخاز حتى يأتي نهر تفليس فيشقّه<sup>(١)</sup> ويجري في بلاد الساوردية . ثم يخرج بأرض بردعة ، ويجري إلى برزنج فيصب فيه نهر الرّس . وهذا النهر هو المذكور في القرآن العزيز في قوله تعالى : ( وَأَصْحَابُ الرَّسِّ ) على ما ذهب إليه بعض المفسرين . فإذا صب فيه هذا النهر ، صارا نهرا واحدا يصب في بحر الخزر .

§ ونهر الرّس يخرج من أقاصى بلاد الروم ، على ما زعم المسعودى .



### وأما نهر إتل

§ وهو نهر عظيم ، فهو نهر الخزر .

§ ويمتد جانبه الشرقى على ناحية خرخرز ، ويجرى ما بين الكيماكية والغززية . ثم يمتد غرباً على ظهر بلغار وبرطاس والخزر . ثم ينقسم قسمين : أحدهما إلى مدينة إتل

(١) في الأصول ” الأبحار ” . والأصوب ” الأبخاز ” كما أثبتناه وهو اسم لجهة من بلاد إرمينية وقد ذكر الأبخاز كل من الإصطخرى وابن حوقل والمقدسى وابن خرداذبه والمسعودى .

(٢) جبل من الأرمن يسميهم العرب أيضا ” الساوردية ” ويصفونهم بأنهم ” أهل العبث والفساد والتلصص ” ( عن حاشية في ص ١٩٢ من ” مسالك أمالك ” للإصطخرى ) .

(٣) في الأصل ” كذب أصحاب الرّس المرسلين ” وهو غير نظم القرآن ، فتنبه .

(٤) مدينة كانت على نهر الإتل ببلاد روسيا . ومنها خرج البلغار إلى البلاد المعروفة الآن باسمهم .

يشقها نصفين ويجرى الى أن يصب في بحر الخزر، ويجرى الاخر فيمتر ببلد الروس حتى يصب في بحرهم وهو بحر سوداق .

§ ويقال إنه يتشعب منه نيف وتسعون نهرا . وإذا وقع في البحر ، يجرى فيه مسيرة يومين ثم يغلب عليه .

§ وقيل إنه يجمد في الشتاء ، ويتبين لونه في لون البحر .  
والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ذكر ما في المعمور

من الأنهار والعيون التي يتعجب منها

قال صاحب "مباحج الفكر، ومناهج العبر" في كتابه :

«وذكر المعتنون بتدوين العجائب في كتبهم التي وضعوها لذلك أن في المعمور أنهارا وعيونا يتعجب منها إذا أُخبر عنها . فذكروا منها نهر السكك (وقد تقدم ذكره) وأن بأرض الهند مكانا يعرف بعقبة عورك فيه عين ماء لا تقبل نجسا ولا قدرا، وإن ألقى فيها شيء من ذلك، آكفهرت السماء وهبت الريح وكثر الرعد والبرق والمطر، فلا تزال كذلك إلى أن يُخرج منها ما طُرح فيها .

«وذكروا أن في ناحية الباميان عينا تسمى ديواش تفور من الأرض كغليان القدر؛ متى بصق فيها إنسان أو رمى فيها شيئا من القاذورات، أزداد غليانها وفورانها وفاضت . فربما أدركت من جعل ذلك فيها ففترفته .

«وبناحية الباميان أيضا عين تجرى من جبل في بعض الأحيان . فإذا خرج

ماؤها، صار حجرا أبيض .

«وبقرية من أعمال فارس كهف بين جبال شاهقة فيه حفرة بقدر الصخرة،  
يقطر فيها من أعلى الكهف ماء، إن شرب منه واحد لا يفضل عنه منه شيء، وإن  
شرب منه ألف عمهم وأرواهم .

«وبناحية أردشير جرد عين<sup>(١)</sup> يجرى منها ماء حلوي شرب لشقية الجوف . فمن  
شرب منه قدحا أقامه مرة، وإن زاد فعلى قدر الزيادة .

«وبدارين من أعمال فارس نهر ماؤه شروب . إذا غطت فيه الثياب خضرها .  
وفي بعض رساتيق همذان عيون متى خرج منها الماء تحجر .

«وبنواحيها أيضا ماء يخرج من تحت قلعة ويجرى في جداول الى بعض  
الرساتيق فما تشبث منه في صدع أو شق صار حجرا صلدا ، وإذا صب في خرفة  
وأقام فيها ثلاثة أيام ثم كسرت، وجد في جوفها أخرى قد تحجرت من الماء .  
«وبناحية تغليس عين تبغ، فإذا خرج منها الماء صار حيات .

«وبأرض القدموس من حصون الدعوة بربخها حمام يجرى إليها الماء من عين  
هناك . فإذا كان في أول شهر تموز ينبغ في الحمام حيات في طول شبرين أولا، ثم  
في طول شبر، وتكثر . ولا توجد في غير الحمام . فإذا انقضى شهر تموز، عُدمت  
تلك الحيات، فلا توجد الى العام القابل .

«وبأرض إرمينية وإدلا يقدر أحد [أن] ينظر اليه ولا يقف عليه ولا يدرى ما هو .  
إذا وضعت القدر على صفته غلت ونضج ما فيها . وفيها وإد عليه الأرحاء والبساتين .  
ماؤه حامض، فإذا نزل في الإناء عذب وحلا .

٩٧

(١) في معجم ياقوت: "أردشير نخوة" مضبوطا بالعبارة .

«وبالمراغة عيون إذا خرج ماؤها لم يلبث إلا قليلا حتى يتحجر . فمنه تُقرش

دورهم .

«وبنواحي أرزن الروم ماء يستقى فيستحجر ويصير ملحا .

«وأكثر مياه بلاد اليمن تستحيل شبا .

« وبنواحي واحات من أعمال مصر عيون مياهها ألوان مختلفة : من الحمرة

والصفرة والخضرة . تسيل إلى مستنقعات ، فتكون ملحا بحسب ألوانها .

« وفي هذه الناحية عيون يطبخ بمائها بدلا عن الخل .

« وبنواحي أسوان من الصعيد الأعلى مستنقعات منها النفط .

«وكذلك بتكريت من أرض العراق .

« وبارض كمامة<sup>(١)</sup> من بلد إفريقية عين تسمى عين الأوقات : تجرى في أوقات

الصلوات الخمس . فإذا حضر جنب أو امرأة حائض ، لا تبض بشيء من الماء .

وإذا أتتهم رجالان ، أتت بالماء للصادق وشحنت على الكاذب .

« وبلد إفريقية أيضا عين تنبع بالمداد ، يكتب به أهل تلك الناحية .

« وبطرطوشة من بلاد الأندلس وإد يجرى رملا .

قال : وذكر بعض أصحاب المجاميع أنه كان بمدينة طحا من كورة الأشمونيين

من صعيد مصر بر فيها ماء معين يشرب منها طول أيام السنة فيكون الماء كسائر

المياه ، حتى إذا كان أول يوم من برمودة من شهور القبط فن شرب من ذلك الماء

يومئذ خدمته الطبيعة مقدار ما شرب . فإذا كان وقت الزوال عاد الماء الى حالته

الأولى ، ثم لا يفعل كذلك إلا في مثل ذلك اليوم من العام القابل .

(١) في الأصل : «كمامة» وهو غلط من النسخ ، لأن «كمامة» قبيلة من البربر منتشرة فيما بين برقة

الى أرض الجزائر .

وقال : إنه كان بمدينة الأشمونيين كنيسة تعرف ببو جرج إلى جانبها بئر لا نداوة فيها ولا بلل في سائر أيام السنة ، فإذا كان اليوم العاشر من طوبة من شهور القبط تمتلئ تلك البئر ماءً شروباً . فلا يبقى أحدٌ من نصارى ذلك البلد إلا يأخذ من ذلك الماء للتبرك به . حتى إذا كان عند الزوال ، غاض الماء فلا يبقى في البئر منه شيء ويجفُّ لوقته .

«وبأرض مرمينثا من عمل حصن الأكراد عين تسمى الفقارة . تكون في غالب الأوقات بينها وبين وجه الأرض تقدير ثلاثة أذرع . وتفور في بعض الأيام ويخرج منها ماءٌ يدير أرحية الطواحين ويسقى البساتين فيستمر كذلك بعض يوم ثم يغور . ويتكرر ذلك في الأسبوع مرتين وثلاثة» .

- ١٠ «وبقلعة بعلبك من الشام بئر تعرف ببئر الرحمة لا يرى فيها الماء إلا إذا حوصرت . فإنها عند ذلك تمتلئ حتى تفيض فإذا زال الحصار جفَّت» .

### ذكر ما يُتمثل به مما فيه ذكر الماء

( ما جاء من ذلك على لفظ أفعال )

الأمثال :

١٥

يقال :

أسرع من الماء إلى قراره .

أرق من الماء .

أحمق من لاعيق الماء .

أحمق من القابض على الماء .

أصْفَى من ماء المَفَاصِلِ .

أَعْدَبُ من ماء المَفَاصِلِ .

أُجْرَى من الماء .

أَعْدَبُ من ماء الحَشْرَجِ .

أَعْدَبُ من ماء البَارِقِ .

أَلْطَفُ من الماء .

أَوْجَدُ من الماء .

ويقال :

أَنْ تَرَدَّ المَاءُ بِمَاءٍ أُكْيَسُ .

مَاءٌ وَلَا كَصَدَاءِ .

قَدْ بَلَغَ المَاءُ الزُّبَى .

ويقال :

فَلَانٌ يَرْقُمُ عَلَى المَاءِ . (إذا كان حاذقاً) .

ثَأْطَةٌ مُدَّتْ بِمَاءٍ . (للامر زداد فساداً) .

لَيْسَ الرِّىُّ فِي التَّشَافِ . (في ذم الاستقصاء) .

المَاءُ إِذَا طَالَ مَكْنِئُهُ ، ظَهَرَ خَبْئُهُ ؛ وَإِذَا سَكَنَ مَتْنُهُ ، تَحَزَكَ نَتْنُهُ .

الكَدْرُ من رَأْسِ العَيْنِ .

إِذَا عَدَبَتِ العُيُونُ ، طَابَتِ الأَنْهَارُ .

هَذَا غَيْضٌ من قَيْضٍ ، وَبَرَّضٌ من عَيْدٍ . (أى قليل من كثير) .

ومن أضاف الأبيات

\* والمرءُ يَشْرَقُ بِالزُّلَالِ البَارِدِ \* \* كذلك تَمْرُ المَاءِ يُرْوَى وَيُفْرَقُ \*  
\* والمَشْرَبُ العَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ \* \* مَوَاقِعُ المَاءِ مِنْ ذِي العُلَّةِ الصَّادِي \*  
\* وكيف يَعَافُ الرِّقَ مَنْ كَانَ صَادِيًا؟ \*

ومن الأبيات

يا سَرْحَةَ المَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ \* \* أَمَا إِلَيْكَ سَبِيلٌ غَيْرُ مَسْدُودِ  
لِحَائِمِ حَامٍ حَتَّى لَا حَيَامَ بِهِ \* \* مُحَلِّيًا عَنِ طَرِيقِ المَاءِ مَصْدُودِ  
وقال آخر:

أَيَجُوزُ أَخْذُ المَاءِ مِنْ \* \* مَتَلَهَّبِ الأَحْشَاءِ صَادِي

وقال آخر:

أَرَى مَاءً وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ \* \* وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الوُرُودِ

وقال آخر:

مَنْ غَضَّ دَاوَى بِشُرْبِ المَاءِ غَضَّتَهُ \* \* فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ قَدْ غَضَّ بِالمَاءِ

وقال آخر:

وَمَا كُنْتُمْ إِلَّا المَاءَ جِئْنَا لَشُرْبِهِ \* \* فَلَمَّا وَرَدْنَا إِذَا المَاءُ جَامِدٌ

وقال آخر:

وَفِي نَظْرَةِ الصَّادِي إِلَى المَاءِ حَسْرَةٌ \* \* إِذَا كَانَ مَمْنُوعًا سَبِيلَ المَوَارِدِ

وقال آخر:

وَإِنِّي لَمَاءِ المَخَالِطِ لِلقَدَى \* \* إِذَا كَثُرَتْ وَزَادَهُ لِعَيُوفِ

وقال آخر :

سَأَفْعُ بِالْثَمَادِ لَعْلٌ دَهْرًا \* يَسُوقُ الْمَاءَ مِنْ حُرِّ كَرِيمٍ

وقال آخر :

وَمَنْ يَأْمِنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ \* عَلَى الْمَاءِ خَانَتَهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ

وقال آخر :

وَأَيُّ وَاشْتِرَانِي عَلَيْكَ يَهْمَتِي \* لَكَالْبِتْعِي زُبْدًا مِنَ الْمَاءِ بِالْمَخْضِ

وقال آخر :

فَقُلْ فِي مَكْرَعِ عَذِيبٍ \* وَقَدْ وَاقَاهُ عَطْشَانُ

وقال آخر :

وَكَيْفَ الصَّبْرُ عِنْدَكَ وَأَيُّ صَبْرٍ \* لِظَمَانٍ عَنِ الْمَاءِ الزُّلَالِ

١٠

وقال آخر :

وَإِنَّ الْمَاءَ فِي الْعِيدَانِ يَجْرِي \* وَرُبَّمَا تَغَيَّرَ فِي الْحُلُوقِ

وقال آخر :

إِذَا أَنَا عَاتَبْتُ الْمَلُولَ فَأَيْتَمَا \* أَخْطُ بِأَقْلَامٍ عَلَى الْمَاءِ أَحْرَفَا

وقال آخر :

١٥

وَالْمَاءُ لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ أَعَذَّبَهُ \* يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمُرُ الْآجِنِ الْأَسِينِ

وقال آخر :

الْمَالُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ مَا لَمْ يَفُضْ \* فِي الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ سُوءَ تَنْبَاءِ

كَلِمَاءِ تَأْسِينُ بِيْرِهِ إِلَّا إِذَا \* خَبَطَ السُّقَاةُ جِهَامَهُ بِدَلَاءِ

ذكر شيء مما قيل في وصف الماء وتشيده

§ فأما ما أختص به نهر النيل من الوصف .

فمن ذلك قول ابن النقيب :

كَأَنَّ النَّيْلَ ذُو فَهْمٍ وَأَبٍّ \* لَمَّا يَدُّو لِعَيْنِ النَّاسِ مِنْهُ

فَيَأْتِي حِينَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ \* وَيَمِضِي حِينَ يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ

وقال تميم بن المعز العبيدي :

يَوْمَ لَنَا بِالنَّيْلِ مَخْتَصِرٌ \* وَلِكُلِّ يَوْمٍ مَسْرَّةٌ قَصِيرٌ

وَالسَّقْنُ تَجْرَى كَالْحَيُولِ بِنَا \* صُعْدًا وَجَيْشُ الْمَاءِ مُنْحَدِرٌ

فَكَأَنَّمَا أَمْوَاجُهُ عُكَّنٌ \* وَكَأَنَّمَا دَارَاتُهُ سُرُرٌ

§ ومن رسالة للفاضل عبد الرحيم البيساني قال :

وأما النيل فقد ملا البقاع ، وانتقل من الإصبع الى الدراع ، فكأنما غار على

الأرض فغطاها ، وأغار عليها فاستقعدها وما تحطأها . <sup>(١)</sup> فما يوجد بمصر قاطع طريق

سواه ، ولا مرغوب مرهوب إلا إياه .

وأما ما أختصت به دجلة من الوصف :

قال التنوخي عفا الله عنه :

وَكَأَنَّ دِجْلَةَ إِذْ تَغَطَّطَ مَوْجُهَا \* مَلِكٌ يَعْظَمُ خَيْفَةً وَيَجْعَلُ

عَدْبَتَ مَا أَدْرَى أَمَاءُ مَاؤُهَا \* عِنْدَ الْمَذَاقَةِ أَمْ رَحِيقٍ سَلْسَلُ

وَكَأَنَّهَا يَاقُوتَةٌ أَوْ أَعْيُنٌ \* زُرْقٌ يَلَاءَمُ بَيْنَهَا وَيُوصَلُ

وَلَهَا بَمَدٍّ بَعْدَ جَزْرِ ذَاهِبٍ \* جَيْشَانِ يَدْبُرْذَا وَهَذَا يُقِيلُ

٢٠ (١) كذا في حسن المحاضرة للسيرطلي ج ٢ ص ٢٥٤ طبع مصر وهو الصواب . وفي الأصل «ونار» .

(٢) كذا في معاهد التصيبص ص ١٨٢ طبع بولاق وهو الصواب . وفي الأصل : «تغصن» .

وقال محمد بن عبد الله السلمي شاعر "البيمة" :

وميدانٍ تجُولُ به حَيُولٌ \* تَقُودُ الدَّارِعِينَ <sup>(١)</sup> وَلَا تُقَادُ  
رَكِبْتُ به إِلَى اللِّذَاتِ طِرْفًا \* له جَنَمٌ وِلَيْسَ له فُؤَادُ  
جَرَى فَظَنَنْتُ أَنَّ الأَرْضَ وَجَهٌ \* وَدَجَلَةٌ نَاطِرٌ وَهوَ السَّوَادُ

وقال الصنوبري :

فَلَمَّا تَعَالَى البَدْرُ وَأَشْتَدَّ ضَوْؤُهُ \* بِدِجَلَةٍ فِي تَشْرِينَ بِالأَطْوَالِ وَالعَرَضِ  
وَقَدْ قَابَلَ المَاءَ المَقْضُضَ نُورُهُ \* وَبَعْضُ نَجُومِ اللَّيْلِ يُطْفِئُ سَنَا بَعْضِ  
تَوَهُمِ ذُو العَيْنِ البَصِيرَةِ أَنَّهُ يَرَى ظَاهِرَ الأَفلاكِ فِي بَاطِنِ الأَرْضِ

### ومما وُصِفَتْ به الأَنْهَارُ

قال الصنوبري :

وَالعَوَاجِزُ الَّتِي كَلَّفَتْ به \* قَدْ سَوَى الحُسْنِ فِيهِ مَدَّ عَوَجِ  
مَا أَخْطَأَ الأَيْمِ فِي تَعَوُّجِهِ \* شَيْئًا إِذَا مَا آسْتَقَامَ أَوْ عَرَّجِ  
تُدْرَجُ الرِّيحُ مَتْنَهُ فَتَرَى \* جَوْشَنَ مَاءٍ عَلَيْهِ قَدْ دُرَجِ  
إِنْ أَعْتَمَتْ بِالجَنُوبِ أَعْتَقَ فِي \* لُطْفٍ وَإِنْ هَمَلَجَتْ به هَمَلَجِ  
مَنْ أَيْنَ طَافَتْ شَمْسُ النِّهَارِ به \* حَسِبَتْ شَمْسًا مِنْ جَوْفِهِ تَخْرُجِ

وقال أبو فراس :

والماءُ يَفْصِلُ بَيْنَ زَهْدٍ \* سرِ الرُّوضِ فِي الشَّطِئِينَ فَصَلَا  
كِبْسَاطٍ وَشِي جَرَّدَتْ \* أَيْدِي القُيُونِ عَلَيْهِ نَصَلَا <sup>(٢)</sup>

(١) أنظر قبل هذا ص ٢٥٦ في وصف البحر والسفن . وكتب في بعض الأصول عند هذا الموضع

لفظة "مكرر" .

(٢) القيون : جمع قين وهو الحداد . وفي الأصل «القيان» وهو تحريف .

وقال الناجم :

أَنْظُرُ إِلَى الرَّوْضِ الذِّكِيِّ فَحُسْنُهُ لِلْعَيْنِ قُرَّةٌ  
فَكَأَنَّ حُضْرَتَهُ السَّمَاءُ \* وَنَهْرُهُ فِيهِ الْمَجْرَةُ

وقال عبد الله بن المعتز :

وَتَرَى الرِّيحَ إِذَا مَسَّحَنَ غَدِيرَهُ \* صَفِينَهُ وَنَفِينَهُ<sup>(١)</sup> كُلَّ قِذَاةٍ  
مَا إِنْ يَزَالُ عَلَيْهِ ظِيٌّ كَارِعٌ \* كَتَطَلَّعَ الْحَسَنَاءُ فِي الْمِرَاةِ

ومثله قول الآخر :

وَعَدِيرٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ حَتَّى \* بَانَ فِي قَعْرِهِ الَّذِي كَانَ سَاخًا  
وَكَأَنَّ الطُّيُورَ إِذْ وَرَدَتْهُ \* مِنْ صَفَاءٍ بِهِ تَرْتُقُ فِرَاحًا

وقال آخر :

وَالنَّهْرُ مَكْسُوءٌ غِلَالَةً فَضَّةٌ \* إِذَا جَرَى سَيْلٌ فَتُوبَ نُضَارٍ  
وَإِذَا اسْتَقَامَ رَأَيْتَ صَفْحَةً مُنْصِلٍ<sup>(٢)</sup> \* وَإِذَا اسْتَدَارَ رَأَيْتَ عَطْفَ سِوَارٍ

وقال أبو مروان بن أبي الخصال :

النَّهْرُ قَدْ رَقَّتْ غِلَالَةُ حَصْرِهِ \* وَعَلَيْهِ مِنْ صَبْعِ الْأَصِيلِ طِرَازُ  
تَتَرَقَّرُ الْأَمْوَاجُ فِيهِ كَأَنَّهَا \* عَكَنُ الْحُصُورِ تَهْرُهَا الْأَنْجَازُ

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

لِللَّهِ نَهْرٌ سَالَ فِي بَطْحَاءٍ \* أَشْمَى وَرُودًا مِنْ لَمَى الْحَسَنَاءِ  
وَعَدَّتْ تُحْفٌ بِهِ الْغُصُونُ كَأَنَّهَا \* هُدْبٌ تُحْفٌ بِمُقَلَّةِ زَرْقَاءِ  
وَالرِّيحُ تَعْبَثُ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى \* ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لِحْيَيْنِ الْمَاءِ

(١) في الأصل «وصفينه» بزيادة الواو وهو خطأ .

(٢) يريد : أن ماء النهر يكون صافيا كالفضة حتى يجي . زمن فيضانه فيحمر بما يحمله إليه السيل معه من رمل .

(٣) المنصل (بضم فسكون فضم) هو السيف .

وقال أبو القاسم بن العطار :

مَرَرْنَا بِسَاطِئِ النَّهْرِ بَيْنَ حَدَائِقِ \* بِهَا حَدَقُ الْأَزْهَارِ تَسْتَوْقِفُ الْحَدَقُ  
وَقَدْ نَسَجَتْ كَفَّ الدَّسِيمِ مُفَاضَةً \* عَلَيْهِ، وَمَا غَيْرُ الْحُبَابِ لَهَا حَلَقُ

وقال محمد بن سهل البلخي شاعر «الذخيرة» :

رَاقَنَا النَّهْرُ صَفَاءً \* بَعْدَ تَكْدِيرِ صَفَائِهِ  
كَانَ مِثْلَ السِّيفِ مُدْمَى \* بِخَالُوهُ مِنْ دِمَائِهِ  
أَوْ كَمِثْلِ الْوَرْدِ غَضًّا \* فَهُوَ الْيَوْمَ كَمَا هُوَ

وقال القاضي التُّنُوخِيُّ شاعر «البيضة» :

أَحْبَبْتُ إِلَى نَهْرٍ مَعْقِلِ الذِّى \* فِيهِ لَقَلْبِي مِنْ هُمُومِي مَعْقِلُ  
عَدْبٌ إِذَا مَا عَبَّ فِيهِ نَاهِلٌ \* فَكَأَنَّهُ مِنْ رِيْقِ حَبِّ بِنَهْلِ  
مُتَسَلِّسٌ فَكَأَنَّهُ لَصَفَائِهِ \* دَمْعٌ يُخَدِّي كَاعِيبٍ يَتَسَلَّسِلُ  
فَإِذَا الرِّيَّاحُ جَرَيْنَ فَوْقَ مُتُونِهِ \* فَكَأَنَّمَا دِرْعٌ جَلَاهُ الصِّقْلُ

وقال مؤيد الدين الطُّغْرَايِي فِي الْغَدِيرِ :

مُجْنَا إِلَى الْجَزَعِ الذِّى مَدَّ فِي \* أَرْجَائِهِ الْغَيْمُ بِسَاطِ الزَّهْرِ  
حَوْلَ غَدِيرٍ مَأْوَاهُ الْمَسْمِيُّ \* إِلَى بِنَاتِ الْمَرْزِ يَسْكُو الْخَصْرُ  
لَوْلَاذَاتِ الرِّيْحِ تَمُومًا بِهِ \* لِأَنْقَلَبَتْ وَهِيَ تَسِيمُ السَّحْرِ  
حَضْبَاؤُهُ دُرٌّ وَرَضْرَاضُهُ \* سُخَّالَةُ الْعَسْجِدِ حَوْلَ الدَّرْرِ  
وَقَدْ كَسَتْهُ الرِّيْحُ مِنْ نَسْجِهَا \* دِرْعًا بِهِ يَلْقَى نَيْسَالِ الْمَطَرِ  
وَأَبْسَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ صِبْغِهَا \* نُورًا بِهِ يَحْطَفُ نُورَ الْبَصْرِ  
كَأَنَّهَا الْمِرْآةَ مَجْلُوءَةً \* عَلَى بِسَاطِ أَخْضَرٍ قَدْ نُشِرَ

(١) كذا في ديوانه وفي الأصل: "لولاذه الريح الخ" وهو تحريف.

وقال أيضا :

مِلْنَا إِلَى النَّشْرِ الَّذِي تَرْتَقِي \* إِلَيْهِ أَنْفَاسُ الصَّبَا عَاطِرَةٌ  
 حَوْلَ غَدِيرٍ مَأْوَاهُ دَارِعٌ \* وَالْأَرْضُ مِنْ رِقَّتِهِ حَاسِرَةٌ  
 وَالشَّمْسُ إِنْ حَازَتْهُ رَأْدُ الضُّحَى \* حَسَنَاءُ فِي مِرَاتِهَا نَاطِرَةٌ  
 وَالشُّهْبُ إِنْ حَازَتْهُ جُنْحُ الدُّجَى \* تَسْبِجُ فِي لُجَّتِهِ الزَّاحِرَةُ  
 قَدْ رَكِبَ الْخَضْرَاءُ فِيهِ فِرْنٌ \* حَصْبَانِهِ أَنْجُمُهَا زَاهِرَةٌ  
 يَحْضُرُ إِنْ مَرَّتْ بَارِجَانِهِ \* لَفْحُ سَمُومٍ فِي لَطْفِ هَاجِرَةٍ  
 أُمَّوَدَّجُ الْمَاءِ الَّذِي جَاءَنَا السُّوْعُدُ بَأَن نُسْقَاهُ فِي الْآخِرَةِ

ومما وصفت به البرك



قال البحرى عفا الله عنه :

يَا مَنْ رَأَى الْبِرْكََةَ الْحَسَنَاءَ رَوَيْتُهَا \* وَالْآنَسَاتِ الَّتِي لَاحَتْ مَعَانِيهَا  
 مَا بَالُ دِجَلَةَ كَالْفَيْرَى تَنَافَسَهَا \* فِي الْحُسْنِ طَوْرًا، وَأَطْوَارًا تَبَاهِيهَا  
 كَأَنَّ جِنَّ سُلَيْمَانَ الَّذِينَ وُلُّوا \* إِبْدَاعَهَا فَادَّقُوا فِي مَعَانِيهَا  
 فَلَوْ تَمَرَّتْهَا بِلَقَيْسٍ عَنْ عُرْضٍ \* قَالَتْ هِيَ الصَّرْحُ تَمِيلًا وَتَسْبِيهَا  
 تَنْصَبُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُعْجَلَةٌ \* كَالْحَيْلِ خَارِجَةً مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا  
 كَأَمَّا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةٌ \* مِنْ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا  
 إِذَا عَلَّمَتْهَا الصَّبَا أَبَدَتْ لَهَا حُبْكًا \* مِثْلَ الْجَوَاشِينِ مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا  
 إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِيهَا \* لَيْلًا حَسِبْتَ سَمَاءَ رُكْبَتِ فِيهَا

(١) في الأصل "يخضر" وفي ديوانه (الموجود منه نسخة مخطوطة) «بدارالكتب المصرية» "يخضر"

وكلاهما تحريف، ويخضر: من الخضر، وهو شدة البرد كما يقتضيه السياق .

لا يبلغ السمك المحصور غايتها \* لبعيد ما بين قاصيها ودانيتها  
يعمن فيها بأوساط مجنحة \* كالطير تنقض في جو خوافها  
كانها حين لجت في تدفقها \* يد الخليفة لما سال واديتها

وقال ابن طباطبا :

كم ليلة ساهرت أنجمها لدى \* عرصات أرض ماؤها كسمايتها  
قد سيرت فيها النجوم كأنما \* فللك السماء يدور في أرجائها  
أحسن بها بحرا اذا التبس الدجى \* كانت نجوم الليل من حصبايتها  
ترنو الى الجوزاء وهي غريقة \* تبغى النجاء ولات حين نجائها  
تطفو وترسب في اصطفاق مياها \* لا مستعان لها سوى اسمائها  
والبدر يخفق وسطها فكأنه \* قلب لها قد ريع في أحشائها

وقال عبد الجبار بن حمديس يصف بركة يجرى إليها الماء من شاذروان من

أفواه طيور وزرافات وأسود، من أبيات :

والماء منه سبائك من فضة \* ذابت على دُولاب شاذروان  
فكأنما سيف هناك مشطب \* ألقته يوم الروع كف جبان  
كم شاخص فيه يطيل تعجبا \* من دوحة نبتت من العقبان  
عجبا لها تسقى هناك ينائعا \* ينعت من الثمرات والأغصان  
خُصت بطائرة على فتن لها \* حسنت فأفرد حسنها من ناني  
فُس الطيور الساجعات بلاغة \* وفصاحة من منطق وبيان  
فإذا أتبع لها الكلام تكلمت \* ببحرير ماء دائم الهملان  
وكأن صانعها آستبد بصنعة \* نخر الجماد بها على الحيوان  
أوقت على حوض لها فكأنها \* منها إلى العجب العجائب روان

وكأنها ظنّت حلاوة مائها \* شهدا فذاقته بكلّ لسان  
 وزرّافة في الجوّ من أنبويها \* ماء يُريك الجُرى في الطيران  
 مرّكوزة كالرُخ حيث ترى له \* من طعنه الحلق أنعطاف سينان  
 وكأنما ترمي السماء ببنسُدق \* مُستنبط من لؤلؤ وجمان  
 لو عاد ذلك الماء نِفطاً أحرقت \* في الجوّ منه قِيص كلّ عنان  
 في بركة قامت على حافاتها \* أسدٌ تذلّ لعِزة السُلطان  
 نزعت إلى ظلم النفوس نفوسها \* فذلك أنترعت من الأبدان  
 وكأنما الحيات من أفواهاها \* يطرحن أنفسهن في عُدران  
 وكأنما الحيات إذ لم تحشمها \* أخذت من المنصور عهد أمان

وقال آخر :

ولقد رأيتُ وما رأيتُ كبركة \* في الحُسن ذات تدفقٍ وحرير  
 عقّدت لها أيدي المياهِ قناطرًا \* من جوهرٍ في الجُية من نور

وقال عليّ بن الجهم يصف فوّارة :

وفوّارة ثارها في السماء \* فليست تُقصر عن ثارها  
 ترأها إذا صعدت في السماء \* تعودُ الينا بأخبارها  
 تردُّ على المُنز ما أنزلت \* على الأرض من صوب مِدارها

وقال ابن حجاج فيها :

علمتُ في دارك فوّارة \* غرقت الأفق بها الأنجبا  
 فاض على نجم السماء ماؤها \* فأصبحت أرضك تسقى السما

وقال تميم بن المعز العبيدي :

وقاذفة بالماء في وسط رِكْبة \* قد ألحفت ظلًا من الأيك سجسجًا  
إذا تبت بالماء سَلْتَهُ مُنْصَلًا \* وعاد عليها ذلك النصل هودجًا  
تُحَاوِلُ إدراك النجوم بقذفها \* كأن لها قلبا على الجو مُحْرَجًا

ومما وصفت به الدواليب والنواعير

قال أبو حفص بن وضاح :

لله دُولَابٌ يطوفُ بسلسلٍ \* في روضةٍ قد أبتت أفنانا  
قد طارحت فيه الحمامُ شجوها \* بنحيبها وترجع الأحانا  
فكأنه دَنَفٌ يطوفُ بمهيدٍ \* يبكي ويسأل فيه عمرَ بانا  
ضاقت مجارى طرفه عن دَمِعه \* فتفتحت أضلعه أجفانا

وقال الموفق رحمه الله :

ناعورةٌ مُحَسَّبٌ من صوتها \* مَتِيماً يَشْكُو إلى زائرٍ  
كأنما كبرأتها عَصْبَةٌ \* رُمُوا بصرف الزمن الوائرِ  
قد منعوا أن يلتقوا فاغتمدوا \* أو طمَّس يبكي على الآخرِ

وقال آخر :

وناعورةٍ قد ضاعفت بُوَاحِها \* نواحي وأجرت مقاتي دموعها  
وقد ضعفت ممانينٌ وقد غدَّت \* من الضعف والشكوى تعدُّ ضلوعها

وقال ابن مبير الطرابلسي :

لِنواعيرها على الماء الحيا \* ن تهبج الشجا لقلب المشوق

(١) في الأصل "أبتت" .

فَهِيَ مِثْلُ الْأَفْلَاقِ شَكْلًا وَفِعْلًا • قُسِمَتْ قَسَمَ جَاهِلٍ بِالْحُقُوقِ  
بَيْنَ عَالٍ سَامٍ يَنْكَسُهُ الْحِطُّ وَيَعْلُو بِسَافِلِ مَرَزُوقٍ  
وقال أبو الفرج الواوإ :

وَكَرِيمَةٌ سَقَتِ الرِّيَاضَ بَدْرَهَا • فَعَدَّتْ تَنُوبٌ عَنِ السَّحَابِ الْهَامِعِ  
بِلِبَاسِ مَحْزُونٍ وَدَمْعَةٍ عَاشِقِي • وَحَيْنِ مُشْتَاقٍ وَأَنَّهُ جَازِعِ  
فَكَأَنَّهَا فَلَكٌ يَدُورُ وَعُلوُهُ • يَرْمِي الْقَرَارَ بِكُلِّ نَجْمٍ طَالِعِ  
وقال الصنوبري :

فَلَكٌ مِنَ الدُّوَلَابِ فِيهِ كَوَاكِبٌ • مِنْ مَائِهِ تَنْقُضُ سَاعَةَ تَطْلُعِ  
مَتَلَوْنَ الْأَصْوَاتِ يَخْفِضُ صَوْتَهُ • بِغِنَائِهِ طَوْرًا وَطَوْرًا يَرْفَعُ

### ومما وصفت به نثرا

من رسالة للشيخ ضياء الدين القرطبي إلى بعض إخوانه يستدعي منه ثلاثة  
أسهم ومليّات . جاء منها :

”... والحاجة داعية إلى ثلاثة أسهم، كأنها هقعة الأنجم، ممتدة امتداد الرشح،  
مقومة تقويم القدح، غير مشعثة الأطراف، ولا معقدة الأعطاف، ولا مسوسة،  
الأجواف، نحاس الغصون بقوامها، والقدود بتمامها، وتخالف هيقها بامتلاء  
خصورها، وتساوي [بين] هوائها وضدورها، معتدلة القدود، ناعمة الخدود،  
مع مليّات أخذت النار منها مأخذها فاسودت، وتطاوالت عليها ممدّة الجفاف  
فاشدت، وترامت بها ممدّة القدم، كأنها في حيز العدم، صلاب المكاسر، غلاظ  
المآزر، تشبه أخلاقه في هيجاء السلم، وتحكي صلابته آرائه في نفاذ الرأي ومضاه

(١) أي أخلاق المرسل إليه . (٢) كذا بالأصل .

العزم ؛ تَكْظِمُ على الماء بَغِيْظُهَا ، فتجود على الأرض بَقِيْضُهَا ؛ تمد يد أيدها  
 في آقتضاء إرادتها ، وتطلع طلوع الأنجم في فلك إدارتها ؛ وتعانق أخواتها معانقة  
 التشيع ، فأحرّ التسليم أول التوديع ؛ على أنها تُؤذِنُ بحقائق الاعتبار ، وتجري جرى  
 الفلك المُدَارِ في قناة الأعمار :

تَمُرُّ كَأَنْفَاسِ الْفَتَى فِي حَيَاتِهِ \* وَتَسْمَعِي كَسَعِي الْمَرْءِ أَثْنَاءَ عُمُرِهِ  
 يُغَارِقُ خَلَّ خِلِّهِ وَهُوَ سَائِرٌ \* عَلَى مِثْلِ حَالِ الْخَلِّ فِي لِثْرِ سَيْرِهِ  
 وَيُعَلِّمُهُ التَّدْوَارُ لَوْ يَعْقِلُ الْفَتَى \* بَأَنَّ مُرُورَ الْعُمُرِ فِيهِ كَمَرِهِ  
 فَمَنْ أَدْرَكَتْ أَفْكَارُهُ سِرَّ أَمْرِهَا \* فَقَدْ أَدْرَكَتْ أَفْكَارُهُ سِرَّ أَمْرِهِ  
 وَمَنْ فَاتَهُ الْإِدْرَاكُ أَدْرَكَهُ الرَّدَى \* إِذَا جَرَّعَتْ أَنْفَاسُهُ كَأَسِّ مَرِّهِ

## ومما وصفت به الجداول

قال ابن المعتز ، عفا الله عنه :

على جدول ريان لا يقبل القذى \* كأن سواقيه متون المبارد  
 وقال الناجم :

أحاطت أزاهير الربيع سوية \* سباطين مصطفين تستنبت المرعى  
 على جدول ريان كالسهم مرسلا \* أو الصارم المسلول أو حية تسعى  
 وقال المفجع :

على جدول ريان ينساب منته \* صقيلا كمن السيف وأق مجردا  
 إذا الريح ناغته تحلق وجهه \* دروعا وضاء أو تحزز مبردا  
 وقال ابن الرومي :

على حقائق جدول مسجور \* أبيض مثل المهرق المنثور

(١) كذا بالأصل ، ولعله « بغيضا » .

أو مثل متن المنّصل المشهور \* ينساب مثل الحية المدعور

وقال ذو الرقة :

فما أنشَقَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ \* جَدَاوِلُ أَمْثَالِ السُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ

وحيث انتهينا من ذكر المياه الى هذه الغاية فلنذكر عباد الماء .

### ذِكْرُ عِبَادِ الْمَاءِ<sup>(١)</sup>

وعباد الماء طائفة من الهند يُسَمُّونَ الْجَلَهَكِيَّةَ<sup>(٢)</sup>، يزعمون أن الماء ملك، ومعه

ملائكة، وأنه أصل كل شيء، وبه كلُّ ولادة ونمو ونشوء وبقاء وطهارة وعمارة،

وما من عمل في الدنيا إلا ويحتاج الى الماء .

§ فإذا أراد الرجل منهم عبادته، تجرد وستر عورته، ثم دخل الماء حتى يصل

الى وسطه، فيقيم ساعتين وأكثر، ويأخذ ما أمكنه من الرياحين فيقطعها صغارا

ويُلْقِي في الماء بعضها بعد بعض، وهو يُسَبِّحُ ويقرأ، وإذا أراد الانصراف، حرك

الماء بيده، ثم أخذ منه فنقط على رأسه ووجهه وساير جسده، ثم يسجد

وينصرف .

(١) هذه العبارة كلها منقولة عن كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني .

(٢) كذا في الملل والنحل للشهرستاني وهو الصواب، وفي الأصل «المهكنية» وهو تحريف .

## القسم الخامس من الفن الأول

في طبائع البلاد، وأخلاق سكانها، وخصائصها، والمباني القديمة  
والمعاقل، وما وُصفت به القصورُ والمنازل  
وفيه خمسة أبواب

## الباب الأول

من هذا القسم

(في طبائع البلاد، وأخلاق سُكَّانها)

§ روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل كعب الأحمري عن طبائع البلاد  
وأخلاق سُكَّانها، فقال: إن الله تعالى لما خلق الأشياء، جعل كل شيء لشيء .  
فقال العقل: أنا لاحقٌ بالشَّام، فقالت الفتنَةُ: وأنا معك . وقال الخُصْبُ: أنا لاحق  
بمصر، فقال الذُّلُّ: وأنا معك . وقال الشَّقَاءُ: أنا لاحقٌ بالبادية، فقالت الصَّحَّةُ:  
وأنا معك .

§ وقال محمد بن حبيب: أمَّا خلق الله تعالى الخلق، خلق معهم عشرة أخلاق: الإيمان، والحياء، والنجدة، والفتنة، والكبر، والنفاق، والغنى، والفقْر، والذل، والشقاء . فقال الإيمان: أنا لاحقٌ باليمن، فقال الحياء: وأنا معك . وقالت النجدة:  
أنا لاحقَةٌ بالشَّام، فقالت الفتنَةُ: وأنا معك . وقال الكبر: أنا لاحقٌ بالعراق،  
فقال النِّفاقُ: وأنا معك . وقال الغنى: أنا لاحقٌ بمصر، فقال الذُّلُّ: وأنا معك .  
وقال الفقْر: أنا لاحقٌ بالبادية، فقال الشَّقَاءُ: وأنا معك .

§ وحكى عن المجاج أنه قال: لما تبوأَت الأشياءُ منازلها، قال الطاعون: أنا نازلٌ بالشأم، فقالت الطاعة: وأنا معك. وقال النفاق: أنا نازلٌ بالعراق، فقالت النعمة: وأنا معك. وقال الشقاء: أنا نازلٌ بالبادية، فقال الصبر: وأنا معك.



### نوع آخر منه

- § روى عن عبد الله بن عباس (رضى الله تعالى عنهما) أنه قال: إن الله تعالى خلق البركة عشرة أجزاء: فتسعة منها في قريش، وواحد في سائر الناس. وجعل الكرم عشرة أجزاء: فتسعة منها في العرب، وواحد في سائر الناس. وجعل الغيرة عشرة أجزاء: فتسعة منها في الأكراد، وواحد في سائر الناس. وجعل المكر عشرة أجزاء: فتسعة منها في القبط، وواحد في سائر الناس. وجعل الخفاء عشرة أجزاء: فتسعة منها في البربر، وواحد في سائر الناس. وجعل النجابة عشرة أجزاء: فتسعة منها في الروم، وواحد في سائر الناس. وجعل الصناعة عشرة أجزاء: فتسعة منها في الصين، وواحد في سائر الناس. وجعل الشهوة عشرة أجزاء: فتسعة منها في النساء، وواحد في سائر الناس. وجعل العمل عشرة أجزاء: فتسعة منها في الأنبياء، وواحد في سائر الناس. وجعل الحسد عشرة أجزاء: فتسعة منها في اليهود، وواحد في سائر الناس.

- § ويقال: قُسم الحقد عشرة أجزاء: فتسعة منها في العرب، وواحد في سائر الناس. وقُسم البخل عشرة أجزاء: فتسعة منها في الفرس، وواحد في سائر الناس. وقسم الكبر عشرة أجزاء: فتسعة منها في الروم، وواحد في سائر الناس. وقسم الطرب عشرة أجزاء: فتسعة منها في السودان، وواحد في سائر الناس. وقسم الشبق عشرة أجزاء: فتسعة منها في اليهود، وواحد في سائر الناس.

يُوقال : أربعة لا تعرف في أربعة : السَّخَاءُ فِي الرُّومِ ، وَالْوَفَاءُ فِي التُّرْكِ ، وَالشَّجَاعَةُ فِي الْقَيْطِ ، وَالغَمُّ فِي الرَّيْحِ .

نوع آخر منه

§ حُكِيَ عَنِ الْمَجَاجِ أَنَّهُ سَأَلَ أَيُّوبَ بْنَ الْقَرِيْبَةِ عَنْ طَبَائِعِ أَهْلِ الْبِلَادِ ، فَقَالَ :  
 أَهْلُ الْحِجَازِ أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَى فِتْنَةٍ وَأَعْجُزُهُمْ عَنْهَا ، رَجَالُهَا جُفَاءَةٌ ، وَنِسَاؤُهَا كُسَاءَةٌ عِرَاءَةٌ .  
 وَأَهْلُ الْيَمَنِ أَهْلٌ تَمَعٌ وَطَاعَةٌ ، وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ . وَأَهْلُ عُمَانَ عَرَبٌ اسْتَبَطُوا . وَأَهْلُ  
 الْبَحْرَيْنِ نَبَطٌ اسْتَعْرَبُوا . وَأَهْلُ الْيَمَامَةِ أَهْلٌ جَفَاءٌ ، وَأَخْتِلَافُ آرَاءِ . وَأَهْلُ فَارِسَ  
 أَهْلٌ بَاسٍ شَدِيدٌ ، وَعِزٌّ عَتِيدٌ . وَأَهْلُ الْعِرَاقِ أَبْحَثُ النَّاسِ عَنْ صَغِيرِهِ ، وَأَضْيَعُهُمْ  
 لِكَبِيرِهِ . وَأَهْلُ الْجَزِيرَةِ أَشْبَعُ فُرْسَانَ ، وَأَقْتُلُ لِلْأَقْرَانِ . وَأَهْلُ الشَّامِ أَطْوَعُهُمْ  
 لِمَخْلُوقٍ وَأَعْصَاهُمْ لِمَخْلُوقٍ . وَأَهْلُ مِصْرَ عَبِيدٌ لِمَنْ غَلَبَ ، أَوْ كَيْسُ النَّاسِ صَفَارًا ،  
 وَأَجْهَلُهُمْ بَكَارًا .

وَحُكِيَ عَنِ أَبِي عَثَانَ "عَمْرُو بْنُ بَجْرِ الْجَاهِلِيَّةِ" أَنَّهُ قَالَ : كُنَّا نَعْلَمُ فِي الْمَكْتَبِ كَمَا نَعْلَمُ  
 الْقُرْآنَ : أَحْذَرُوا حِمَاقَةَ أَهْلِ بُخَارَى ، وَغُلَّ أَهْلَ مَرَوْ ، وَشَغَبَ أَهْلَ نَيْسَابُورَ ، وَحَسَدَ  
 أَهْلَ هَرَّاءَةَ ، وَحَقَدَ أَهْلَ سِجِسْتَانَ .

§ وَقَالَ أَبُو حَامِدٍ الْقَاضِي : أَعْيَانِي أَنْ أَرَى نَحْرَاسَانِيًّا ذِكِيًّا ، وَطَبْرِيًّا رَزِينًا ، وَهَمْدَانِيًّا  
 لَيْبِيًّا ، وَبَصْرِيًّا رَكِيكًا ، وَكُوفِيًّا رَيْبِيًّا ، وَبَغْدَادِيًّا سَخِيًّا ، وَمَوْصِلِيًّا لَطِيْفًا ، وَشَامِيًّا خَفِيْفًا ،  
 وَحِجَازِيًّا مَنَاقِقًا ، وَبَدَوِيًّا ظَرِيْفًا .

§ وَقَالَ بَحْتِيشُوعُ : تَسْعَةٌ لَا تَخْلُو مِنْ تَسْعَةٍ : قُمِّيٌّ مِنْ رُعُونَةٍ ، وَيَمَانِيٌّ مِنْ جَنْوَنٍ ،  
 وَوَأَسْطِيٌّ مِنْ غَفْلَةٍ ، وَبَصْرِيٌّ مِنْ جَدَلٍ ، وَكُوفِيٌّ مِنْ كَذِبٍ ، وَسَوَادِيٌّ مِنْ جَهْلٍ ،  
 وَبَغْدَادِيٌّ مِنْ مَحْرَقَةٍ ، وَخُوزِيٌّ مِنْ لُؤْمٍ ، وَطَبْرِيٌّ مِنْ زَرْقٍ .

(١) مِنْ أَهْلِ طَبْرِسْتَانَ . وَأَمَّا النِّسْبَةُ إِلَى طَبْرِسَةِ الشَّامِ فَطَبْرِسَانِيٌّ .

§ وقيل : جاوَر أهل الشام الروم ، فأخذوا عنهم اللؤم وقلة الغيرة . وجاور أهل الكوفة أهل السواد ، فأخذوا عنهم السخاء والغيرة . وجاور أهل البصرة الخوَز ، فأخذوا عنهم الزنا وقلة الوفاء .

§ ويقال : إن القدماء اعتبروا البلاد وما امتاز به بعضها عن بعض من الطبايع ، فوجدوا أخصب بقاع الدنيا ثمانية مواضع : أَرْمِينِيَّة ، وَأَذْرَبِيْجَان ، وَمَاءَ دِينَور ، وَمَاءَ نَهَاوند ، وَكَرْمَان ، وَأَصْبَهَان ، وَقُومَس ، وَطَبْرِسْتَان .

§ ووجدوا أخف بقاع الدنيا ماءً ، ماءً ثمانية مواضع : دجلة ، والفرات ، وَزَنْدَرُود أَصْبَهَان ، وماء سوران ، وماء هَفِيْجَان ، وماء جُنْدَيْسَابُور ، وماء بَلْخ ، وماء سَمَرْقَنْد . (وغفلوا عن نيل مصر ، ولعله أحقها بهذه الخصوصية من سائر المياه) .  
§ ووجدوا أوبأ بقاع الدنيا ستة مواضع : التَّوْبَسْدَان ، وسَابُورْخُوَأَسْت ، وَجُرْجَان ، وَحُلْوَان<sup>(١)</sup> ، وَبَرْذَعَة ، وَزَنْجَان . (وغفلوا عن شِيْر) .

§ ووجدوا أعقل أهل البلاد تسعة : أهل أَصْبَهَان ، والحيرة ، والمدائن ، وماء دِينَور ، وإصْطَخْر ، ونِيسَابُور ، والرِّي ، وَطَبْرِسْتَان ، وَنَسَوِي (وهي تَقَجَّوَان) .  
§ ووجدوا أسرى أهل بقاع الدنيا أهل سبعة مواضع : طوسفون (وهي المدائن) ، وَبَلَّاشُون (وهي حُلْوَان<sup>(١)</sup>) ، وَمَاسَبْدَان ، وَنَهَاوند ، والرِّي ، وَأَصْبَهَان ، وَنِيسَابُور .  
§ ووجدوا أهل بقاع الدنيا أهل عشرة مواضع : مَاسَبْدَان ، وَمِهْرَجَاتَقْدَق<sup>(٢)</sup> ، وَسُورَسْتَان ، والرِّي ، والرُّوِيَان ، وَأَذْرَبِيْجَان ، والمُوصِل ، وإرْمِينِيَّة ، وَشَهْرَزُور ، وَالصَّامَغَان .

(١) أى حلوان العراق ، لا حلوان مصر . (٢) فى بعض النسخ "أهل" بالمد .  
(٣) هذا الاسم يتركب من ثلاث كلمات : مهر (أى الشمس ، المحبة ، الشفقة) ؛ جان (أى النفس ، الروح) ، فذق (وقد يضم أوله ولعله اسم رجل) . فيكون معناه : محبة أو شمس نفس فذق . وهى كورة خسة من نواحى بلاد الجبل (عن ياقوت) .

§ ووجدوا البخل في أهل ثمان بقاع: مرو، وإصطخر، ودارابجرد، وخوزستان  
وما سبدان، ودييل، وماه دينور، وحلوان .

§ ووجدوا أسفل أهل بقاع الأرض أربعة: أهل السدجان<sup>(١)</sup>، وبادرايا،  
وما كسايا، وخوزستان .

§ ووجدوا أقل أهل الأرض نظرا في العواقب أهل سبعة مواضع: طبرستان ،  
وارميئة، وقومس، وكرمان، وكوسان، ومكران، وشهرزور .



§ ويقال: إنه وفد رجل من عجم نخراسان على كسرى، فقال له: أخبرني من  
أحسن أهل نخراسان لقاء؟ قال: أهل بخارى . قال: فمن أوسعهم بدلا للخبز  
والملح؟ قال: أهل جوزجان . قال: فمن أحسنهم ضيافة؟ قال: أهل سمرقند .  
قال: فمن أدقهم نظرا وتقديرا؟ قال: أهل مرو . قال: فمن أسوأهم طاعة؟ قال:  
أهل خوارزم . قال: فمن أخبثهم طوية؟ قال: أهل مرو والروذ، إن رضى بذلك  
أهل أبيورد . قال: فمن أسقطهم عقلا؟ قال: أهل طوس، إن رضى بذلك  
أهل نسا . قال: فمن أكثرهم شغبا وجدلا؟ قال: أهل سرخس، إن رضى بذلك  
أهل قوهستان . قال: فمن أضعفهم وأخبثهم؟ قال: أهل نيسابور . قال: فمن  
أقلهم غيرة على النساء؟ قال: أهل هراة .

(١) كذا في الأصل ولم يذكرها ياقوت . وإنما ذكر "السيرجان" ، مدينة بين كرمان وقارس فلعلها

## الباب الثاني

من القسم الخامس من الفن الأول

في خصائص البلاد

- ولنبدا من ذلك بمكة ويثرب، وأعرب عما أنقله من فضلها ولا أعرب؛  
 وَأَصْلُهُ بِذِكْرِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَلَا اشْتَرَطَ الْأَسْتِعَابَ لِأَنَّ  
 فضائلها لا تحصى .

فأما مكة ( شرفها الله تعالى وعظّمها )

- فضائلها مشهورة بيّنة . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي  
 بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .  
 وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ .  
 قال بعض المفسرين : "أمنا" من النار . وقيل : كان يأمن من الطلب من  
 أحدث حدثا ولجا إليه في الجاهلية .

- وحكى القاضى عياض فى " كتاب الشفا " أنه حدث أن قوما أتوا سعدون  
 الخولاني بالمنستير، وأعلموه أن كُتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل، فلم  
 تعمل فيه وبقى أبيض البدن، فقال : لعله حج ثلاث حجج ؟ قالوا : نعم . قال :  
 ١٥ حدثت أن " من حج حجة أدى فرضه، ومن حج ثانية دأى ربه، ومن حج ثلاث  
 حجج حرّم الله شعره وبشره على النار " .

- ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال : " مَرَحِبًا بِكَ مِنْ  
 بَيْتِ، مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتِكَ ! " . وجاء فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم :  
 ٢٠ " مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو اللَّهَ عِنْدَ الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ " . وكذلك عند الميزاب<sup>(١)</sup> .  
 (١) كذا فى الشفا للقاضى عياض ج ٢ ص ٩٦ طبع بولاق، وفى جميع النسخ " الركن " وما أثبتناه هو الصواب .

وعنه صلى الله عليه وسلم : "مَنْ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكَعَتَيْنِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَحُشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْآمِنِينَ" .

### ذكر ما كانت الكعبة عليه فوق الماء

قبل أن يخلق الله السموات والأرض

قال أبو الوليد الأزرقى بسند يرفعه إلى كعب الأخبار أنه قال : كانت الكعبة غثاء على الماء قبل أن يخلق الله عز وجل السموات والأرضين بأربعين سنة . ومنها دُحيت الأرض .

وقال يرفعه إلى مجاهد : خلق الله تعالى هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرضين . وعنه يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض بعث الله ريحا فصفقت الماء فأبرزت عن حشفة في موضع البيت كأنها قبة ، فدحا الله عز وجل الأرض من تحتها فإدَّت ثم مادَّت ، فأوتدها الله تعالى بالجبال ، فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس ، فلذلك سميت مكة أم القرى .

وعنه يرفعه إلى مجاهد أنه قال : لقد خلق الله عز وجل موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بالثمن سنة ، وإن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى .

### ذكر بناء الملائكة الكعبة قبل خلق آدم عليه السلام

ومبداً الطواف

قال أبو الوليد الأزرقى ، يرفعه إلى علي بن الحسين رضى الله عنهما : أنه أتاه سائل يسأله ، فقال له : عمّ تسأل ؟ فقال : أسألك عن بدء الطواف بهذا البيت

لَمْ كَانَ؟ وَأَتَى كَانَ؟ وَحَيْث كَانَ؟ وَكَيْفَ كَانَ بِالْحَجَرِ؟ فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ ، مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟  
فَقَالَ : مِنْ أَهْلِ الشَّامِ . فَقَالَ : أَيْنَ مَسْكُوكَ ؟ قَالَ : فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . قَالَ :  
فَهَلْ قَرَأْتَ الْكُتَابَيْنِ ؟ (عَنِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) . قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : نَعَمْ . فَقَالَ لَهُ :  
يَا أَخَا أَهْلِ الشَّامِ احْفَظْ ، وَلَا تَرَوِينِ عَنِّي إِلَّا حَقًّا :

- ٥ أما بَدَأَ هَذَا الطَّوَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ  
فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : أَي رَبِّ ، أَخَلِيفَةً مِنْ غَيْرِنَا ، مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا  
وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَيَتَحَاسَدُونَ ، وَيَتَبَاغَضُونَ ، وَيَتَنَازَعُونَ؟ أَي رَبِّ ، أَجْعَلُ ذَلِكَ  
الْخَلِيفَةَ مِنَّا ، فَتَحْنُ لَا نُفْسِدُ فِيهَا وَلَا نَسْفِكُ الدَّمَاءَ ، وَلَا نَتَبَاغَضُ ، وَلَا نَتَحَاسَدُ ،  
وَلَا نَتَبَاغَى ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ، وَنُطِيعُكَ وَلَا نَعْصِيكَ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ  
وَتَعَالَى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . قَالَ : فَظَانَّتِ الْمَلَائِكَةُ أَنْ مَا قَالُوهُ رُدُّ عَلَى رَبِّهِمْ  
عِزٌّ وَجَلٌّ وَأَنَّهُ قَدْ غَضِبَ مِنْ قَوْلِهِمْ ، فَلَاذُوا بِالْعَرْشِ ، وَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ ، وَأَشَارُوا  
بِالْأَصَابِعِ يَتَضَرَّعُونَ وَيَسْكُونُ إِشْفَاقًا لِعُضْبِهِ ، فَطَافُوا بِالْعَرْشِ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ ؛  
فَنظَرَ اللَّهُ عِزٌّ وَجَلٌّ إِلَيْهِمْ ، فَتَرَاتِ الرَّحْمَةُ عَلَيْهِمْ ، فَوَضَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَحْتَ الْعَرْشِ بَيْتًا  
عَلَى أَرْبَعِ أَسَاطِينٍ مِنْ زَبْرَجَدٍ ، وَعَشَاهُ بِيَاقُوتَةَ حِجْرَاءَ ، وَسَمَّى الْبَيْتَ الضَّرَاحَ ، ثُمَّ قَالَ  
لِلْمَلَائِكَةِ : طُوفُوا بِهَذَا الْبَيْتِ وَدَعُوا الْعَرْشَ ، فَطَافَتِ الْمَلَائِكَةُ بِالْبَيْتِ وَتَرَكَوا الْعَرْشَ ،  
١٥ وَصَارَ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عِزٌّ وَجَلٌّ ، يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ  
وَلَيْلَةَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يُعُودُونَ فِيهِ أَبَدًا . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ بَعَثَ مَلَائِكَةَ  
فَقَالَ : ابْنُوا لِي بَيْتًا فِي الْأَرْضِ بِمِثَالِهِ وَقَدْرِهِ . فَأَمَرَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ  
خَلْقِهِ أَنْ يَطُوفُوا بِهَذَا الْبَيْتِ ، كَمَا يَطُوفُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ .
- ٢٠ فقال الرجل : صَدَّقْتَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَكَذَا كَانَ .

## ذكر زيارة الملائكة البيت الحرام

قال الأزرقى، يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما : إن جبريل عليه السلام وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه عصا به حمراء قد علاها الغبار ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما هذا الغبار الذى أرى على عصابتك ، أيها الروح الأمين ؟ قال : إني زرت البيت فازدحمت الملائكة على الركن ، وهذا الغبار الذى ترى مما تثير بأجنحتيها .

وقال ، ورفعه إلى ليث بن معاذ رضى الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذا البيت خامس خمسة عشر بيتا ، سبعة منها فى السماء إلى العرش ، وسبعة منها إلى تخوم الأرض السفلى ، وأعلاها الذى يلي العرش : البيت المعمور ؛ لكل بيت منها حرم تحرم هذا البيت ، لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السفلى ، ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت » .

## ذكر هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض وبنائه الكعبة

## المشرفة ووجه وطوافه بالبيت

قال الأزرقى ، يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لما أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض من الجنة ، كان رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض ، وهو مثل القلک من رعدته ، قال : فطأ الله عز وجل منه إلى الأرض ستين ذراعا ، فقال : يارب مالى لا أسمع أصوات الملائكة ولا حسهم ؟ قال : خطيئتك يا آدم ، ولكن أذهب فأبني بيتا تطف به وأدكرنى حوله كنعجو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى ، قال : فأقبل آدم عليه السلام يتخطى ، فطويت له الأرض وقبضت له

المفاوِز، فصارت كل مفازة يمرُّ بها خَطْوَةٌ، وقبض له ما كان فيها من مَخَاضٍ أو بحر  
بفعله خَطْوَةٌ، ولم يقع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عُمرانا وبركةً حتى آتتهى  
إلى مكة، فبنى البيت الحرام . وإن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فأبرز  
عن أسس ثابت في الأرض السفلى فقذفت الملائكة فيه الصخر، ما يطبق الصخرة منها  
ثلاثون رجلاً ؛ وإنه بناه من خمسة أجبل : من لُبْنَانَ، وطُورِ زَيْتَا، وطُورِ سَيْنَا،  
والبُودَى، وجرأ، <sup>(١)</sup> حتى آستوى على وجه الأرض .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فكان أول من أسس البيت وصلى فيه  
وطاف به، آدم عليه السلام . حتى بعث الله سبحانه الطوفان، فدرَس موضع البيت  
في الطوفان ؛ حتى بعث الله تبارك وتعالى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فرفعا  
قواعده وأعلامه ؛ ثم بنته قريش بعد ذلك . وهو بجذاء البيت المعمور، لو سقط،  
ما سقط إلا عليه .

وقال أبو الوليد أيضا، ورفعه إلى وهب بن منبه : إن الله تبارك وتعالى لما تاب  
على آدم عليه السلام، أمره أن يسير إلى مكة، فطوى له الأرض وقبض له المفاوِز،  
فصارت كل مفازة يمرُّ بها خَطْوَةٌ، وقبض له ما كان فيها من مَخَاضٍ ماء أو بحر  
بفعله له خَطْوَةٌ، فلم يضع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عُمرانا وبركةً حتى آتتهى  
إلى مكة . وكان قبل ذلك قد آسنته بكأوه وحزنه لما كان فيه من عظم المصيبة  
حتى إن كانت الملائكة لتَحْزَنَ لحُزْنِهِ ولتَبْكِي لُبْكَائِهِ فَعَزَّاهُ اللهُ عز وجل بحِجْمَةٍ من  
خيام الجنة، ووضعها له بمكة في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة؛ وتلك الحِجْمَةُ  
ياقوتة حمراء من ياقوت الجنة، فيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنة، فيها نور

(١٠٦)

(١) في النسخ "حبرى" . والتصحيح من حاشية الجمل على الجلالين ، فقد نقل أثر ابن عباس .

يَتَلَهَّبُ مِنْ نُورِ الْجَنَّةِ، وَنَزَلَ مَعَهَا الرِّكَنُ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ يَأْقُوتُهُ بَيْضَاءٌ مِنْ رَبَضِ الْجَنَّةِ،  
وَكَانَ كُرْسِيًّا لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَجْلِسُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا صَارَ آدَمُ بِمَكَّةَ، حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى،  
حَرَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَحَرَسَ تِلْكَ الْخَيْمَةَ بِالْمَلَائِكَةِ؛ كَانُوا يَحْرُسُونَهَا وَيَنْظُرُونَ عَنْهَا سَاكِنِ  
الْأَرْضِ، وَسَاكِنُوهَا يَوْمُئِذٍ الْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى شَيْءٍ مِنَ  
الْجَنَّةِ، لِأَنَّهُ مَنْ نَظَرَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَجَبَتْ لَهُ . وَالْأَرْضُ يَوْمُئِذٍ طَاهِرَةٌ نَقِيَّةٌ  
لَمْ تَتَجَسَّسْ وَلَمْ يُسْفَكْ فِيهَا الدَّمُ، وَلَمْ تُعْمَلْ فِيهَا الْخَطَايَا، فَلِذَلِكَ جَعَلَهَا اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ مَسْكَنَ  
الْمَلَائِكَةِ، وَجَعَلَهُمْ فِيهَا كَمَا كَانُوا فِي السَّمَاءِ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، لَا يَفْتُرُونَ؛ وَكَانَ  
وَقُوفُهُمْ عَلَى أَعْلَامِ الْحَرَمِ صَفًّا وَاحِدًا مُسْتَدِيرِينَ بِالْحَرَمِ كُلِّهِ: الْحِلُّلُ مِنْ خَلْفِهِمْ، وَالْحَرَمُ  
كُلُّهُ مِنْ أَمَامِهِمْ، وَلَا يَجُوزُهُمْ خَيْئٌ وَلَا شَيْطَانٌ . وَمِنْ أَجْلِ مَقَامِ الْمَلَائِكَةِ، حُرِّمَ  
الْحَرَمُ حَتَّى الْيَوْمِ؛ وَوَضَعَتْ أَعْلَامُ حَيْثُ كَانَ مَقَامُ الْمَلَائِكَةِ . وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى حَوَاءَ  
دُخُولَ الْحَرَمِ وَالنَّظَرَ إِلَى خَيْمَةِ آدَمَ مِنْ أَجْلِ خَطِيئَتِهَا الَّتِي أَخْطَأَتْ فِي الْجَنَّةِ، فَلَمْ تَنْظُرْ  
إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى قُبِضَتْ . وَإِنْ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا أَرَادَ لِقَاءَهَا لِيُكَلِّمَهَا  
لِلْوَلَدِ، نَحَرَ مِنَ الْحَرَمِ كُلِّهِ حَتَّى يَلْقَاهَا؛ فَلَمْ تَزَلْ خَيْمَةُ آدَمَ مَكَانَهَا حَتَّى قُبِضَ اللَّهُ آدَمَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَفَعَهَا اللَّهُ . وَبَنَى بَنُو آدَمَ بِهَا مِنْ بَعْدِهَا مَكَانًا: بَيْتًا بِالطَّيْنِ وَالْحِجَارَةِ،  
فَلَمْ يَزَلْ مَعْمُورًا، يَعْمُرُونَهُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ حَتَّى كَانَ زَمَنُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَفَسَدَ  
الْعَرَقُ وَخَفِيَ مَكَانُهُ . فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَلَبَ الْأَسَاسَ، فَلَمَّا  
وَصَلَ إِلَيْهِ ظَلَّلَ اللَّهُ مَكَانَ الْبَيْتِ بِغَامَةِ، فَكَانَتْ حِقَافَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ  
رَاكِزَةً عَلَى حِقَافِهِ تُظَلُّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَهْدِيهِ مَكَانَ الْقَوَاعِدِ حَتَّى رَفَعَ اللَّهُ  
الْقَوَاعِدَ قَامَةً، ثُمَّ انْكَشَفَتِ الْغَامَةُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ  
الْبَيْتِ﴾ أَيِ الْغَامَةِ الَّتِي رَكَرَتْ عَلَى الْحِقَافِ لِتَهْدِيَهُ مَكَانَ الْقَوَاعِدِ .

٥

١٠

١٥

٢٠

وعن وهب بن منبه أنه قال : قرأت في كتاب من الكتب الأول ، ذكر فيه أمر الكعبة ، فوجدت فيه أن ليس من ملك من الملائكة بعثه الله تعالى الى الأرض إلا أمره بزيارة البيت ، فينقض من عند العرش محرماً ملبياً ، حتى يستلم الحجر ، ثم يطوف بالبيت سبعا ويركع في جوفه ركعتين ، ثم يصعد .

- وقال الأزرقى ، يرفعه الى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لما أهبط الله آدم الى الأرض ، أهبطه الى موضع البيت الحرام ، وهو مثل القلک من رعدته ، ثم أنزل عليه الحجر الأسود ، يعنى الركن ، وهو يتلألأ من شدة بياضه ، فأخذه آدم صلى الله عليه وسلم فضمه اليه أنسا به . ثم أنزلت عليه العصا ، فقيل له : تحط يا آدم ، فتخطى ، فإذا هو بأرض الهند والسند ، فكث هناك ما شاء الله ، ثم أستوحش الى الركن فقيل له : آحجج ، قال : فحج فلقيته الملائكة فقالوا : بر حجك يا آدم ، لقد حججنا هذا البيت قبلك بالثى عام .

- قال : وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه كعب الأخبار فقال : أخبرنى عن البيت الحرام ، فقال كعب : أنزله الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم ، فقال له : يا آدم إن هذا بيتى أنزلته معك ، يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ، ويصلى حوله كما يصلى حول عرشى . ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة ثم وضع البيت عليه ، فكان آدم يطوف حوله كما يطاف حول العرش ، ويصلى عنده كما يصلى عند العرش . فلما أغرق الله تعالى قوم نوح ، رفعه الى السماء وبقيت قواعده .

- وقال وهب بن منبه : كان البيت الذى بؤاه الله تعالى لآدم عليه السلام يومئذ من ياقوت الجنة ، وكان من ياقوتة حمراء تلمب ، لها بابان : أحدهما شرقى والآخر

غري ، وكان فيه قناديل من نور آيتها ذهب من تير الجنة ، وهو منظوم بنجوم  
من ياقوت أبيض ، والركن يومئذ نجم من نجومه وهو يومئذ ياقوته بيضاء .  
والله أعلم .

### ذكر فضل البيت الحرام والحرم

قال أبو الوليد يرفعه إلى وهب بن منبه أنه قال : إن آدم لما أهبط إلى الأرض  
استوحش فيها لما رأى من سعتها ولم يرفها أحدا غيره ، فقال : يارب ، أما لأرضك  
هذه من عامر يسبحك فيها ويقدم لك غيري ؟ قال : إني سأجعل فيها من ذريتك  
من يسبح بحمدي ويقدم لي ، وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكري ويسبحني فيها خلقي  
وسأبوءك فيها بيتا أختاره لنفسى ، وأخصه بكرامتى ، وأؤثره على بيوت الأرض كلها  
باسمى ، فأسميه بيتى ، وأطلقه بعظمتى ، وأحوذه بحرمانى ، وأجعله أحق بيوت الأرض  
كلها وأولها بذكرى ، وأضعه فى البقعة التى اخترت لنفسى ، فإني اخترت مكانه  
يوم خلقت السماوات والأرض ، وقبل ذلك قد كان بعينى ، فهو صفوق من البيوت ،  
ولست أسكنه ، وليس ينبغي لى أن أسكن البيوت ، ولا ينبغي لها أن تسمى ، ولكن  
على كرمى الكبرياء والجهروت ، وهو الذى استقل بعزى ، وعليه وضعت عظمتى  
وجلالى ، وهناك استقر قرارى ، ثم هو بعد ضعيف عني لولا قوتي ، ثم أنا بعد ذلك  
ملىء كل شىء ، وفوق كل شىء ، ومحيط بكل شىء ، وأمام كل شىء ، وخلف كل

(١٠٧)

(١) فى الأصل : "عن وهب" .

(٢) أطلقه : جعلت له نطقا . وفى بعض النسخ : "أطلقه" بالفاء ، وقد أئبتناه بالقاف لأنه  
هو الذى يناسب السياق . وفى الأصل "أطلقه" بالعين . وكتب بهامشه تفسيرا له : "أطلقه : بسط  
الطلع بالكسر : بساط من آدم" .

- شيء ، وليس ينبغي لشيء أن يعلم علمي ولا يقدر قدرتي ، ولا يبلغ كُنْه شأني ؛ أ جعل ذلك البيت لك ولن بعدك حرماً وأمناً أحرماً بحر مائه ما فوقه وما تحته وما حوله ؛ فمن حرمة بحرمتي فقد عظم حرمتي ، ومن أحله فقد أباح حرمتي ، ومن أمن أهله فقد استوجب بذلك أمانى ، ومن أخافهم أخفرتني في ذمتي ، ومن عظم شأنه عظم في عيني ، ومن تهاون به صغر في عيني ؛ ولكل ملك حيازة ما حواليه مما حواليه ، ووطن مكة خيرتي وحيازتي وجيران بيتي وعمارها وزوارها وفدى وأضيافى في كنفى وأفئتي ضامنون على [فى] ذمتى وجوارى ؛ فأجعله أول بيت وضع للناس ، وأعمره بأهل السماء وأهل الأرض ؛ يأتونه أفواجا شعناً غبراً على كل ضامر يأتين من كل فج ميق ، يعجون بالكبير تحيياً ، ويرجون بالتلبية رجياً ، وينتحبون بالبكاء تحيياً ، فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارنى ووقد إلى ونزل بى ؛ ومن نزل بى ، لحقيق على أن أتحفه بكرامتى ؛ وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه ، وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته . تعمره يا آدم ما كنت حياً ، ثم تعمره من بعدك الأئم والقرون والأنبياء ؛ أمة بعد أمة ، وقرن بعد قرن ، ونبي بعد نبي ، حتى ينتهى ذلك إلى نبي من ولدك وهو خاتم النبیین ، فأجعله من عمارة وسكانه وحماته ، وولاته وسقاته ؛ يكون أميناً عليه ما كان حياً ؛ فإذا انقلب إلى ، وجدنى قد ذنرت له من أجره وفضيلته ما يمكن به القربة منى والوسيلة إلى ، وأفضل المنازل فى دار المقام ، وأجعل اسم ذلك البيت وذكره وشرقه ومجده وثناءه ومكرمته لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو أبوه يقال له إبراهيم ، أرفع له قواعد ، وأفضى على يديه عمارته ، وأنبط له سقايته ، وأريه حله وحرمة ومرآفه ، وأعلمه مشاعره ومناسكه ، وأجعله أمة واحدة قانتلى ، قائماً بأمرى ، داعياً إلى سبيلى ؛ أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم ؛ أبتليه فيصبر ، وأعافيه

فیشكره ويُنذر لي فيني ، ويعدني فينجز؛ أستجيب له في ولده وذريته من بعده ،  
وأشفعه فيهم ، وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحجاته وسقائه وخدامه وحرانه  
وحجابه حتى يتدعوا ويغيروا ، فإذا فعلوا ذلك فأنا الله أقدر القادرين على أن أستبدل  
من أشاء بمن أشاء . أجعل إبراهيم إمام أهل ذلك البيت وأهل تلك الشريعة ، يأتم  
به من حضر تلك المواطن من جميع الإنس والجن ، يطؤون فيها آثاره ، ويتبعون فيها  
سنته ، ويقتدون فيها بهديه ، فمن فعل ذلك منهم أوفى نذره ، وأستكمل نسكه ، ومن  
لم يفعل ذلك منهم ضيع نسكه ، وأخطأ بغيته ، فمن سأل عني يومئذ في تلك المواطن  
أين أنا ، فأنا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم ، المستكملين مناسكهم ، المبتهلين الى  
رهبم الذي يعلم ما يسدون وما يكتمون وليس هذا الخلق ولا هذا الأمر الذي  
قصصت عليك شأنه ، يا آدم ، بزائدي في ملكي ولا عظمتي ولا سلطاني ولا شيء مما  
عندي ، إلا كما زادت قطرة من رشاش وقعت في سبعة أبحر تمدها من بعدها سبعة  
أبحر لا تحصى ، بل القطرة أزيد في البحر من هذا الأمر في شيء مما عندي ، ولو لم أخلق  
لم ينتقص شيء من ملكي ولا عظمتي ولا مما عندي من الغناء والسعة ، إلا كما نقصت  
الأرض ذرة وقعت من جميع ترابها وجبالها وحصاها ورمالها وأشجارها ، بل الذرة أنقص  
للأرض من هذا الأمر لو لم أخلقه [ليس<sup>(١)</sup>] مما عندي ويعد هذا مثلا للعزير الحكيم .

### ذكر ما جاء في طواف سفينة نوح عليه السلام بالبيت

قال أبو الوليد الأزرق ، ورفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كان مع  
نوح عليه السلام في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوه ، وإنهم كانوا في السفينة مائة  
وخمسين يوما ، وإن الله جل ثناؤه وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين  
يوما ، ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه .

(١) كذا بالأصل وهي نافية في مكانها ولعلها زيادة من النسخ .

وقال عن مجاهد: كان موضع الكعبة قد خفي ودرس زمن الغرق فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام؛ فكان موضعه أكمة حمراء مدورة لا تعلوها السيول؛ غير أن الناس يعامون أن موضع البيت فيما هنالك ولا يثبت موضعه، وكان يأتيه المظلوم والمتعوز من أقطار الأرض، ويدعو عنده المكروب؛ فقل من دعا هنالك إلا استجيب له، وكان الناس يحججون إلى مكة، إلى موضع البيت، حتى بوا الله تعالى مكانه لإبراهيم عليه السلام. فلم يزل منذ أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض معظما محزما يتناخضه الأمم والملل أمة بعد أمة، وملة بعد ملة، قال: وكانت الملائكة تحببه قبل آدم عليه السلام

#### ذكر ما جاء من تخيير إبراهيم عليه السلام موضع البيت

قال عثمان بن ساج: بلغنا - والله أعلم - أن إبراهيم خليل الله عليه السلام صرح به إلى السماء فنظر إلى الأرض مشارقها ومغاريها، فاختر موضع الكعبة، فقالت له الملائكة: يا خليل الرحمن اخترت حرم الله في الأرض، قال: فبناه من حجارة سبعة أجبُل (ويقولون نمة). وكانت الملائكة تأتي بالحجارة إلى إبراهيم عليه السلام من تلك الجبال.

#### ذكر حج إبراهيم عليه السلام وإذنه بالحج

وحج الأنبياء بعده وطوائفهم

قال أبو الوليد عن محمد بن إسحاق: لما فرغ إبراهيم خليل الرحمن من بناء البيت الحرام جاءه جبريل عليه السلام فقال: طُف به سبعا، فطاف به سبعا هو وإسماعيل

(١) كذا في تاريخ مكة للأزرق وفي الأصل «والمبوء» وهو تحريف.

يستلمان الأركان كلهما في كل طواف ، فلما أكمل سبعا ، صلياً خلف المقام ركعتين .  
قال : فقام معه جبريل فأراه المناسك كلها : الصفا والمروة وميى ومزدلفة وعرفة ،  
فلما دخل ميى وهبط من العقبة مثل له إبليس عند بحرة العقبة ، فقال له جبريل :  
أرمه ، فرماه بسبع حصيات ، فغاب عنه ، ثم برز له عند الجمرة الوسطى ، فقال له جبريل :  
أرمه ، فرماه إبراهيم بسبع حصيات ، فغاب عنه ، ثم برز له عند الجمرة السفلى ، فقال له  
جبريل : أرمه ، فرماه بسبع حصيات مثل حصى الخذف ، فغاب عنه إبليس ، ثم مضى  
إبراهيم في حجه وجبريل يوقفه على المواقف ويعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفة ،  
فلما انتهى إليها ، قال له جبريل : أعرفت مناسكك ؟ قال : نعم ، قال : فسميت  
عرفات بذلك . قال : ثم أمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج ، فقال  
إبراهيم : يارب وما يبلغ صوتي ؟ قال الله جل ثناؤه : أذن ، وعلى البلاغ . قال :  
فعلما إبراهيم على المقام فأشرف به حتى صار أرفع الجبال وأطولها ، فجمعت له الأرض  
يومئذ : سهلها ، وجبالها ، وبرها ، وبحرها ، وإنسها ، وجننها حتى أسمعتهم جميعا ، فأدخل  
إصبعه في أذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وبدأ يشق اليمين فقال :  
"أيها الناس كُتِب عليكم الحج إلى البيت العتيق ، فأجيبوا ربكم" فأجابوه من تحت  
التخوم السبعة ، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أقطار الأرض كلها :  
(لبيك ، اللهم لبيك) . قال : وكانت الحجارة على ما هي اليوم ، إلا أن الله عز وجل  
أراد أن يجعل المقام آية ، فكان أثر قدميه في المقام آية إلى اليوم . قال : أفلا تراه  
اليوم يقولون : (ليك ، اللهم ليك) . فكل من حج إلى اليوم فهو ممن أوجب إبراهيم .  
وأثر قدمي إبراهيم في المقام آية ، وذلك قوله تعالى : (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ  
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) .

قال ابن إسحاق : وبلغني أن آدم عليه السلام كان آستلم الأركان كلها قبل إبراهيم ، وحجّه إسحاق وسارة من الشام . قال : وكان إبراهيم يحجّه كل سنة على البراق . قال : وحجّت بعد ذلك الأنبياء والأئم .

وعن مجاهد ، قال : حج إبراهيم وإسماعيل ماشيين .

- ٥ وعن عبد الله بن ضمرة السلولي : ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبيا جاءوا حجاجا فقُبروا هنالك .

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان النبي من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة فتعبدها النبي ومن معه حتى يموت ، فمات بها نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وقبورهم بين زمزم والحجر .

- ١٠ وعن مجاهد : حج موسى النبي عليه السلام على جبل أحمر ، فمر بالروحاء عليه عباءتان قطوا نبتان مترّرياً أحدهما مرتد بالأخرى ، فطاف بالبيت ثم سعى بين الصفا والمروة ، فبينما هو يلبي بين الصفا والمروة إذ سمع صوتا من السماء يقول : «لبيك عبادي ، أنا معك» قال : فخّر موسى ساجدا .

- ١٥ وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال : بلغني أن البيت وُضع لآدم يطوف به ويعبد الله عنده ؛ وأن نوحا قد حجّه وجاءه وعظمه قبل الغرق ؛ فلما أصاب البيت ما أصاب الأرض من الغرق كان ربة حمراء معروفا مكانه ؛ فبعث الله هودا إلى عاد ، فتشاغل بأمر قومه حتى هلك ، ولم يحجّه . ثم بعث الله تعالى صالحا إلى ثمود فتشاغل بهم حتى هلك ، ولم يحجّه . ثم بوأه الله تعالى لإبراهيم عليه السلام فحجّه وأعلم مناسكه ودعا إلى زيارته . ثم لم يبعث الله نبيا بعد إبراهيم إلا حجّه .

٢٠ (١) في الاصل : "فكان" بالفاء .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لقد سَلَكَ حَجَّ الرُّوحَاءِ سبعون نبيًا حُجَّاجًا : عليهم لباسُ الصُّوفِ ، مَخْطَمِي إِبِلِهِمْ بِجِبَالِ اللَّيْفِ ، ولقد صَلَّى في مسجد الحَيْفِ سبعون نبيًا .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لقد مرَّ بِفَجِّ الرُّوحَاءِ — أو لقد مرَّ بهذا الفَجِّ — سبعون نبيًا على نُوقِ حُمْرٍ حُطِّمَهَا اللَّيْفُ ، لَبَّوْهُمْ العِبَاءَ وتَلِيَتْهُمُ شَتَّى ، فمنهم يونس بن متى ، فكان يونس يقول : ( لَيْتَكَ فَرَجَ الكَرْبِ ، لَيْتَكَ ) ، وكان موسى يقول : ( لَيْتَكَ ، أنا عبدُكَ لَدَيْكَ ، لَيْتَكَ ) . قال : وتَلِيَةَ عيسى : ( لَيْتَكَ ، أنا عبدُكَ ابنِ أُمَّتِكَ بنتِ عبدِكَ ، لَيْتَكَ ) " .

وعن عطاء بن السائب أن إبراهيم رأى رجلا يطوف بالبيت فأنكره ، فسأله : من أنت؟ فقال : من أصحاب ذى القرنين ، قال : وأين هو؟ قال : هو بالأبطح ، فتلقاه إبراهيم عليه السلام فاعتنقه ، فقال لذي القرنين : ألا تركب؟ قال : ما كنت لأركب وهذا يمشي ، فحجَّ ماشيا .

ذكر ما جاء من مسألة إبراهيم عليه السلام الأيمن والرزق لأهل مكة

والكتيب التي وجد فيها تعظيم الحرم

قال أبو الوليد الأزرق ، يرفعه الى محمد بن كعب القرظي أنه قال : دعا إبراهيم عليه السلام للمؤمنين ، وترك الكفار لم يدع لهم بشيء ، فقال الله تعالى : ( وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ) .

وقال عثمان بن ساج : وأخبرني محمد بن السائب الكلبي قال : قال إبراهيم عليه السلام ( رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الآخِرِ) . فاستجاب الله عز وجل له بفعله بلدا آمنا وآمن فيه الخائف ورزق أهله من الثمرات، تُحمَل إليهم من الآفاق .

وقال مجاهد : جعل الله هذا البلد آمنا، لا يخاف فيه من دخله .

وقال سعيد بن السائب بن يسار : لما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة أن يرزق

أهلها من الثمرات، نقل الله أرض الطائف من الشام فوضعها هنالك : رزقا للحرم .

وروى عن محمد بن المنكدر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما وضع

الله الحرم نقل له الطائف من الشام .

وعن الزهري أن الله نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف، لدعوة

إبراهيم خليل الله : (( وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ )) .

١٠ وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : جاء إبراهيم يطالع إسماعيل عليهما السلام

فوجده غائبا، ووجد امرأته الآخرة، وهي السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرمي،

فوقف وسلم، فردت عليه السلام وأستترته وعرضت عليه الطعام والشراب،

فقال : ما طعامكم وشرابكم ؟ قالت : اللحم والماء، قال : هل من حب أو غيره

من الطعام ؟ قالت : لا، قال : بارك الله لكم في اللحم والماء .

١٥ قال ابن عباس رضي الله عنهما : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو

وَجَدَ عِنْدَهَا يَوْمئِذٍ حَبًّا لَدَعَا لَهُم بِالْبَرَكَاتِ فِيهِ، فَكَانَتْ تَكُونُ أَرْضًا ذَاتَ زَرْعٍ " .

وعن سعيد بن جبير مثله، وزاد فيه : " ولا يخلو أحدٌ على اللحم والماء في غير

مكة إلا وجع بطنه، وإن خلا عليهما بمكة لم يجد لذلك أذى " .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « وَجِدَ فِي الْمَقَامِ كِتَابٌ فِيهِ « هذا بيت

٢٠ الله الحرام بمكة، توكل الله برزق أهله من ثلاث سبل، مبارك لأهله في اللحم واللبن " .

ووجد في حجر في الحجر كتاب من خلقه الحجر "أنا الله ذوبكة الحرام صغتها يوم  
صغت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشابها  
مبارك لأهلها في اللحم والماء".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لما هدموا البيت وبلغوا أساس  
إبراهيم عليه السلام وجدوا في حجر من الأساس كتاباً ، فدعوا له رجلا من أهل اليمن ،  
وآخر من الرهبان ، فإذا فيه : "أنا الله ذوبكة حرمتها يوم خلقت السموات والأرض  
والشمس والقمر ويوم صغت هذين الجبلين وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول  
حتى يزول أخشابها مبارك لأهلها في الماء واللبن".

وعن مجاهد رضي الله عنه قال : وجد في بعض الزبور "أنا الله ذوبكة جعلتها  
بين هذين الجبلين وصغتها يوم صغت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء  
وجعلت رزق أهلها من ثلاث سبل فليس يؤتى أهل مكة إلا من ثلاثة طرق أعلى  
الوادي وأسفله وكدي وباركت لأهلها في اللحم والماء".

### ذكر أسماء الكعبة ومكة

عن ابن أبي نجیح قال : إنما سُميت "الكعبة" لأنها مكعبة على خلقة الكعب .  
قال : وكان الناس يدنون بيوتهم مدورة تعظيماً للكعبة ، فأقول من بني بيتا مربعا  
حميد بن زهير ، فقالت قريش : "ربح حميد بن زهير بيتا ، إقا حياة وإما موتا" .  
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : إنما سُميت "بكة" لأنه يجتمع فيها  
الرجال والنساء جميعا . وقالوا : "بكة" موضع البيت ، ومكة القرية .  
وقال ابن أبي أنيسة : "بكة" موضع البيت ، ومكة هو الحرم كله .  
وكان ابن جريح يقول : إنما سميت "بكة" لتبأك الناس بأقدامهم قدام الكعبة .

ويقال : إنما سميت "بكة" لأنها تَبُكُّ أعناقَ الجبابرة .

وعن الزهري : أنه بلغه أنما سُمِّيَ "البيتَ العتيقَ" من أن الله تعالى أعتقه

من الجبابرة .

وعن مجاهد والسدي : إنما سُمِّيَ "البيتَ العتيقَ" الكعبةُ ، أعتقها الله من

الجبابرة ؛ فلا يَجْبَرُونَ فيه إذا طافوا . وكان البيت يدعى "قادسا" ويدعى "بادرا" .

ويدعى "القرية القديمة" ويدعى "البيت العتيق" .

وعن مجاهد قال : من أسمائها "مكة" و"بكة" و"أم رُحْم" و"أم القُرى"

و"صَلَاح" و"شُكُوفِي" و"الباسَّة" .

وعن ابن أبي نجیح قال : بلغني أن أسماء مكة "مكة" ، و"بكة" ،

و"أم رُحْم" ، و"أم القُرى" ، و"الباسَّة" ، و"البيتَ العتيقَ" ، و"الحاطمة" : .

(تَحْطِمُ من يَسْتَحْفُفُ بها) ؛ و"الناسَّة" (تُنْشِمُ ، أي تخرجهم إخراجا إذا غَشَمُوا

وظلموا) .

### ذكر ما جاء في فضل الركن الأسود

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ليس في الأرض من الجنة إلا الركن

الأسود والمقام ، فإنهما جوهرتان من جواهر الجنة ؛ ولولا ما مسَّهما من أهل الشرك ،

ما مسَّهما ذو عاهة إلا شفاه الله عز وجل .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال في الركن الأسود :

لولا ما مسَّه من أنجاس الجاهلية وأرجاسهم ، ما مسَّه ذو عاهة إلا برأ . وقال : نزل

الركن ، وإنه لأشدُّ بياضا من الفضة .

(١) هكذا وردت هذه الجملة بالأصل ، والمراد منها ظاهر .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها ، وهي تطوف معه بالكعبة حين استلم الركن : "لولا ما طبع على هذا الحجر ، يا عائشة ، من أرجاس الجاهلية وأنجاسها ، إذا لاستشفي به من كل عاهة ، وإذا لألفى كهيته يوم أنزله الله ، وليعيدنه الله الى ما خلقه أول مرة ، وإنه لياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة ، ولكن الله غيره بمعصية العاصين ، وسترزنته عن الظلمة والأئمة لأهم لا ينبغي لهم أن ينظروا الى شيء كان بدؤه من الجنة" .

وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله يبعث الركن الأسود ، وله عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به : يشهد لمن استلمه بحق" .

وعنه رضي الله عنه : الركن يمين الله في الأرض : يصفح بها عباده كما يصفح أحدكم أخاه .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة ، فلما دخلنا الطواف ، قام عند الحجر وقال : والله إني لأعلم أنك حججراً لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ، ما قبلتك ، ثم قبله ومضى في الطواف ، فقال له علي رضي الله عنه : بل يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع ، قال : وبم قلت ذلك ؟ قال : بكتاب الله ، قال : وأين ذلك من

كتاب الله ؟ قال : قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۗ ﴾ ، فلما خلق الله تعالى آدم مسح ظهره وأخرج ذريته من صلبه فقرّرهم أنه الرب وهم العبيد ، ثم كتب ميثاقهم في رق ، وكان هذا الحجر له عينان ولسان ، فقال له : أفتح فاك ، فألقمه ذلك الرق وجعله في هذا الموضع ، وقال : تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة ، فقال عمر : أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست قبيح ، يا أبا الحسن .

وعن عكرمة : أن الحجر الأسود يمين الله في الأرض ، فمن لم يدرك بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح الركن فقد بايع الله ورسوله .

وعن مجاهد : يأتي الركن والمقام يوم القيامة ، كل واحد منهما مثل أبي قبيس : يشهدان لمن وافاهما بالموافاة .

والله أعلم .

ذكر ما جاء في فضل أستلام الركن الأسود ، وإيماني

عن عطاء بن السائب أن عبيد بن عمير قال لابن عمر رضي الله عنهما : إني أراك تُزاحم على هذين الركنين ؛ فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ” إنَّ أَسْتِلَامَهُمَا يُحِطُّ بِالْخَطَايَا حِطًّا ” .

١٠ . وسئل رضي الله عنه ، فقيل له : إنا نراك تفعل خصالا أربعا لا يفعلها الناس : نراك لا تستلم من الأركان إلا الحجر والركن اليماني ، ونراك لا تلبس من النعال إلا السبئية ، ونراك تصفر شعرك وقد يصبغ الناس بالحناء ، ونراك لا تُحرم حتى تستوي بك راحلتك وتوجه ؛ فقال عبد الله : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك .

١٥ . وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدع الركن الأسود والركن اليماني أن يستلمهما في كل طواف أتى عليهما . قال : كان لا يدعهما في كل طواف طاف بهما حتى يستلمهما ، لقد زاحم على الركن مرة في شدة الزحام حتى رعف . فخرج فغسل عنه ثم رجع ، فعاد يزاحم فلم يصل إليه حتى رعف الثانية ، فخرج فغسل عنه ثم رجع ، فما تركه حتى أستلم .

٢٠ . وعن نافع قال : لقد رأيت ابن عمر رضي الله عنهما ، زاحم مرة على الركن اليماني حتى أنبهر فتنحى بفلس في ناحية الطواف حتى أستراح ، ثم عاد فلم يدعه حتى

آستلمه . قالوا : وليس هذا واجبا على الناس ، ولكنه كان يجب أن يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

### ذكر ما جاء في فضل الطواف بالكعبة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ حَسَنَةً وَمَحَا عَنْهُ سَيِّئَةً" .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إِذَا نَجَّحَ الْمَرْءُ يَرْيِدُ الطَّوْفَ بِالْبَيْتِ أَقْبَلَ يَرْيِدُ الرَّحْمَةَ ، فَإِذَا دَخَلَ عَمْرَتَهُ . ثُمَّ لَا يَرْفَعُ قَدَمًا وَلَا يَضَعُ قَدَمًا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ حَسَنًا حَسَنَةً ، وَحَطَّ عَنْهُ نَحْسَانَةٌ سَيِّئَةٌ (أَوْ قَالَ خَطِيئَةٌ) ، وَرُفِعَتْ لَهُ نَحْسَانَةٌ دَرَجَةٍ ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ دُبْرَ الْمَقَامِ ، نَجَّحَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ عَشْرَةِ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاسْتَقْبَلَهُ مَلَكٌ عَلَى الرُّكْنِ فَقَالَ لَهُ : اسْتَأْنِيفِ الْعَمَلَ فِيمَا بَقِيَ فَقَدْ كُفِّيتَ مَا مَضَى ، وَشُفِّعَ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ" .

وعن حسان بن عطية : أن الله خلق لهذا البيت عشرين ومائة رحمة يُنزِلُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَسُتُونَ مِنْهَا لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعُونَ لِلصَّائِلِينَ ، وَعَشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ ؛ قَالَ حَسَانٌ : فَنَظَرْنَا فَإِذَا هِيَ كُلُّهَا لِلطَّائِفِينَ ، هُوَ يَطُوفُ وَيَبْصُلِي وَيَنْظُرُ .

### ذكر ما جاء في فضل زمزم

عن وهب بن منبه أنه قال في زمزم : والذي نفسي بيده ، إنها لفي كتاب الله مَضْنُونَةٌ ، وَإِنِهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ بَرَّةٌ ، وَإِنِهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ شَرَابُ الْأَبْرَارِ ، وَإِنِهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ طَعَامٌ طُعْمٌ وَشِفَاءٌ سُقْمٌ .

وعن ابن خُثَيْم قال : قَدِمَ عَلَيْنَا وَهَبُ بْنُ مَنبِهٍ مَكَّةَ فَاشْتَكَى ، فِخْثَانَهُ نَعُودَهُ ، فَإِذَا عِنْدَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، قَالَ : فَقَلْنَا لَهُ : لَوْ اسْتَعْدَبْتَ ، فَإِنْ هَذَا مَاءٌ فِيهِ غَلْظٌ ! قَالَ : مَا أُرِيدُ أَنْ أَشْرِبَ حَتَّى أُخْرِجَ مِنْهَا غَيْرَهُ ، وَالَّذِي نَفْسُ وَهَبٍ بِيَدِهِ ، إِنَّهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ زَمْزَمٌ لَا تُتْرَفُ وَلَا تُتَدَمُّ ، وَإِنَّهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ بَرَةٌ شَرَابِ الْأَبْرَارِ ، وَإِنَّهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ مَضْنُونَةٌ ، وَإِنَّهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ طَعَامٌ مِنْ طُعِيمٍ وَشِفَاءٌ مِنْ سُقِيمٍ ، وَالَّذِي نَفْسُ وَهَبٍ بِيَدِهِ لَا يَعْمِدُ أَحَدٌ إِلَيْهَا فَيَشْرَبُ مِنْهَا حَتَّى يَتَضَلَّعَ إِلَّا نَزَعَتْ مِنْهُ دَاءً أَوْ أَحَدَتْ لَهُ شِفَاءً .

وعن كعب أنه قال لزمرم : إنا نجدها مضمونةً ضنَّ بها لكم ، وإن أول من سقى ماءها إسماعيل عليه السلام ، طعامٌ من طعيمٍ ، وشفاءٌ من سُقِيمٍ .

١٠ وعن مجاهد قال : ماءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ ، إِنْ شَرِبْتَهُ تَرِيدَ بِهِ شِفَاءً شَفَاكَ اللَّهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لَظْمًا أُرْوَاكَ اللَّهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ جُوعًا أَشْبَعَكَ اللَّهُ ، وَهِيَ هَزْمَةٌ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَهُ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق" .

١٥ وعن الضحاك بن مزاحم أنه قال : بلغني أنَّ التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق ، وأن ماءها يذهب بالصداع ، وأن التطلع فيها يجلو البصر ، وأنه سيأتي عليها زمان تكون أعذب من النيل والفرات . قال : قال لنا الخزاعي : وقد رأينا ذلك في سنة إحدى أو اثنتين وثمانين ومائتين ، وذلك أنه أصاب مكة أمطارٌ كثيرةٌ وسال وادياها في سنة تسع وسبعين ، وسنة ثمانين ومائتين ، فكثُرَ ماءُ زَمْزَمَ وارتفع حتى قارب رأسها ، فلم يكن بينه وبين شفتها العليا إلا سبع أذرع .

أو نحوها ، وعدّبت حتى كان ماؤها أعذبّ مياه مكة التي يشربها أهلها ، وإنا رأيناها أعذبّ من مياه العيون .

وعن الضحاك بن مزاحم أيضا أن الله عز وجل يرفع المياه العذاب قبل يوم القيامة غير زمزم ، وتغور المياه العذبة غير زمزم .

ذكر ما جاء من آتساع منى أيام الحج ولم تُسميت منى

٥ عن أبي الطّيفيل ، قال : سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يُسأل عن منى ، ويقال له : عجبا لضيقه في غير أيام الحج ! فقال ابن عباس ، إن منى يتسع بأهله كما يتسع الرحم للولد .

١٠ وعن ابن عباس ، قال : إنما سميت منى لأن جبريل حين أراد أن يفارق آدم ، قال له . تمن ، قال : أتمنى الجنة ، فسميت منى لتمنى آدم .  
وقيل : إنما سميت منى لعنى<sup>(١)</sup> الدماء بها .

ذكر ما جاء في فضائل مقبرة مكة

١٥ عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : "نعم المقبرة هذه !" (لقبرة أهل مكة) .

وعن محمد بن عبد الله بن صيفي أنه قال : من قُبر في هذه المقبرة ، بُعث آمنا يوم القيامة (يعنى مقبرة مكة) .

(١) المنى هو إراقة الدماء .

## ذكر شيء من خصائص مكة

§ من خصائصها أن الذئب فيها يروع الظبي ويعارضه ويصيده، فإذا دخل الحرم كَفَّ عنه .

§ ومنها أنه لا يسقط على الكعبة حمامٌ إلا إن كان عليلاً، وأن عادة الطير إذا حاذت الكعبة أن تفترق فرقتين ولا تعلوها . والله أعلم .

## وأما المدينة المشرفة

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

§ ففضائلها أوسع من أن أحصرها، وأعظم من أن أسبرها، ناهيك بها من بلد آخاره الله تعالى لرسوله، ونص على فضله في محكم تنزيله، قال الله عز وجل: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ .

§ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سُئِلَ: أي مسجد هو؟ فقال: مسجدى هذا، وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر رضی الله تعالى عنهم، وبه أخذ مالك رحمه الله . وقال ابن عباس: هو مسجد قباء .

وروى عن أبي هريرة رضی الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "صلاة في مسجدى هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجد الحرام" .

قال القاضي عياض رحمه الله: اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة. فذهب مالك [إلى] أن الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام، فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون

الألف . وأحجج مالك وأشهبُ وابنُ نافع وجماعةُ أصحابه بما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه " صلاة في المسجد الحرام خيرٌ من مائة صلاة فيما سواه " فتأني فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة وعلى غيره بألف ؛ وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة ، وهو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنين .

٥ § وذهب أهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة ؛ وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب ، من أصحاب مالك ، وحكاه الباجي عن الشافعي .

§ قال القاضي أبو الوليد الباجي : الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ، ولا يعلم منه حكما مع المدينة .

١٠ § قال القاضي عياض : ولا خلاف [في] أن موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضلُ بقاع الأرض .

§ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة " ؛ قالوا : هذا يحتمل معنيين : ( أحدهما ) أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه تستحق ذلك من الثواب كما قيل : " الجنة تحت ظلال السيوف " . ( والثاني ) أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها ؛ قاله الداودي .

١٥ § وروى ابن عمر وجماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة : " لا يصبر على لأوائها وشدتها أحدٌ إلا كنت له شهيدا أو شقيعا يوم القيامة " .

§ وقال صلى الله عليه وسلم فيمن تجمل عن المدينة : " والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون " . وقال : " إنما المدينة كالكبير تنفي خبثها وتنصع طيبها " .

٢٠ § وقال : " لا يخرج أحدٌ من المدينة رغبةً عنها إلا أبدلها الله خيرا منه " ؛

§ وعنه صلى الله عليه وسلم : "مَنْ مات في أحد الحرمين حاجاً أو معتمراً، بعثه الله يوم القيامة لا حسابَ عليه ولا عذابَ" . وفي طريق آخر : "بعث من الآمين يوم القيامة" .

§ وعن ابن عمر رضی الله عنهما : "مَنْ استطاع أن يموتَ بالمدينة، فليُمتْ بها فإني أشفعُ لمن يموتُ بها" .

§ وعن أنس بن مالك رضی الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طَلَعَ له أحدٌ فقال : "هذا جبلٌ يحبُّنا ونحبه . اللهم إن إبراهيمَ حرم مكة ، وأنا أحرَم ما بين لابتَيْها<sup>(١)</sup>" .

§ وعن عائشة رضی الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "اللهم حبِّبْ إلينا المدينةَ كما حبَّبتَ إلينا مكةَ أو أشدَّ، وآتقلُّ حُمَاهَا إلى الجُحْفَةِ، اللهم بارِكْ لنا في صاعنا ومُدَّنَا" . ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة فقال : "اللهم بارِكْ لهم في مِكْيَلِهِمْ ، وبارِكْ لهم في صاعِهِمْ ومُدَّهُمْ" .

§ وقال صلى الله عليه وسلم : "مَنْ زارَ قَبْرِي ، وجبَّتْ له شفاعتي" .

§ وعن أنس بن مالك رضی الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ زارني في المدينةِ مُحْتَسِبًا ، كان في جِوَارِي وكنتُ له شَفِيعًا يومَ القيامة" .

§ وكان مانك رحمه الله لا يركب في المدينة دابةً ، ويقول : أستحجي من الله أن أظأَّ تربةً فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافِرِ دابة .

وروى أنه وهب للشافعي كُرَاعًا كثيرًا ، فقال له الشافعي : أمسِك منها دابةً . فأجابه بمثل هذا الجواب .

§ وحكى القاضي عياض في "كتاب الشفاء" قال : حُذِّثَ أَن أَبَا الْفَضْلِ

الْجَوْهَرِيِّ لَمَّا وَرَدَ الْمَدِينَةَ زَائِرًا وَقَرَّبَ مِنْهَا ، تَرَجَّلَ وَمَشَى بِأَيْكَا مَنْشِدًا :

وَلَمَّا رَأَيْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا \* فُوَادًا لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبًّا

نَزَلْنَا عَنِ الْكُوَارِ تَمَشَى كِرَامَةً \* لَمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُؤَلِّمَ بِهِ رَبِّكَ

قال : وحكى بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، أنشأ يقول ممتثلاً :

رُفِعَ الْمِحَابُ لَنَا فَلَاحَ لِنَاظِرٍ \* قَمَرٌ تَقَطَّعُ دُونَهُ الْأَوْهَامُ

وَإِذَا الْمَطَى بَنَّا بَلْعَرْنَ مَجْدًا \* فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرَّجَالِ حَرَامُ

قَرَّبْنَا مِنْ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ التُّرَى \* فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ

§ وأفنى مالك رحمه الله فيمن قال "تربة المدينة رديئة" بضرب ثلاثين ديرة ،

وأمر بحبسه ؛ وكان له قدر ، وقال : "ما أحوجنا إلى ضرب عنقه ، تربةٌ دفن فيها

النبي صلى الله عليه وسلم ، يزعم أنها غير طيبة ! " .

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المدينة : "من

أحدث فيها حدثًا أو آوى مُحْدِثًا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبلُ

الله منه صرْفًا وَلَا عَدْلًا " .

ذكر شيء من خصائص المدينة المشرفة وأسمائها

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

§ من خصائصها ، أن العطر والبخور يوجد لها فيها من الصَّوْعِ وَالرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ

أضعاف ما يوجد في سائر البلاد ؛ ولها في قصبتها فَعْمَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَائِحَةٌ عَطِرَةٌ ، وإن لم

يكن فيها شيء من الطيب آتية ؛ ولهذا سميت "طيبة" و"طابة" ،

قال الشاعر :

مَاذَا عَلَيَّ مِنْ شَمِّ تُرْبَةِ أَحْمَدٍ \* أَلَا يَتَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا

وهذا البيت ينسب لفاطمة الزهراء رضى الله عنها .

§ ومن اسمائها "طَيِّبَةُ" و"طَابَةُ" و"يَثْرِبُ" و"المدينة" و"الدار" .

- § قال القاضي عياض رحمه الله : وَجَدِيرٌ بِمَوَاطِنِ عَمَّرتْ بِالوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ ، وَتَرَدَّدَ  
بِهَا جَبْرِيْلٌ وَمِيكَائِيلُ ، وَعَمَّرَجَتْ مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ، وَصَحَّتْ عَرَصَاتُهَا بِالتَّقْدِيسِ  
وَالتَّسْبِيحِ ، وَاشْتَمَلَتْ تَرَبُّثُهَا عَلَى جَسَدِ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَانْتَشَرَ عَنْهَا مِنْ دِينِ اللَّهِ وَسُنَّةِ  
رَسُولِهِ مَا أَنْتَشَرَ ، مَدَارِسُ آيَاتِ ، وَمَسَاجِدُ جَمَاعَاتِ وَصَلَوَاتِ ، وَمَشَاهِدُ الْفَضْلِ  
وَالخَيْرَاتِ ، وَمَعَاهِدُ الْبِرَاهِينِ وَالْمُعْجَزَاتِ ، وَمَنَاسِكُ الدِّينِ ، وَمَشَاعِرُ الْمُسْلِمِينَ ؛  
وَمَوَاقِفُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَمَتَبَوُّوا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ؛ حَيْثُ انْفَجَرَتْ النُّبُوَّةُ ، وَأَيْنَ فَاضَ  
عُبَابُهَا ، وَمَوَاطِنُ مَهَبَتِ الرِّسَالَةِ ، وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسِّ جِلْدِ الْمُصْطَفَى تَرَابُهَا — أَنْ تُعْظَمَ  
عَرَصَاتُهَا ، وَتُنْتَسَمَ نَفْحَاتُهَا ، وَتُقْبَلَ رُبُوعُهَا وَجَدْرَاتُهَا .

وقال :

- يَا دَارَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ بِهِ \* هُدَى الْأَنَامِ وَخُصَّ بِالْآيَاتِ  
عِنْدِي لِأَجْلِكَ لَوْعَةٌ وَصَبَابَةٌ \* وَتَسْوُوقٌ مُتَوَقِّدٌ الْجَمْرَاتِ  
وَعَلَى عَهْدٍ إِنْ مَلَأْتُ مَحَاجِرِي \* مِنْ تِلْكَ الْجُدْرَاتِ وَالْعَرَصَاتِ  
لَأُعْفِرَنَّ مَضُونِ شَيْئِي بَيْنَهَا \* مِنْ كَثْرَةِ التَّقْيِيلِ وَالرَّشْفَاتِ  
لَوْلَا الْعَوَادِي وَالْأَعَادِي زُرْتُهَا \* أَبَدًا وَلَوْ تَحَبَّبًا عَلَى الْوَجَنَاتِ  
لَكِنْ سَأَهْدِي مِنْ حَفِيلِ تَحِيَّتِي \* لِقَطِينِ تِلْكَ الدَّارِ وَالْمُجْرَاتِ  
أَذْكَى مِنَ الْمِسْكِ الْمَفْتَقِ نَفْحَةً \* تَغْشَاهُ بِالْأَصَالِ وَالْبُكْرَاتِ  
وَتُحْصُهُ زَوَاكِي الصَّلَوَاتِ \* وَنَوَائِي النِّسْلِيمِ وَالْبَرَكَاتِ

### وأما البيت المقدس والمسجد الأقصى

فأبیت المقدس أحدُ القبلتين ، والمسجد الأقصى ثالثُ الحرمين ؛ إليه تُسَدُّ  
الرحال ، ويكثرُ النزولُ والارتحال ؛ وفي الأرض المقدسة تُحسَّرُ الخلائق ليوم العَرْض ،  
ويُسُّطُ الله تعالى الصخرةَ الشريفةَ حتى تكونَ كعرض السماء والأرض ؛ وتجتمع  
الناس هناك لفصل الحساب ، ويضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة  
وظاهره من قبله العذاب .

### ولنبداً بذكر الأرض المقدسة

§ قال الله عز وجل إخباراً عن موسى عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ  
الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ . قال الزجاج : والمقدسة : المطهرة .  
وقيل للسطل "القدس" لأنه يُتَطَهَّرُ منه . وسمى بيت المقدس لأنه يُتَطَهَّرُ  
فيه من الذنوب . وقيل : سماها مقدسة لأنها طُهِّرت من الشرك وجعلت مسكناً  
للأنبياء والمؤمنين .

§ وقد اختلف في الأرض المقدسة ما هي ؟

فذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنها أريحا .

وقال السُّدِّي : أريحا هي أرض بيت المقدس . وقال مجاهد : هي الطُّور  
وما حوله . وقال الضحاك : هي إيلياء وبيت المقدس . وقال الكلبي : دِمَشْق  
وِفِلَسْطِينَ وبعض الأُرْدُنِّ . وقال قتادة : هي الشام كلها .

وقال عبدالله بن عمر : والحرم محرمٌ مقداره من السماوات والأرض ، وبيت  
المقدس مقدسٌ مقداره من السماوات والأرض .

§ وقال ابن قتيبة . وقرأت في مناجاة موسى عليه السلام أنه قال : اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن البيوت مكة وإيلياء، ومن إيلياء بيت المقدس .

§ وقال الله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ .

والمسجد الأقصى بيت المقدس . سمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ، وقيل : لبعده المسافة بين المسجدين . وقوله عز وجل : "الذي باركنا حوله" قيل : بالماء والأنهار والأشجار والثمار . وقال مجاهد : سماه مباركاً لأنه مقر الأنبياء، وفيه مهبط الملائكة والوحى، وهو الصخرة، ومنه يُحشَر الناس يوم القيامة .

§ وقال تعالى : ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سَيْنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ .

قال الثعلبي في تفسيره : قال كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وعبد الرحمن بن غنم : «التين مسجد دمشق، والزيتون بيت المقدس» . وقال الضحاك : «هما مسجدان بالشام» . وقال محمد بن كعب : «التين مسجد أصحاب الكهف، والزيتون مسجد إيلياء» . ومجازه على هذا التأويل : منابت التين والزيتون .

وروى عطية عن ابن عباس : «التين مسجد نوح عليه السلام الذي بنى على الجودي، والزيتون بيت المقدس» .

وروى نهشل عن الضحاك : «التين المسجد الحرام، والزيتون المسجد الأقصى» قال : «وطور سينين، يعني جبل موسى عليه السلام» .

قال عكرمة : «السَّيْنِينُ الحسن بلغة الحبشة» . وعنه : كل جبل يُنبت فهو

سَيْنِينٌ .

- وقال مجاهد : ” الطُّور : الجبل ، وسينين : المبارك “ .
- وقال قتادة : ” المبارك : الحسن “ .
- وقال مقاتل : ” كل جبل فيه شجر فهو سينين ، وسيناء وهو بلغة النَّبَط “ .
- وقال الكلبي : ” يعنى الجبل المشجر “ .
- ٥ وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أربعة أجدال مقدسة بين يدي الله تعالى : طُورِ تَيْنَا ، وطُورِ زَيْتَا ، وطُورِ سَيْنَا ، وطُورِ تَيْمَانَا .
- فأما طُورِ تَيْنَا : فدمشق .
- وأما طُورِ زَيْتَا : فبيت المقدس .
- وأما طُورِ سَيْنَا : فهو الذى كان عليه موسى عليه السلام .
- ١٠ وأما طُورِ تَيْمَانَا : فمَكَّةُ .
- § والبلد الأمين : مكة بلا خلاف “ .
- § ومسجد بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ورد في الصحيح : ” لا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى “ .
- ١٥ وفي الصحيح أيضا : ” أن موسى عليه السلام ، لما حضرته الوفاة سأل الله تعالى أن يدينه من الأرض المقدسة رميةً بحجر “ .
- وكانت عمارة مسجد البيت المقدس بأمر الله عز وجل لنبيه داود عليه السلام أن يعمره ثم لم يقدر له عمارته وقدر الله تعالى ذلك على يدي سليمان بن داود عليهما السلام ، فهو الذى عمره ؛ وسيأتى ذكر ذلك إن شاء الله تعالى مبينا فى الفن الخامس فى التاريخ .
- ٢٠

- § وقد وردت آثارٌ وأحاديثٌ في فضل بيت المقدس ، وفضل زيارته ، وثواب الصلاة فيه ، ومضاعفة الحسنات والسيئات فيه ، وفضل السكنى فيه ، والإقامة به ، والوفاء فيه ، وما به من قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومحراب داود ، وعين سلوان ، وما ورد في أن الحشر منه ، وما ورد في فضل الصخرة والصلاة الى جانبها ، وما ورد من أن الله عز وجل عرج بنييه من بيت المقدس الى السماء ، وثواب الإهلال من بيت المقدس ، وما ورد من أن الكعبة تزور الصخرة يوم القيامة .

وسند ذكر من ذلك طرفا تقف عليه إن شاء الله تعالى ونحذف أسانيد الأحاديث الواردة فيه رغبة في الاختصار فتقول ، وبالله التوفيق :

### أما فضل بيت المقدس

- ١٠ فقد ورد عن الزهري أنه قال : لم يبعث الله عز وجل نبيا ، إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس . وقد صلى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته سبعة عشر شهرا ، كما روى في الصحيحين ، حتى أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم : (( قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ )) .
- ١٥ وتحويّل القبلة أوّل ما تُسخ من أمور الشرع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلّون بمكة إلى الكعبة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، أمره الله تعالى أن يصلّي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من تعيينه في التوراة .
- هذا قول عاتمة المفسرين ، على ما حكاه الثعلبي عنهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد: قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا  
فَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هؤلاء يهود يستقبلون بيتنا  
من بيوت الله" . فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم . قالوا جميعا: فصلى النبي صلى  
الله عليه وسلم وأصحابه نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرا ، وكانت الأنصار قد صلّت  
قبل بيت المقدس ستين يوما ، قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم .

وكانت الكعبة أحب القبلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

§ وأختلفوا في السبب الذي كان عليه الصلاة والسلام من أجله يكره قبلة  
بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة .

فقال ابن عباس رضى الله عنهما : لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليهما السلام .

وقال مجاهد : من أجل أن اليهود قالوا : يخالفنا محمد في ديننا ، ويتبع قبلتنا !

وقال مقاتل بن حيان : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى نحو  
بيت المقدس ، قالت اليهود : يزعم محمد أنه نبي ، وما نراه أحدث في نبوته شيئا !  
أليس يصلى إلى قبلتنا ويستسنن بسنتنا ! فإن كانت هذه نبوة فنحن أقدم  
وأوفر نصيبا .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشق عليه وزاده شوقا إلى الكعبة .

وقال ابن زيد : لما استقبل النبي صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ، بلغه  
أن اليهود تقول : والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ، قالوا جميعا :  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : وددت أن الله صرّفى عن قبلة اليهود  
إلى غيرها ، فإنى أبيضهم وأبيض موافقتهم ، فقال جبريل : إنما أنا عبدٌ مثلك ،  
ليس لى من الأمر شيء ، فسئل ربك ، فخرج جبريل ، وجعل رسول الله صلى الله

عليه وسلم يديم النظر إلى السماء رجاء أن يترل جبريل بما يجب من أمر القبلة .  
فأنزل الله عز وجل : ﴿ قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ۙ ﴾ الآية .

فلما صُرِفَتِ القبلة إلى الكعبة قال مشركو مكة : قد تردد على عهد أمره ،  
وأشفاق إلى مولده ومولد آبائه ، وقد توجه نحو قبلتهم وهو راجع إلى دينكم عاجلاً ،  
وتكلم اليهود والمنافقون في تحويلها ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ  
مَا وَلاَهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ  
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

§ وروى عن كعب أنه قال : إن الله عز وجل ينظر إلى بيت المقدس كل

يوم مرتين .

### وأما فضل زيارته وفضل الصلاة فيه

١٠

§ فقد روى عن مكحول أنه قال : من زار بيت المقدس شوقاً إليه دخل الجنة  
وزاره جميع الأنبياء في الجنة وغبطوه بمنزلته من الله تعالى . وأيضاً رُفِّقَ خرجوا يريدون  
بيت المقدس ، شيعهم عشرة آلاف من الملائكة : يستغفرون لهم ويصلون عليهم ،  
ولهم مثل أعمالهم إذا آتوا إلى بيت المقدس ، ولهم بكل يوم يقيمون فيه صلاة سبعين ملكاً .

١٥

ومن دخل بيت المقدس طاهراً من الكبائر ، تلقاه الله بمائة رحمة ، ما منها رحمة إلا ولو  
قسمت على جميع الخلائق لوسعتهم . ومن صلى في بيت المقدس ركعتين يقرأ فيهما  
بـ "فاتحة الكتاب" و"قل هو الله أحد" خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وكان له بكل  
شعرة على جسده حسنة . ومن صلى في بيت المقدس أربع ركعات ، مرة على الصراط  
كالبرق وأعطى أماناً من الفرع الأكبر يوم القيامة . ومن صلى في بيت المقدس

٢٠

ست ركعات ، أُعْطِيَ مائة دعوة مستجابة ، أذناها براءة من النار ووجب له الجنة .

وَمَنْ صَلَّى فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثَمَانًا رَكَعَاتٍ ، كَانَ رَفِيقَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ . وَمَنْ صَلَّى فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَشْرَ رَكَعَاتٍ ، كَانَ رَفِيقَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ فِي الْجَنَّةِ . وَمَنْ آسْتَفْغَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، كَانَ لَهُ مِثْلُ حَسَنَاتِهِمْ ، وَدَخَلَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ مِنْ دَعَائِهِ سَبْعُونَ مَغْفِرَةً وَغُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ كُلُّهَا .

§ وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” مَنْ صَلَّى بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ نَافِلَةً ، كُلُّ صَلَاةٍ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ يَقْرَأُ فِي الْخَمْسِ الصَّلَوَاتِ عَشْرَةَ آلَافٍ مَرَّةً (قَالَ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ، فَقَدْ اشْتَرَى نَفْسَهُ مِنَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا ، لَيْسَ لِلنَّارِ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ “ .

وعنه أيضا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ بِصَلَاةٍ وَاحِدَةٍ ، وَصَلَاتُهُ فِي مَسْجِدِ الْقِبْلَةِ بِسِتِّ وَعَشْرِينَ ، وَصَلَاتُهُ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُجْمَعُ فِيهِ بِخَمْسِينَ صَلَاةً ، وَصَلَاتُهُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِخَمْسِينَ أَلْفَ صَلَاةً ، وَصَلَاتُهُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ “ .

وعن مكحول أن ميمونة رضى الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيت المقدس قال : ” نِعَمَ الْمَسْكُنُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ ! وَمَنْ صَلَّى فِيهِ صَلَاةً بِأَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ ، قَالَتْ : فَمَنْ لَمْ يُطِيقْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : يُهْدَى لَهُ زَيْتًا “ .

(١) يظهر أن بعض الكلمات قد سقطت في هذا الموضع . ولذلك رأيت إيراد الحديث بلفظ آخر عن ابن الفقيه الهمداني في كتابه ” مختصر كتاب البلدان “ المطبوع في لندن سنة ١٣٠٢ هـ (سنة ١٨٨٥ م) وهذا نصه : ” قالت ميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أفننا عن بيت المقدس ، قال : نعم المصل هو أرض المحشر وأرض المنشر ، إنشوه فصلوا فيه فان الصلاة فيه كألف صلاة ؛ قلت بأبي وأمي أنت ، من لم يطيق أن يأتيه . قال فليهد إليه زيتا يسرح فيه ، فانه من أهدى إليه ، كان كمن صل فيه “ .

§ وعن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يسمع أهل السماء من كلام بنى آدم شيئاً غير أذان مؤذن بيت المقدس .

### وأما ما ورد

في بيت المقدس من مضاعفة الحسنات والسيئات فيه

- فقد روى عن نافع ، قال : قال ابن عمر رضى الله عنهما ونحن في بيت المقدس :  
يا نافع ، أخرج بنا من هذا البيت ، فإن السيئات تضاعف فيه كما تضاعف الحسنات .  
وقال جرير بن عثمان وصفوان بن عمرو : الحسنات في بيت المقدس بألف ،  
والسيئات بألف .

### وأما فضل السكنى فيه والإقامة والوفاء به

- § فقد روى عن ذى الأصابع أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرايت  
يا رسول الله إن أتينا بالبقاء بعدك ، فأين تأمرنا؟ قال : "عليك بيت المقدس ،  
لعل الله يرزقك ذرية تغدو إليه وتروح" .

- § وعن أبي أمامة الباهلي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا تزال طائفة  
من أمتي ظاهرين على الحق ، اعدوهم فاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتيهم  
أمر الله عز وجل وهم كذلك ، قالوا : يا رسول الله ، وأين هم؟ قال : بيت المقدس  
وأكف بيت المقدس" .

§ وعن عطاء ، قال : لا تقوم الساعة حتى يسوق الله عز وجل خيار عباده الى بيت  
المقدس والى الأرض المقدسة ، فيسكنهم إياها .

§ وعن كعب ، قال : قال الله عز وجل لبيت المقدس : أنت جنتي وقُدسي  
وصفوتي من بلادى ، مَنْ سَكَتَ فبرحمة منى ، وَمَنْ نَحَرَجَ مِنْكَ فبسخَط منى عليه .

§ وعن وهب بن منبه ، قال : أهل بيت المقدس جيرانُ الله ، وحقُّ على الله عز  
وجل ألا يعدَّب جيرانَه ؛ ومن دُفِنَ في بيت المقدس نجا من فتنة القبر وضيقه .

§ وعن كعب ، قال : اليومُ في بيت المقدس كَأَلِفِ يَوْمِ ، والشهر فيه كَأَلِفِ شهرٍ ،  
والسنة فيه كَأَلِفِ سنةٍ ؛ وَمَنْ مات فيه فكأنما مات في السماء ، وَمَنْ مات حوله  
فكأنما مات فيه .

وعن خالد بن معدان قال : سمعت كعباً يقول : مقبورُ بيت المقدس لا يعدَّب .

### وأما ما به من قبور الأنبياء ومحراب داود وعين سلوان

§ ففي الأرض المقدسة قبر إبراهيم الخليل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف  
عليهم السلام .

§ وفي الصحيح أن موسى عليه السلام لما حضرته الوفاة سأل الله عز وجل أن  
يُدْنِيَه من الأرض المقدسة ، رميةً بحجرٍ .

§ وروى الحافظ أبو بكر الخطيب بسنده عن بشر بن بكر عن أم عبد الله عن ابنها  
أنه قال : من أتى بيت المقدس ، فليات محراب داود ، فليصلَّ فيه ، ويتسبَّح في عين  
سلوان فإنها من الجنة .

§ وبسنده إلى سعيد بن عبد العزيز ، قال : كان في زمان بني إسرائيل في بيت  
المقدس عند سلوان عينٌ ؛ وكانت المرأة إذا قُدِّفَتْ ، أتوا بها فشربت منها ،

فإن كانت بريئة لم تضرها، وإن كانت نطفة ماتت. فلما حملت مريم حملوها، فشربت منها فلم تزد إلا خيرا، فدعت الله ألا يفضح بها امرأة مؤمنة، فغارت العين.

### وأما ما ورد

#### في أن الحشر من البيت المقدس

§ فقد روى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: "قلت يا رسول الله أخبرنا عن بيت المقدس؛ قال: أرض المحشر والمنشر، إيتوه فصلوا فيه وليأتين على بيت المقدس (٢) ! ولبسطه قوس أو مسح قوس في بيت المقدس أو من حيث يرى بيت المقدس خيرا من كذا وكذا".

§ وعن كعب قال: العرض والحساب من بيت المقدس.

§ وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ينادِ الْمُنادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال: من حفرة بيت المقدس.

§ وعن يزيد بن جابر "يَوْمَ ينادِ الْمُنادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ" قال: يقف إسرافيل على حفرة بيت المقدس فينفخ في الصور فيقول: أيتها العظام النخرة، والجلود المتمزقة، والأشعار المتقطعة؛ إن الله تعالى أمرك أن تجتمعى للحساب.

(١) نطفة: مريية متهمة.

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمة. وقد روى ابن فضل الله العمري في "مسائل الأبصار" المطبوع بدار الكتب المصرية (ج ١ ص ١٣٦) حديثا تقربا لفاظه جدا من هذا الحديث أن لم يكونا حديثا واحدا؛ فلاحظ تكلمة النقص الموجود في نسخ النويري في هذا الموضع نورد ما رواه ابن فضل الله وهو: وعن أبي ذر قال: قيل يا رسول الله صلاة في البيت المقدس أفضل أم صلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه؛ ولعم المصل هو أرض المحشر والمنشر! وليأتين على الناس زمان، ولبسطه قوس من حيث يرى بيت المقدس أفضل خيرا من الدنيا جميعا.

§ وقال المفسرون في قوله تعالى : ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾  
هو أن إسمرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى : ”يا أيها الناس ، هايموا الى  
الحساب ، إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء ، وهذه هي النفخة الأخيرة“ .  
والمكان القريب صخرة بيت المقدس .

§ قال كعب ومقاتل : هي أقرب الى السماء بثمانية عشر ميلا . وقال ابن السائب :  
بأثنى عشر ميلا .

§ وعن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا لَهَا بَابٌ بَاطِنُهُ  
فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ قال : هو حائط بيت المقدس الشرقي الذي  
من ورائه وادٍ يقال له وادي جهنم ، ومن دونه بابٌ يقال له باب الرحمة .

### وأما ما ورد

#### في فضل الصخرة والصلاة إلى جانبها

§ فقد روى عن أنس بن مالك ، قال : إن الجنة ليحسَّ شوقاً الى بيت المقدس ،  
وإن بيت المقدس من جنة الفردوس ، وهي سرّة الأرض .

§ وعن أبي إدريس الخولاني : قال : يحول الله صخرة بيت المقدس مرجانة  
بيضاء كعروض السماء والأرض ، ثم ينصب عليها عرشه ، ثم يقضى بين عباده :  
يصيرون منها الى الجنة وإلى النار .

§ وعن أبي العالصة في قوله تعالى : ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ قال : من  
بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصل صخرة بيت المقدس .

§ وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الأنهار كلها والسحاب والبحار والرياح من تحت صخرة بيت المقدس» .

§ وقال ابن عباس رضى الله عنهما: صخرة بيت المقدس من صخور الجنة .

§ قال الزجاج: يقال إنها في وسط الأرض .

- § وعن كعب قال: من أتى بيت المقدس فصلّى عن يمين الصخرة وشمالها ودعا عند موضع السلسلة، وتصدق بما قلّ أو كثر، أسجّيب دعاؤه، وكشف الله حرّته، ونرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن سأل الله الزيادة أعطاه إياها .

### وأما ماورد

في أن الله عز وجل عرج من بيت المقدس الى السماء

- ١٠ فقد روى الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد الواسطي الخطيب رحمه الله بسنده الى سواده بن عطاء الحضرمي، قال: نجد في الكتاب مكتوباً أن الله عز وجل لما أن خلق الأرض وشاء أن يعرج الى السماء وهي دحان، استشرف لذلك الجبال، أيها يكون ذلك عليه، وخشعت صخرة بيت المقدس تواضعاً لله عز وجل، فشكر الله لها ذلك وجعل المعراج عنها، وكان عليها ما شاء الله أن يكون . قال: فمد الجبار يديه حتى كانتا حيث يشاء أن تكونا، ثم قال: «هذه جنتي غرباً، وهذه نارى شرقاً، وهذا موضع ميزاني طرف الجبل، وأنا الله ديان يوم الدين» وكان معراجه الى السماء عن الصخرة .

وروى أيضا بسنده الى هاني بن عبد الرحمن، وردّيح بن عطية عن إبراهيم ابن أبي عبلة أحسبه كذا قال: وسئل عبادة بن الصامت ورافع بن خديج، وكانا عقبيين

بدرين، فقيل لهما: أرايتما ما يقول الناس في هذه الصخرة أحقاً هو فناخذ به،  
 أم هو شيء أصله من أهل الكتاب فندعه؟ فقال كلاهما: سبحان الله! ومن يشك  
 في أمرها! إن الله عز وجل لما استوى إلى السماء قال لصخرة بيت المقدس:  
 «هذا مقامي وموضع عرشي يوم القيامة، ومحشر عبادي، وهذا موضع نارى عن  
 يسارها وفيه أنصب ميزانى أمامها، وأنا الله ديان يوم الدين» ثم استوى إلى عليين.

وروى أيضا بسنده عن كعب، قال: إن في التوراة أنه يقول لصخرة بيت المقدس  
 «أنت عرشي الأدنى ومنك آرتفعت إلى السماء، ومن تحتك بسطت الأرض  
 وكل ما يسيل من ذروة الجبال من تحتك، من مات فيك فكأنما مات في السماء،  
 ومن مات حولك فكأنما مات فيك، لا تقضى الأيام والليالي حتى أرسل عليك نارا  
 من السماء فناكل آثاراً ككف بنى آدم وأقدامهم منك، وأرسل عليك ماء من تحت  
 العرش فأغسلك حتى أتركك كالمرآة، وأضرب عليك سورا من غمام غلظه اثنا عشر  
 ميلا، وسيابجا من نار، وأجعل عليك قبة جبلتها بيدي، وأنزل فيك روجي وملائكتي  
 يسبحون لي فيك، لا يدخلك أحد من ولد آدم إلى يوم القيامة، فمن يرضو تلك  
 القبة من بعيد، يقول: طوبى لوجه يختر فيك الله ساجدا، وأضرب عليك حائطا من نار،  
 وسيابجا من الغمام، وخمسة حيطان من ياقوت ودر وزبرجد، أنت البيدر، وإليك  
 المحشر، ومنك المدشر».

وروى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي رحمه الله في ذلك  
 حديثين، ثم تكلم عليهما وضعف رواتهما.

أما أحدهما، فقال: أخبرنا المبارك بن أحمد، قال أخبرنا أبو الحسين محمد بن  
 محمد، قال أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن عمر النصبى، قال أخبرنا أبو بكر

أحمد بن صالح بن عمر المقرئ ، قال حدثنا عيسى بن عبيد الله ، قال حدثنا علي  
 ابن جعفر الرازي ، قال حدثنا العباس بن أحمد بن عبد الله ، قال حدثنا عبد الله  
 ابن عمر المقدسي ، قال حدثنا بكر بن زياد الباهلي ، عن عبد الله بن المبارك ، عن  
 سعيد بن أبي عمرو ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن أبي هريرة رضي الله  
 عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لما أُسْرِىَ بي إلى بيت المقدس  
 مررتُ بي جبريل عليه السلام إلى قبر إبراهيم ، فقال : أنزل ، فصل هاهنا ركعتين ،  
 هاهنا قبر أبيك إبراهيم ، ثم مررتُ بي بيت لحم ، فقال : أنزل ، صل هاهنا ركعتين ،  
 فإن هاهنا وُلِدَ أخوك عيسى ، ثم أتى بي إلى الصخرة فقال : من هاهنا عرج ربك  
 إلى السماء" .

١٠ قال الحافظ أبو حاتم بن حيان ، هذا حديث لا يشك عوامُّ أصحاب الحديث  
 أنه موضوع . وكان بكر بن زياد يضع الحديث على الثقات .

وأما الحديث الثاني ، فرواه بسند إلى إبراهيم بن أعين عن رُدَيْج بن عطية بن  
 النعمان ، عن عبد الله بن بسر الحمصي ، عن كعب الأحبار ، قال : يقول الله عز وجل  
 لبيت المقدس : "أنت عرشي الذي منك آرتفعت إلى السماء ، ومنك بسطت الأرض ،  
 ومن تحتك جعلت كل ماءٍ عذبٍ يطلع في رءوس الجبال" .

١٥ قال أبو حاتم الرازي : إبراهيم بن أعين مُنكَّرُ الحديث .  
 هذا ما ورد في هذا الفصل ، وقد نهينا على ما فيه من المآخذ . والله أعلم .

### وأما ثواب الإهلال من بيت المقدس

فقد روى عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها أن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قال : "مَنْ أَهَلَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ" .

قال سالم : وأهلّ آبن عمر رضى الله عنهما من بيت المقدس بعمرة .

وروى عن آبن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ”مَنْ أَحْرَمَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَدِمَ مَكَّةَ مَغْفُورًا لَهُ“ .

وأما ما ورد من أن الكعبة تزور الصخرة يوم القيامة  
 فقد روى عن كعب الأخبار قال : لا تقوم الساعة حتى يزور البيت الحرام  
 بيت المقدس ، فينقادان جميعا إلى الجنة وفيهما أهلهما .

وروى عن خالد بن معدان قال : يحشر الله الكعبة إلى الصخرة زفا إليها زفا ، متعلقين  
 بجميع من حج إليهما ، تقول الصخرة : مرحبا بالزائرة والمزور إليها .

هذا ما أتفق إيراده في فضائل البيت المقدس ، وسند كره إن شاء الله تعالى من  
 أخباره طرفا آخر ، وهو في الباب الثاني ، من القسم الثالث ، من الفن الخامس في التاريخ ،  
 عند ذكرنا لأخبار سليمان بن داود عليهما السلام . فلنذكر خلاف ذلك .

وأما اليمن وما يختص به

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”الإيمانُ يمانُ . والحكمةُ  
 يمانية“ .

وقال الجاحظ : من خصائص اليمن السيوف ، والبرود ، والقروود .

﴿١١٩﴾

ويقال : إن السيف متى قُلب بالهند وطُبع باليمن ، فناهيك به !

وقال الأصمعي : أربعة ملاء الدنيا ولا تكون إلا باليمن ، وهي الورس ،  
 والكنندر ، والخضض ، والعقيق .

وأما الشام وما يختص به

فمن ذلك أن الشام موطن الأنبياء عليهم السلام، ومعدن الزهاد والعباد .

وحكى أن الأبدال السبعين بأرض الشام، بجبل لكّام وجبل بُنان .

ومن خصائص الشام :

### مسجد دمشق

الذي ما عمّر على وجه الأرض مثله، وكانت عمارته في سنة ست وثمانين، عمره الوليد بن عبد الملك. ووقع الحريق فيه في سنة إحدى وستين وأربعمائة، فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة .

وعن قتادة، قال: أقسم الله تعالى بمساجد أربعة، قال: "والتين" وهو مسجد

دمشق، "والزيتون" وهو بيت المقدس، "وطور سينين" وهو حيث كلم الله موسى، "وهذا البلد الأمين" وهو مكة .

وقال محمد بن شعيب: سمعتُ غير واحد من قدمائنا يذكرون أن التين مسجد

دمشق، وأنهم قد أدركوا فيه شجرا من تين قبل أن يبني الوليد .

وعن هشام بن عبد الملك قال: لما أمر الوليد ببناء مسجد دمشق، وجدوا

في الحائط القبلي من المسجد لوحا فيه نقش فأتوا به الوليد، فبعث إلى الروم والبرانيين وغيرهم فلم يستخرجوه، فدلّ على وهب بن منبّه فبعث إليه، فلما قدم أخبره بموضع ذلك اللوح فإذا الحائط الذي وجد فيه بناء هود عليه السلام .

وعن زيد بن واقد قال: وكّلى الوليد على العمال في بناء جامع دمشق، فوجدنا

فيه مغارة فعزفنا الوليد ذلك . فلما كان الليل وافى وبين يديه الشمع، فنزل فإذا

هي كنيسة لطيفة : ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، وإذا فيها صندوق ، ففتح فإذا فيه سَفَطٌ ، وفي السَّفَطِ رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ، مكتوب عليه : ” هذا رأس يحيى بن زكريا “ ، فأمر الوليد ، فرُدَّ إلى مكانه ، وقال آجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة ، فجعلوا عليه عموداً مُسَفَطَ الرأس ؛ وكانت البشرة والشعر على رأسه لم يتغير .

وقال أبو زرعة : مسجد دمشق حَظَّهُ أبو عبيدة بن الجراح ، وكذلك مسجد حمص . وقيل : لما قدم المهدي يريد بيت المقدس ، دخل مسجد دمشق ومعه أبو عبد الله الأشعري كاتبه ، فقال : يا أبا عبد الله سبقنا بنو أمية بثلاث ؛ قال : وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : بهذا البيت (يعني المسجد) لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وبُنِبِلِ الموالى فإن لهم موالى ليس لنا مثلهم ، وبِعَمْرٍ بن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبداً ! ثم أتى بيت المقدس فدخل الصخرة ، فقال : يا أبا عبد الله وهذه رابعة .

وحكى عمرو بن مہاجر الأنصاري قال : حَسَبُوا ما أنفق على الكرمة التي في قبلة مسجد دمشق ، فإذا هو سبعون ألف دينار .

وقال أبو قصى : أنفق في عمارة مسجد دمشق أربع مائة صندوق ، كل صندوق أربعة عشر ألف دينار .

وقال بعض شعراء المُحدِّثين في وصفه :

دِمَشْقُ قد شاع ذِكْرُ جامعها • وما حَوَتْهُ رُبِّي مَرابعها  
بديعةُ المُدْنِ في الكمالِ لِمَا • يُدْرِكُهُ الطَّرْفُ من بدائعها  
طَيِّبَةٌ أرضها مباركةٌ • باليمن والسَّعد أخذ طالعها  
جامعها جامعُ المحاسنِ قَدْ • فاقت به المُدْنُ في جوامعها

- تُدَّكَّرُ فِي قَضَائِهِ وَرَفَعْتَهُ \* أَخْبَارُ صِدْقٍ رَأَتْ لِسَامِعِهَا  
 قَدْ كَانَ قَبْلَ الْحَرِيقِ مَدْهَشَةً \* فَغَيَّرَتْهُ نَارٌ بِلَاقِعِهَا<sup>(١)</sup>  
 فَازْهَبَتْ بِالْحَرِيقِ بَهْجَتَهُ \* فَلَيْسَ يُرْجَى إِيَابُ رَاجِعِهَا  
 إِذَا تَفَكَّرْتَ فِي الْفُصُوصِ وَمَا \* فِيهَا تَيَقَّنْتَ حِدَقَ وَاضِعِهَا  
 أَشْجَارُهَا لَا تَزَالُ مَثْرَةً \* لَا تَرَهَّبُ الرِّيحُ فِي مَدَائِعِهَا  
 كَأَنَّهَا مِنْ زُمْرِدٍ غُرِسَتْ \* فِي أَرْضٍ تَبْرُ تَعْشَى بِفَاقِعِهَا  
 فِيهَا ثِمَارٌ تَخَالُهَا يَنْعَتُ \* وَلَيْسَ يُحْشَى فِسَادُ يَانِعِهَا  
 تُقَطَّفُ بِاللُّعْظِ لَا بِجَارِحَةِ الْأَيْدِي وَلَا تُجْتَنَى لِبَائِعِهَا  
 وَتَحْتَمَى مِنْ رُخَامِهِ قِطْعٌ \* لَا قَطَعَ اللَّهُ كَفَّ قَاطِعِهَا  
 أَحْكَمُ تَرْخِيمِهَا الْمَرْخَمُ قَدْ \* بَانَ عَلَيْهَا إِحْكَامُ صَانِعِهَا  
 وَإِنْ تَفَكَّرْتَ فِي قَنَاطِرِهِ \* وَسَقَفِهِ بَانَ حِدَقُ رَافِعِهَا  
 وَإِنْ تَبَيَّنْتَ حُسْنَ قُبَّتِهِ \* تَحَيَّرَ اللَّبُّ فِي أَضَالِعِهَا  
 تَحْتَرِقُ الرِّيحُ فِي مَخَارِمِهَا \* عَصْفًا فَتَقْوَى عَلَى زَعَاذِعِهَا  
 وَأَرْضُهُ بِالرُّخَامِ قَدْ فُرِشَتْ \* يَنْفِصِحُ الطَّرْفُ فِي مَوَاضِعِهَا  
 جَالِسُ الْعِلْمِ فِيهِ مُوْتَقَنَةٌ \* يَنْشِرِحُ الصَّدْرُ فِي مَجَامِعِهَا  
 وَكُلُّ بَابٍ عَلَيْهِ مَطْهُرَةٌ \* قَدْ أَمِنَ النَّاسُ دَفْعَ مَانِعِهَا  
 يَرْتَفِقُ الْخَلْقُ مِنْ مَرَاغِقِهَا \* وَلَا يُصَدُّونَ عَنْ مَنَافِعِهَا  
 وَلَا تَزَالُ الْمِيَاهُ جَارِيَةً \* فِيهَا لَمَّا شُقَّ مِنْ مَشَارِعِهَا  
 وَسَوْفُهَا لَا تَزَالُ أَهْلَةً \* يَزْدَحِمُ النَّاسُ فِي شَوَارِعِهَا  
 لَمَّا يَسْأَلُونَ مِنْ فَوَاكِهِهَا \* وَمَا يُرِيدُونَ مِنْ بَضَائِعِهَا

(١) في الأصل: «بلاقعها» بالقاف وهو تحريف وما وضعناه هو المناسب، والآفَع من النار: ما شملك من نواحيك. وفي الحديث: لقعنك النار: أي شملك من نواحيك وأصابك لهبها.

كَأَنَّهَا جَنَّةٌ مَعْجَلَةٌ \* فِي الْأَرْضِ لَوْلَا سُرَىٰ بِغَائِمِهَا  
دَامَتْ بِرَغْمِ الْعِدَا مُسَامَةً \* وَحَاطَهَا اللَّهُ مِنْ قَوَارِعِهَا

وقال عبد الله بن سلام : بالشأم من قبور الأنبياء ألفا قبر وسبعائة قبر ، وقبر

موسى بدمشق ، ودمشق معقل الناس في آخر الزمان .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي  
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ : ﴿ وَأَوْتَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ فليأت النيرب  
الأعلى بدمشق بين النهرين ، وليصعد الغار في جبل قاسيون فليصل فيه ، فإنه بيت  
عيسى وأمه . ومن أراد أن ينظر إلى إرم ، فليأت نهرا في دمشق يقال له بردى .  
ومن أراد أن ينظر إلى المقبرة التي فيها مريم بنت عمران والحواريون ، فليأت مقبرة  
الفراديس .

ومن خصائصها التفاح الذى يضرب به المثل في الحسن والطيب ، وكان يعمل  
منه إلى الخلفاء في كل سنة ثلاثون ألف تفاحة .

وبها الغوطة ، وهى أحد متنزهات الدنيا الأربعة ، وهى أجلها .

وسندكر وصفها في باب الرياض إن شاء الله تعالى .

وأما مصر وما يختص بها من الفضائل

فمن فضلها أن الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز في أربعة وعشرين موضعا ،  
منها ما هو بصريح اللفظ ، ومنها ما دلّت عليه القرائن والتفاسير .

فأما صريح اللفظ ، فقوله تعالى : ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَاءً سَالِثًا ﴾ .

وقوله تعالى مخبرا عن فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِي ﴾ .

وقوله عز وجل مخبرا عن يوسف عليه السلام: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ .

وأما ما دلت عليه القران ، فمنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوتًا صِدْقٍ ﴾ .

وقوله عز وجل: ﴿وَأَوْيَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ . قال ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه وغيرهم : هي مصر .

وقوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ . يعني مصر .

وقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَانْكَبُوا﴾ . كذلك وأورثناها قوما آخرين . يعني قوم فرعون ، وأن بنى إسرائيل ورثوا أرض مصر .

وقوله عز وجل : ﴿وَيُرِيدُ أَنْ يَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَيَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَيَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَمَنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَبَرِيٌّ فِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ .

وقوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ .

وقوله عز وجل مخبرا عن فرعون : ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ .

وقوله تعالى : ( وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ) .

وقوله تعالى مخبرا عن قوم فرعون : ( أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ) .  
يعنى أرض مصر .

وقوله عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام : ( اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ) .

وقوله تعالى : ( وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ) .

وقوله عز وجل مخبرا عن بنى إسرائيل : ( رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) .

وقوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام : ( عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِندَكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ) .

وقوله تعالى : ( أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ) . يعنى أرض مصر .

وقوله تعالى : ( وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ) .

وقوله عز وجل : ( إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ) .

وقوله تعالى مخبرا عن ابن يعقوب : ( فَلَنْ أَرْحَ الْأَرْضَ ) . يعنى أرض مصر .

وقوله تعالى : ( إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ) .

وذكر ابن عباس مصر، فقال : سميت مصر بالأرض كلها في عشرة مواضع من القرآن . والله تعالى أعلم .

§ وأما ما ورد فيها من الحديث النبوي صلوات الله وسلامه على قائله .

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "سَتَفْتَحُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مِصْرًا ، فَاسْتَوْصُوا بِقَبِيضِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا" .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ فَاتَّخِذُوا بِهَا جُنْدًا كَثِيفًا ، فَذَلِكَ الْجُنْدُ خَيْرُ أَجْنَادِ الْأَرْضِ" فقال أبو بكر رضى الله عنه : ولم يا رسول الله ؟ فقال : "لأنهم وأزواجهم في رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" .

وعنه صلى الله عليه وسلم ، وذكر مصر : "مَا كَادَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا كَفَاهُمُ اللَّهُ مَوْنَتَهُ" .  
وتكررت الأحاديث في فضلها .

وقال عبد الله بن عمرو : وأهل مصر أكرم الأعاجم كلها ، وأسمحهم يدا ، وأفضلهم عنصرا ، وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة .

وقال أيضا : لما خلق الله عز وجل آدم ، مثل له الدنيا : شرقها ، وغربها ، وسهلها ، وجبلها ، وأنهارها ، وبحارها ، وبناءها ، ونجاها ، ومن يسكنها من الأمم ، ومن يملكها من الملوك ؛ فلما رأى مصر ، رآها أرضا سهلة ذات نهر جار ، مادته من الجنة ، تتحدر فيه البركة ، ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظر الرب عز وجل إليه بالرحمة ، في سفحه أشجار مثمرة ، فروعها في الجنة ، تسقى بماء الرحمة .

فدعا آدم في النيل بالبركة ، ودعا في أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى ، وبارك على نيلها وجبلها سبع مرات ، وقال : « يَا أَيُّهَا الْجِبَلُ الْمَرْحُومُ ، سَفْحُكَ جَنَّةٌ وَتَرْتَبُكَ مِسْكَةٌ تَدْفَنُ فِيهَا عِرَاسُ الْجَنَّةِ ، أَرْضٌ حَافِظَةٌ مَطْبِقَةٌ رَحِيمَةٌ . لَا خَلَّتِكَ يَا مِصْرَ بَرَكَةٌ ، وَلَا زَالَ بِكَ حِفْظٌ ، وَلَا زَالَ مِنْكَ مُلْكٌ وَعِزٌّ ، يَا أَرْضَ مِصْرَ فَيْكَ الْخُبَايَا وَالْكُنُوزُ ، وَلِكِ الْبِرِّ وَالْثَرْوَةُ ، سَالِ نَهْرُكَ عَسَلًا . كَثُرَ اللَّهُ زَرْعُكَ ، وَدَزَّ ضَرْعُكَ ،

(١) كذا بالأصل ، وهي غير واضحة .

وزَكَ نَبَاتِكَ ، وَعَظَّمْتَ بَرَكَتِكَ وَخَصَّصْتَ ، وَلَا زَالَ فِيكَ يَا مِصْرَ خَيْرًا مَا لَمْ تُتَجَبَّرِ  
وَتُتَكَبَّرِ أَوْ تُخَوَّنِي ؛ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ ، عَمَّاكَ شَرٌّ ، ثُمَّ تَغَوَّرَ خَيْرُكَ » .  
فَكَانَ آدَمُ أَوَّلَ مَنْ دَعَا لَهَا بِالْخِصْبِ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالْبَرَكَةِ .

وقال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : دعا نوح عليه السلام لابن ابنه بيصر  
ابن حام وهو أبو مصر ، فقال : اللهم إنه قد أجاب دَعْوَتِي ، فَبَارِكْ فِيهِ وَفِي ذُرِّيَّتِهِ  
وَأَسْكِنُهُ الْأَرْضَ الطَّيِّبَةَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْبِلَادِ .

قال عبدالله بن عمرو : لما قَسَمَ نوح عليه السلام الأرض بين ولده ، جعل لحام  
مصر وسواحلها والمغرب وشاطئ النيل . فلما دخل بيصر بن حام وبلغ العريش ،  
قال : « اللهم إن كانت هذه الأرض التي وعدتنا على لسان نبيك نوح عليه السلام  
وجعلتها لنا منزلا فأصرف عنا وباءها ، وطيب لنا ثراها ، واجمع ماءها ، وأنبت كلالها ،  
وبارك لنا فيها ، وتمم لنا وعدك ، إنك على كل شيء قدير ، وإنك لا تخلف الميعاد »  
وجعلها بيصر لابنه مصر وسماها به . والقبط ولد مصر بن بيصر بن حام بن نوح .  
وسند ذكر إن شاء الله تعالى أخبار مصر وبنيه عند ذكرنا لملوك مصر ، وهو  
في الفن الخامس في التاريخ .

وعن كعب الأجر : لولا رَغْبَتِي فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ لَمَا سَكَنْتُ إِلَّا مِصْرَ ؛  
فَقِيلَ لَهُ : وَلَمْ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّهَا مَعَاوَاةٌ مِنَ الْفِتَنِ ، وَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءِ كَيْفِ اللَّهِ عَلَى وَجْهِهِ ،  
وَهُوَ بَلَدٌ مُبَارَكٌ لِأَهْلِهِ فِيهِ .

وقال أبو بصرة الغفاري : سلطان مصر سلطان الأرض كلها .

قال وفي التوراة مكتوب : مِصْرُ خَزَائِنُ الْأَرْضِ كُلِّهَا ، فَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءِ  
قِصْمِهِ اللَّهُ تَعَالَى .

وقال عمرو بن العاص : ولاية مصر جامعة ، تعدل الخلافة .  
 وقال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز ، قاضي العراق : سألت أحمد بن المدبر  
 عن مصر فقال : كسفتها فوجدتُ عامرها أضما ف عامرها . ولو عمَّرها السلطان ،  
 لو قُت له بخراج الدنيا .

- ذكر من وُلد بمصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام  
 ومن كان بها منهم  
 ولد بمصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جماعة ، منهم : موسى وهارون ،  
 ويوشع بن نون ودانيال ، وأرميا ، ولقمان ، وعيسى بن مريم ، ولدته أمه بأهناش ،  
 وبها النخلة التي ذكرها الله تعالى لمريم على أحد الأقوال .
- ١٠ ولما سار عيسى إلى الشام أخذ على سفح المقطم ماشيا ، عليه جبة صوف ،  
 مربوط الوسط بشريط ، وأمه تمشي خلفه ، فالتفت إليها وقال : يا أمه ، هذه  
 مقبرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم .
- وأما من كان بها منهم ، فكان : إبراهيم الخليل ، وإسماعيل ، ويعقوب ،  
 ويوسف عليهم السلام ، وأثنا عشر سبطا ،

- ١٥ ذكر من كان بها من الصديقين والصدّيقات  
 رضى الله عنهم  
 كان بها من الصديقين مؤمن آل فرعون الذي ذكره الله عز وجل في القرآن ،  
 وقيل : إنه ابن فرعون لصلبه ، آمن بموسى وولّى به وجعله الله نبيا وآية .

وكان بها وزراء فرعونَ الذين وصفهم الله تعالى وفضلهم على قوم نمرود حين قالوا : (أرجئته وأخاه) وقال وزراء النمرود : (اقتلوه أو حرِّقوه) .

وأخرجت مصر السحرة الذين أحضرهم فرعون لموسى . وكانت عدتهم مائتي ألف واثنتين وثلاثين ألفا وقيل أكثر من ذلك ، آمنوا كلُّهم في ساعة واحدة . ولم نعلم من آمن في ساعة واحدة مثل هذا العدد .

ومن فضائل مصر ونبل أهلها أنهم لم يُفْتَنُوا بعبادة العجل .

وكان بها من الصديقات آسية بنتُ مزاحم امرأة فرعون ، وأم إسحاق ، ومريم بنتُ عمران ، وماشطة بنتُ فرعون ، التي مشطها فرعون بأمشاط الكنان لما آمنت بموسى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «سَمِعْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فِي الْجَنَّةِ رَائِحَةً مَا سَمِعْتُ أُطْيَبَ مِنْهَا ، فَقُلْتُ : يَا جَبْرَيْلُ مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذَا رَائِحَةُ مَا شَطَّطَتْ بِنْتِ فِرْعَوْنَ» .

### ذكر من صاهر أهل مصر من الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

منهم :

إبراهيم الخليل عليه السلام ، تزوج بهجرأتم إسماعيل .

ويوسف الصديق ، تزوج بنت صاحب عين شمس ، وتزوج زليخا بعد أن عجزت وعميت . دعا الله لها فردّها الله إلى حالتها الأولى ، ورزق منها الولد .

وتسرى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية التي أهداها له المقوقس ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في السيرة النبوية .

## ذكر من أظهرته مصر من الحكماء

(١) (الذين عمّروا الدنيا بكلامهم وحكمتهم وتديبرهم ، وأظهروا ما خفي من العلوم)

قال الحسن بن إبراهيم ، صاحب تاريخ مصر :

منهم : ذو القرنين وهو الإسكندر ؛ من قرية يقال لها لُويبة<sup>(٢)</sup> . وهو الذي

قتل داراً بن داراً . وسيأتي خبره إن شاء الله تعالى في التاريخ في ذكر ملوك اليونان .

ومنهم : هرمس وهو المثلث بالنعمة : نبى ، وحكيم ، ومالك : وهو الذي

صير الرصاص ذهباً ، وبني الهرمين الكبيرين على أحد الأقوال . وقيل : هو إدريس

عليه السلام .

ومنهم تلميذاه : أغاثانذيمون وفيثاغورس ولهما من العلوم الموروثة صناعة

١٠ الكيمياء ، والنجوم ، والسحر ، وعلم النارنجيات ، والطلسمات ، والبرابي ، وأسرار الطبيعة .

ومنهم : أوسلا ، وسيزوارس ، وبندقليس ، أصحاب الكهانة والزجر .

ومنهم : سقراط ، صاحب الحكمة ، والكلام على البارئ جل ذكره ، وهو

صاحب البلاغة .

١٥ ومنهم : أفلاطون ، صاحب السياسة ، والنواميس ، والكلام على المذنب

والمملوك .

(١) بعض الحكماء المذكورين في هذا الفصل ليسوا من أهل مصر بل وفدوا عليها وأقاموا بها مدة قليلة

أو كثيرة .

(٢) هو الإسكندر الأكبر ، ابن فيليبوس وهو ليس من مصر وإنما غزاها بجيشه وأسس فيها مدينة

الاسكندرية التي صارت بعده مدينة العلم والحكمة .

٢٠

(٣) هذا اللفظ محرف عن "بيل" وهي إحدى مدائن أغريقية ، وفيها كانت ولادة الإسكندر الأكبر .

ومنهم : بطليموس ، صاحب الرصد ، والمساحة ، والحساب ؛ وهو صاحب كتاب المجسطى من كتب الأفلاك ، وحركة الشمس ، والقمر ، والكواكب المتحركة والثابتة ، وصورة فلک البروج . وله صفة الأمم الذين يعمرون الأرض ، وكتاب الثمرة في علم النجوم وتسطيح الكرة .

ومنهم : أرسطاطاليس ، صاحب المنطق ، والآثار العلوية ، والحس والمحسوس ، والكون والفساد ، والسماء والعالم ، وسمع الجان والسمع الطبيعي ، ورسالة نبت الذهب ، قالوا : وليعقوب بن إسحاق الكندي نحو ألف كتاب مستخرجة من كتب أرسطاطاليس .

ومنهم : أراطس ، صاحب البيضة ذات الثمان والأربعين صورة في تشكيل صورة الفلك ، والألف كوكب ، وأثنان وعشرون كوكبا من الكواكب الثابتة ، والزيج .

ومنهم : أنطوليوس<sup>(١)</sup> ، صاحب الفلاحة .

ومنهم : إبرخس ، صاحب الرصد والآلة المعروفة بذات الحلق .

ومنهم : ثاون ، صاحب الزيج المنسوب إليه .

ومنهم : أسطانس ، ودروثيوس ، والنس ، أصحاب كتب أحكام النجوم ، وعنهم انتشر ذلك .

ومنهم : إيرن ، صاحب الهندسة والمقادير ، وكتاب جرّ الأثقال ، والحيل الروحانية ، وعمل البنائين والآلات لقياس الساعات .

(١) ورد هذا الاسم في الأصل هكذا : "أفطيونس" وليس هناك رجل بهذا الاسم . وإنما المشهور بكتابه في الفلاحة هو "أنطوليوس الإغريقي" وقد ذكره أن العوام في كتاب الفلاحة الأندلسية ، ونقل عنه .

ومنهم : فيلون البرنطى ، وله عمل الدواليب والأرجحة والحركات بالحيل اللطيفة .

ومنهم : أرشميدس ، صاحب الحيل والهندسة والمرايا المحرقة وعمل المجانيق ورمى الحصون ، والحيل على الجيوش والعساكر براً وبحراً .

ومنهم : ماريه ، وقلبطره ، أصحاب الطلسمات ، والخواص للطبائع .

ومنهم : أبلونيوس ، وله كتاب المخروطات وقطع الخطوط .

ومنهم : ثيودوسيس ، وهو صاحب كتاب الأكر .

ومنهم : ذيوفنطس ، وله كتاب الحساب .

ومنهم : أوطوقيس ، وله كتاب الكرة والأسطوانة .

ومنهم : المشاعون<sup>(١)</sup> ، أصحاب الرواق .

١٠

وبمصر من العلوم التي عمّرت بها الدنيا علم الطب اليوناني ، وعلم النجوم ، وعلم المساحة ، وعلم الهندسة ، وعلم الكيمياء ، وغير ذلك وبها الطلسمات العشرة .

وبأدى الإسكندراني صاحب الزيج<sup>(٢)</sup> .

والذين نشروا الطب وشرحوه جالينوس ، صاحب الطب تعلمه بمصر ، ومن كتبها أخذ .

١٥

ومنهم : ديسقوريد : صاحب الحشائش ، وديوبحانس ، واركاغانس ،

وأرباسيوس ، وفريقونوس ، وروفيس ، هؤلاء أصحاب الطب اليوناني .

(١) في الأصل : "المشاعر" ولعله يشير إلى أتباع أرسطو الذين يسميهم العرب "المشائين" .

(٢) لعل هذا الاسم محرف عن "ناون" الذي سبقت الإشارة إليه .

فهؤلاء حكماء الأرض وعلمائهم الذين ورثوا الحكمة، من مصر نخرجوا، وبها  
وُلدوا، ومنها انتشرت علومهم في الأرض .

قال الحسن بن إبراهيم : وكانت مصر يسير إليها في الزمن الأول طلباً للعلم  
وأصحاب العلم الدقيق لتكون أذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء ودقة الفطنة .  
والله تعالى أعلم .

### ومن فضائل مصر

أنها تميز الحرمين الشريفين، ولولا مصر لما أمكن أهل الحرمين وأعمالها المقام  
بهما، ولما توصل إليهما من يرد من أقطار الأرض .

ومنها أنها فُرصة الدنيا، يحمل من خيرها إلى سواحلها، وذلك أن من ساحلها  
بالقلم ينقل إلى الحرمين، وإلى جُدّة، وإلى عُمان، وإلى الهند، وإلى الصين،  
وصنعاء، وعدن، والشَّحر، والسَّند، وجزائر البحر .

ومن جهة تَيْس، ودُمياط، والفرما فُرصة بلد الروم، وأقاصي الإفرنجية،  
وقبرس، وسائر سواحل الشام، والثغور إلى حدود العراق .

ومن جهة الاسكندرية فُرصة أفريقيش، وصقلية، وبلد الروم، والمغرب  
كله إلى طنجة، ومغرب الشمس .

ومن جهة الصعيد فُرصة بلد النوبة، والبجة، والحبشة، والمجاز، واليمن .  
وفيها من ثغور الرباط: البرّس، ورشيد، والإسكندرية، ورباط ذات الحمام،

ورباط البحيرة، ورباط إخنا، ورباط دُمياط، وشطا، وتيس، والأشتوم، والفرما،  
والوزادة، والعريش، والشَّجرتين، ورباط الحرس . وجهة الحبشة، والبجة .  
ورباط أسوان على النوبة . ورباط الواحات على البربر والسودان . ورباط قوص .

وبها من المساجد والمشاهد والاثار الصالحة، ما لم يكن في غيرها. ولو استقصينا ذلك، لطال به الشرح وأنبسط القول.

وقال سعيد بن عقبة: كنتُ بحضرة المأمون حتى قال، وهو في قبة الهواء: لعن الله فرعونَ حين يقول: ((أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ)) فلورأى العراقَ! . فقلت: يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فإن الله عز وجل قال: ((وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)). فما ظنك يا أمير المؤمنين بشيء دمره الله، هذا يقينته! .

قال: ثم قلت: لقد بلغني أن أرضاً لم تكن أعظم من مصر، وجميع أهل الأرض يحتاجون إليها. وكانت الأنهار بقناطر وجسور وتقدير حتى إن الماء يجري تحت منازلهم وأفينتهم: يحبسونه متى شاءوا، ويرسلونه متى شاءوا. وكانت البساتين بحاقي النيل من أوله إلى آخره، ما بين أسوان إلى رشيد إلى الشام متصلة لا تنقطع. ولقد كانت الأمة تضع المِخْلَ على رأسها فيمتلئ مما يسقط من الشجر. وكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج إلى نِمار لكثرة الشجر.

ومن فضائلها النيل، وقد تقدم ذكره في باب الأنهار.

ومن عجائبها الهرمان وسيأتي ذكرهما في باب المباني القديمة إن شاء الله تعالى.

ومن عجائبها أن أهلها مستغنون عن كل بلد، حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور، استغنى أهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا.

وفيها ما ليس في غيرها، وهو حيوان السَّقَنْقُور، والنَّمْس. ولولاه لأكلت الثعابين أهلها، وهو لها كقنفذ مجيستان لأهلها.

وفيها سمك يسمى الرَّعَاد. وهو سمك إذا أمسكه إنسان أو أمسك ما يتصل به من خيط الصنارة أو الشبكة التي يقع فيها، ارتعدت يده.

والحَطَبُ السَّنَطُ الذي لو وَقِدَ منه يوماً وَجُمِعَ ما وَجِدَ من رَمَادِهِ كان مَلءَ كَفِّ . وهو صُلبُ العُودِ ، سَريعُ الوُقُودِ ، بَطِيءُ النُّمُودِ . ويقال : إنه الآبَنُوسُ ، وإنما البُقعة قَصَّرت عن اليَكِّانِ بقاءَ أحمرٍ شديدِ الحمرة .

وُدُهْنُ البَاسانِ . والأَقْيُونُ ، وهو عَصارةُ الخَشخاشِ . وكان بها اللَّبَخُ ، وهو تمرٌ في قَدْرِ اللوزِ الأخضرِ إلا أن المَّا كُولَ منه الظاهرُ . ورأيتُه أنا بها وأكَلتُ منه سنة ثلاثٍ وتسعين وستمائة .

وبها الأَتْرَجُ الأَبَلِقُ .

وبها من المعادن : مَعْدِنُ الزُّمُرُدِ ، ومَعْدِنُ النَّفْطِ ، والشَّبِّ ، والبَرَامِ ، والرُّخَامِ . وقيل : إن بها سائرَ المعادنِ كُلِّها .

وأهلها يا كَلونَ صَيِدَ بَحرِ الرُّومِ وبَحرِ فارسِ طَرياً<sup>(١)</sup> .

وفي كلِّ شَهرٍ من شَهورِ القَبِيطِ صِنْفٌ من المَّا كُولِ والمَشْرُوبِ والمَشْمُومِ ، يوجد فيه دونَ غيره . فيقال : رُطَبُ توتِ ، ورُمانِ بابه ، ومَمُوزِ هاتُورِ ، وسَمَكِ كيهكِ ، وماءِ طُوبَةِ ، وخُرُوفِ أمشيرِ ، ولَبَنِ برمهاتِ ، وورْدِ برمودةِ ، ونَبِقِ بَشَنَسِ ، وتينِ بَشُونَةِ ، وعسلِ أيبِ ، وعنبِ مسرى .

ومنها أن صَيفها نَحْرِيفٌ ، وشتاءها ربيعٌ ، وما يَقطَعُه الحَرُّ والبَرْدُ في سائرِ البلادِ من الفِواكِه يَوجدُ فيها في الحَرِّ والبَرْدِ : لأنَّها في الإقليمِ الثالثِ والرَّابِعِ ، فسَلَمَتِ من حَرِّ الأَوَّلِ والثَّانِي ، وبردِ السَّادِسِ والسَّابِعِ<sup>(٢)</sup> .

ويقال : لو لم يكن من فضلِ مصرٍ إلا أنَّها تَغني في الصَّيفِ عن الخيشِ والثَّلجِ وِبطونِ الأرضِ ، وفي الشَّتاءِ عن الوُقُودِ والفِراءِ [لِكفَى] .

(١) يشير إلى البحر الأحمر المتصل بالخليج الفارسي بواسطة بحر الهند .

(٢) قارن ذلك بما ورد في المقرئ (طبع بولاق ج ١ ص ٢٨) .

## ومما وصفت به

أن صعيدها حجازي: حَجْرُه كحجر الحجاز ينبت النخل والدوم (وهو شجر المقل)،  
والعُشْر، والقَرْظ، والإِهْلِيَج، والنُفْل، والخيار شَنْبَر. وأسفل أرضها شامي: يمطر  
كقطر الشام، وتقع فيه الثلوج، وينبت التين والزيتون والعنب والحوز واللوز  
والفستق وسائر الفواكه، والبقول والرياحين.

وهي ما بين أربع صفات: فضة بيضاء، أو مسكة سوداء، أو زبرجدة خضراء،  
أو ذهبية صفراء. وذلك أن النيل يعم أرضها فتصير كالفضة البيضاء، ثم ينصب  
عنها فتصير مسكة سوداء، ثم تُزرع فتصير زبرجدة خضراء، ثم تستحصد فتصير  
ذهبة صفراء.<sup>(١)</sup>

- ١٠ وحكى ابن زولاق في "فضائل مصر" أن أميرها موسى بن عيسى [المهشمي]<sup>(٢)</sup>  
وقف بالميدان عند بركة الحبش، فالتفت يمينا وشمالا، وقال لمن كان معه: أترون  
ما أرى؟ قالوا: وما يرى الأمير؟ قال: أرى عجبا ما في الدنيا مثله! فقالوا: يقول  
الأمير! فقال: أرى ميدان رهان، وحيطان نخيل، وبستان شجر، ومنازل سكنى،  
وذروة جبل، وجبانة أموات، ونهرا تجاجا، وأرض زرع، ومراعي ماشية،  
١٥ ومراتع خيل، وساحل بحر. [وصائد نهر] وقانص وحش، وصائد سمك، وملاح  
سفينة، وحادي إبل، ومفازة رمل، وسهلا، وجبلا! فهذه ثمانية عشر متزها  
في أقل من ميل في ميل.

(١٢٥)

(١) قارن ذلك بما ورد في المقرئ (طبع بولاق ج ١ ص ٢٦).

(٢) هو والى مصر في أيام الرشيد سنة ١٧٥ هجرية. والزيادة عن المقرئ (طبع بولاق

وأين هذه الأوصاف من وصف الواصف لقصر أنس بالبصرة حيث يقول :

زُرُّ وَاْدِي الْقَعْمِرِ نَعْمَ الْقَصْرُ وَالْوَادِي \* لَا بُدَّ مِنْ زَوْرَةٍ مِنْ غَيْرِ مِبْعَادِ  
زُرُّهُ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يَشَاكِلُهُ \* مِنْ مَنَزِلٍ حَاضِرٍ إِنْ شَتَّتْ أَوْ بَادِي  
تَرَى بِهِ السُّفْنَ وَالظَّلْمَانَ حَاضِرَةً \* وَالضَّبَّ وَالنُّونَ وَالْمَلَّاحَ وَالْحَادِي

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي، يصف جبل الرصد مثل

ما وُصِفَ بِهِ قَصْرَ أَنْسِ :

يَا نُزْهَةَ الرَّصِيدِ الْمِصْرِيَّ قَدْ جَمَعْتَ \* مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَلًّا فِي جَانِبِ الْوَادِي <sup>(١)</sup>  
فَذَا غَدِيرٌ وَذَا رَوْضٌ وَذَا جَبَلٌ \* فَالضَّبُّ وَالنُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي

فهذه نبذة من فضائل مصر، ولولا الرغبة في الاختصار، لكانت فضائلها تكون

١٠ كتابا مفردا .

### وأما جزيرة الأندلس

فقد اقتصرْتُ في وصفها على رسالة وصفها ابن حزم فيها، فقال :

”... أرضها شامية في طيبها، تهامية في اعتدالها وأستوائها، أهوازية في عظم خراجها  
وجبايتها، عدنية في منافع سواحلها، صينية في معادنها، هندية في عطرها وطيبها  
وذكاؤها . وأهلها عرب في الأنساب والعزة والأنفة، وفصاحة الألسن، وطيب  
النفوس، وإباء الضيم، وقلة احتمال الذل والإهانة، والتزاهة عن الخضوع بهنديون  
في فرط عنايتهم بالعلوم وحُبهم لها؛ بغداديون في ظرفهم ونظافتهم، وريقة أخلاقهم

(١) هذه رواية المقرئ. أما الأصل فقد ورد فيه الشطر الأول غير موافق في الوزن للبقية هكذا :

يا نُزْهَةَ الرَّصِيدِ الْقَدْرِيَّ قَدْ جَمَعْتَ \* عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَلًّا

ونباهتهم ، ولطافة أذهانهم ، وحادّة أفكارهم ؛ نَبَطِيُونٌ في آسْتِنْبَاطِ المِياهِ ، ومُعَانَاتِهِمْ  
لِلغِرَاسَةِ ، وتَرْكِيبِ الشَّجَرِ وَالْفِلاحَةِ ؛ صِينِيُونٌ في إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ العَامِيَةِ ، وإِحْكَامِ  
المِهْنِ الصُّورِيَةِ ؛ تَرْكِيُونٌ في مَعَانَاةِ الحُرُوبِ ومَعَالِجَةِ آلاَتِهَا ، والنَّظَرِ في مِهْمَاتِهَا .

قال إبراهيم بن خفاجة ، يصفها :

إِنَّ لِلْبَيْتَةِ بِالْأَنْدَلُسِ • مَجْتَلِي عَيْنٍ وَرِيًّا نَفْسِ

فَسَنَا صُبْحَتِهَا مِنْ شَنْبٍ • وَدُجَى لَيْلَتِهَا مِنْ لَعَسِ

وقد أظهرت الأندلس جماعة من الفضلاء والأعيان والأكابر، ذكروهم ابن بسام  
في كتابه المترجم "بالذخيرة" في محاسن أهل الجزيرة . وذكرهم الفتح بن خافان  
في كتابه "المطمح" و"قلائد العقيان" وغيرهما .

- ١٠ وسندكر إن شاء الله تعالى حال الأندلس وابتداء عمارتها وملوكها عند ذكرنا  
فتحها ، وهو في الباب الخامس من القسم الأول من الفن الخامس في التاريخ من أخبار  
الدولة الأموية في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان في سنة ٩٢ من الهجرة .

### وأما البصرة وما آخضت به

- ١٥ فمن خصائصها أن للغربان بها ضربا من العجب . وذلك أنها تقع إليها بالخريف  
حتى تكون الأرض بها سوداء ، وتقع على كل نخلة أضرم ثمرها ، ولا تقع على ما لم  
تُضرم ، ولو بقي عليها عذق واحد .  
ومن عجائبها أيضا ، أن التمر يكون مصبوبا في بيادره ، فلا يقع عليه شيء من  
الذباب لا في الليل ولا في النهار .

- ٢٠ وأهل البصرة يتخذون المظلات على التمر والعجوة خوفاً عليها من الخفّاش . ومن  
عادة الذباب الفرسار من الشمس إلى الظل ، فلا يوجد في تلك الظلال شيء منه .

آلته . فيتوهم المتوهم أن هاتين الحالتين من طلسم ، له من الخاصية ما يمنع الغربان والذباب . وليس كذلك ، وإنما هو من حماية الله ووقايته .

ووصف خالد بن صفوان البصرة ، فقال : منابتها قصب ، وأنهارها تحجب ، وسمائها رطب ، وأرضها ذهب .

وفي الكوفة عدم الوفاء .

وأما بغداد وما أختصت به

فإنه يقال : إنها جنة الأرض ، ومجتمع الوافدين : دجلة والفرات ، وواسطة الدنيا ، ومدينة السلام ، وقبة الإسلام ، لأنها غمرة البلاد ، ودار السلام والخلافة ، ومجمع الطوائف والطيبات ، ومعدن المحاسن واللطائف ، وبها أرباب النمايات في كل فن ، وآحاد الدهر في كل نوع .

وكان أبو إسحاق الزجاج يقول : بغداد حاضرة الدنيا ، وما عداها بادية .

وكان أبو الفضل بن العميد إذا طرأ عليه أحد وأراد امتحان عقله سألته عن بغداد . فإن فطن لفضائلها وخواصها ، جعل ذلك مقدمة فضله وعنوان عقله .

١٢٦

وقال ابن زريق الكوفي ، الكاتب :

سافرت أبعي لبغداد وساكنها \* مثلاً حاولت شيئاً دونه اليأس  
هيات بغداد الدنيا بأجمعها \* عندي وسكان بغداد هم الناس

وقال آخر :

سقى الله بغداد من جنة \* غدت للورى زهرة الأنفس  
على أنها منية المؤمنين \* وليكنها حسرة المفلس

## واما الأهواز وما آختصت به

فقال أبو عثمان "عمرو بن بحر الجاحظ" : إن قَصَبَةَ الأهواز مخصوصة بالحمى  
الدائمة اللازمة، حتى إنها ليست إلى الغريب بأسرع منها إلى القريب .

وقال إبراهيم بن العباس عن مَشِيخَةٍ من أهلها عن القوابل بها : إنهن ربما  
قَبِلْنَ الطَّفْلَ المولود بها فيجذنه محمومًا ، ولا تكاد تُوجَدُ بها وجنةٌ حمراء لصبي  
ولا صبية، ولا دمٌّ ظاهر .

ومن عجائب خصائصها : أن جميع أصناف الطَّيْبِ يستحيلُ رائحتهُ فيها جدًّا،  
حتى لا تكاد توجد له رائحةٌ . وذلك من كثرة الرطوبات ، وغلظ الهواء ، والأبخرة  
العاسدة . (وهذا موجود بأنطاكية والقُسطنطينية) . ويقال : إن الخيل لا تتروها  
ولا تصهل ، وإنها تعتلف الحشيش دون التبن ، لما يلحقها من الرُّبُو، لنداوة البلد  
وعفونته .

## وأما فارس وما آختصت به

فن خصائصها : ماء الورد الذي لا يُوجَدُ مثله في سائر البلاد طيبًا، والجُورِي  
الموصوف من أحد بلادها يُجَلَّبُ إلى أقاصي البلاد، ويُضَرَّبُ به المثل .  
ولشيران من بلاد فارس فَعْمَةٌ طيبة ليست فيما عداها من بلاد فارس .

## وأما أصفهان وما آختصت به

فهى موصوفة بصحة الهواء، وجودة التربة، وعذوبة الماء .  
وحكى أن المجاج ولَّى بعض خواصه أصفهان، فقال له : قد وليتك بلدةٌ حجَّرها  
الكحل، ودبأها النحل، وحشيشها الزعفران .

ومن خصائص الرّىّ : برودها موصوفة كبرود اليمن ، وتسمى العدنّيات تشبيها لها ببرود عدن . وفيها الثياب المنيرة .  
قالوا : واللص الحاذق يُنسب إلى الرّىّ .

### وأما جرجان وما أختصت به

فهى سهليّة جبليّة ، بريّة بحريّة ، وأهلها يعدّون زيادةً على مائة نوع من أنواع الرياحين ، والبقول ، والحشائش الصّحراوية ، والثمار والحبوب السهليّة التي هي مبدولة بها للفقراء والغرباء .

ومن خصائصها : العنّاب الذي لا يكون في سائر البلاد مثله ، ويقال : هي بغداد الصّغرى ، إلا أنها وبيّة ، مختلفة الهواء في اليوم الواحد ، قتالة للغرباء ، كثيرة الأنداء .  
ويقال : جرجان مقبرة أهل خراسان .

وفي بعض الكتب القديمة أن بخراسان بلدة يقال لها جرجان ، يُساق إليها قصار الأعمار من الناس .

وكان أبو تراب النيسابورى يقول : لما قُسمت البلاد بين الملائكة ، وقعت جرجان في قسم أبى يحيى (يعنى ملك الموت) .

### وأما نيسابور وما أختصت به

فحكى عن عمرو بن الليث الصّفّار أنه كان يقول : كيف لا أقاتل عن بلدة حشيشها الرّيباس ، وترابها النّقل ، وحجرها الفيروزج . أراد بقوله : «ترابها النّقل» طين الأكل الذي لا يوجد مثله في الأرض ، ويحمل منها إلى أقاصى البلاد وأدانيها ، ويُتخف به الملوك . قالوا : وربما بيع الرّطل منه بدينار . قال المأمون يصفه :

جُدِّي من الثُّقُلِ فَذَآكِ الَّذِي \* مِنْهُ خُلِقْنَا وَإِلَيْهِ نَصِيرُ  
ذَآكِ الَّذِي يُحْسَبُ فِي شِكْلِهِ <sup>(١)</sup> \* أَحْجَارَ كَافُورٍ عَلَيْهَا عَبِيرُ

قالوا : والفَيْرُ وَزَجْجٌ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي نَيْسَابُورٍ ، وَرَبَّمَا بَلَغَتْ قِيَمَةُ الْفَصِّ مِنْهُ —  
الَّذِي إِذَا أَرَبِي وَزَنَهُ عَلَى مِثْقَالٍ ، وَجَمَعَ الْخَضِرَةَ وَالْأَسْتَدَارَةَ ، وَصَبَّرَ عَلَى النَّارِ ، وَأَمْتَنَعَ  
عَلَى الْمِبْرَدِ ، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ بِالْمَاءِ الْحَارِّ — مَائِي دِينَار .

وَيُقَالُ إِنَّ لَهُ خَاصِيَةً فِي تَقْوِيَةِ الْقَلْبِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ ، كَمَا أَنَّ لِلْيَاقُوتِ خَاصِيَةً  
فِي مَسْرَةِ النَّفْسِ .

وَلَمَّا دَخَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ السَّامَانِيُّ ، مَلِكًا مَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَخُرَاسَانَ ،  
أَسْتَحْسَنَهَا وَأَسْتَطَابَهَا ، وَقَالَ : يَا لَهَا مِنْ بَلَدَةٍ جَلِيلَةٍ ، لَوْلَمْ يَكُنْ لَهَا عِيَانٌ ! كَانَ  
يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مِيَاهُهَا الَّتِي فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ عَلَى ظَاهِرِهَا ، وَأَنْ تَكُونَ مَسَاحِلُهَا <sup>(٢)</sup>  
الَّتِي عَلَى ظَهْرِهَا فِي بَطْنِهَا .

وَمِنْ خِصَائِصِهَا الثِّيَابُ النَّيْسَابُورِيَّةُ الرَّقَاقُ .

وَأَهْلِهَا لَا يَكْرَهُونَ الْغَرِيبَ . قَالَ الْمُرَادِيُّ :

لَا تَنْزِلَنَّ بَنْيَسَابُورَ مَغْتَرِبًا \* إِلَّا وَحَبْلُكَ مَوْصُولٌ بِسُلْطَانِ  
أَوْ لَا فَلَا أَدَبٌ يُغْنِي وَلَا حَسَبٌ \* يُجِدِّي وَلَا حُرْمَةٌ تُرْعَى لِإِنْسَانِ

وَقَالَ أَيْضًا فِيهَا :

قَالَ الْمُرَادِيُّ قَوْلًا غَيْرَ مَتَّهِمٍ \* وَالنُّصْحُ مَا كَانَ مِنْ بِي اللَّبِّ مَقْبُولٌ  
لَا تَنْزِلَنَّ بَنْيَسَابُورَ مَغْتَرِبًا \* إِنَّ الْغَرِيبَ بَنْيَسَابُورَ مُحْتَدُولٌ

(١) فِي الْأَصْلِ "مِثْلُهُ" وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَاهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ "مَسَاحِلُهَا" .

١٢٧

## وأما طُوس وما آختصت به

فمن خصائصها السَّبَج الذي لا يكون إلا بها، ومنها يُنقل إلى الآفاق، والحجر الأبيض الذي تُتخذ منه القُدُور .

ويقال : إن الله عز وجل آلان لأهلها الحجارة كما آلان لداود الحديد، حتى إنهم يتخذون منها ما يتخذ غيرهم من الزجاج من سائر الأواني .

## وأما بَلْخ وما آختصت به

فيقال : هي من أقدم البلاد وأخصها بالملوك، وهي شبيهة بالعراق، وخراسان، والهند . وإليها ينسب جِيحون، فيقال : نهر بلخ .

وكان سعيد بن الحسن يقول : العيش في الصيف ببلخ كتنصيفها<sup>(١)</sup> .

ومن خصائصها البخاقى والتيلوفر<sup>(٢)</sup> .

## وأما بُسْت وما آختصت به

فيقال : إن هواءها كهواء العراق، وماءها كماء الفرات، ومن خصائصها الإجاجص الذي لا يوجد مثله في غيرها . ويقال : إن من مات بْبُسْت مغفوراً له فقد أنتقل من جنة إلى جنة .

(١) أى مثل تلج .

(٢) في الأصل : النجادي وهو تحريف . "والبخاقى" هي نوع من النوق اشتهرت بها هذه المدينة . قال ابن حوقل الرحالة البغدادي الشهير في كتابه "المسالك والممالك" (ص ٣٢٨ ، ٣٢٩) ما نصه :

"ويرتفع من بلخ وأعمالها في نفسها النوق المتقدمة على ما في جنسها وتعرف بالبخاقى ولا نظير لها من جنسها في جميع الأرض . وبها الأترج والتيلوفر وقصب السكر وما لا يكون إلا في البلدان الحارة إلا أنه لا يُخزَل بها" .

وأما غَزْنَةُ وما آخَتَصَتْ بِهِ

فهى موصوفة بصحة الهواء ، وجودة التربة ، وعذوبة الماء ، وهى جبلية شمالية ؛ ومن خصائصها أن الأعمار بها طويلة ، والأمراض قليلة . قالوا : وهى أرض تُتَبَّتِ الذهب ، ولا تولد الحيات والعقارب والحشرات المؤذية . ومنها خرج الأجلاء الأتجاد من الرجال .

وقال أبو سعيد منصور زعيم جرجان : لم أر بلدة فى الصيف أطيب ، وبالربيع أشبه ، ومن الحشرات أنظف من غزنة . ثم قال : إن قلة ثمارها من منافعها ، لأن كثرة الثمار مقترنة بكثرة الأمراض . وقد وصفها صاحب كتاب "لطائف المعارف" فقال :

١٠ وَاها لَغَزْنَةُ إِذْ غَدَّتْ \* لِلسُّلْكِ وَالْإِسْلَامِ دَارًا  
من كَعْبَةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ \* لِلجِدِّ وَالْعَلِيَّاءِ مَدَارًا  
فِي صَدْرِهَا الْمَلِكُ الَّذِي \* قُطِبَ السُّعُودُ عَلَيْهِ دَارًا

وقال أيضا فيها :

١٥ يَا دَارَ مُلْكِ نَرِي كُلِّ الْجَمَالِ بِهَا \* وَأَسْعُدِ الدَّهْرَ تَبْدُو مِنْ جَوَانِبِهَا  
كَأَنَّما جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ قَدْ نَزَلَتْ \* بَارِضِ غَزْنَةَ تَعْجِيلاً لِصَاحِبِهَا

وأما سَجِسْتَانُ وما آخَتَصَتْ بِهِ

فيقال فيها : ماؤها وشل ، وثمرها دقل ، ولحمها بطل .  
ومما تختص به الطاسات وجلاجل البزاة ، والطبول الموكية ، والفُرُشُ الديباج .

(١) كذا فى لطائف المعارف وفى الأصل "منافعها" .

وأما الهند وما آختصت به

فيقال : الهند بحرها دُرّ، وجبلها ياقوت، وشجرها عُود، وورقها عطر .

وعُود الهند يذكر مع أمهات الطيب .

وفي الهند القيل، والكركدن، والبر، والطاوس، والبيغاء .

وفيه الياقوت الأحمر، والصندل الأبيض، والعاج، وأصناف العطر، والنياب

المحملة وغيرها، والألانس<sup>(١)</sup>، والأقمشة .

وأما الصين وما آختصت به

فإن العرب تقول لكل طرفة من الأواني : صينية كائنة ما كانت : لأختصاص

الصين بالطرائف .

وأهل الصين خُصوا بصناعة الطرف، والملاح، ونحط التماثيل، والإبداع

في عمل النقوش والتصاوير، حتى إن مصورهم يصور الإنسان فلا يغادر شيئا إلا

الروح، ثم لا يرضى بذلك حتى يفصل بين ضحك الشامت وضحك المتجمل، وبين

المتبسّم والمستغرب، وبين ضحك المسرور والهازي، ويركب صورة في صورة .

وفيه مناديل الغمر التي إذا آسخت وألقت في النار، نُقيت ولم تحترق .

وفيه الحديد . وربما آشتري بأضعاف وزنه فضة .

وفيه السنجاب الفارحاني الذي هو من أنفاس الأوبار . وفيه اللبود الجياد .

قال الجاحظ في كتاب "النظر في التجارة" : إن خير اللبود الصينية، ثم المغربية

الحمراء، ثم الطالقانية البيض .

(١) كذا بالأصل ولعلها محرفة عن القلانس .

## وأما سمرقند وما آختصت به

قال قتيبة بن مسلم، لما أشرف على سمرقند لأصحابه: شبهوها، فلم يأتوا فيها بشيء، فقال: كأنها السماء في الخضر، وكأن قصورها النجوم الزاهرة، وكان أنهارها الحجرة. فاستحسنوا هذا التشبيه.

- ومن خصائصها الكواغد التي عطأت قراطيس مصر، والجلود التي كان الأوائل يكتبون عليها، لأنها أحسن وأنعم وأرق وأرق. ولا تكون إلا بها وبالصين.
- ومن خصائصها: الثياب الودارية، والذشار، والزئبق، والبندق.

## وأما بلاد الترك وما آختصت به

فإنه يقال: إنها توازن بلاد الهند في كثرة الخصائص.

- وفيها المسك والسنجاب والسَّمُور والقاقم والفتك والتمالب السود والأرانب البيض وغير ذلك. وفيها البزة البيض والحليل.
- ولتبت من بلاد الترك خاصية: أنه من أقام بها آعتراه سرور لا يدري ما سببه، ولا يزال متبسما ضاحكا، وأن الميت إذا مات فيها لا يدخل على أهله كبير حزن كما يلحق غيرهم عند موت محبوب.

## وأما خوارزم وما آختصت به

فإنها تقارب بلاد الترك، بل تنافسها في الخصائص والمتاجر.

ومن خصائصها البطيخ الذي يقال له "النارنج" يقال إنه أحلى البطاطيخ وأطيبها. وكان يحمل منها إلى المأمون وإلى الواثق في قوالب الرصاص معبأة في الثلج، فكانت تقوم الواحدة منه — إذا سلمت ووصلت — بسبعائة درهم. والله أعلم.

- (١) تبت: بلاد مشهورة تعتبر اليوم من بلاد الصين. وفي الأصل: «وتبت».

ذكر الخصائص التي تجرى مجرى الطلسمات

منها :

مدينة "خييص" من مُدُن كَرْمَانَ . لا يُمَطِرُ المطر فيها داخلَ السور أبداً حتَّى إنَّ الرجل يُخْرِجُ يده من سورها إلى خارجها ، فتبتلُّ يده ولا يتبلُّ ساعده .  
وبقرية من قُرَى كَرْمَانَ أيضاً "حصن عادي" ليس فيه فأر . وإذا دخل إليه فأر مات .

ومدينة "حصص" لا يُوجَدُ فيها عقرب . وإذا نُثرَ ترابها على ظهر عقرب ماتت . وكذلك قلعة أعزاز من أعمال حلب . ويقال : إنه لا يدخل مدينتها حية ومتى نُثرَ عليها من ترابها ماتت لوقتها ، ولا يوجد فيها بعوضٌ آلبتة . وإن الرجل متى أخرج يده من السور وقع عليها ، فإذا أدخل يده طار عنها .  
و "بمصر" أن التماسيح إذا ساقها الماء إليها وحاذتها آتقلبت على ظهرها ، فإذا بعدت عنها لا تضر أحداً . بخلاف ما هي في بلاد الصعيد ، فإنها تفترس جميع ما تظفر به من الحيوان حتَّى الخيل . ولا يقوى على قتالها إلا الجاموس .  
ومدينة "سجلماسة" لا يوجد فيها ذباب آلبتة .

ذكر خصائص البلاد في أشياء مختلفة

(وهي العلم ، والعمل ، والجواهر ، والملابس ، والأوبار ، والفرش ، والمراكب ، والحيوانات ذوات السموم ، والحلوى ، والثمار ، والرياحين ، والخلق ، والأخلاق ، والأمراض ، والآثار العلوية)

أما خصائصها العلمية والعملية ، فيقال : حكاء اليونان ، وأطباء جنديسابور ، وصاغة حران ، وحاكّة اليمن ، وكتاب السواد .

(١) كما ذكرها أيضاً في التوقييم بالهمزة . وفي المعجم "عزاز" بدونها .

(٢) يعني مصر العتيقة أي القسطنطينية .

ومن خصائصها في الجواهر، يقال: فيروزج نيسابور، وياقوت سرنديب، ولؤلؤ عُمان، وزبرجد مصر، وعميق اليمن، وجرع ظفار وبخاتي<sup>(١)</sup> بلخ، ومرجان إفريقية.

ومن خصائصها في الملابس، يقال: برود اليمن، ووشى صنعاء، وربط الشام، وقصب مصر، وديباج الروم، وقز السوس، وحرير الصين، وأكسية فارس، وحل أصهان، وسقلاطون بغداد، وعمائم الأبلّة، ومئير الري، وملحم مرو، وتكك إرمينية، ومناديل الدامغان، وجوارب قزوين.

ومن خصائصها في الأوبار، يقال: سنجاب خرخيز، وسُمور بلغار، وتعالب الخرز، وفنك كاشغر، وحواصل هرة<sup>(٢)</sup>، وقاقم تغزغن.

ومن خصائصها في الفرس، يقال: بسط إرمينية، وزلالى قاليقلا، ومطارح ميسان، وحصر بغداد<sup>(٣)</sup>.

(١) في الأصل: «بجادی بلخ» والصواب ما أئبناه كما تقدّم في صحيفة ٣٦٤ من هذا الجزء.  
(٢) ورد هذا اللفظ في كثير من كتب العرب بمعنى الجلود السنية التي يتدفا بها أهل الترف والنعيم فقد ذكر الهمداني (ص ٢٣٥) الفنك والسمور والقاقم والحواصل والوشق والدلق الخ. وذكر ابن البيطار فقال: «إنه طائر يكون بمصر كثيرا يعرف بالكي (بضم الكاف واسكان الياء المنقوطة باثنتين من أسفل) ...»  
ولباسه يصلح للشباب وذوى الأمزاج الحارة ومن يغلب عليه الصفراء. وذكر السيوطي في الجزء الثاني من «حسن المحاضرة» لطائف مصر وأورد من حملتها الحوصل (بغير ألف في النسخة المطبوعة طبع حجر بمصر ١٧٦٦) حيث قال ما نصه: «ومطير الحوصل يعمل من جلده الخفاف الناعمة والفراء الأبيض الذي يقوم مقام الفنك في ليه ورقته».

(٣) اعلم مصحف عن «حصر عبادان» لأن المقرئ طالما يتكلم عن الحصر العبدانية في مواضع كثيرة جدًا من خطه. وكذلك السيوطي قال في لطائف مصر: «وبها من الحصر العبداني ومن سائر أصناف الحصر ما لا يوجد في غيرها». وقال المقدسي ص ١١٨: «إن أكثر أهل عبادان صناع الحصر من الخفاء» وابت هذه الحصر في غاية من الجمال حتى كان أهل مصر يقلدونها كما رأينا من عبارة السيوطي.

ومن خصائصها في المراكب، يقال: عتاق البادية، ونجائب الحجاز، وبراذين  
طخارستان، وحمير مصر، ويقال برذعة.

ومن خصائصها في الحيوانات ذوات السموم، يقال: أفاعى سجستان،  
وحيات إصفهان، وعتابين مصر، وعتارب شهرزور، وجرارات الأهواز،  
وبراغيث إرمينية، وفار أرزن، ونمل ميا فارقين، وذباب تل قاقان، وأقداح نلد.<sup>(١)</sup>  
ومن خصائصها في الحلواء، يقال: سُكَّر الأهواز، وعسل أصفهان، وفانيد  
ما كسان ودبس أرجان.<sup>(٢)</sup>

ومن خصائصها في الثمار، يقال: رطب العراق، وتمر كرمان، وعتاب جرجان،  
وإجاص بُنت، وسفرجل نيسابور، وتَفَّاح الشام، ومشمش طوس، ومكثري  
نهاوند، وأترج طبرستان، ونازنج البصرة، وتين حلوان، وعتب بغداد، ومشمش  
هرارة، وموز اليمن، وجوز الهند، ويطيخ خوارزم، وبقلاء الكوفة.

ومن خصائصها في الرياحين، يقال: ترجس جرجان، وورد جور، ونيلوفر  
السيروان، ومثور بغداد، وزعفران قم، وشاهسقرم سمرقند.

(١) مفرده "قدح" وقال في القاموس: «والقدح والقادح أكال يقع في الشجر والأسنان...  
والقادحة الدودة». وقال ابن البيطار في كلامه على "التريد" نوع من النبات مانصه: «والتريد إذا طال  
به الزمان عمل فيه القادح كما يعمل في الخشب... تراه مثقبا كأنه ثقب برأس إبرة». ثم قال في بقية  
الكلام مانصه: «لا يجب أن يستعمل منه (أى التريد) إلا... السليم من السوس».

(٢) هكذا في الأصل وربما كان محرفا عن "بلد" المدينة المشهورة في العراق.

(٣) كذا بالأصل وصوابه "ماسكان" وقد أوردها ياقوت فقال: «إنها بلد مشهورة بالنواحي المجاورة  
لمكران وراء سجستان» ثم قال «ولا يوجد الفانيد بغير مكان إلا بهذا الموضع... وإليه ينسب الفانيد  
المسكاني».

ومن خصائصها في الخلق والأخلاق، يقال : سُقْرَةُ الروم، وَسَوَادُ الزَّبْجِ ،  
وغلظ الترك، وجفَاء الحبل، ودَمَامَةُ الصِّينِ، وقِصْرُ يَأْجُوجَ .

ومن خصائصها في الأمراض، يقال : طواعين الشام، وطحّال البحرين،  
ودَمَامِيلُ الجزيرة، وُحْمَى خَيْبَرَ، وجُنُونُ حَمَصَ، وعَرَقُ اليَمَنِ، ووباء مصر،  
وإرسام العراق، والنارُ الفارسية، وقُرُوحُ بَلْخِ .

ومن خصائصها في الآثار العلوية، يقال : شتاء أرمينية، ومصيف عُمان،  
وصواعق تِهَامِهِ، وزلازلُ دَيْبِلِ .

(١٣٩)

وقال الجاحظ في "كتاب الأمصار": الصناعة بالبصرة، والفصاحة بالكوفة،  
والتخنيث ببغداد، والطرمذة بسمرقند، والغى بالرّي، والحقاء بنيسابور، والحسن  
بهرآة، والمروءة ببلخ، والبخل بمرو، والعجائب بمصر .

١٠

وحكى عن عمرو بن عامر مَرْبِقِيًّا، أنه قال لقومه لما تحقق كون سبيل العريم:  
من كان ذا شأٍ وبَعِيرٍ وجميل غير شرود، فليحق بالشعب من كوفان، فلحقت به  
همدان، ومن كان ذا سياسة وصبر على أزمات الدهر فليحق ببطن مرّ، فلحقت به  
نخاعة . ومن كان يريد الراسخات في الوحل، المَطْعِمَاتِ فِي الْحَلِّ، فليحق ببسْثَرِبِ  
ذات النخل، فلحقت بها بنو قبيلة، وهم الأوس والخزرج، ومن كان يريد الخمر  
والخمير والأمر والتأثير فليحق ببُصْرَى وسدير (وهي من أرض الشام)، فلحقت به  
عَسَّان، ومن كان يريد الثياب الرقاق، والخيل العتاق، والذهب والأوراق،  
فليحق بالعراق، فلحقت به نَحْمٌ . والله سبحانه وتعالى أعلم .

١٥

## الباب الثالث

من القسم الخامس من الفن الأول

( في المباني القديمة )

والمباني القديمة كثيرة، فلنذكر منها ما عظم خطره، وشاع في الآفاق ذكره .

## ذكر أول بناء وضع على وجه الأرض

قيل: أول ما بنى على وجه الأرض "الصرح" ويسمى "المجدل" بناه الثمود الأكبر  
 ابن كوش بن حام بن نوح، بكوثى ربى من أرض بابل. قيل: وبها إلى هذا العصر  
 من أثره كالجبال . وكان طوله في الهواء خمسة آلاف ذراع، وعرضه ثلاثة آلاف  
 ذراع . وكان مبنيًا بالحجارة والرصاص والكس والشمع واللبن . بناه ليمعنه وقومه  
 من بأس الله عز وجل . وكان قد كفر وطغى وادعى الألوهية ، فأرسل الله تعالى  
 إليه جبريل ، فضربه بخافضة جناحه فهدمه ، وهام من كان حوله على وجهه ، وقد  
 تبليت ألسنتهم من الدهش والدعمر، فكانت عنه هذه اللغات التي يتكلم بها سائر  
 الأمم، وهي آثنتان وسبعون لغة، وسميت تلك الأرض التي كان بها بابل .

## ذكر خبر إرم ذات العماد

وهي التي ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ  
 بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ .

(١) بخافضة جناحه، أى إحدى غوافي جناحه وهي الريشات الصغيرة تخفى حيناً يطوى الطائر  
 جناحه وتكون تحت القوادم . وفي الأصل: « بخافضة جناحه » .

وكان سبب عمارتها أن شدّاد بن عاد بن إرم لما سمع وصف الجنة سوّلت له نفسه أن يبني مثلها . فبنى مدينة بين حضرموت وصنعاء ، طولها اثنا عشر فرسخا ، وعرضها مثل ذلك . وأحاط بها سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع ، غشاه بصفايح الفضة الموهبة بالذهب ، فلا يدركه البصر إذا أشرقت عليه الشمس . وبنى داخلها مائة ألف قصر ( بعدد رؤساء أهل مملكته ) من الذهب والفضة ، وكذلك جدوع سُوفها وأعمدتها . وأجرى في وسطها نهرا صَفَّح أرضه بالذهب ، وجعل على حافته أنواع الجواهر واليواقيت بدلا من الحصباء وألقى فيه المسك والعنبر بدلا من الحمأة . وفتح منه جداول إلى تلك القصور والمنازل ، وغرس على شطوطها من الأشجار ما كان لزهرة عَرَفَ طيبٌ ورائحةٌ ذكية .

١٠ زعموا أنه أقام في بنائها ثلثمائة سنة ، فلما تم بناؤها ، زاد في طغيانه ونرج من حضرموت إليها ليسكنها . فلما أشرف عليها جاءته صبيحة من السماء فأهلكته هو وجنوده .

ويروى أن عبد الله بن قلابة نخرج في طلب إبل له نذت فوقه عليها ، فحمل ما قدر عليه ، فبلغ معاوية خبره ، فاستحضره وسأله فقص عليه قصته . فبعث معاوية إلى كعب الأبحار ، فقال : هي إرم ذات العماد ، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك : أحمر قصير ، على حاجبه خال ، وعلى عقبه خال ، يخرج في طلب إبل له نذت . ثم ألتفت فرأى ابن قلابة فقال : هذا والله ذاك الرجل .

وزعم الأخباريون أنه كان بها أربع مائة ألف وأربعون ألف عمود ، ولهذا سميت ذات العماد . وقد ذهب قوم إلى أنها دمشق .

٢٠ وسنذكر إن شاء الله تعالى خبر إرم ذات العماد بما هو أبسط من هذا عند ذكرنا لخبر شدّاد وشداد ، أبى عاد ، وهو في الباب الخامس من القسم الأول ، من

الفن الخامس في التاريخ، وذلك في السفر الحادي عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا فتأمله هناك . والله تعالى أعلم .

### ذكر خبر سدّ يأجوج ومأجوج

هو في الإقليم السادس في آخر الجزء التاسع من تجزئة عشرة أجزاء .

- (١٤٠) قال صاحب كتاب "نزدة المشتاق إلى آخترق الآفاق" إن الواثق بالله لما رأى في المنام كأن السدّ الذي بناه ذو القرنين مفتوح، أحضر سلاّما الترجمان وقال له :  
 أذهب فانظر إلى هذا السدّ وجئني بخبره وحاله وما هو عليه، ثم أمر له بأصحاب يسرون معه، عددهم خمسون رجلاً، ووصله بخمسة آلاف دينار، وأعطاه دية عشرة آلاف درهم، وأمر أن يعطى كل واحد من أصحابه الخمسين ألف درهم وريزق ستة، وأمر لهم بمائة بغل تحمل الماء والزاد . قال سلام الترجمان : فشخصنا من سامراً بكتاب الواثق إلى إسحاق بن إسماعيل صاحب إرمينية بالنظر إلى تنفيذنا من هناك، فكتب لنا كتاباً إلى ملك الميرير وأنفذنا إليه . فلما وردنا عليه، أشخصنا إلى ملك اللان . فلما وصلنا إليه، أشخصنا إلى صاحب فيلان شاه . فلما وردنا عليه [أرسلنا إلى ملك الخزر وهو] آختر لنا خمسة أدلاء يدلّون على الطريق .  
 فسرنا من عنده سبعة وعشرين يوماً في تخوم بلاد بسجرت إلى أن وصلنا إلى أرض

(١) ان ابن خرداذبه هو أوّل من روى خبر هذه البعثة العلية عن نفس رئيسها ثم استملاه منه من

الكتاب الذي كان كتبه في هذا المعنى للمليحة الواثق بالله (انظر المسالك والممالك طبع ليدن سنة ١٣٠٦هـ =

سنة ١٨٨٩ م من صفحة ١٦٢ — ١٧٠) . وعن ابن خرداذبه نقل جميع المؤلفين الذين جاءوا بعده

مثل الإدريسي وأبن رسته وأبن الفقيه الحمذاني والمقدسي . وقد نقل التويري عن الإدريسي . وكلهم قد

يزيدو ينقص بعض الكلمات أو يبدلها بغيرها .

(١) في الأصل : «قبلاه شاه» . والتصويب عن ابن خرداذبه .

- سوداء طويلة ممتدة كريمة الرائحة، فشققناها في عشرة أيام . وكأ . قد تزودنا لقطعها  
 أشياء نسمها خوفاً من أذى روائحها الكريهة . ثم انفصلنا عنها . فسرنا مدة شهر في بلاد  
 خراب قد درّست أبنيتها ولم يبق منها إلا رسوم يُستدل بها عليها . فسألنا من معنا  
 عن تلك المُدُن ، فأخبرونا أنها المدن التي كان يأجوج وماجوج يغزونها ويخرّبونها .  
 ٥ ثم سرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي في شُعبة السدّ وذلك في ستة أيام .  
 وفي تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية . وهناك مدينة يدعى ملكها  
 خاقان بن أدكش ، وأهلها مسلمون لهم مساجد ومكاتب . فسألونا من أين آقبلنا ؟  
 فأخبرناهم أنّا رُسل أمير المؤمنين الواصل بالله ، فاجبوا منا ومن قولنا " أمير المؤمنين "  
 ثم سألونا عن أمير المؤمنين : أشيخ هو أم شاب ؟ فقلنا : شاب ، فاجبوا أيضا .  
 ١٠ ثم قالوا : وأين يكون ؟ قلنا : هو بالعراق بمدينة سُرّ من رأى . فاجبوا أيضا  
 من ذلك ، وقالوا : ما سمعنا هذا قط . فسألناهم عن إسلامهم من أين وصلهم  
 ومن علمهم لهم ؟ فقالوا : وصل إلينا منذ أعوام كثيرة رجل راكب على دابة طويلة  
 العنق طويلة اليدين والرجلين ، لها في موضع صلها حدّبة ، ( فعلمنا أنهم يصفون الجمل )  
 قالوا : فنزل بنا وكلمنا بكلام فهمناه ، ثم علمنا شرائع الإسلام فقبلناها ، وعلمنا  
 ١٥ أيضا القرآن ومعانيه فتعلمناه وحفظناه . قال سلام : ثم خرجنا بعد هذا إلى السدّ  
 لنُبصره ، فسرنا عن المدينة نحواً من فرسخين ، فوصلنا السدّ . فإذا جبل مقطوع بوادي  
 عرضه مائة وخمسون ذراعاً ، وله في وسط هذا الفناء باب من حديد طوله خمسون  
 ذراعاً قد اكتشفه عضادتان ، عرض كل عضادة منهما خمسة وعشرون ذراعاً . والظاهر  
 من تحتها عشرة أذرع خارج الباب . وكله مبنى بلّين الحديد مغيب بالنحاس . وارتفاع  
 ٢٠ العضادتين خمسون ذراعاً ، وعلى أعلى العضادتين درّوند حديد ، طوله مائة وعشرون  
 ذراعاً . والدّرّوند للعتبة العليا ، وقد رتب منها على كل واحدة من العضادتين مقدار

عشرة أذرع. ومن فوق الدروند بئان متصل بلبن الحديد المغيب بالنحاس إلى رأس الجبل، وارتفاعه مد البصر. وفوقه شُرَفَات حديد، في طَرَف كل شُرْفَة قرنتان تتنفي أطراف كل واحدة منهما على الأخرى، وللباب مصراعان مُغْلَقَان، عرض كل مصراع خمسون ذراعاً في ثخن خمسة أذرع، وقائمتاهما في دقارة على قدر الدروند. وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غَلَط ذراع في الأستدارة، وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشرون ذراعاً. وفوق القفل بخمسة أذرع غَلَق طوله أكثر من طول القفل، وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف، وله اثنتا عشرة دنداجة، كل دنداجة منها كأغظ ما يكون من دسائج الهواوين، مُعَلَّق كل واحد منها بسلسلة على قدر حلقة المنجنيق. وعتبة الباب السفلى عشرة أذرع بسط مائة ذراع سوى ماتحت العضادتين، الظاهر منها خمسة أذرع، وكلها مكحلة بالذراع السوادى. ورئيس ذلك الحصن يركب في كل جمعة مع عشرة فوارس، مع كل فارس إرزية حديد، كل إرزية خمسة أمان. فيضرب القفل بتلك الإرزبات في كل يوم ثلاث مرات ليسمع من خلف الباب، فيعلم أن هناك حفظة، وليعلم هؤلاء أن يأجوج وماجوج لم يحدثوا في الباب حدثاً. وإذا ضرب أصحاب الإرزبات القفل، وضعوا آذانهم ليسمعوا

(١) هذه رواية ابن خرداذبه. وفي الأصل «قرنان مثنى الأطراف بعضها الى بعض». ورواية المقدسى: «قرنان يثنى كل واحد الى صاحبه».

(٢) هذه رواية الإدريسي. والذي في ابن خرداذبه «دندانكة» وهي كلمة فارسية معناها «سن» والمراد أسنان المفتاح.

(٣) الدسج: كلمة فارسية معناها «يد الهاون» أى المدق الذى تدق به الأشياء في الهاون.

(٤) في ابن خرداذبه ما يفيد أن المفتاح وحده هو المعلق في السلسلة وهذا نص روايته: «معلق في سلسلة ملحومة بالباب طولها ثمانى أذرع في أستدارة أربعة أشبار والحلقة التى فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق» وهي رواية معقولة أكثر مما ورد في المتن لأن المفتاح فقط هو الذى يصح تعليقه دون القفل والغلق.

ما وراء الباب ، فيسمعون من ورائه دويًا يدلُّ على أن خلقه بشرا . وبالقرب من هذا الموضع حصن يكون عشرة [فراخ] في عشرة [فراخ] . ومع الباب حصنان يكون كل واحد منهما مائتي ذراع في مائتي ذراع ، وبين هذين الحصنين عين ماء عدبة ، في أحد الحصنين آلة البناء التي بُني بها السد من قُدور الحديد ومعارف الحديد ، والقُدور فوق ديكدانات على كل ديكدان أربع قُدور مثل قُدور الصابون ؛ وهناك أيضا بقايا من لبن الحديد التي بُني بها السد وقد ألصق بعضها ببعض من الصدا ، وطول اللبنة ذراع ونصف في ارتفاع شبر .

(١٤١)

قال سلام الزرجان : وقد سألنا من خاطبناه من أهل تلك الجهات هل رأوا أحدا من ياجوج وماجوج قط ، فأخبرونا أنهم رأوا منهم [مرة] عددا فوق شُرقات الردم ، فهبَّت عليهم ريح عاصفة ، فرمت منهم ثلاثة إلى ناحيتنا . وكان مقدار الرجل منهم شبرين ونصفا .

قال سلام : فكتبت هذه الصفات كلها ، ثم أنصرفنا مع الأدلاء من تلك الحصون ، فأخذوا بنا على ناحية خراسان . فسرنا إلى مدينة بختان ، إلى غريان ، إلى مدينة برساخان ، إلى انطارار ، إلى سمرقند ، فوصلنا إلى عبد الله بن طاهر ، ثم وصلنا إلى الري ، ثم رجعنا إلى سمر من رأى بعد خروجنا عنها . فكان مغيبنا في سفرنا ثمانية وعشرين شهرا .

قال : فهذا جميع ما حدث به سلام .

(١) كلمة فارسية يقابلها عند العرب "الأثافي" .

(٢) في ابن خردادبه : « فهبت ريح سوداء فألقتهم إلى جانبهم » أي إلى الجهة التي ظهر منها أولئك الناس ، وهو المقول ، لأنه عقب بأن طول الرجل كان شبرين ونصفا ، ومعنى ذلك في رأى العين من هذا العلق فنتبه .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي في تفسيره : إن ارتفاع السد مائتا ذراع ونمسون ذراعا . قال : وروى في طوله ما بين طرفي الجبلين مائة فرسخ ، وفي عرضه نمسون ذراعا . نقله عن وهب بن منبه .

وسند ذكر إن شاء الله تعالى من أخبار السد وكيفية بنائه وطوله وعرضه ، وغير ذلك مما هو متعلق به عند ذكرنا لأخبار ذى القرنين . فتأمله هناك ، وهو في الباب الأول من القسم الرابع من الفن الخامس في التاريخ ، وهو في السفر الثاني عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا .

### ذكر مباني الفرس المشهورة

ومباني الفرس كثيرة : قديمة وحديثة .

فمن قديمها "سد اللين" . بناه قباذ بن فيروز ، وقيل إن الذي بناه أبه كسرى ابن قباذ بن فيروز . كذا ورد في التاريخ .

وهذا السد من أرض شروان إلى بلاد الألان ، وبينهما مائة فرسخ ، بين شعاب جبل القبق ، وهو جبل عظيم قد أشتمل على آئنتين وسبعين أمة ، لكل أمة لسان وملك ، لا يعرف بعضهم بعضا لكثرة غياضه وأشجاره ، وفيه عيون وأنهار ، وتقدير مسافته طولا وعرضا نحو شهرين .

ومبدأ السور من جوف بحر الخزر على مقدار مسافة ميل مازا إلى البر ، ثم يمر إلى أن يتصل بقلعة طبرشروان . وهو مبنى بالصخر والحديد والرصاص . بناه على زقاق البقر المنفوخة ، فكان كلما ارتفع البناء نزلت تلك الزقاق إلى أن استقرت في قعر البحر ، ففاصت الرجال بالخناجر فشقوقها فتمكن البناء . وجعل بين كل ثلاثة

أميال من السور وأقل وأكثر بابا من الحديد على حسب الطريق التي تجعل من أجله، وبنى عليه حصنا وأسكن فيه من يحفظ ذلك الباب ويحرسه .

وزعم المؤرخون أن سبب بنائه لهذا السور أن الخزر كانت تُغير على بلد فارس إلى أن تبلغ همدان والموصل، فجزهم بهذا السور .

### ومن مباني الفرس إيوان كسرى

زعم المسعودي أن سابور ذا الأكتاف بناه في نيف وعشرين سنة، وطوله مائة ذراع في عرض خمسين ذراعا في ارتفاع مائة ذراع، وطول كل شرفة منه خمسة عشر ذراعا .

ولما ملك المسامون المدائن، أحرق ستر هذا الإيوان فأخرجوا منه مائة ألف

دينار ذهباً .

ولما بنى المنصور بغداد، أحب أن ينقضه ويبنيها به، فاستشار خالد بن برمك في ذلك فنهاه، وقال : "هو آية للإسلام، ومن رآه علم أن الذي بناه لا يُزِيل ملكه إلا نبي والمؤونة على نقضه أكثر من الارتفاق به" . فقال له : "أبيت إلا ميلا إلى العجم" فهدمت منه ثلثة . فبلغت النفقة عليها مالا كثيرا، فأمسك المنصور عن هدمه، فقال له خالد : "أنا الآن يا أمير المؤمنين، أشير بهدمه لئلا يتحدث الناس بعجزك عن هدم ما بناه غيرك" فلم يفعل .

وحكى مثل هذه القصة أنها وقعت ليجي بن خالد مع الرشيد، وهو إذ ذاك في اعتقاله . وكان الرشيد بلغه أن تحته كثر فأراد هدمه واستشار يجي فأشار عليه بمثل هذا .

ومن عجيب ما يحكى من تقلب الأحوال أن بعض شرفاته هُدمت وجُعِلت  
في أساس سور بغداد .

وقال ابن الأثير في تاريخه : إن الإيوان باقٍ إلى الآن . (وكان يوم ذلك في سنة  
خمسة وعشرين وثمانمائة) ، والله أعلم .

### ومن المباني القديمة الحضرة

وكان حصناً حصيناً مبنيّاً بالرُخام ، يسكنه ملوك الضيَّازن . وهو بين دجلة  
والفرات بحيال تكريت .

ويقال إن بانيه الساطرون . ويُذكر أن قصر ملكه قائمٌ إلى وقتنا هذا في وسط  
المدينة، وفي وسطه هيكلٌ مربعٌ مبنيٌّ بالصخر، وفيه صور دقيقة المعاني .

حكى أن سابورَ الجنودِ حاصره أربع سنين فلم يقدر عليه . واتفق أن بنت ملكه  
وهي النضرة بنت الضيَّازن حاضت ، فأخرجت من القصر إلى رُبضه لأجل ذلك .  
فأرأت سابورَ ، وكان جميل الصورة ، فعشقتَه . فأرسلت إليه تقول : إن ملكك الحصن  
فما تجعل لي؟ قال : حَكَمْتُكَ . قالت : تترجِّع بي . فأجابها إلى ذلك ، فقالت له : خذْ  
حمامة ورقاء مطوّقة ، فاخضب رجلها بدم حيض جارية بكر زرقاء وأرسلها . فإنها تقع  
على سور البلد فيقع لوقته . وكان ذلك حلّ طلسمٍ له . ففعل ذلك ، فوقع السور  
ودخل سابور الحصن وقتل ملكه وأصحابه وأصطفى أخته لنفسه . فلما كانت ليلة  
دخولها عليه ، لم تزل متململة قلقة طول ليلتها ، فالتمس سابور ما الذي قلقت من أجله ،  
فإذا ورقة آيس قد لصقت بعكته من عكها ، فقال لها : ما كان أبوك يغدوك؟

(١) في ياقوت : "النضرة" .

فقلت : الزبد والمخ وشهد أبقار النحل والخمر، فقال لها : أنا أحق منك بثأر أبيك ،  
ثم أمر رجلا أن يركب فرسا جموحا وأن يربط غداثرها في ذنبه ويركض به . ففعل  
ذلك ، فتقطعت .

وهذا الحصن قد اختلف في موضعه . فقيل : بجبال تكريت بين دجلة والفرات ،  
وقيل : بالجزيرة . ويقال إنه كان حاجزا بين الروم والفرس ، وملكته الزباء بنت  
مليح وأسمها فارعة .<sup>(١)</sup>

وفيه يقول عدى بن زيد العبادي من قصيدة :

وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دج \* لمة تُنجي إليه والخابور  
شادة مرمرا وكلاله كذ \* ساء فالطير في ذراه وكور  
لم يهيه ريب المنون فباد آل \* ملك عنه فبابه مهجور  
١٠

### ومن المباني القديمة القليس

وهي كنيسة كانت باليمن بناها أبرهة بن الصباح ملك اليمن بصنعاء . ونقل إليها  
الرخام المجزع والملون ، والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس . وكان أراد أن يرفع  
بناها حتى يشرف منها على بحر عدن . فلما أهلكه الله تعالى وفتق ملكه ، أقفر  
ما حول هذه الكنيسة ، وكثرت حولها السباع والحشرات وبقيت إلى زمن السقاح  
فذكر له أمرها ، فبعث إليها من خزنها وأخذ ما كان فيها . حكى ذلك السهيلي  
في "الروض الأنف" .

(١) في الأصل " بنت فرج " . وذكر في تاج العروس في مادة زب أنها بنت عمرو بن الطرب  
وأن اسمها بارعة أو ميسون أو نابلة وجاء في أقرب الموارد " أنها بنت الريان الفسافي ملكة الجزيرة وكانت  
تعد من ملوك الطوائف واسمها هند ولقبها الزباء " فنبه .

وحكى أن كيفية بناء هذه الكنيسة أنه كان لها بابٌ من نحاس طوله عشرة أذرع وعرضه أربعة أذرع، يُدخَل منه إلى بيتٍ طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً، مسقفٌ بالساج المنقوش، مسمرٌ بمسامير الذهب والفضة، ثم يُدخَل من البيت إلى إيوانٍ معقود طوله أربعون ذراعاً، عن يمينه ويساره عقودٌ من حرفة، ثم يُدخَل من الإيوان إلى قبة ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، جُدرها مموهة بالذهب والفضة، وفي صدر القبة منبرٌ من الآبنوس المرصع بالعاج المصنَّح بالذهب والفضة، ولما تم بناؤها، خرج رجلٌ من بني كنانة فقعده فيها ليلاً (أى أحدث)، فأغضب أبرهة ذلك، فحلف ليهدمن الكعبة، فخرج بجيش كثيرٍ من الحبشة، فكان من أمره ما قصه الله تعالى في كتابه العزيز في سورة النمل: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ. فَبَلَغَ بَيْوتَهُمْ خَاوِيَةً مِمَّا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ .

وذكر لي أن الذي نخرَّبها العباس بن الربيع بن عبد الله العامري، عامل

المنصور على اليمن .

### ومن المباني المشهورة قنطرة صَنْجَة

وهي من مباني الروم على نهر عظم يسمى بهذا الاسم، يُصبُّ في الفرات، لا يمكن خوضه لأن قراره رمل سائل متى وطئه الإنسان برجله سال، وهو ما بين حصن منصور وكيسوم من ديار بكر .

وهذه القنطرة طاقٌ واحد، ما بين جُدرانها مائة خطوة، وهي مبنية بحجارة مهندمة، طول الحجر منها عشرة أذرع في ارتفاع خمسة أذرع .

ومن المباني القديمة ملعبا بعلبك

وهما كبير وصغير .

فالكبير ، يُحكى أنه من بناء سليمان بن داود عليهما السلام ، وهو مبنى على عمدة شاهقة ، وحجارته منها ما هو عشرة أذرع وأكثر .

- ٥ والمَلْعَب الصغير تهتم أكثره ، وبقي منه حائط طوله عشرون ذراعا وارتفاعه كذلك ، ليس فيه إلا سبعة أحجار : واحد من أسفله ، وحجران فوقه ، وأربعة أحجار فوقهما .

(١٢٢)

ويقال إنه البيت الذي كان فيه الصنم الذي كان يدعى "بعلا" .

### ذكر مباني العرب المشهورة

- ١٠ وهي عُمدان ، وحصن تيماء ، والخورنق ، والسدير ، والغريان .  
قال الجاحظ : أحببت العرب أن تشارك الفرس في البناء وتفرد بالشعر ، فبنوا : عُمدان ، وكعبة نجران ، وحصن مارد ، والأبلق الفرد .

### فأما عُمدان

- فكان بصنعاء ، زعم بعض المؤرخين أن بانيه حام بن نوح ، وزعم آخرون أن بيوراسب بناه على أسم الزهرة .  
١٥ وقال ابن هشام إن الذي أسسه يعرب بن خَطَّان ، وأكله بعده وائل بن حَمِير ابن سبأ بن يعرب ، وخرَّبه عثمان بن عفَّان رضي الله عنه .

وقيل في صفته إنه كان مُرَبَّعا ، أحد أركانه مبني بالرخام الأبيض ، والثاني بالرخام الأصفر ، والثالث بالرخام الأخضر ، والرابع بالرخام الأحمر ، وفيه سبعة سُقُوف

طباقا، ما بين السقف والآخر نخمسون ذراعا . وعلى كل ركن تمثال أسيد من نحاس ،  
إذا هبت الريح دخلت من دُبره ونجرت من فيه ، فيسمع لها صوت كزئير الأسد .  
وقال ابن الكلبي : كان على كل ركن من أركان محمدان مكتوب " اسلم  
محمدان ، معاديك مقتول بسيف العدو " .

ويقال : إن سليمان بن داود عليهما السلام أمر الشياطين أن ينثروا لبلقيس  
أربعة قصور : محمدان ، وصرواح ، وبينين ، وسلحين . وكلها باليمن .  
ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : لا يستقيم أمر العرب ما دام  
فيها محمدانها . وهذا القول هو الذي حُضَّ عثمان على هدمه .  
ويقال إن آثاره باقية إلى عصرنا هذا ، وإنه تلُّ عالٍ مطلٌّ على صنعاء .

### وأما حصن تيماء

فهو الأبلق الفرد ، سمي بالأبلق الفرد لأنه كان مبنيًا بججارة مختلفة الألوان وهو  
بأرض تيماء .

بناه السمّوع بن عاديا اليهودي ، ويقال : إنه من بناء سليمان بن داود عليه السلام ،  
وبه تضرب العرب المثل في المنعة والحصانة ، وفيه يقول الشاعر :

طَلَبَ الأَبْلَقُ العُقُوقَ فَلَمَّا \* لم يَنْسَلْهُ أَرَادَ بَيْضَ الأَنْوُقِ

(١) الأبلق العقوق : الفعل الذي يحمل : أى يلتفت ، وهذا غير موجود فهو كبيض الأنوق الذي  
يضرب به المثل في التدرية . ولا معنى للتمثل بهذا البيت في هذا الموضع ، ولعل المصنف يريد بيت السمّوع  
في قصيدته المشهورة :

هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره \* بعسز على من رامه ويطول

(٢) في الأصل : « فرام » والصواب ما أثبتناه لأن الفاء لا تقع في جواب « لما » وقد ورد هذا  
البيت في أمالي القالي ( ج ١ ص ١٢٨ طبعة دارالكتب المصرية ) وجمع الأمثال لبداني ولسان العرب  
( ج ١٢ ص ١٣١ ) كما أثبتناه .

وقصدت الزبأ هذا الحصن وحصن مارد، فلم تقدر عليهما، فقالت: "تمرد مارد وعز الأبلق".

ومارد حصن كان بدومة الجندل، مبنى بحجارة سود؛ ويقال: إنه أيضا من بناء السموع بن عاديا، اليهودي.

### وأما الخورنق والسدير

فكان الخورنق على ثلاثة أميال من الحيرة، والسدير في بركة بالقرب منها؛ بناهما النعمان بن أمراء القيس، وهو النعمان الأكبر؛ ويقال في سبب بناءه لهما: إن يزيد جرد بن سابور كان لا يعيش له ولد، فسأل عن مكان صحيح الهواء، فذكر له ظهر الحيرة، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان وأمره ببناء الخورنق، فبناه على نهر سنداد في عشرين سنة؛ بناه له رجل يسمى سينمار.

فلما فرغ من بناءه، تحبب النعمان من حسن بناءه وإتقانه، فأمر أن يلقى سينمار من أعلاه حتى لا يبني مثله لأحد؛ ويقال: إنه إنما فعل ذلك به لأنه لما أعجبه شكره على عمله ووصله، فقال: لو علمت أن الملك يحسن إلى هذا الإحسان، لبنيت له بناء يدور مع الشمس كيفما دارت، فقال له النعمان: وإنك لتقدير على أن تبني أفضل منه، ولم تبنيه! فأمر به فطرح من أعلاه.

وقيل: بل قال: أنا أعرف فيه حجرا متى أخذ من موضعه، تداعى البناء. نغاف النعمان إن هو لم ينصفه في أجرته فعل ذلك، فقتله.

والعرب تضرب المثل بفعل النعمان مع سينمار في المكافأة على الفعل الحسن بالقبيح، فيقال: جازاه مجازاة سينمار.

وفيه يقول بعض الشعراء :

جَزَائِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ \* جَزَاءَ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ

سوى رفعه البنيان عشرين حجة \* بعلّى عليه بالقراميد والسكيب

والخورنق تعريب خورنقا<sup>(١)</sup>، وهو الموضع الذى يؤكل فيه ويشرب . والسدير

تعريب سادل، أى قبة فى ثلاث قباب متداخلة .

وفى هذه الأبنية يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرق \* تركوا منازلهم وبعث إباد

أهل الخورنق والسدير وبارق \* والقصر ذى الشرفات من سنداد

وقال عدى بن زيد العبادى :

وتفكر رب الخورنق إذ أشد \* عرف يوماً وللهدى تفكير

سره ملكه وكثرة ما يح \* يريه والبحر معرضاً والسدير

فارعوى قلبه فقال فما غب \* نطة حتى إلى الممات يصير

### وأما الغريان

فهما أسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة .

بناهما النعمان بن المنذر بن ماء السماء، على جاريتين كانتا قيتين تغنيان بين

يديه فائتاً، فأمر بدفنهما وبني عليهما الغريين .

ويقال: إن المنذر غزا الحارث بن أبى شيمر الغسانى، وكان بينهما وقعة على عين

أبغ، وهى من أيام العرب المشهورة، فقتل الحارث ولدان، وقتل المنذر وأنهزمت

جيوشه، فأخذ الحارث ولديه وجعلهما عدلين على بعير، وجعل المنذر فوقهما،

(١) والأصح خاتقاء . (من هامش الأصل) .

وقال : "ما العِلاوة بِدُونِ العِدلين !" فذهبت مثلاً ، ثم رحل إلى الحيرة فاتمها وحرَّقها  
 ودفن آبنه بها ، وبنى الغريين عليهما ؛ حكاه ابن الأثير في تاريخه "الكامل" .  
 وأمر المنصور بهدم أحدهما ، لكنز توهم أنه تحتها ، فلم يجد شيئاً ؛  
 وقيل في سبب بنائهما غير ذلك ؛ والله أعلم .

### ذكر الأبنية القديمة التي بالديار المصرية

وهي الأهرام ، وحائط العجوز ، وملعب أنصنا ، ومدينة عين شمس ، والبرابي ،  
 وحينية الآزورد ، ومنازة الإسكندرية ، ورُواق الإسكندرانيين .

### فأما الأهرام

التي بأرض مصر فهي كثيرة ؛ وأعظمها الهرمان اللذان بالجيزة غربى مصر ؛  
 وقد اختلف في بانيهما :

فقال قوم : بانيهما سُوريد بن سهلوق بن سرناق ؛ بناهما قبل الطوفان لرؤيا  
 رآها ، فقصَّها على الكهنة ، فنظروا فيما تدلُّ عليه الكواكب النيرة من أحداث تحدث  
 في العالم ، فأقاموا مراكرها في وقت المسألة ، فدلَّت على أنها نازلة من السماء تحيط  
 بوجه الأرض ؛ فأمر حينئذ ببناء البرابي والأهرام ، وصوِّر فيها صور الكواكب  
 ودرجها وما لها من الأعمال وأسرار الطبائع والنواميس وعمل الصنعة .

ويقال : إن هرمس المثلث بالحكمة (وهو الذى يسميه العبرانيون أَخْنُخ ، وهو  
 إدريس عليه السلام) استدلَّ من أحوال الكواكب على كَوْنِ الطوفان ؛ فأمر ببناء  
 الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم وما يُخاف عليه الذهبُ والدُّثور .

وكل هرم منها مربع القاعدة، مخروط الشكل، ارتفاع عموده ثلثمائة ذراع وسبعة عشر ذراعا، يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع، كل ضلع منها أربعائة ذراع وستون ذراعا، ويرتفع إلى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع في مثلها.

ويقال: إنه كان عليه حجر شبه المكبة فرمته الرياح العواصف.

وهو مع هذا العظم من إحكام الصنعة وإتقان الهندسة وحسن التقدير بحيث إنه لم يتأثر إلى يومنا هذا بعصف الرياح وهطل الأمطار وزعزعة الزلازل، وطول الحجر منه خمسة أذرع في سمك ذراعين.

ويقال: إن بانيهما جعل لهما أبوابا على آراج مبنية بالحجارة في الأرض طول كل أراج منها عشرون ذراعا، وكل باب من حجر واحد يدور بلولب إذا أطبق لم يعلم أحد أنه باب. فأرج الشرق منها في ناحية الجنوب، وأرج الغرب في ناحية الغرب؛ يدخل من كل باب منها إلى سبعة بيوت، كل بيت منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة؛ وكلها مقلدة بأقفال؛ وحذاء كل بيت منها صنم من ذهب مجوف، إحدى يديه على فيه، وفي جبهته كتابة بالمسند إذا قرئت آفتح فوه فتوجد فيه مفاتيح ذلك القفل فيفتح بها.

والقبط يزعمون أنها والهرم الصغير الملقون قبور: فالهرم الشرق فيه سور يد الملك، وفي الهرم الغربي أخوه هوحيت<sup>(١)</sup>.

والصابئة تزعم أن أحدها قبر أغاثديمون، والآخر قبر هرمس، والملقون قبر صاب ابن هرمس؛ وإليه تنسب الصابئة على قول من زعم ذلك منهم؛ وهم يحجون إليها

(١) كذا بالأصل وكذلك في خطط المقرئ. وفي ياقوت "هوجيب".

ويذبحون عندها الديكة والعجول السود ، وَيُخْرُونَ بِدُخْنٍ ؛ ويزعمون أنهم يعرفون عند اضطراب ما يذبحون حالة الذبح ما يريدون عمله من الأمور الطبيعية .

- وقصرت همم الملوك والخلفاء عن معرفة ما في هذين الهرمين ، إلى أن ولي عبد الله المأمون الخلافة وورد مصر ، فأمر بفتح واحد منها ففتح بعد عناء طويل ، وآتفق لسعادته أنه وقع النقب على مكان يسلك منه إلى الغرض المطلوب ، وهو زلاقة ضيقة من الحجر الصوان المائع الذي لا يعمل فيه الحديد ، بين حاجزين ملتصقين بالحائط قد نُقِرَ في الزلاقة حُفْرٌ ، يمسك السالك بتلك الحفرة ، ويستعين بها على المشي في الزلاقة لئلا يزلق ، وأسفل الزلاقة بئر عظيمة بعيدة القعر ، ويقال : إن أسفل البئر أبواب يُدخَلُ منها إلى مواضع كثيرة وبيوت ومخادع وعجائب .
- وآتمت بهم الزلاقة إلى موضع مربع في وسطه حوض من حجر صلد مغطى ؛ فلما كُشِفَ عنه غطاؤه لم يوجد فيه إلا رمة بالية ، فأمر المأمون بالكف عما سواه ؛ وهذا الموضع يدخله الناس إلى وقتنا هذا .

١٣٥

- وسندكر إن شاء الله تعالى خبر الأهرام عند ذكرنا لأخبار ملوك مصر الذين كانوا قبل الطوفان وبعده ، وذلك في الباب الثاني من القسم الرابع من الفن الخامس ، وهو في السفر الثاني عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا فتأمله هناك .

وقال بعض أهل النظر ، وقد عاين الأهرام : "كل بناء يخاف عليه من الدهر ، إلا هذا البناء فإني أخاف على الدهر منه" .

ونظم عمارة اليمنى هذا القول ، فقال :

- حَلِيْلِي مَا نَحَتْ السَّمَاءَ بِنْيَةً \* ثَمَائِلُ فِي إِتْقَانِهَا هَرَمِي مِصْرِ  
بِنَاءٌ يَخَافُ الدَّهْرُ مِنْهُ وَكُلُّ مَا \* عَلَى ظَاهِرِ الدُّنْيَا يَخَافُ مِنَ الدَّهْرِ  
تَسْرَهُ طَرْفِي فِي بَدِيعِ بِنَائِهَا \* وَلَمْ يَتَرَهُ فِي الْمُرَادِهَا فِكْرِي

وقال بعض الشعراء :

حَسَرْتُ عُقُولَ دَوَى النَّهَى الْأَهْرَامُ \* وَأَسْتَصَغَرْتُ لِعَظِيمِهَا الْأَعْلَامُ  
مَلَسْتُ مُنِيفَةَ الْبِنَاءِ شَوَاهِقُ \* قَصُرْتُ لِعَالِ دُونِهَا سِيَامُ  
لَمْ أُدْرِ حِينَ بَكَ التَّفَكُّرُ دُونَهَا \* وَاسْتَبَهَمَتْ لِعَجِيبِهَا الْأَوْهَامُ  
أَقْبُورُ أَمَلِكِ الْأَعَاجِمِ هُنَّ أُمَّ \* طَلَسْتُ رَمَلِ هُنَّ أُمَّ الْأَعْلَامُ

وقال أبو الطيب المتنبي :

أَيُّ الَّذِي الْهَرَمَانَ مِنْ بِنَائِهِ \* مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ  
تُخَلِّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا \* حِينَ وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَتَّبِعُ

وقال أمية بن عبد العزيز الأندلسي :

بَعَيْشِكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا \* عَلَى طُولِ مَا عَايَنْتَ مِنْ هَرَمِي مِصْرٍ  
أَنَافًا بِأَعْنَانِ السَّمَاءِ وَأَشْرَفًا \* عَلَى الْجَوِّ لِشُرَافِ السَّمَاءِ أَوْ النَّسِيرِ  
وَقَدْ وَافِيَآ تَسْرًا مِنَ الْأَرْضِ عَالِيَا \* كَأَنَّهُمَا تَدْيَانِ قَامَا عَلَى صَدْرِ

وقال آخر :

أَنْظُرْ إِلَى الْهَرَمَيْنِ إِذْ بَرَزَا \* لِلْعَيْنِ فِي عُلُوِّ وَفِي صَعْدِ  
وَكَأَنَّما الْأَرْضُ الْعَرِيضَةُ إِذْ \* ظَمِئَتْ لَفَرَطِ الْحَرِّ وَالْوَمَدِ  
حَسَرْتُ عَنِ التَّدْيِينِ بَارِزَةً \* تَدْعُو الْإِلَهَ لِنُفْرَةِ الْوَلَدِ  
فَأَجَابَهَا لَيْسَ يَكُ يَوْسَعُهَا \* رَبًّا وَيَسْفِيهَا مِنَ الْكَمَدِ

وقال ابن الساعاتي :

وَمِنَ الْعَجَائِبِ، وَالْعَجَائِبُ بَحْمَةٌ \* دَقَّتْ عَنِ الْإِنْكَارِ وَالْإِنْهَابِ،  
هَرَمَانٍ قَدْ هَرَمَ الزَّمَانُ وَأَدْبَرَتْ \* أَيَّامُهُ وَتَزِيدُ حُسْنَ شَبَابِ

لله أَيُّ بِنْيَةٍ أَزَلِيَّةٍ \* تَبْنِي السَّمَاءَ بِأَطْوَالِ الْأَسْبَابِ  
وَلِرُبَّمَا وَقَفَتْ وَقُوفٌ تَبْلُؤِي \* أَسْفًا عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَحْقَابِ  
كَتَمَّتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ فَضْلَ خَطَابِهَا \* وَغَدَّتْ تُشِيرُ بِهِ إِلَى الْأَلْبَابِ  
وقال سيف الدين بن جُبَّارة :

• لله أَيُّ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ \* فِي صَنْعَةِ الْأَهْرَامِ لِلْأَلْبَابِ  
أَخْفَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ قِصَّةَ أَهْلِهَا \* وَنَضَّتْ عَنِ الْإِبْدَاعِ كُلِّ نِقَابِ  
فَكَأَنَّهَا هِيَ كَالخِيَامِ مُقَامَةً \* مِنْ غَيْرِ مَا عَمِيدٍ وَلَا أَطْنَابِ  
ومن رسالة لضيياء الدين بن الأثير الجزري في ذكر مصر ووصف الأهرام ، جاءتها :

« ... بلدٌ أشمَدُ بفضله على البلاد ، ووجدته هو المصر وما عداه فهو السَّوَادُ ، فما رآه  
راء إلا ملاً عينه وصدْرَه ، ولا وصفه واصف إلا علم أنه لم يقدره قدره ، وبه  
عجائب من الآثار ، لا يضبطها العيان ولا الإخبار ، فمن ذلك الهرمان ، اللذان هيرم  
الدهر وهما لا يهرمان ، قد آختص كلُّ منهما بعظم البناء ، وسعة الفناء ، وبلغ من  
الارتفاع غاية لا يبلغها الطير على بُعد تحليقه ، ولا يدركها الطرف على مدّة تحديقته ، فإذا  
أضرم برأسه قَبَسٌ ظنه المتأمل نجماً ، وإذا استدارت عليه قوسُ السماء كان لها سَهْمَا » .  
وبالقرب من الأهرام صنم على صورة إنسان ، تسميه العقاقة "أبا الهول"  
لعظمه ، والقبط يزعمون أنه طَلَّم للرمل الذي هناك ، لئلا يغلب على أرض الجزيرة .

(١٣٦)

### وأما حائط العجوز

والعجوز هي دُلُوكا ملكة مصر .

وهذا الحائط من العريش ( وهو حد مصر من جهة الشام ) الى أسوان ( وهي

حد مصر من جهة النوبة ) ، شاملا للديار المصرية من الجانب الشرقي .

٢٠

وزعمت القبط أن سبب بنائها أن الله عز وجل لما أغرق فرعون وقومه ،  
خافت دُلوكا على مصر أن يطعم المملوك فيها فبنته ، وزوجت النساء بالعبيد حتى  
يكثر النسل والذرية .

وقيل في سبب بنائه : إن دُلوكا ولدت ولدا فأخذت لمولده رصدا ، فرأت أن  
التساح يقتله ، فبنت هذا الحائط وقاية له من التساح . فلما شب الغلام رأى  
في مولده ذلك ، فأحب أن يراه ، فصوّر له من خشب ؛ فلما رآه هاله منظره  
وأستولى على نفسه الوهم والفرع فأت .

### وأما ملعب أنصنا

فإنه كان مقياسا للنيل .

ويقال : إنه من بناء دُلوكا ؛ وكان بناؤه كالطيسان ، وعليه أعمدة بعدد أيام  
السنة من الصوان الأحمر المانع ، بين العمود والعمود خطوة ؛ وكان النيل يدخل إليه  
من فوهة فيه عند زيادة النيل ؛ فاذا بلغ الحد الذي يحصل به الرى جلس الملك  
في مشرف له ، ويصعد قوم إلى رؤوس الأعمدة فيتعادون عليها ما بين ذاهب وآت ،  
فمن زلت به قدمه منهم سقط إلى البركة .

### وأما مدينة عين شمس

فهي من المباني التي درست .

وكانت مصر فرعون موسى ، ومنها خرج يحنوده في طلب موسى وبني إسرائيل ؛  
وكانت عدتهم ستمائة ألف ، ليس فيهم أبن عشرين سنة ولا أبن ستين سنة .

(١) لم يرض أبن فضل الله بذكر هذه الخرافة في كتابه ، وقد وصف لنا جزءا من هذا السود (أنظر مسالك  
الأبصار المطبوع ، ج ١ ص ٢٣٩) .

وَأَسْتَقَلَّ فِرْعَوْنُ هَذَا الْعَدَدَ وَقَالَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : (( إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ )) .

وكان بها هيكل الشمس تغرب .

والفرس تزعم أن هرسيك بناها .

ويقال : إنه كان قد بقي منها عمودان من حجر صلد ، فلَكَاتُ طُولِ كُلِّ عَمُودٍ

- منهما أربعة وثمانون ذراعاً ، على رأس كل عمود صورة إنسان على دابة ، وعلى رأسيهما شبه الصومعتين من نحاس ؛ فإذا كان ( اللَّيْلُ ) قَطَرَ من رأس كل واحد منهما ماء لا يتجاوز نصف العمود الذي هو مركب عليه ؛ والموضع الذي يصل إليه الماء لا يزال أخضر رطباً .

وقد وقع العمودان بعد الخمسين وستمائة .

### وأما البرابي

١٠

وهي بيوت حكمة القبط ؛ ويقال : إنه كان لكل كورة من كور مصر برابة

يجلس فيها كاهن على كرسى من ذهب .

ومن أعجب البرابي وأعظمها ( برابة إنحيم ) . وهي مبنية بحجر المرمر ، طول كل

حجر خمسة أذرع في ستم ذراعين ، وهي سبعة دهايز سقوفها حجارة ؛ طول كل حجر

- منها ثمانية عشر ذراعاً في عرض خمسة أذرع ، مدهونة بالألأز ورد وساثر الأصباغ ،

يخالها الناظر إليها كأنما فرغ الدهان منها ؛ يقال : إن كل دهليز منها على اسم كوكب

من الكواكب السبعة ؛ وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهيئات

والمقادير ، يقال : إنها رموز على علوم القبط ، وهي : الكيمياء ، والسيمياء ، والطلسمات ،

والطب ، وأدعوها هذه الصور .

٢٠

ويقال : إن ذا النون المصري العابد فكّ منها علم الكيمياء .

## وأما حَنِيةَ اللازورد

وهي بأرض مَنف، ومَنف هذه هي التي تسمى مصر القديمة .

يقال إن عَمَد الحَنِية أحسنُ من عَمَد قنطرة صَنْجَة التي تقدّم ذكرها، والحَنِية معقودة من حجارة مهندمة، طول كل حجر منها أكثر من خمسة عشر ذراعاً، وفيها نقوش وكتابة وطلسمات مموّهة باللازورد، وهي من الشرق إلى الغرب، وفي صدرها قِصَاء فيه بناء مرتفع، عليه بلاطة من الصوّان الأسود، مكتوب فيها بالقلم الرُّبَاوي ثلاثون سطراً، يقال : إنه قبر الذي بنى الحَنِية، وإنه ديساره : ملك كان بمصر،

حكيم .

وللقبط عيد يسمى ديساره : وهو عيد هذا الملك، ويسمى عيد العنب .

## وأما منارة الإسكندرية

فهى مبنية بحجارة مهندمة مضبّبة بالرصاص على قناطر من زجاج، والقناطر على ظهر سَرَطان من نحاس، وفيها نحو ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض، تصعد الدابة بجملها إلى سائر البيوت من داخلها، وللببوت طاقات يُنظر منها إلى البحر .

و بين أهل التاريخ خلافٌ فيمن بناها .

فزعم بعضهم أنها من بناء الإسكندر بن فيلبس المقدوني، وزعم آخرون أنها من بناء دَلوكا ملكة مصر . ويقال : إن على جانبها الشرقيّ كتابةً، وإنها نقلت إلى اللسان العربيّ فوجدت "بنت هذه القنطرة فرتنا بنت مرتيوس اليونانية لرصد الكواكب" .

ويقال : إن طولها كان ألف ذراع .

وكان في أعلاها تماثيل من نحاس .

منها تَمثال قد أشار بسببته انبنى نحو الشمس ، أينما كانت من الفلك يدور معها حيثما دارت .

ومنها تَمثال وجهه في البحر ، متى صار العدو منهم على نحو من ليلة ، سُمِعَ له صوت هائل يعلم به أهل المدينة طُروق العدو .

ومنها تَمثال كلما مضى من الليل ساعة ، صوت صوتا مطربا .  
ويقال : إنه كان بأعلاها مرآة تُرى منها قُسطنطينية ، وبينهما عرض البحر .  
وكلما جهز الروم جيشا رُئى في المرآة .

وحكى المسعودى في " مروج الذهب " أن هذه المنارة كانت في وسط الإسكندرية ، وأنها تعد من بناء العالم العجيب ، بناها بعض البطالسة من ملوك اليونان يقال له الإسكندر ، لما كان بينهم وبين الروم من الحروب في البر والبحر ، فجعلوا هذه المنارة مَرَقَبًا ، وجعلوا في أعلاها مرآة من الأحجار المُشَفَّة ، تشاهد فيها مراكب البحر إذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها .

ولم تزل كذلك إلى أن ملكها المسلمون ، فاحتال ملك الروم على الوليد بن عبد الملك بأن أنفذ أحد خواصه ومعه جماعة إلى بعض ثغور الشام على أنه راغب في الإسلام ، فوصل إلى الوليد وأظهر الإسلام ، وأخرج كنوزا ودفائن كانت في الشام حملت الوليد على تصديقه فيما يدعيه ، ثم قال له : إن تحت المنارة أموالا ودفائن وأسلحة دفنها الإسكندر ، فصدقه وجّهه مع جماعة من ثقاته إلى الإسكندرية ، فهدم ثلث المنارة وأزال المرآة ، ثم فطن الناس أنها مكيدة ، فأستشعر ذلك فهرب في مركب كانت معدة له ، ثم بُني ما هُدم بالحِصّ والآجر .

ثم قال المسعودى : وطول المنارة في هذا الوقت ( يعنى الوقت الذى وضع فيه كتابه ، وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ) مائتان وثلاثون ذراعا ، وكان طولها قديما نحو من أربعمائة ذراع .

وهى فى عصرنا هذا ثلاثة أشكال : فمنها تقدير الثلث مربع مبنى بالحجارة ، ثم بعد ذلك بناء مُمَثَّنُ الشكل بالآجر والحِصَّ نحو ستين ذراعا ، وأعلىها مدور الشكل .

ويقال : إن أحمد بن طولون بنى فى أعلاها قبة من الخشب فهدمتها الرياح ، فبنى فى مكانها مسجدا فى الدولة الظاهرية الركنية بيبرس صاحب مصر رحمه الله تعالى ؛ ثم هُدم فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمئة بسبب الزلزلة الحادثة ، ثم بنى فى شهر ربيع سنة ثلاث وسبعمئة فى دولة السلطان الملك الناصر ولد السلطان الملك المنصور ، ثبتت الله دولته ، وكان المندوب لذلك الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى نائب السلطنة الشريفة فى الغيبة .

وقد وصف الشعراء منارة الإسكندرية .

فمن ذلك ما قاله الوجيه الدروى :

وسامية الأرجاء تهدى أحا السرى \* ضياء إذا ما جندس الليل أظلمها  
ليست لها بردا من الأئس ضافيا \* فكانت بتدكار الأجابة معلما  
وقد ظلمتني من ذراها بقبة \* الأخط فيها من صحابي أنجبا  
نخيلت أن البحر تخي غمامة \* وأنى قد خيمت فى كيد السما

وقال أبو الفتح الأغر بن قلافس :

ومنزلة جاوز الجوزاء مرتقيا \* كأنما فيه للسنين أوكار

رأى القَرَارَةَ سَامِي الفَرَجِ فِي يَدِهِ \* لِلنُّورِ وَالنُّونِ أَخْبَارٌ وَأَخْبَارٌ<sup>(١)</sup>  
أَطْلَقْتُ فِيهِ عَنَانَ القَوْلِ فَاطَّرَدَتْ \* خَيْلٌ لَهَا فِي بَدِيعِ الشَّعْرِ مِضْمَارٌ

### وأما رواق الإسكندرانيين

فهو مَلْعَبٌ كان بالإسكندرية .

- كانوا حكماءً يَجتَمِعُونَ فِيهِ فَلَا يَرَى أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا دُونَ الآخِرِ، وَوَجْهٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ - وَإِنْ اختلفت جهاتهم - تَلْقَاءُ وَجْهِ الآخِرِ ؛ وَإِنْ عَمِلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئًا أَوْ تَكَلَّمَ سَمِعَهُ الآخِرُ، وَنَظَرَ القَرِيبُ وَالبَعِيدُ فِيهِ سَوَاءً .  
وَقَدْ بَقِيَتْ مِنْهُ بَقَايَا عَمِدٍ تَكْسُرُ غَيْرَ عَمُودٍ مِنْهَا يُسَمَّى عَمُودِ السُّوَارِي فِي غَايَةِ الطُّولِ وَالعُلُظِّ مِنَ المَجَرِ الصُّوَانِ الأَحْمَرِ .

### ذكر شيء من عجائب المباني

١٠

قال صاحب كتاب "مباحث الفكر ومناجح العبر" :

ذَكَرَ بَعْضُ المَصْنُفِينَ لَكُتُبِ العِجَابِ أَنَّ الفَرَسَ تَزْعَمُ أَنَّ أَوْشَمَنْجَ بَنِي بَارِضِ بَابِلَ سَبْعَ مِدَائِنَ، جَعَلَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ مِنْهَا عَجُوبَةٌ لَيْسَتْ فِي الأُخْرَى .

فَكَانَ فِي الأُولَى - الَّتِي يَكُونُ فِيهَا المَلِكُ - مِثَالُ أَنْهَارِ الدُّنْيَا كُلِّهَا ؛ فَإِذَا

- أَلْتَوَى عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بَخْرَاجِهِمْ نَخَّرَجَ نَهْرًا مِنْ تِلْكَ الأنْهَارِ الشَّبِيهِةِ بِنَهْرِ تِلْكَ النَاحِيَةِ فَغَرِقُوا، فَإِذَا أَدَّوْا الخِرَاجَ سَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِهِ فَأَتَسَدَّ عَنْهُمْ .

(١) هكذا في الأصل . وفي بدائع البدائنه "أخبار وآثار" وفي مسالك الأبصار "إخبار وأخبار"  
وهذا الوجه الأخير أولى، ويكون المعنى أن هذه المنارة تنحجر عن المراكب المضيفة القادمة إلى الإسكندرية وأن فيها أخباراً عن السمك الساج في البحر حولها .

- وفي الثانية حوض ، فإذا أراد الملك أن يجمع الناس لشراب ، أتى من أحبّ منهم بشراب له خاص فيصبه في الحوض ، يفعل ذلك كل إنسان منهم ، فيختلط الجميع ، ثم تقوم السقاة فتأخذ الأواني ويُسقى كل واحد من شرابه الذي جاء به .
- وفي الثالثة طبل ، فإذا غاب من البلد أحد وأراد أهله أن يعلموا خبره أحمى هو أم ميت ، ضربوا الطبل : فإن كان حيا صوت ، وإن كان ميتا لم يصوت .
- وفي الرابعة المرأة ، فإذا غاب الرجل عن أهله وأرادوا أن يعلموا حاله نظروا في المرأة فرأوه في الحالة التي هو عليها .
- وفي الخامسة إوزة نحاس ، فإذا دخل المدينة غريب صقرت ، فيعلمون أن غريبا دخلها .
- وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء ، فيجىء المحق والمبطل ليجلسا معهما ، فيجلس المحق ، ويرسب المبطل .
- وفي السابعة شجرة ، لا تظل إلا ساقها ، فإذا جلس تحتها واحد أطلته إلى ألف ؛ فإن زاد على الألف واحد قعدوا كلهم في الشمس .
- وكنت قد أنكرت هذه الحكاية وقصدت حذفها وإلغائها والإضراب عنها ، فرأيت ابن الجوزي وضعها في كتابه الذي سماه " سلوة الأحران " فأوردتها .
- وحكى أنه كان بمدينة قيسارية - لما كانت في أيدي الروم - كنيسة بها امرأة ؛ إذا آتهم الرجل امرأته بزنا نظر في تلك المرأة ، فيرى وجه المتهم فيها ؛ وأن بعض الناس آتهم فرأوه فيها فقتله الملك ، بجاء أهله إلى المرأة حمية فكسروها .
- وحكى الواقدي في فتوح السند : أن عبد الله العبدى عامل معاوية على السند غزا بلد القيقان ، فأصاب منهم غنائم كثيرة ، وأن ملك القيقان بعث إليه يطلب منه الفداء وحمل إليه هدايا كان فيها قطعة من امرأة ، يذكر أهل العلم أن الله تعالى أنزلها

على آدم عليه السلام لما كثر ولده وانشروا في الأرض ، فكان ينظر فيها فيرى من بعد منهم على الحالة التي هو عليها من خير أو شر ، فحملها عبد الله الى معاوية ، فبقيت في ذخائر بني أمية الى أن انتقل الملك عنهم الى بني العباس ، فصاعت فيما <sup>(١)</sup> فقد من الذخائر .

- ٥ وقيل إن ينهاوند حجرا يسمى الكيلان ، بالقرب منه صخرة ، من أراد أن يتعترف حال غائب أو آبق أو سارق ، أتى الى تلك الصخرة فنام تحتها ، فيرى في النوم حال ما تعترف به على ما هو عليه . وعجائب المباني كثيرة ، سنذكر إن شاء الله تعالى منها جملة في أخبار ملوك مصر الذين كانوا قبل الطوفان وبعده ، فتأمله هناك تجده .

## الباب الرابع

- ١٠ من القسم الخامس من الفن الأول  
فيما وصفت به المعامل والحصون

وهذا الباب قد ترجمت عليه في الفن الثاني الذي يلي هذا الفن فيما يحتاج إليه الملك . وإنما ضمته إلى هذا الفن لمناسبته له وشبهه به ، وأستثنيته من الفن الثاني وأقتصرته فيه على مجرد الترجمة ، وبالله التوفيق .

- ١٥ وقد أوسع الفضلاء والأدباء والكتّاب والبلغاء القول في هذا المعنى وتواردوا فيه ، فاقصرنا على ما نورده من ذلك ، وهو قليل من كثير .  
فن ذلك ما قاله بعض الأندلسيين يصف قلعة فتحت من غير حصار :

« ... وهذه القلعة التي آتتهينا إلى قرارها ، وأستولينا على أقطارها ؛ أرحب المدن أمدا للعيون ، وأخصبها بلدا إذا أمحلت السنون ؛ فروعها فوق الثريا شامخة ،

- ٢٠ (١) بهامش الأصل ما نصه : "ذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه أن هذه المرأة كانت عند أبي جعفر المنصور فأنه أعلم أين صارت بعده" .

وعروقتها تحت الترى راسخة؛ تباهى بأزهارها نجوم السماء، وتناجى بأسرارها أذن الجوزاء؛ وكانت في الزمن الغابر، عتت على عظيم القياصر؛ فنازلها بأكثر من النجوم عددا، وطاولها بأوفى من البحر مددا؛ فأبت على طاعته كل الإباء، وأستعصت على مقارنته أشد استعصاء، ومردت مرود ماردا على الزبأ؛ فأمكننا الله من ذروتها، وأنزل ركبها لنا عن صهوتها» .

وقال القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني رحمه الله، يصف آمدا من رسالة، جاء منها:

«... وأمد ذكرها بين العالم متعالم، وطالما صادم جانبها من تقادم؛ فرجع عنها مقدوعا أنفه وإن كان خلا، وفر عنها قريدا بهمه وإن أستصحب خيلا ورجلا؛ ورأى حجرها فقدر أنه لا يفك له حجر، وسوادها فظن أنه لا ينسخه بحر، وحمة أنف أنفتها فاعتقد أنه لا يستجيب لزجر؛ من ملوك كلهم قد طوى صدره على الغليل إلى موردها، ووقف وقفه المحب السائل فلم يقز بما أمل من سؤال معهدتها» .

وقال من أخرى يصفها:

«... وهي العقيلة التي صدر الصدور الأوب محلا عن ورتها، والطريدة التي حصل منها على راحة يأسه وتعب طردها؛ والمحجبة التي كشفت ستورها، ودار لعصمتها كسوار معصمها سورها، وغلت على أنها السوداء على خطبها لأن المهج مهورها؛ ولربما نأى بجانبها الإعراض، ونبأ جوهرها عن الأعراض، وطاشت دون أوصافها سهام الأعراض؛ ودرجت الملوك على حسرتها فلم تحسر لها لثاما، وما استطاعت لثغرها ثلما ولا له ألتاما» .

وقال من أخرى يصف قلعة نجم، وهي من عيون الرسائل، جاء منها:

«... هي نجم في سحاب، وعقاب في عقاب؛ وهامة لها الغامة عمامة، وأنملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قلامة؛ عاقدة حبوته صالحها الدهر ألا يحلها

بقرعه ، بادية عَصمة صالحها الزمن على الأبرو عها بجلعه ، فاكنتت بها عقاربُ  
منجنيقات لم تطبع طبع حمص في العقارب ، وضربتها بحجارة أظهرت فيها العداوة  
المعلومة في الأفراب ؛ فلم يكن غير ثلاثة إلا وقد أثرت فيها الحجارة جدرياً بضرها ،  
ولم يصل إلى السابعة إلا والبحر مؤذن بنقها ؛ فانسع الخرق على الراقع ، وسقط  
سعدته عن الطالع ، إلى مولد من هو إليها طالع ؛ وفنحت الأبراج فكانت أبوابا ،  
وسيرت الجبال فكانت سرايا .

وقال من أخرى في فتح بيت المقدس ، جاء منها :

« ... زاول المدينة من جانب ، فإذا هو أوية عميقة ، ولجج وغير غريقة ؛  
وسور قد أعطف عطف السوار ، وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقر الدار ؛  
وقدم المنجنيقات التي تتولى عقاب الحصون عصيها وجبالها ، وأوترلم قسيها التي  
تضرب ولا تفارق سهامها ولا سهامها نبالها ؛ فصاحت السور فاذا سهامها في ثنأيا شرفاتها  
سواك ، وقدم النصر بشرى من المنجنيق تحلده إخلاده إلى الأرض وتعلو علوه إلى  
السمك ؛ فشج مرابع أبراجها ، وأسمع صوت عجيجها ورفع مشارعها ؛ وأسفر  
النقاب عن الحراب النقاب ، وأعاد الحجر إلى خلقته الأولى من التراب ؛ ومضغ سرد  
حجارته بانياب موله<sup>(١)</sup> ، وأظهر من صناعته الكثيفة مايدل على لطافة أعماله ، وأسمع  
الصخرة الشريفة أبنه إلى أن كادت ترق لمقتله . »

وقال أيضا من أخرى :

« ... فنصبنا عليها المنجنيقات تمطر سماؤها نبل الوبال ، وتملأ أرضها بالنكايه  
والنكال ، وتهذب ساريات حجارتها راسيات الجبال ؛ وتنزل نوازل الأسواء بالأسوار ،  
وتوسع مجال الدوائر في الديار ، وتخطف بخطافات أعمار الأعمار ؛ وتطير حمامها بكسب  
الحمام ، وتديم إغراء سهامها في أهلها بتوفير سهام الإرغام ؛ وكشف النقابون نقاب السور  
المججوج المحجوج ، فتهدم بنيانه وتداعت أركانه بتظاھر المنجنيقات عليها والنقوب . »

(١) المول : الفأس العظيمة . وفي الأصل : "موله" بالعين المعجمة . والمقول : ما يهلك به  
الشيء ، لكنا رأينا الأنسب في تهديم الحجارة أن يكون "موله" بالعين المهملة .

ووصف القاضي الفاضل المنجنيق من رسالة فقال :

«فَسَلَّمْتُ كَأَنَّهَا بَنَانٌ، وَنَضَّضْتُ كَأَنَّهَا لِسَانٌ، وَأَطَّتْ كَأَنَّهَا مِرْنَانٌ، وَاهْتَرَّتْ كَأَنَّهَا جَانٌ، وَتَقَوَّتْ كَأَنَّهَا سِنَانٌ، وَأَنْعَطَفَتْ كَأَنَّهَا عِنَانٌ، وَأَقْدَمَتْ كَأَنَّهَا شُجَاعٌ وَأَحْجَمَتْ كَأَنَّهَا جَبَانٌ، وَرَمَتْ رَعْوَهُمْ المَوْقِرَةَ مِنْ أَحْجَارِهَا بِأَمْثَالِ الرِّعْوَسِ المَحْلَقَةِ، فَأَعَادَتْهُمْ إِلَى المَحْلَقَةِ الإُولَى مَحْلَقَةً وَغَيْرَ مَحْلَقَةٍ.»

ووصف النامي المنجنيق فقال :

وَحِصْنٌ زِيَادٌ عُذْوَةٌ السَّبْتُ نَافِتًا \* سِيمَامًا أَرَاكَ أَبْنَ الأَرَاقِمِ أَرْقَا  
نَصِبْتُ لَهُ فِي الأَرْضِ بِنْتُ حَدِيقَةٍ <sup>(١)</sup> \* تَمُدُّهَا فِي الجَوْكَفَا وَمِعْصَا  
لَهَا أَخَوَاتٌ لِلنَّسَايَا كَوَامِنٌ \* وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَا أَضْمَرْتَهُ مَكْتَمًا  
عَدَارَى وَلَكِنْ قَدْ وَجِدْنَ حَوَامِلًا \* بَعْرَسٌ تَرَاهُ لِلجَنَادِلِ مَأْتَمًا  
تَرَى الصَّخْرَ فِيهِ الصَّخْرَ وَهُوَ نَسِيْبِهِ \* عَدُوًّا بِيَوْمِ أَرْضِهِ تُمَطِّرُ السَّمَاءُ  
إِذَا أَقْعَدَتْ جُدْرًا قِيَامًا رَأَيْتَهَا \* تُنَبِّئُهُ قِيَعَانًا مِنَ التُّرْبِ نُومًا  
وَمَا وَصَفَتْ بِهِ المَعَاقِلَ وَالحِصُونَ نَظْمًا.

فمن ذلك قول كعب الأشقرى، يصف قلعة :

مُحْلَقَةٌ دُونَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا \* غَمَامَةٌ صَافِيَةٌ زَالَ عَنْهَا سَحَابُهَا  
وَلَا يَبْلُغُ الأَرْوَى شِمَارِيخَهَا العُلَى \* وَلَا الطَّيْرُ إِلا نَسْرَهَا وَعُقَابُهَا  
وَلَا حَوْقَتْ بِالذَّنْبِ وَلدَانُ أَهْلِهَا \* وَلَا تَبْحَثُ إِلا النُّجُومَ كَلَابِهَا

وقال أبو تمام، يصف عمورية :

وَبَرَزَةُ الوَجْهِ قَدْ أَعَيْتْ رِيَاضَتُهَا \* كَسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِيْبٍ  
يَكْرُفُهَا أَفْرَعَتُهَا كَكْفِ حَدِيثَةٍ \* وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّسُوبِ  
مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدِرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ فَقَدْ \* شَابَتْ نَوَاصِي اللِّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَسِيْبِ

(١) في الأصل " بنت حديقة " بالياء بدل النون، ولعل الصواب ما أثبتناه .

وقال الخالديان :

وَحَلَقَاءَ قَد تَاهَتْ عَلَى مِنْ يَوْمِهَا \* بِمَرَقِهَا الْعَالَى وَجَانِبِهَا الصَّغْبِ  
يَزُرُّ عَلَيْهَا الْجَوُّ جَيْبَ عَمَامِهِ \* وَيُلْبِسُهَا عِقْدًا بِأَنْجِحِهِ الشُّهْبِ  
إِذَا مَا سَرَى بَرَقَ بَدَتْ مِنْ خِلَالِهِ \* كَمَا لَاحَتْ الْعَذْرَاءُ مِنْ خَلَلِ الْحُجْبِ  
سَمَوَتْ لَهَا بِالرَّأْيِ يَشْرُقُ فِي الدَّجَى \* وَيَقْطَعُ فِي الْجَلَى وَيَصْدَعُ فِي الْمَهْضِبِ  
فَأَبْرَزَتْهَا مَهْتُوكَةَ الْجَيْبِ بِالْقَنَّا \* وَغَادَرَتْهَا مَلْصُوقَةَ الْحَدِّ بِالْتَرِبِ

وقالا أيضا في قلعة :

وَقَلْعَةٍ عَاتِقِ الْعَيْسُوقِ سَافِلِهَا \* وَجَازِ مَنَظَقَةِ الْجَوْزَاءِ عَالِيهَا  
لَا تَعْرِفُ الْقَطْرَ إِذْ كَانَ الْغَمَامُ لَهَا \* أَرْضًا تَوَطَّأَ قُطْرِيهِ مَوَاشِيهَا  
إِذَا الْغَمَامَةُ لَاحَتْ حَاضٍ سَاكِنِهَا \* حِيَاضِهَا قَبْلَ أَنْ تَهْمِي عِزَّالِيهَا  
يُعَدُّ مِنْ أَنْجُمِ الْأَفْلَاقِ مَرَقِبِهَا \* لَوْ أَنَّهُ كَانَ يَجْرَى فِي مَجَارِيهَا  
عَلَى ذُرَى شَامِيخٍ وَعَيْرٍ قَدِ امْتَلَأَتْ \* كِبْرًا بِهِ وَهُوَ تَمْلُؤُهَا بِهَا تَيْمِهَا  
لَهُ عِقَابٌ عِقَابُ الْجَوْ حَامِئَةٌ \* مِنْ دُونِهَا فَهِيَ تَنْخَنِي فِي خَوَافِيهَا

وقال أبو بكر الخوارزمي :

وَيَكْرِ تَحَامُشَهَا الْبُعُولُ مَخَافَةً \* فَقَدْ تَرَكْتُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَهْرِ أَيَّمَا  
مَمْنَعَةٍ لَمْ يَغْلُظِ الدَّهْرُ بِأَسْمِهَا \* وَلَمْ يَرَهَا فِي النَّوْمِ إِلَّا تَوَهْمًا  
تَرَلُّ عِقَابُ الْجَوِّ عَنْ شُرُفَاتِهَا \* وَتَبْغِي إِلَيْهَا الرِّيحُ مَرَقِي وَسَامًا  
وَيُسْمَعُ فِي الْأَفْلَاقِ صَيْحَةُ دِيكِهَا \* فَتَحَسِبُ دِيكَ الْعَرْشِ صَاحَ تَرْتِمًا  
مَجْجُوزًا تُرَى فِي صِحَّةِ الْجِسْمِ كَاعْبَاءَ \* وَلَوْ أُرْخَتْ كَانَتْ مِنَ الدَّهْرِ أَقْدَمَا  
تُوَارِي أَسَاسًا بِالنُّخُومِ مُؤَزَّرَا \* وَتُبْرُزُ رَأْسًا بِالنُّجُومِ مَعَمَّا  
تُسَازِعُهَا الْأَرْضُ السَّمَاءُ وَتَدْعَى \* لَدَيْهَا بِهَا حَقًّا لَهَا مُتَهَضَّمَا  
وَتَحْسَبُهَا زَهْرُ الْكَوَاكِبِ كَوَكْبًا \* هَوَى خَلْفَ شَيْطَانِ رَجِيمٍ نَحْمًا

## الباب الخامس

## من القسم الخامس من الفن الأول

(فيما وصفت به القصور والمنازل)

ولنبداً بذكر ما بناه المتوكل من القصور وما أنفق عليها، ثم نذكر ما قيل في وصفها،  
وما وصفت به المنازل الخالية، وما قيل في حب الوطن .

فأما قصور المتوكل، فهي: الكامل، والجعفرى، وبركوانا، والعروس،  
والبركة، والجوسق، والمختار، والغريب، والبديع، والصبيح، والمليح، والقصر،  
والبرج، والمتوكلية، والقلاية .

حكى المؤرخون أنه أنفق في بنائها مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار عيناً،  
ومائة ألف ألف وثمانية وخمسون ألف ألف وخمسة ألف درهم .

قالوا: وكان "البرج" من أحسنها . كان فيه صور عظيمة من الذهب والفضة،  
وبركة عظيمة غشي ظاهرها وباطنها بصفايح الفضة، وجعل عليها شجرة من الذهب  
فيها طيور تصوت وتصفر سماها "طوبى"، باغت النفقة على هذا القصر ألف ألف  
دينار وسبعائة ألف دينار .

وقد وصفه الشعراء، فمن ذلك قول السرى:

مجلس في فناء دجلة يرتأ \* ح إليه الخليع والمستور  
طائر في الهواء فالبرق يسرى \* دون أعلاه والجمام يطير  
فاذا الغيم سار أسيل منه \* حلال دون جذره وسور  
وإذا غارت الكواكب صبها \* فهو الكوكب الذي لا يغور

وقال أيضاً:

منزل كالربيع حلت عليه \* حاليات السحاب عقد النطاق

(١) كذا بالأصل: وفي معجم باقوت "يزكوار" .

يُمْتِعُ الْعَيْنَ فِي طَرَائِفِ حُسْنِي \* تَتَحَامَى بِهَا عَنِ الْإِطْرَاقِ  
بَيْنَ سَاحِجٍ كَأَنَّهُ ذَائِبُ التَّسْبِرِ عَلَى مِثْلِ ذَائِبِ الْأُورَاقِ

وقال أيضا :

وَالْفَصْرُ يُبَسِّمُ عَنْ وَجْهِ الضُّحَى فَتَرَى \* وَجْهَ الضُّحَى عِنْدَ مَا أَبْدَى لَهُ تَحَبُّبَا  
بَيْتُ أَغْلَاهُ بِالْحَوْزَاءِ مُتَطَقَا \* وَيَقْتَدِي بِرِدَائِ الْغَيْمِ مُحْتَجِبَا  
وقال أبو سعيد الرستمي ، يصف دارا بناها الصاحب بن عباد :

وَسَامِيَةِ الْأَعْلَامِ تَلْحُظُ دُونَهَا \* سَنَا النِّجْمِ فِي آفَاقِهَا مُتَضَائِلَا  
تَسَخَّتْ بِهَا إِيوَانَ كَسْرَى بْنِ هُرْمِزٍ \* فَأَصْبَحَ فِي أَرْضِ الْمَدَائِنِ عَاطِلَا  
فَلَوْ أَبْصَرْتَ ذَاتَ الْعِيَادِ عَمَادَهَا \* لِأَمَسْتَ أَعَالِيهَا حَيَاءً أَسَافِلَا  
وَلَوْ لَحِظْتَ جَنَاتُ تَدْمَرَ حُسْنَهَا \* دَرَّتْ كَيْفَ تَبْنِي بَعْدَهُنَّ الْمَجَادِلَا  
مَتَى تَرَاهَا خَلَّتِ السَّمَاءُ سُرَادِقَا \* عَلَيْهَا وَأَعْلَامُ النُّجُومِ تَمَائِلَا

وقال علي بن يوسف الإيادي ، يذكر دارا بناها المعز العبيدي بمصر وسمها

”العروسين“ .

بَنَى مُنْظَرًا يُسَمَّى ”الْعُرُوسَيْنِ“ رِفْعَةً \* كَأَنَّ الثَّرِيًّا عَرَّسَتْ فِي قِبَائِهِ  
إِذَا اللَّيْلُ أَخْفَاهُ بِمُلْكِيَّةِ لَوْنِهِ \* بَدَأَ ضَوْؤُهُ كَالْبَدْرِ تَحْتَ تَحَابِيهِ  
تَمَكَّنَ مِنْ سَعْدِ السُّعُودِ مَحَلَّهُ \* فَأَصْحَى وَمِفْتَاحُ الْغَيْمِ فَنَحَّ بِأَيْهِ  
وَلَوْ شَادَهُ عَزَمَ الْمُعِزُّ وَرَأْيَهُ \* عَلَى قَدْرِهِ فِي مُلْكِهِ وَنِصَائِهِ  
لَكَانَ حَصَى الْيَاقُوتِ وَالتَّبِيرِ مُفْرَعًا \* عَلَى الْمَسْكَ مِنْ أَجْرِهِ وَرَأْيِهِ

وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي ، يصف دارا بناها المعتمد بن عباد من أبيات :

وَيَا حَبِذَا دَارَ قَضَى اللَّهُ أَنَّهَا \* يُجَدِّدُ فِيهَا كُلَّ عِزٍّ وَلَا يَبِيلِي  
وَمَا هِيَ إِلَّا خَطَّةُ الْمَلِكِ الْإِي \* يُحِطُّ لَهَا كُلُّ ذِي أَمَلٍ رَحَلَا  
إِذَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا خَلَّتْ أَنَّهَا \* تَقُولُ بِتَرْجِيْبٍ لِدَاخِلِهَا أَهْلَا

وقد نقلت صناعتها من صفاته \* إليها أفانينا فأحسنت النقلا  
 فمن صدره رُحبا ومن نوره سنا \* ومن صيته فردا ومن حلمه أصلا  
 فأعلت به في رتبة الملك ناديا \* وقيل له فوق السماكين أن يعلى  
 نسيت به إيوان كسرى لأثني \* أراه له مؤلى من الحسن لا مثلا  
 ترى الشمس فيه ليقه تستمدها \* أكف أقامت من تصاويرها شكلا  
 لها حركات أودعت في سكونها \* فما تبعت من نقلهن يد رجلا  
 ولما عشنا من توقد نورها \* نخدنا سناه في نواظيرنا كخلا

وقال أيضا من قصيدة يصف فيها دارا بناها المنصور ببجاية، جاء منها :

وأعمر بقصر الملك نديك الذي \* أضحى يجيدك بيته معمورا  
 قصر لو أنك قد تكلت بنوره \* أعمى لعاد على المقام بصيرا  
 وأشتق من معنى الحياة نسيمه \* فيكاد يحدث للعظام سُورا  
 فلوات بالإيوان قويل حسنه \* ما كان شيئا عنده مذكورا  
 نسي "الصبيح" مع "الملح" بذكره \* وسمّا ففاق "خورنقا" و"سدرا"  
 أعيت مطالعه على الفرس الألى \* رفَعوا البناء وأحكوا التدويرا  
 ومضت على القوم الدهور وما بنوا \* لمُلوكهم شَبها له ونظيرا  
 أذكرتنا الفردوس حين أريدنا \* غرَفا رفعت بناءها وقصورا  
 فلك من الأفلاك إلا أنه \* حقر البُدور فأطلع "المنصورا"  
 أبصرته فرأيت أبداع منظرا \* ثم آتنت بناظري محسورا  
 وظننت أني حالم في جنّة \* لما رأيت الملك فيه كيرا  
 وإذا الولائد فتحت أبوابها \* جعلت تُرحب بالعفاة صيرا  
 عصت على حلقاتهن صراغم \* ففرت بها أفواها تكشيرا  
 فكأنها لبدت تهصر عندها \* من لم يكن بدخوله مأمورا

- تَجْرِي الْخَوَاطِرُ مُطْلَقَاتٍ أَعْيَتْهُ ۝ فِيهِ فَتَكُبُّو عَن مَدَاهُ قُصُورِ  
بَرْخِيمِ السَّاحَاتِ تَحْسَبُ أَنَّهُ ۝ فِيرَشَ الْبَهَا وَتَوَشَّحَ الْكَافُورِ<sup>(١)</sup>  
وَمُحْصَبِ بِالْذَّرِّ تَحْسَبُ تَرْبَهُ ۝ مِسْكَ تَضْوَعُ نَشْرُهُ وَعَبِيرَا  
يَسْتَخْلِفُ الْإِضْبَاحُ مِنْهُ إِذَا أَنْقَضَى ۝ صُبْحًا عَلَى غَسَقِ الظَّلَامِ مُبِيرَا  
صَحَّكَتْ مَحَاسِنُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّهَا ۝ جُعِلَتْ لَهُ زُهْرُ النُّجُومِ نُعُورَا  
وَمُصَفَّحِ الْأَبْوَابِ تَبِيرًا نَظَرُوا ۝ بِالنَّقِيشِ بَيْنَ شُكُوكِهِ تَنْظِيرَا  
تَبْدُو مَسَامِيرُ النَّضَارِ كَمَا عَلَتْ ۝ فَلَكُ الْتَهُودِ مِنَ الْحِسَانِ صُدُورَا  
خَلَعَتْ عَلَيْهِ غَلَاظِلًا وَرَسِيَّةً ۝ شَمْسٌ تَرُدُّ الطَّرْفَ عَنْهُ حَسِيرَا  
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غَرَائِبِ حُسْنِهِ ۝ أَبْصَرْتَ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرَا  
وَعَجِبْتَ مِنْ خُطَافِ عَسْجَدِهِ الَّتِي ۝ حَامَتْ لَتَبْنِي فِي ذُرَاهِ وَكُورَا  
وَضَعَتْ بِهِ صُنَائِعَهُ أَفْلَامَهَا ۝ فَارْتَكُ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصُورَا  
فَكَأَنَّهَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لِيَقَعُ ۝ مَشَقُوا بِهَا التَّرْوِيقَ وَالتَّشْجِيرَا  
وَكَأَنَّهَا فَرُشُوا عَلَيْهِ مُلَاءَةً ۝ تَرَكُوا مَكَانَ وَشَاحِهَا مَقْصُورَا  
يَا مَالِكَ الْمَلِكِ الَّذِي أَحْضَى لَهُ ۝ مَلِكُ السَّمَاءِ عَلَى الْعُدَاةِ نَضِيرَا  
كَمْ مِنْ قُصُورٍ لِللُّلُوكِ تَقَدَّمَتْ ۝ فَاسْتَوْجَبَتْ بِقُصُورِكَ التَّأْخِيرَا  
فَعَمَّرَتْهَا وَمَلَكَتْ كُلَّ رِيَاسَةٍ ۝ مِنْهَا وَدَمَّرَتْ الْعِدَا تَدْمِيرَا

وقال عمارة اليمني، يصف دارا بناها فارس الإسلام من أبيات :

- فَعَمَلٌ دَارًا شَبَدَتْهَا هَمَّةٌ ۝ يَفْدُو الْعَسِيرُ بِأَمْرِهَا مِتْسِرَا  
فَاقَتْ عَلَى الْإِطْلَاقِ كُلَّ بَنِيَّةٍ ۝ وَسَمَتْ بِسَعِيدِكَ عِزَّةً وَتَكْبَرَا  
أَنْشَأَتْ فِيهَا لِلْعُيُونِ بَدَائِعًا ۝ دَقَّتْ فَادْهَلَ حُسْنُهَا مِنْ أَبْصَرَا  
فَمِنْ الرُّخَامِ مُسَسِّرَا وَمَسْمَمَا ۝ وَمِنْ مَنَّمَا وَمُدْرَهْمَا وَمُدْرَا  
وَسَقَيْتَ مِنْ ذَوْبِ النَّضَارِ سَقُوفَهَا ۝ حَتَّى يَكَادَ نَضَارُهَا أَنْ يَقْطُرَا

(١) كذا في الأصل، ونحن نرجح أن تكون \* فُورَشَ الْبَهَارِ وَتَوَشَّحَ الْكَافُورَا \*

لم يَبْقَ نَوْعٌ صَامِتٌ أَوْ نَاطِقٌ \* إِلَّا غَدَا فِيهَا الْجَمِيعُ مُصَوِّرًا  
 فِيهَا حَدَائِقُ لَمْ تَجِدْهَا دِيمَةً \* كَلَّا وَلَا نَبَتَتْ عَلَى وَجْهِ الشَّرَى  
 لَمْ يَبْدُ فِيهَا الرُّوضُ إِلَّا مُزْهِرًا \* وَالنَّخْلُ وَالرَّمَانُ إِلَّا مُثْمِرًا  
 وَالطَّيْرُ مَدُّ وَقَعَتْ عَلَى أَغْصَانِهَا \* وَثَمَارُهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْفِرَا  
 وَبِهَا مِنَ الْحَيَوَانِ كُلِّ مُشْبِهٍ \* لَيْسَ الْحَرِيرُ الْعَبْقَرِيُّ مُصَوِّرًا  
 لَا تَعْدَمُ الْأَبْصَارُ بَيْنَ مَرُوجِهَا \* لَيْثًا وَلَا ظَبْيًا بُوَجْرَةَ أَعْفَرَا  
 أَنْسَتْ نَوَافِرُ وَحْشِهَا لِسَبَاعِهَا \* فِظْبَاؤُهَا لَا تَنْقَى أُسْدَ الشَّرَى  
 وَكَأَنَّ صَوْلَتَكَ الْمُخِيفَةَ أَمَنْتَ \* أَسْرَابُهَا أَلَا تَخَافُ فُتْدَعْرَا  
 وَبِهَا زَرَافَاتٌ كَأَنَّ رِقَابَهَا \* فِي الطُّولِ أَلْوِيَهُ تُوْمُ الْعَسْكَرَا  
 نُوبِيَّةُ الْمَنْشَأُ تَرِيكَ مِنَ الْمَهَا \* رَوْقًا وَمِنْ بُزْلِ الْمَهَارِي مِشْفَرَا  
 جِلَّتْ عَلَى الْإِقْعَاءِ مِنْ أَعْجَازِهَا \* فَتَخَالُفَا فِي تَيْهِ تَمَشِي الْقَهْقَرَى

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز، يصف قصرا بناه علي بن تميم بن المعز بمصر:

لِللَّهِ مَجَالِسُكَ الْمُنِيفُ فَبَابِهِ \* بِمَوْطِدٍ فَوْقَ السَّمَاءِ مُمْسِسِ  
 مُوفٍ عَلَى حُبِّكَ الْمَجْرَةَ تَلْتَقِي \* فِيهِ الْجَوَارِي بِالْجَوَارِي الْكُنُوسِ  
 تُتْقَابِلُ الْأَنْوَارُ فِي جَنَابَتِهِ \* فَالَلَّيْلُ فِيهِ كَالنَّهَارِ الْمُشْمِسِ  
 عَطَفَتْ حَنَائِيهِ دُورِينَ سَمَائِهِ \* عَطَفَ الْأَهْلَةَ وَالْحَوَاجِبَ وَالْقَيْسِي  
 وَأَسْتَشْرَفَتْ عَمْدَ الرَّخَامِ وَظُوهِرَتْ \* بِأَجَلٍّ مِنْ زَهْرِ الرَّبِيعِ وَأَنْفَسِ  
 فَهَوَاؤُهُ مِنْ كُلِّ قَدِّ أَهْيَفٍ \* وَقَرَّارُهُ مِنْ كُلِّ خَدِّ أَمَلِسِ  
 فَلَكِ تَحْمِيرٌ فِيهِ كُلُّ مَنْجَمٍ \* وَأَقْرَبُ بِالتَّقْصِيرِ كُلُّ مَهْنَدِسِ  
 فَبَدَا لِلْحَظِّ الْعَيْنِ أَحْسَنَ مَنظَرَا \* وَعَدَا لِطَيْبِ الْعَيْشِ خَيْرَ مَعْرَسِ  
 فَاطَّلَعَ بِهِ قَمَرَا إِذَا مَا أَطْلَعَتْ \* شَمْسُ الْخُدُورِ عَلَيْكَ شَمْسُ الْأَكْوَوسِ  
 فَالنَّاسُ أَجْمَعُ دُونَ قَدْرِكَ رُتْبَةً \* وَالْأَرْضُ أَجْمَعُ دُونَ هَذَا الْمَجْلِسِ

وقال الوزير أبو سليمان بن أبي أمية :

يا دارُ آمَنِكَ الزَّما \* نِ حُطوبه وَنَوائِبه  
وَجَرَّتْ سَعُودُكَ بِاللَّدى \* يَسْوى نَزِيلِكَ دَائِبَه  
فَلنَعَمَ ماوى الضَّيفِ أذ \* بِتِ إِذا تَحامَوا جَانِبَه  
خَطَرَ شَأوَتِ به الدِّيا \* رَ فَادَعَنْتِ لَكَ قاطِبَه

وقال أبو صخر القرطبي :

ديارُ عَليها من بَشاشَةِ أَهلِها \* بَقايا تَسرُّ النَّفْسَ أُثَمَّا وَمَنظَرا  
رُبوعٌ كَساها المَزُنُّ من خِلعِ الحِيا \* بَرودًا وحِلاها من النُّورِ جَوهَرا

وقال الشريف الرضي :

١٠ ما زَلْتُ أَطِيقُ المَنازِلَ باللَّوى \* حَتَّى نَزَلْتُ مَنازِلَ النُّعَمِ  
بالحِيرةِ اليَضاءِ حَيْثُ تَقابَلتِ \* ثَمَّ العِبادِ عَريضةِ الأَعطانِ  
شَهِدَتِ بِفَضْلِ الرِّأِعينِ قِبابِها \* وَبِينَ البُنَيانِ فَضْلُ البانِ  
ما يَنفَعُ المَاضِينَ أَنْ يَقيتِ لَهم \* خِطَطُ مَعَمَّرَةٍ بَعْمِري فاني

وأما ما وصفت به المنازل الخالية

١٥ فمن ذلك ما قاله البحريّ يسير إلى "الكُرمان" الذي بناه كسرى أنوشروان  
من أبيات :

فَكَانَ الكُرمانَ من عَدَمِ الأذ \* يَسِ وإِخلاقَه بَنِيَّةُ رَمِيسِ  
لَو تَراه عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيالِ \* جَعَلتِ فِيه ما تَمَّما بَعَدَ عُرَيسِ  
وهُوَ يَنبِئُكَ عَن عَجائِبِ قَويمِ \* لا يُشابُّ البِيانُ فِيها بَلِيسِ  
وَإِذا ما رَأَيْتَ صُورَةَ أَنتَطا \* كِيفَ آرَعتَ بَينَ رُومِ وفُرسِ  
والمَنايا مَوائِلُ وَأَوشِسرُ \* وَأَنَّ يُزجِى الصُّفُوفَ تَحَتِ الدَّرَقِيسِ

وقال أيضا من قصيدة يرثي فيها المتوكل ، ويذكر قصره "الجعفرى" :

مَحَلٌّ عَلَى الْقَاطُولِ (١) أَخْلَقَ دَارَهُ \* وَعَادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ جَيْشًا تَعَاوَرَهُ  
كَأَنَّ الصَّبَا تُوفِي نُدُورًا إِذَا أَنْبَرَتْ \* تَجُرُّ بِهِ أَذْيَالَهَا وَتُبَاكِرُهُ  
وَرُبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ تَمَّ عَهْدُهُ \* تَرْتُقِ حَوَاشِيَهُ وَيُونُقُ نَاطِرُهُ  
تَغَيَّرَ حُسْنُ "الْجَعْفَرِيِّ" وَأُنْسُهُ \* وَقَوَّضَ بَادِي "الْجَعْفَرِيِّ" وَحَاضِرُهُ  
تَحَمَّلَ عَنْهُ سَاكِنُوهُ بِجَاءَةٍ \* فَعَادَتْ سَوَاءً دُورُهُ وَمَقَابِرُهُ  
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَ لَنَا الْأَمْسَى \* وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهُ  
وَلَمْ أُنْسُ وَحْشَ الْقَصْرِ إِذْ رِيحَ سَرْبِيهِ \* وَإِذْ دُعِرَتْ أَطْلَالُهُ وَجَاذِرُهُ  
وَإِذْ صَبِحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَتَّكَتْ \* عَلَى عَجَلٍ أَسْتَارَهُ وَسَرَّارُهُ  
وَأَوْحَشَهُ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ \* أُنَيْسٌ وَلَمْ تَحْسُنْ لِعَيْنِ مَنَاطِرُهُ  
كَأَنَّ لَمْ تَبَيَّتْ فِيهِ الْخِلَافَةَ طَلْقَةً \* بَسَّاسَتَهَا وَالْمُلُكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهُ  
وَلَمْ تَجْمَعِ الدُّنْيَا إِلَيْهِ بَهَاءَهَا \* وَبَهَجَتَهَا وَالْعَيْشُ غَضُّ مَكَايِرُهُ  
فَإِنَّ الْحِجَابَ الصَّعْبُ حَيْثُ تَمَنَعَتْ \* بَهَيْتَهَا أَبْوَابُهُ وَسَتَّارُهُ  
وَإِنَّ عَمُودَ الْمُلْكِ فِي كُلِّ نَوْبَةٍ \* تَتُوبُ وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِ وَأَمْرُهُ

١٥

١٠

وقال عمر بن أبي ربيعة :

يَا دَارُ أَمْسَى دَارِسًا رَسْمُهَا \* وَحَشًّا قِفَارًا مَا بِهَا أَهْلُ  
قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ بِهَا ذَيْلَهَا \* وَأَسْتَنَ فِي أَطْلَالِهَا الْوَابِلُ

١٥

وقال شاعر أندلسي :

قُلْتُ يَوْمًا لِدَارِ قَوْمٍ تَفَانُوا \* أَيْنَ سُكَّانِكَ الْكِرَامُ لَدَيْنَا  
فَاجَابَتْ هُنَا أَقَامُوا قَلِيلًا \* ثُمَّ سَارُوا وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَا

٢٠

وقال عبد الله بن الخياط الأندلسي :

يَا دَارَ عَلْوَةٍ قَدْ هَيَّجَتْ لِي شَجْنًا \* وَزِدْتَنِي حَزْنًا حَبِيبَتٍ مِنْ دَارِ

(١) نهر مشهور معروف كأنه مقطوع من دجلة .

كَمِيتٌ فِيكَ عَلَى اللَّذَاتِ مُعَكِّفًا \* وَاللَّيْلُ مَدْرَعٌ تُوبًا مِنَ الْقَارِ  
كَأَنَّهُ رَاهِبٌ فِي الْمَسْجِ مُتَحِفٌ \* شَدَّ الْمَجْرَ لَهُ وَسَطًا بَرْنَارَ

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكي :

إِنَّ رَبِّعًا عَرَفْتُهُ مَأْلُوفًا \* كَانَ لِلْبَيْضِ مَرْبَعًا وَمَصِيفًا  
غَيَّرْتُ آيَةَ صُرُوفِ اللَّيَالِي \* وَغَدَا عَنْهُ حُسْنُهُ مَضْرُوفًا  
مَا مَرَرْنَا عَلَيْهِ إِلَّا وَقَفْنَا \* وَأَطْلَنَّا شَوْقًا إِلَيْهِ الْوُقُوفًا  
أَلِفًا لِلْبُكَاءِ فِيهِ كَأَنِّي \* لَمْ أَكُنْ فِيهِ لِلغَوَائِي أَلِيفًا  
حَاسِدًا لِلْجُفُونِ لَمَّا أَذَات \* فِي مَعَانِيهِ دَمَعَهَا الْمَدْرُوفًا

وقال الشريف الرضي من أبيات :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِدَيْرِ هِنْدٍ مَتْرَلًا \* أَلَمَّا مِنَ الضَّرَاءِ وَالْحَدَنَانِ  
بِأَلِي الْمَعَالِمِ أَطْرَقَتْ شُرْفَاتُهُ \* إِطْرَاقَ مُنْجَذِبِ الْقَرِينَةِ عَانِي  
أَمْقَاصِرَ الْغِزْلَانِ غَيْرِكَ الْبَلِي \* حَتَّى غَدَوْتَ مَرَاتِعَ الْغِزْلَانِ  
وَمَلَاعِبَ الْإِنْسِ الْجَمِيعِ طَوَى الرَّدَى \* مِنْهُمْ فَضِرْتِ مَلَاعِبَ الْخِنَانِ

وقال أبو الحسن علي القابوسي نثرًا :

«قد كان منزله مألف الأضياف، ومأنس الأشراف، ومُتَجَعِّع الركب، ومقصد  
الوفد، فاستبدل بالأُنس وحشسه، وبالنضارة غُبرة، وبالضياء ظلمة، واعتاض  
من تراحم المواكب، بالأدَمِ التَّوَادِبِ، ومن سخيخ النداء والصهيل، عجيح البكاء  
والعويل» .

ومن رسالة لضيء الدين بن الأثير الجزري، جاء منها :

«... دارٌ لِعِبْتِهَا أَيْدِي الزَّمَنِ، وَفَزَقَتْ بَيْنَ السَّاكِنِ وَالسَّكَنِ، كَانَتْ مَقَاصِيرَ  
جَنَّةٍ، فَاضْطَحَتْ وَهِيَ مَلَاعِبُ جَنَّةٍ، وَلَقَدْ عَمِيَّتْ أَخْبَارُ قُطَانِهَا، وَعَقَّتْ آثَارَهَا آثَارَ  
وُطَانِهَا، حَتَّى شَابَهَتْ إِحْدَاهُمَا فِي الْخَفَاءِ، الْأُخْرَى فِي الْعَفَاءِ، وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهَا لَا تُسْقَى

بعدهم بغم ، ولا يُرْفَع عنها جُلبابُ ظلامٍ ، غير أن السحاب بَكَاهم وأجرى بها سوافح  
دموعه ، والليل شقَّ عليهم جُيُوبَه فظهر الصُّباح من خلال صدوعه « .

### ومما قيل في حب الأوطان

قال ابن الرومي (وهو أول من بين السبب في حب الوطن) :  
وَلِي مَسْنَلُ آلَيْتِ أَلَا أَيْعَهُ \* وَالْأَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرَ مَالِكَا  
عَهْدَتْ بِهِ شَرَّحَ الشَّبَابِ وَنَعْمَةً \* كَنَعْمَةِ قَوْمِ أَصْبَحُوا فِي ظَلَالِكَا  
فَقَدْ أَلْفَتْهُ النَّفْسُ حَتَّى كَانَهُ \* لَهَا جَسَدٌ إِنْ غَابَ عُوْدِرَتْ هَالِكَا  
وَحَبَّ أَوْطَانُ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ \* مَا رَبُّ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَا  
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ \* عُهُودَ الصَّبَا فِيهَا فُحْنَا لَذَلِكَا

### ذكر شيء مما قيل في الحمام

قال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :  
أَهْلًا بَيْتِ النَّارِ مِنْ مَنَزَلِ \* شَيْدٍ لِأَبْرَارٍ وَبُخَّارِ  
يَدْخُلُهُ مَتَمِّسٌ لَذَّةً \* فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ فِي النَّارِ  
وقال أبو عامر بن شهيد الأندلسي :  
إِنَّمَا أبا عَامِرٍ بِلَذَّتِهِ \* وَأَعْجَبَ لِأَمْرَيْنِ فِيهِ قَدْ جُمِعَا  
نِيرَانُهُ مِنْ زِنَادِكُمْ قُدِحَتْ \* وَمَاؤُهُ مِنْ بَنَانِكُمْ نَبْعَا  
وقال علي بن عطية البلنسي :

رُبَّ حَمَامٍ تَلَطَّى \* كَتَلَطَّى كُلِّ وَامِيقِ  
ثُمَّ أَذْرَتْ عَبْرَاتٍ \* صَوَّبَهَا بِالْوَجْدِ نَاطِقِ  
فَغَدَا مِنِّي وَمِنْهُ \* عَاشِقٌ فِي جَوْفِ عَاشِقِ

وقال أبو طالب المأموني ، شاعر اليتيمة :

وَبَيْتٍ كَأَحْشَاءِ الْمُحِبِّ دَخَلْتُهُ \* وَمَالِي ثِيَابٌ فِيهِ غَيْرُ إِهَابِي

أرى مُحْرَمًا فِيهِ وَليْسَ بِكَعْبِيَّةٍ \* فَمَا سَاعَ إِلَّا فِيهِ خَلَعُ ثِيَابِي  
بِمَاءٍ كَدَمَعِ الصَّبِّ فِي حَرِّ قَلْبِي \* إِذَا آذَنْتُ أَحْشَاءَهُ<sup>(١)</sup> بِذَهَابِ  
تَوَهَّمْتُ فِيهِ قِطْعَةً مِنْ جَهَنَّمَ \* وَلَكِنَّهَا مِنْ غَيْرِ مَسِّ عِقَابِ  
يُسِيرُ ضَبَابًا بِالْبُخَارِ مَجَلَلًا \* بُدُورُ زُجَاجٍ فِي سَمَاءِ قِبَابِ<sup>(٢)</sup>

وقال آخر :

إِنَّ حَمَامَكَ هَذَا \* غَيْرَ مَذْمُومِ الْخِوَارِ  
مَا رَأَيْنَا قَبْلَ هَذَا \* جَنَّةً فِي وَسْطِ نَارِ

وأُشْدِنِي جَمَالَ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكَمِ لِنَفْسِهِ :

قَالُوا تَرَكَ دَخَلْتَ حَمَامًا وَمَا \* حَلْفُ الْهَوَى يَلْتَذُّ بِالْأَهْوَاءِ  
فَأَجِبْتُهُمْ لَمْ تَكْفِ أَدْمَعُ مَقْلَتِي \* حَتَّى بَكَيتُ بِجُمْلَةِ الْأَعْضَاءِ

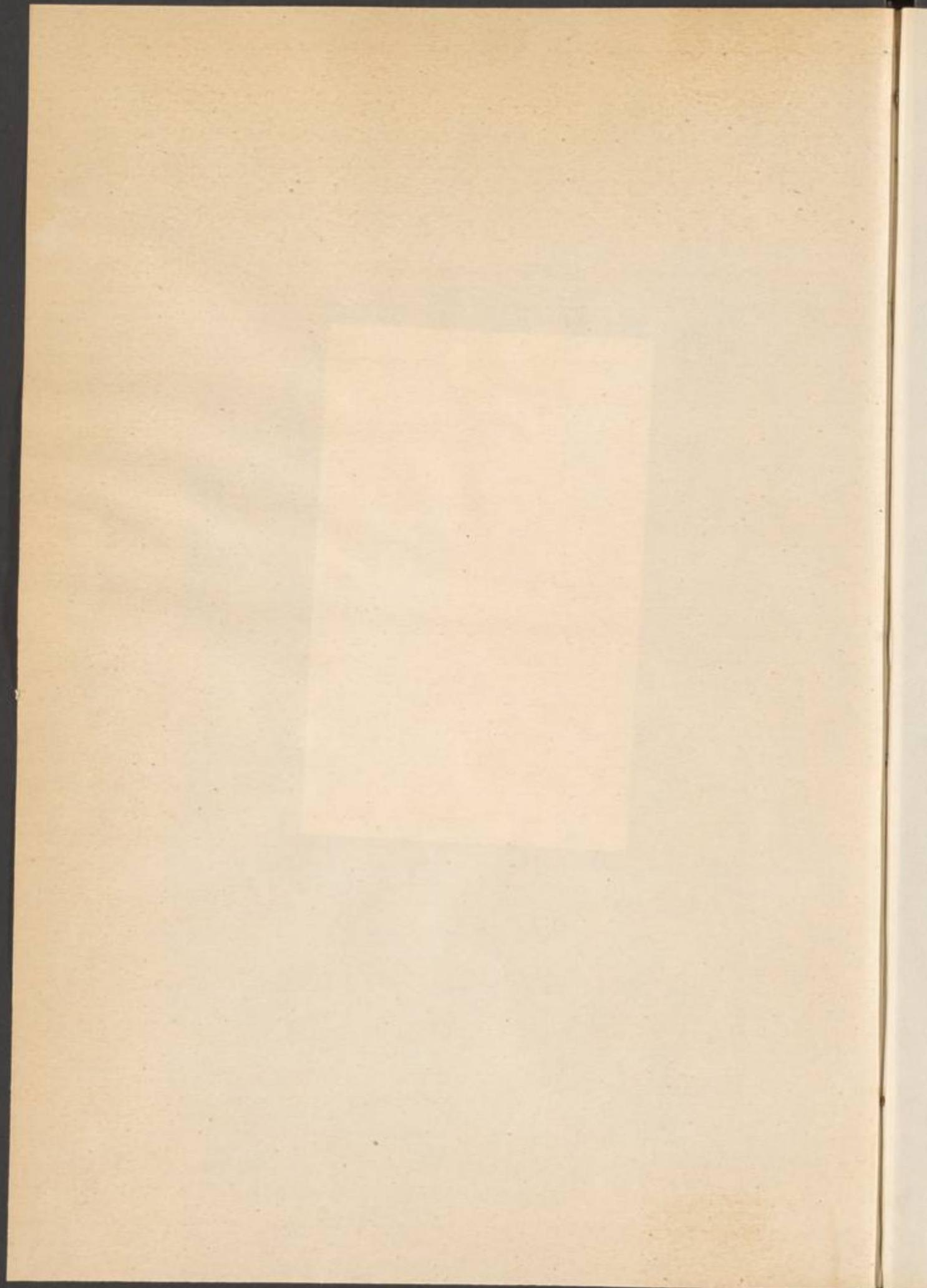
(١) فِي الْبَيْتَةِ (ج ٤ ص ٩٥) : « أَحِبَابِهِ » .

(٢) كَذَا فِي الْبَيْتَةِ . وَفِي الْأَصْلِ : « مَجَلَلًا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

### تم السفر الأول

( نسخة ما هو مكتوب في آخر الأصل بخط المؤلف )

- ١٥ نُجِزَ السَّفَرُ الْأَوَّلُ مِنْ "كُتَابِ نَهَايَةِ الْأَرْبِ فِي فَنُونِ الْأَدَبِ" عَلَى يَدِ مُؤَلِّفِهِ  
فَقِيرِ رَحْمَةِ رَبِّهِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ الْبَكْرِيِّ التَّمِيمِيِّ الْقُرَشِيِّ ،  
عَرَفَ بِالنُّوَيْرِيِّ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ ، وَوَافَقَ الْفَرَاغَ مِنْ كِتَابَتِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الْمُبَارَكِ  
لِعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ عَامِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَسَبْعِينَ أَحْسَنَ اللَّهُ تَقْضِيَهُ ،  
وَذَلِكَ بِالْقَاهِرَةِ الْمُعْزِيَةِ عَمَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، يَتْلُوهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِ السَّفَرِ  
الثَّانِي "الْفَنَّ الثَّانِي فِي الْإِنْسَانِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ" . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى  
٢٠ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ آمِينَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .





**Elmer Holmes  
Bobst Library**

**New York  
University**

From the Library of  
George C. Miles  
Gift of Marian Miles McCredie



**Elmer Holmes  
Bobst Library**

**New York  
University**

